

كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعا على قائمة نيويورك تايمز
ستيفن كينغ

STEPHEN KING

تحبها أكثر ظلمة

YOU LIKE IT DARKER

تعريب ماجد حامد

مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة



شركة اتحاد العربية العلوم الشرية للنشر
Arab Scientific Publishers

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

YOU LIKE IT DARKER

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيًا من المؤلف عبر

c/o The Lotts Agency, Ltd, 68 Jay Street, Suite 201, Brooklyn, N.Y11201, U.S.A.,

.in conjunction with Amelie Cherlin, Los Angeles, CA90027, U.S.A

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر- الرياض

Copyright © 2024 by Stephen King

All rights reserved

Arabic Copyright © 2024 by Arab Scientific Publishers Inc., Riyadh, Saudi Arabia

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2025 م - 1446 هـ

جميع الحقوق محفوظة



شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

Arab Scientific Publishers

السجل التجاري 1010001400

www.asp.com

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الإلكتروني والتسجيل على الشبكة أو التراسل مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حقل البيانات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

الناشر: info@asp.com www.asp.com [facebook.com/aspublishers](https://www.facebook.com/aspublishers) [instagram.com/aspublishers](https://www.instagram.com/aspublishers) [youtube.com/aspublishers](https://www.youtube.com/aspublishers)

تصميم الغلاف: علي كفا

موهبتان من القاع

1

توفي والدي "والدي المشهور" سنة ألفين وثلاث وعشرين، عن عمر يناهز التسعين. وقد تلقى قبل عامين من وفاته بريداً إلكترونياً من روث كروفورد- وهي كاتبة تعمل بشكل مستقل- تطلب فيه لقاءه لإجراء حوار صحفي. قرأته له كالعادة، وكنت أقرأ جميع مراسلاته الشخصية والتجارية؛ فقد تخلّى منذ بعض الوقت عن استخدام جميع أجهزته الإلكترونية، بدءاً من حاسوبه المكتبي، ثم حاسوبه المحمول، وفي النهاية هاتفه العزيز. فرغم أنّ بصره قد بقي جيداً حتى النهاية، إلا أنّ النظر إلى شاشة الآي فون صار يسبّب له صداماً كما قال. وفي الحفل الذي تلى الجنازة، أخبرني الدكتور غودواين أنّ الراحل بوب ربّما عانى من سلسلة من الخثرات الدماغية المحدودة التي أدّت به إلى الإصابة بسكتة دماغية قاتلة.

حين تخلّى عن هاتفه- ربّما حدث ذلك قبل خمس أو ست سنوات من وفاته- تقاعدت بشكل مبكر من عملي مُشرفاً في مدرسة مقاطعة كاسل، وتفرّغت للعمل لديه بدوام كامل، وكان حجم العمل كبيراً بما يكفي. ومع أنّه وظّف مدبرة لمنزله، إلا أنّني في الواقع كنت أقوم بجميع واجباتها عندما أعود ليلاً، أو في عطلات نهاية الأسبوع؛ فكنتُ أساعده على ارتداء ملابسه في الصباح وخلعها في الليل، وأقوم بمعظم أعمال الطهو، وأنظف نتائج بعض الحوادث العرضية؛ عندما لا يتمكن من الوصول إلى الحمام عند منتصف الليل.

كان لدى والدي عاملٌ ماهرٌ آخر، وهو جيمي غريغز. لكنّه هو

أيضًا كان يقاوم الضعف الناجم عن بلوغه الثمانين من عمره، ولذلك وجدت نفسي أؤدي أيضًا تلك الأعمال المنزلية التي لم يتمكن جيمي من إنجازها، بدءًا من تغطية أحواض زهور بوب الثمينة، وحتى فتح مصارف المياه عند انسدادها.

لم نناقش مطلقًا إمكانية الحصول على مساعدة لأداء هذه الواجبات؛ رغم قدرة بوب على تحقّل تكاليفها. فبعد عشرات الروايات التي صنّفت بين الأكثر مبيعًا طوال أربعين عامًا كان بوب في وضع ماليّ جيّد جدًا.

نُشرت آخر رواياته بعنوان الأقفال الجذابة (وفقًا لدونا تارت، نيويورك تايمز) عندما كان في الثانية والثمانين من عمره. وأجرى بعد نشرها مجموعة المقابلات الإلزامية، كما جلس لالتقاط الصور الضرورية، ثم اعتزل. فعل ذلك بلطف كما قال الصحفيون، من خلال "روح الدعابة الخاصة" التي تميّزه (وفقًا لرون تشارلز، واشنطن بوست)، إذ قال: "أشكر الله على نهاية هذا الهراء". بعد ذلك، لم يتحدث عن إنجازاته مرّة أخرى، إلّا خلال تلك المقابلة غير الرسمية التي أجرتها معه روث كروفورد. فرغم أنّ العديد من الصحفيين سألوه عنها، إلّا أنّه رفض ذلك بإصرار، مدّعيًا أنّه قال كلّ ما كان ينبغي له قوله؛ بما في ذلك بعض الأشياء التي ظنّ أنّ عليه الاحتفاظ بها لنفسه.

ذات مرّة قال لي: "قد يُجري المرء عددًا كبيرًا من المقابلات خلال حياته، وعليه أن يضع في حسابه أن يغلق فمه ويمتنع عن الكلام مرّة أو مرّتين على الأقل؛ لأنّ ما يقوله في هاتين المرّتين هو ما يرسخ في الأذهان. وكلّما تقدّم المرء في السنّ،

زاد احتمال حدوث ذلك".

مع ذلك، استمرت مبيعات كتبه، وبالتالي ازدهرت نشاطاته التجارية. ناقشت معه أمورًا مثل تجديد العقود، وتصميم الغلاف، وخيارات الأفلام أو البرامج التلفازية التي ستظهر كتبه خلالها، وقرأت له بإخلاص كل اقتراحات المقابلات الصحفية عندما لم يتمكن من قراءتها بنفسه، لكن جوابه كان الرفض دائمًا، وهذا ما حدث أيضًا لطلب روث كروفورد.

قال لي: "أعطاها الرد المعتاد. قل إنه يشرفنا أن نجري مقابلة معها، ولكننا توقفنا عن إجراء المقابلات". إلا أنه تردد قليلًا هذه المرة، ربما لأن اقتراح كروفورد كان مختلفًا نوعًا ما.

فقد أرادت كروفورد أن تكتب مقالًا عن والدي وعن صديقه القديم، ديفيد بوتش لافيرديير، الذي توفي في العام ألفين وتسعة عشر، والذي رافقت بوب لحضور جنازته في الساحل الغربي على متن طائرة من طراز غلف ستريم استأجرها لهذا الغرض. كان مال بوب عزيزًا عليه دائمًا. لم يكن بخيلًا، بل كان ماله عزيزًا عليه فقط، ولذلك يمكن أن تكشف النفقات الباهظة لتلك الرحلة ذهابًا وإيابًا الكثير عن مشاعره تجاه ذلك الرجل الذي نشأت وأنا أدعوه العم بوتش. كانت مشاعره جياشة؛ ورغم انقطاع دام عشر سنوات أو أكثر، لم يلتق الرجلان خلالها وجهًا لوجه.

طلب إلى بوب أن يتحدث في الجنازة، وتوقعت أن يرفض ذلك بعد أن ذاع عنه رفضه أن تُسلط الأضواء العامة عليه في جميع المواقف، ولم يقتصر الأمر على المقابلات فحسب، إلا أنه وافق على الطلب وقتها، ولم يصعد إلى المنصة، بل وقف

حيث كان متكئا على عصاه. كان بوب متحدثا بارعا على الدوام، ولم تتغير مقدرته تلك مع تقدم العمر.

"كنت وبوتش طفلين، وكنا نذهب إلى مدرسة تتكون من غرفة واحدة، وذلك قبل الحرب العالمية الثانية. نشأنا في بلدة دروبها ترابية، ولا تنتصب فيها إشارات المرور. كنا نجمع قطع السيارات، ونعيد إصلاحها... نلعب ونتدرب. وعندما غدونا رجلين شاركنا في الشؤون السياسية للمدينة، مثل صيانة مكتب النفايات فيها، وفي أعمال مشابهة أيضا. أتذكر تلك اللحظات الآن. كنا نمارس صيد الطرائد، والسماك، ونطفئ حرائق العشب في الصيف، ونشارك في الاهتمام بطرق البلدة في الشتاء. لقد عرف أحدنا الآخر عندما لم تكن شهرة اسمينا تتجاوز دائرة نصف قطرها عشرين ميلا. كان علي أن أزوره في السنوات الأخيرة، إلا أنني كنت مشغولا بشؤوني الخاصة، ومثل العادة: ينفد الوقت دائما. كان بوتش فنانا مميزا بالفعل، ولكنه كان أيضا رجلا مميزا. بُنيت صداقتنا على أمر بسيط: إذ كنت أسانده دائما وكان يدعمني دائما".

توقف بوب عن الكلام هنيهة، أطرق برأسه نحو الأسفل وهو يفكر، ثم تابع: "في مدينتي الصغيرة في ماين، ثقة مقولة معروفة عن الأصدقاء مثلنا: لصيقان إلى الأبد".

نعم، كانا كذلك. وشمل ذلك الالتصاق أسرارهما أيضا.

أرقت روث كروفورد مع رسالتها ملف سيرتها المهنية، فتفحصته باهتمام. كانت قد نشرت مقالات - تُعَد في معظمها لمحاث شخصية - في عشرات المواقع المحلية والإقليمية مثل (يانكي، داون إيست، نيو إنجلاند لايف)، كما كان بعضها

ذا طابع وطني؛ بما في ذلك المقال الذي نشرته في مجلة نيويورك عن مدينة ديري المظلمة. وعندما أرادت الكتابة عن ليرد كارمودي وديف لافيرديير، وجدت أنها تمكنت من ربط المقال بشكل ممتاز. بدا مقالها عن بوب والعم بوتش مكتملاً، إلا أنها أرادت أن تذهب فيه أبعد من ذلك: رجلان من بلدة صغيرة في ولاية ماين، يصبحان مشهورين في مجالين مختلفين من مجالات الثقافة. ولا يتوقف الأمر هنا، فقد حقق كل من كارمودي ولافيرديير الشهرة في منتصف الأربعينات من العمر؛ وهو الوقت الذي يتخلّى فيه معظم الرجال والنساء عن طموحات شبابهم. رجلان - كما قال بوب ذات مرة - حفرا أساسات لبنائهما من القاع ثم بدأ في تأثيثه. أرادت روث أن تعرف كيف حصلت مثل هذه المصادفة النادرة، إذا افترضنا أنها مصادفة.

تساءل بوب عندما فرغت من قراءة رسالة السيدة كروفورد له: "وهل ينبغي أن يكون ثقة سبب لذلك؟ هل هذا ما تبحث عنه؟ لا أظن أنها سمعت عن التوائم اللذين حصلوا على مبالغ كبيرة من المال في يانصيب الولاية في اليوم نفسه".

أجبت: "حسنًا، ربما لم تكن هذه مجرد مصادفة! هذا على افتراض أنك لم تخلق القصة". أعطيته مجالاً ليعلق على اعتراضه، ولكنه ابتسم بطريقة تحمل أكثر من تفسير، أو لا تعني شيئاً على الإطلاق، ولذلك تابعت بإلحاح.

"أعني: ربما نشأ التوائم في منزل يحترف ذلك. ألا ترى أن ذلك يزيد من احتمال حدوث الأمر؟ وخذ بالاعتبار أيضاً جميع تذاكر اليانصيب التي اشتريتها وخسرت قبل ذلك".

أجابني بوب: "لم أفهم وجهة نظرك يا مارك". وأردف وهو يبتسم ابتسامة خجولة: "هل ثقة وجهة نظر بالأصل؟"
"إنني أتفهم فضول هذه المرأة، وسعيها لاستكشاف الحقيقة في ما يتعلق بانحدارك وديف من قرية صغيرة، وسطوع نجميكما وأنتما في أواسط العمر". ثم رفعت يدي إلى جانب رأسي وكأنني أضع عنوانًا رئيسيًا، وقلت: "هل يمكن أن يكون هذا من فعل القدر؟"

فكر بوب في كلماتي وهو يفرك إحدى يديه على لحيته البيضاء الخفيفة على جانب وجهه المليء بالثجاعيد العميقة. اعتقدت حينها أنه قد يقول شيئًا ينم عن تغيير رأيه، أو تأييد وجهة نظري، ولكنه هز رأسه وقال: "اكتب لها إحدى رسائلك اللطيفة، وأخبرها أنني لن أقابلها، وأتني أرجو لها النجاح في مساعيها المستقبلية".

فعلت ما طلبه مني، على الرغم من أن أمرًا ما يتعلق بالمظهر الذي بدا عليه بوب في تلك اللحظة ظل عالقًا في ذهني. إذ ارتسمت على وجهه نظرة رجل يستطيع أن يقول الكثير حول ما حققه هو، وما حققه صديقه بوتش من ثراء وشهرة، ولكنه يُفضل ألا يفعل ذلك؛ فهو اختار في الواقع أن يكون لصيقًا مع الأسرار إلى الأبد.

ربما خيب رفض بوب إجراء ذلك الحوار الصحفي مع روث كروفورد آمالها، إلا أنها لن تتخلى عن مشروعها بسهولة، كما لم تتخل عن الأمر حين رفضت بدوري أن أجري حوارًا معها، بحجة التزامي بموقف والدي الذي رفض أولًا. والأهم من ذلك هو ضالة ما أملكه من معلومات عن بوب بالأصل. فكل

ما أعرفه هو أن والدي يستمتع بالحكايات دائمًا، وأنه يقرأ كثيرًا، ولا يزور أي مكان من دون أن يحشر بعض الأوراق في جيبه الخلفي. فلطالما روى لي حكايات رائعة قبل النوم، وكان يكتبها أحيانًا على دفاتر ملاحظات حلزونية الشكل. أمّا العم بوتش فقد اقتصرت معرفتي به على اللوحة الجدارية التي رسمها في غرفة نومي: أولاد يلعبون بالكرة، وأولاد يلاحقون الفراشات، وأولاد يحملون صنادير صيد السمك. تمت روث مشاهدتها بالطبع، ولكن تعذر ذلك أيضًا، فقد رُسمت منذ وقت طويل، وانمحت عندما نضجت مثل بقية الأشياء الطفولية؛ حين التحقت بجامعة ماين لأحصل على شهادة في التعليم المتقدم، مصدقًا الخرافة القديمة التي تفيد بأن من لا يعرف كيف يصبح مدرّسًا - أو لا يستطيع ذلك - عليه أن يصبح معلمًا للمدرّسين. في ذلك الحين، انطلق صاروخ بوب أولًا، ثم تلاه صاروخ العم بوتش. فاجأني نجاح والدي وأعزّ أصدقائه شخصيًا، كما فاجأ أي شخص آخر في المدينة.

كتبْتُ كل ما سبق في رسالة إلى السيدة كروفورد، تكفيّرًا عن شعورٍ بسيطٍ بالسوء لامتناعي عن إجراء الحوار معها، وقلت لها إنني واثق من أنهما كانا يحلمان مثل معظم الرجال، وأنهما سيحتفظان بتلك الأحلام لنفسيهما كما يفعل معظم الرجال أيضًا، فافترضت بأن حكايات بوب ولوحات العم بوتش المبهجة لم تكن أكثر من مجرد هوايات، كالعزف على الغيتار أو النحت على الخشب، إلى أن تدفقت الأموال. أنهيت طباعة ما سبق، ثم كتبت حاشيةً بخط اليد: كان هذا جيدًا لهما.

ثقة سبع وعشرون مدينة في مقاطعة كاسل، وتعتبر كاسل
روك أكبرها، ومنطقة شلالات غيتس هي الثانية من حيث
المساحة. أما مدينة هارلو حيث نشأت- ابنا لليرد وشيلا
كارمودي- فلا تحتل مركزًا بين المدن العشر الأولى من حيث
المساحة. ربما نمت بشكل كبير منذ أن كنت طفلًا. قال أبي
الذي أمضى حياته كلها في هارلو ذات مرة إنه بالكاد يستطيع
أن يتعرف عليها الآن؛ فقد ذهب إلى مدرسة مؤلفة من غرفة
واحدة، بينما ذهبت إلى قاعة مكونة من أربع غرف (توجد
درجتان في كل غرفة). أما اليوم فتتكون المدرسة من ثماني
غرف مزودة بالتدفئة والتبريد بالطاقة الحرارية الأرضية.

عندما كان بوب طفلًا، لم تكن جميع طرق المدينة معبدة،
باستثناء الطريق رقم 9؛ وهو طريق بورتلاند. وفي طفولتي
أنا تبقى طريقان ترابيان فقط، وهما طريق ديب كات
وميثوديست رود. أما في هذه الأيام، فأصبحت جميع الطرق
مرصوفة.

في الستينيات، كان ثقة متجر واحد فقط هو متجر براوني؛
حيث يجلس الرجال العجائز حول برميل من الشراب. أما
الآن فهناك متجران أو ثلاثة، وما يشبه سوق مركزية (إذا
صحت التسمية) على طريق كويكر هيل، بالإضافة إلى مخبز
بيتزا، وصالونين للتجميل. ورغم أنه كان شيئًا من الأحلام
التي يصعب تحقيقها، إلا أنه أصبح لدينا أيضًا صالون خاص
للعناية بالأظفار، يبدو أنه من الاهتمامات العصرية.

ورغم كل هذا التطور، لا نزال نفتقد وجود مدرسة ثانوية.
إذ يواجه أطفال هارلو بعد المدرسة الابتدائية ثلاثة خيارات:

الالتحاق بمدرسة كاسل روك الثانوية، أو مدرسة شلالات
غيتس الثانوية، أو مدرسة ماونتن فيو الإعدادية المشهورة
باسم أكاديمية كريستر. نحن في هارلو لسنا أكثر من مجموعة
من الريفيين عديمي الأهلية، وتنحصر متعنا في: قيادة
السيارات الصغيرة، والاستماع إلى موسيقى الريف، وشرب
القهوة مع الشراب. نحن مجموعة من الجمهوريين البسطاء
بميل أقرب إلى العدوانية، وليس لدينا الكثير كي نتحدث
عنه، أو نفتخر به، ما عدا هذين الرجلين اللذين اندفعا من هنا:
والدي وصديقه بوتش لايرديير، موهبتان من القاع؛ كما عبر
بوب خلال محادثته القصيرة غير المباشرة مع روث كروفورد.
هل قضى الرجلان حياتهما كلها في هارلو؟ قد يخطر هذا
السؤال على بالك، ولا يمكنك أن تتخيل شخصًا غير المجنون
يمضي حياته كلها هنا.

الجواب هو: لا.

يقول روبرت فروست إنَّ الوطن هو المكان الذي عندما
تذهب إليه يأخذك فيه، وإنه أيضًا المكان الذي تنطلق منه،
ولو حالفك الحظ، فسيكون المكان الذي تنتهي فيه. مات
بوتش في سياتل، غريبًا في أرض غريبة. ربما لم يكن ذلك
سيئًا بالنسبة إليه، ولكنني أتساءل: ألم يفضل في النهاية
ذلك الطريق الترابي الصغير، وتلك الغابة الواقعة على ضفاف
البحيرة، والمعروفة باسم غابة الأميال الثلاثين؟

على الرغم من أنَّ معظم تحقیقات روث كروفورد الصحفية
تركزت في هارلو حيث بدأت موضوعها، إلا أنها لم تمض
الوقت فيها. إذ لا توجد فنادق هنا، ولا غرف للإيجار بسرير

واحد وفطور. كانت قاعدة عملياتها هي نزل غيت وي في كاسل روك. ولحسن الحظ، هناك منشأة لكبار السن من هارلو، وهناك أجرت روث مقابلة مع عجوز يدعى ألدن توثاكر ذهب إلى المدرسة مع أبي وصديقه. أخبرها ألدن كيف حصل ديف على لقبه؛ إذ كان يحمل دائمًا أنبوبًا من مثبت لآكي تايفر بوتش الشمعي في جيبه الأمامي، ويستخدمه بشكل متكرر حتى يقف شعره المسطح بشكل مستقيم إلى الأمام. كان هذا أسلوبه في تصفيف الشعر- أو ما لديه من الشعر- طوال حياته، وأصبح ذلك الشمع علامته التجارية. أمّا لو تساءل أحدهم إذا استمر بوتش بحمل ذلك المثبت الشمعي بعد أن أصبح مشهورًا، فيستطيع تخمين الجواب كما خفنته، فأنا لا أعرف إذا كان هذا المثبت لا يزال متوفرًا في المتاجر أصلًا.

ثرثر ألدن: "اعتاد الصديقان على البقاء معًا في المدرسة الابتدائية. وكانا عضوين في مجموعة من الأولاد الذين يحبون الذهاب لصيد الأسماك أو الطرائد برفقة آبائهم. نشأنا وسط العمل الجاد، ولم نتوقع أي شيء مختلف. يمكنك التحدث إلى أشخاص في عمري، وسيخبرك الجميع بأنهم عرفوا أن ذينك الولدين سيحققان شيئًا ما، ولكنني لن أدعي ذلك. لقد كانا بالنسبة إلي رفيقين عاديين، بل لم يكونا حتى كذلك."

ارتاد ليرد وبوتش ثانوية شلالات غيتس، وكانا معًا في صفوف شقّيت وقتها "التعليم العام"، وكانت مخصصة للأطفال الذين لا يملكون خططًا للذهاب إلى الكلية. لم يقل أحد إنهما لا يملكان ما يكفي من الذكاء، ولكن الجميع

افتترضوا ذلك. درساً ما يُسقى بالرياضيات اليومية، واللغة الإنكليزية للأعمال، حيث شرحت عدّة صفحات من كتابهم المدرسي طريقة تسطير خطاب التقدّم إلى العمل بشكل صحيح، مع استكمالهِ بالرسوم البيانية. لقد أمضيا وقتًا طويلاً في ورشات الأخشاب ومتاجر السيارات، ولعبا كرة القدم وكرة السلة؛ رغم أنّ بوب قضى معظم وقته على مقاعد لاعبي الاحتياط. وفي النهاية، حصل كل واحد منهما على درجة متوسطة، وتخرجاً معاً في 8 حزيران 1951.

عمل ديف لافيرديير سباكاً مع والده، أما ليرد كارمودي فعمل مع والده في إصلاح السيارات في مزرعة العائلة، ثمّ بيعها إلى متجر بي ويز في شلالات غيتس، كما احتفظ معه أيضاً بموقف للخردوات على طريق بورتلاند، ما جلب أموالاً جيدة.

لم تكن علاقة العم بوتش بوالده جيدة. وفي النهاية، اضطر ديف إلى الاعتماد على نفسه، حيث عمل في إصلاح مصارف المياه، وفي مدّ الأنابيب، كما حفر في بعض الأحيان الآبار في غيتس وكاسل روك. إذ استحوذ والده على كل الأعمال في هارلو، ولم يعد يعرض عليه المشاركة. وفي العام 1954، أسّس الصديقان شركة إل ودي هاوليغ، والتي كانت تهتم بنقل النفايات الناتجة عن موسم الصيف إلى مكب النفايات. في العام 1955 اشترى مكباً للنفايات، وكانت المدينة سعيدة بالتخلص منه. نظّفاه وحافظا عليه خالياً من الهوامّ وباقي الحشرات، وسيطرا على عمليات الحرق، ووضعاً برنامجاً بدائياً لإعادة التدوير. دفعت لهما البلدة بدلاً رائعاً شكّل

إضافةً جيّدةً إلى وظائفهما العادية. وحققت الخردة المعدنية، وخاصة الأسلاك النحاسية، مزيدًا من الأرباح، وأطلق عليهما الناس في البلدة اسم توأم القمامة. لكنّ ألدن توثاكر وغيره من الأشخاص القدامى الذين لا تزال ذاكرتهم سليمة أكدوا لروث كروفورد أنّ هذا اللقب لم يكن يشكل إهانة في ذلك الوقت.

امتدّ مكتب النفايات على مساحة خمسة إكرات تقريبًا، وكان محاطًا بسيّاج مرتفع. رسم ديف حياة المدينة في لوحات جداريّة، وكان يضيف إليها لوحات جديدة كل عام. ورغم اختفاء هذا السيّاج منذ فترة طويلة، وتحول المكتب الخاص الآن إلى مكتب عام للنفايات، إلّا أنّ تلك الصور لا تزال موجودة. وتذكّر تلك الجداريات الناس بعمل ديف في ما بعد. كانت هناك أعمال خياطة اللحف والأغطية مندمجة بألعاب بيسبول، وألعاب بيسبول مندمجة في رسوم كاريكاتورية لسكان هارلو الذين رحلوا منذ فترة طويلة، ومشاهد لمزروعات ربيعيّة ومحاصيل خريفية. لقد تمكّن من تمثيل كلّ جانبٍ من جوانب حياة البلدة الصغيرة. لم يكن هناك أيّ شيء مميّز في الحقيقة في أيّ من تلك المشاهد، لكنّها كانت مفعمة بالحيوية وروح الدعابة.

لقد كانت تلك الجداريات - إذا صحّ التعبير - محض إشارات. بعد وقت قصير من وفاة العم بوتش، بيعت لوحته لإلفيس بريسلي ومارلين مونرو وهما يسيران أحدهما إلى جانب الآخر فوق الأرضية المغطاة بنشارة الخشب في منتصف الطريق في كرنفال بلدة صغيرة بمبلغ ثلاثة ملايين دولار،

وكانت أحسن من تلك الجداريات التي رسمها العم بوتش في مطلع شبابه بألف مرة، ولكنها لا تزال تحمل الكثير منها: روح الدعابة الخرقاء نفسها، يحركها تيار خفي من اليأس أو ربما الازدراء. فإذا كانت تلك الجداريات هي البراعم، فإن لوحة إلفيس مع مارلين لديف هي الزهرة.

لم يتزوج العم بوتش، بخلاف بوب الذي كانت لديه حبيبة خلال فترة المدرسة الثانوية تدعى شيلا وايز، قصدت بعد التخرج كلية المعلمين في ولاية فيرمونت، وعندما عادت لتدريس الصفين الخامس والسادس في مدرسة هارلو الابتدائية، أسعد والدي خبر أنها لا تزال عازبة، فاستمالها وفاز بها، وتزوجا في آب عام 1957، وكان ديف لافيرديير إشبين زفاف بوب، ثم جئت بعد عام، وأصبح أفضل صديق لبوب هو عمي بوتش.

قرأت مراجعة كتاب بوب الأول، عاصفة البرق، حيث كتب الناقد ما يلي: "لا نرى الكثير من خيوط السيد كارمودي المشوقة في الصفحات المئة الأولى تقريبًا، لكن الرواية تجذب القارئ على أي حال؛ فهو يشعر بأوتار الكمان".

في ذلك الوقت، اعتقدت أن هذا التعبير ذكي ودقيق، لكن روث كروفورد لم تلاحظ آلات الكمان بشكل جيد، فقد حصلت على صورة خلفية رسمها لها ألدن ورجال آخرون في جميع أنحاء المدينة؛ عن رجلين محترمين ولائقين دون شك، ولكن درجة الصدق والاستقامة لديهما في أدنى معدلاتها. رجلان من الريف يعيشان حياتهما، أحدهما متزوج، بينما أطلق على الآخر في تلك الأيام لقب العازب الأبدي، من دون أن تحظى

حياته الخاصة بأدنى فضيحة.

وافقت فيكي، الشقيقة الصغرى لديف، على أن تجري المقابلة. وأخبرت روث أن ديف كان يذهب في بعض الأحيان إلى الحي النبيل - وعنت بذلك لويستون - حيث يزور النوادي في شارع لشبونة السفلي، كما قالت: "كان رجل احتفالات ومناسبات"؛ في إشارة إلى صالة الحفلات (التي اختفت منذ مدة طويلة). وأضافت بأنه كان على استعداد للذهاب إليها في أي وقت إذا كانت جونا جاي الصغيرة تؤدي هناك، وقالت: "يا إلهي، كم كان معجبًا بها! لم يحضرها إلى المنزل، إذ لم يحالفه الحظ! لكنه لم يكن يعود إلى المنزل بمفرده أيضًا".

توقفت فيكي عند هذه اللحظة - كما أخبرتني روث في وقت لاحق - ثم أضافت: "أعرف ما قد تفكرين فيه أيتها الأنسة كروفورد. يفعل معظم الرجال ذلك هذه الأيام، عندما يقضي الرجل وقتًا طويلًا من حياته دون امرأة. لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى أخي، ربما تبين أنه فنان مشهور، ولكنني أؤكد لك أنه كان رجلًا سويًا تمامًا".

كان لديف صديق محبوب، هذا ما قاله الجميع، وكان جاره. أصيب فيلي لوبيرد بنوبة قلبية عندما ضربت صاعقة رعدية وسط حقله نصف المعشب، فرافقه بوب إلى المستشفى في كاسل روك، بينما جند بوتش عددًا من رفاقه في جمع النفايات للسيطرة على الحريق. وقبل أن تهطل القطرات الأولى من المطر، استطاع العقال السيطرة على حرائق الأعشاب، والحرائق العرضية لبعض المنازل بالتعاون مع قسم الإطفاء التطوعي المحلي. كان بوب يتجول مع والدتي

جامعًا التبرعات المالية لما كان يسقى آنذاك صندوق الفقراء، في الفترات التي لم يكن لديه خلالها عدد كبير من السيارات لإصلاحها أو أعمال للقيام بها في مكتب النفايات. وقد دُرب مع بوش اليافعين على الألعاب الرياضية، كما تطوع معه ليطهروا في وليمة احتفال قدوم الربيع وفي حفل شواء الدجاج الذي يقام في نهاية الصيف.

رجال الريف وحدهم من يعيشون حياة الريف.

لا كمنجات بعد، إلى أن حضرت الأوركسترا كاملة.

كنت أعرف كثيرًا عن هذه الأمور، وعرفت المزيد من خلال روث كروفورد نفسها في مقهى كوفي كب عند الزاوية، في الشارع المجاور لفندق غيت وي، وعلى مسافة مبني واحد تقريبًا من مكتب البريد. إلى هذا المكان يصل بريد بوب، ويتلقى فيه عادةً مبالغ جيدة جدًا. واطبت على الجلوس في مقهى كوفي كب منذ حصلت على منصبي في المدرسة. مشروبات المقهى ليست سيئة، وهذا أفضل ما يمكن قوله عنها، أما بالنسبة إلى فطائر التوت التي يقدمها، فيمكنك قول الكثير، إذ لن تتذوق أذ منها أبدًا.

كنت أتصفح البريد، وأفرز المهم منه عندما سمعت صوتًا يقول: "هل أستطيع الجلوس؟"

إنها روث كروفورد، بدت نحيفة وأنيقة وهي ترتدي بنطالًا أبيض اللون، وقميصًا ورديًا، مع قناع طبي وردي اللون أيضًا. إنها السنة الأولى لانتشار كوفيد. انزلت قبل أن تسمع جوابي إلى المقعد الآخر أمام الطاولة؛ الأمر الذي جعلني أضحك قائلاً: "أنت لا تستسلمين أبدًا، أليس كذلك؟"

أجابت: "لا تنال الفتاة الجميلة جائزة نوبل بفضل خجلها".
ثم رفعت قناعها وسألت: "كيف هي القهوة هنا؟"

"ليست سيئة، كما تعلمين بالتأكيد، بما أنك تقيمين في
الجانب الآخر من الشارع. أنا أجد فطائر التوت المحلاة أفضل
بكثير، ولكن لا اتفاق بيننا على إجراء المقابلة حتى الآن. أنا
أسف يا سيدة كروفورد، فأنا لا أستطيع فعل ذلك".

"أنا لا أجري مقابلة، ثق بي! أي شيء سنقوله هنا سيكون
خارج السجل تمامًا، هل اتفقنا؟"

"هذا يعني أنك غير قادرة على استخدامه".

"هذا تمامًا ما يعنيه".

اقتربت النادلة سوزي ماكدونالد فسألتها إذا كانت تتابع
دروسها الليلية، فابتسمت من وراء قناعها وأجابتني بأنها
تفعل، وطلبت مثل روث القهوة والكعك.

سألني روث عندما ابتعدت سوزي: "هل تعرف الجميع في
المدن الثلاث؟"

"بالتأكيد لا أعرف الجميع. كنت أعرف عددًا أكبر من
الأشخاص حين كنت مشرفًا على المدارس، هذا ليس للنشر،
أليس كذلك؟"

أجابت: "دون شك".

"أنجبت سوزي طفلتها عندما كانت في السابعة عشرة من
عمرها، فطردها والداها وذهبت لتعيش مع خالتها في غيتس.
ومنذ ذلك الحين أنهت دراستها الثانوية وهي تأخذ دروسًا في
مقاطعة إكستنشن، المرتبطة مع كلية بيتس، فهي تريد في

النهاية أن تصبح طبيبة بيطرية، وأنا أعتقد أنها تملك فرصة، كما أن طفلتها الصغيرة بخير. وأنت، ماذا عنك؟! هل تتمتعين بوقت جميل؟ هل حصلت على معلومات أكثر عن بوب والعم بوتش؟"

ابتسمت وقالت: "علمت أن والدك كان مهووسًا قبل أن يتزوج والدتك. بالمناسبة، دعني أطلب لها الرحمة".

أجبتها: "شكرًا". في ذلك الصيف من العام 2021 كان قد مضى على رحيل والدتي خمس سنوات.

"دمر والدك سيارة دودج يملكها أحد المزارعين القدماء، وفقد رخصته لمدة عام، هل تعرف ذلك؟" لم أعرف، وأخبرتها بذلك.

فتابعت: "اكتشفت أن ديف لافيرديير كان يحب مقاهي لويستون، وكان معجبًا بمغنية محلية أطلقت على نفسها اسم جونا جاي الصغيرة. كما اكتشفت أنه انسحب من الحزب الجمهوري بعد فضيحة ووترغيت، لكن والدك لم ينسحب".

"بالتأكيد لم يفعل. سوف يصوت بوب للحزب الجمهوري حتى يوم وفاته، ولكن..." وانحنيت إلى الأمام ثم تابعت قائلاً: "لا يزال كل هذا غير قابل للنشر، أليس كذلك؟"

"تمامًا!" ابتسمت في الوقت الذي لمعت فيه عيناها ببريق الفضول.

أخفضت صوتي إلى الهمس الشديد، وأضفت قائلاً: "لم يصوت لترامب في المرة الثانية، ولم يستطع حمل نفسه على التصويت لصالح بايدن، ولكنه ضاق ذرعًا بدونالد. ستأخذين

ما قلته معك إلى القبر".

"أقسم على ذلك. اكتشفت أن ديف فاز في مسابقة تناول الفطائر السنوية في معرض المدينة منذ عام 1960 وحتى عام 1966 على التوالي إلى أن تقاعد عن المنافسة. كما علمت أن والدك كان يجلس على كرسي العقاب في مهرجان أيام البيت القديم حتى عام 1972، ثقة صور مضحكة جدًا، يرتدي في إحداها واحدة من بذلات السباحة القديمة وقبعة دربي (1)، ربما كانت مصنوعة من مواد مقاومة للماء".

قلت لها: "لقد شعرت بما يكفي من الحرج، ونلت ما يكفي من التنقّر بسبب ذلك في المدرسة".

تابعت: "علمت أيضًا أن ديف جمع كل ما شعر أنه بحاجة إليه عندما قرّر الرحيل غربًا. وضع الأشياء في سرج دراجته النارية من طراز هارلي ديفيدسون وانطلق فورًا، فنظّم والداك مزادًا لبيع أغراضه وأرسل له المال، كما باع والدك منزله هو أيضًا".

وأضفت: "وقد حصل على سعرٍ جيد جدًا. كان ذلك المال ضروريًا جدًا في تلك الفترة؛ حين كان العمّ بوتش يعمل رسامًا بدوام كامل. وقد اضطرّ إلى إنفاق كل ذلك المال حتى بدأ يبيع أعماله".

"خلال تلك الفترة كان والدك يكتب بدوام كامل".

"صحيح، وكان يدير مكتب القمامة. استمرّ في ذلك حتى باعه مرة أخرى إلى البلدة في أوائل التسعينيات، وعندها أصبح مكبًا عامًا للنفايات".

قالت: "كذلك اشترى والدك متجر بيويز للسيارات وباعه، وأعطى العائدات للمدينة".

قاطعتها: "حقًا؟ لم يسبق له أن أخبرني بذلك، مع العلم أنني متأكد من معرفة أمي بذلك".

أكدت روث: "لقد فعل ذلك بالتأكيد، ولماذا لا يفعل؟ لم يكن بحاجة إلى المال، أليس كذلك؟ أصبحت الكتابة في ذلك الوقت وظيفته، أما بقية أعماله وأموره المتعلقة بالمدينة فأصبحت مجرد هواية".

قلت: "لا تكون الأعمال الصالحة مجرد هواية".

"هل علمك والدك ذلك؟"

"بل أمي هي من علمني".

"ما كان رأيها في سبب التغيير المفاجئ الذي حدث لوالدك بالتوازي مع التغيير الذي طرأ على عمك بوتش؟ هل ظننت أن السبب هو الثروة، أم أنه شيء آخر؟"

فكرت في سؤالها بينما أحضرت سوزي الفطائر والقهوة ووضعتها أمامنا على الطاولة، ثم قلت: "لا أريد الخوض في هذه الأمور حقًا يا سيدة كروفورد".

قالت: "نادني روث".

"حسنًا روث... لا أريد الخوض في هذه الأمور".

أضافت الزبدة إلى الفطائر، وراحت تنظر إلي بنوع من الحيرة الحادة، نظرة لا أعرف كيف أصفها؛ الأمر الذي جعلني أشعر بعدم الارتياح.

"أبدًا، أنا أحبها حقًا".

"كانت زوجتي تحبها أيضًا. يسعدني لطفك في امتداح ما تحبه العزیزة شیلا. وبالمقابل، سأعرض عليك صفقة خيالية". وتألقت عيناه. كان مظهر روث الجمیل، وربما جرأتها التي تقترب من الوقاحة، قد أسهما في إضفاء الحيوية عليه، كما أنعشت دقات الماء أزهار عزیزته شیلا.

ابتسمت بفضول وقالت: "وماذا سيكون عرضك يا سيد كارمودي؟"

"سأتلقى منك ثلاثة أسئلة، ويمكنك إضافة إجاباتي إلى مقالک، ما رأيك في ذلك؟"

شعرت بالسعادة، وبدأ أن روث تشاركني الشعور نفسه، وقالت: "يبدو لي هذا العرض ممتازًا".

"أبهريني بأسئلتك الآن أيتها الشابة".

"هلا تعطيني ثانية! إنني أشعر بالضغط".

"صحيح. لكن هذا الضغط سيخرج الألماس من الفحم".

لم تطلب أن يسمح لها بالتسجيل، وكان هذا تصرفًا ذكيًا منها، بل نقرت على شفتيها بالسبابة، وحافظت على التواصل البصري مع بوب أثناء ذلك، ثم قالت: "حسنًا، السؤال الأول: ما أكثر ما أعجبك في السيد لافيرديير؟"

فكر بوب طويلاً ثم قال: "الولاء، والجدارة بالثقة. ربما تعكس هاتان الصفتان نتيجة واحدة، إلى حد ما. يكون الرجال محظوظين إذا حصلوا على صديق جيد واحد، وأظن أن النساء يحصلن على عدد أكبر. لكنك تعرفين هذا الأمر

فهزت روث رأسها بالنفي.

"لا! بالطبع لا. لم يعد أحد يقرأ مقالات ليزلي فيدلر، وهذا عارٌ كبير؛ فقد كانت فاحشة، ومسيئة للأفكار المقدسة. وهذا ما جعله ممتعًا بالنسبة إلي؛ إذ أثار موضوعًا جدليًا في غاية الأهمية حول علاقة الصداقة التي تجمع بين الذكور."

خافت روث أن تكسر تلك التعويذة (التي ألقاها على نفسه وعليها) إن تكلمت، غير أنها قالت: "إنَّ ما تناوله المقال فكرةٌ سطحية".

فقال بوب: "هذه مبالغة في التبسيط، ولكنك غير مخطئة بالكامل".

كنت وبوتش أعزَّ صديقين. وخلال تلك الأسابيع التي أمضيناها في الغابة، استمتعنا بتلك الصداقة في أنقى صورها، وهذا نوعٌ من العلاقات الطيبة. لا يمكنني القول إنني أحببت شيلا بدرجة أقل، ولا أنَّ بوتش لم يكن يبحث عن المتعة خلال رحلاته في المدينة".

كان بوب مهووسًا كبيرًا بموسيقى الروك أند رول، والتي أطلق عليها اسم بوب. ولكن في غابة الأميال الثلاثين، اختفى كل ضجيج العالم وصخبه.

قاطعت بوب قائلاً: "كنتما ملتصقين إلى الأبد".

تابع: "كان هذا ما حدث. حان الوقت لسؤالك الأخير يا آنسة".

هذه المرة سألت روث من دون تردد: "وماذا حدث؟ كيف تحولتما من رجلين في المدينة إلى اثنين من رجال العالم؟

المتبقية، ثم أخرج من جيبه الخلفي غطاء رأس أسود، وقال له:

"ضع هذا فوق رأسك، ولا تجادل، فهذا ليس الوقت المناسب للجدال".

وعلى الفور، سحب فين الكيس فوق رأسه، وكانت يداه ترتعشان. ثم أنزله أحد الرجلين - دوك كما يظن - على مؤخرة، فضرب رأسه بجانب الشاشة بقوة، ما جعله يرى النجوم داخل الكيس. وبعد ذلك، سمع صوت إغلاق الباب.

زمجر دوك: "انطلق، واحذر من أي حادث سير".

سمع فين باندو وهو يعود إلى مقعد السائق، وصوت صرير النوابض أثناء جلوسه، ثم بدأت الشاشة تتحرك. كان هناك توقف مؤقت في نهاية الزقاق، وبعد ذلك انعطفت الشاشة بشدة نحو اليمين.

فسقط دوك بجانب فين وهو يتنهد، وقال: "تبًا لي من مجرم فاشل!"

حسنًا، فكر فين: وماذا ستسمي نفسك أيضًا؟

وسأل: "هل تأخذني إلى مكان ما لتقتلني؟" لم تبد هذه الفكرة في الواقع سيئة جدًا، بل أفضل بكثير من تجربة الفرق بمنشفة مبللة تحاصر الوجه.

عندها، نخر دوك وكأئه يضحك، ثم قال: "لو كنت سأقتلك، لسمحت لك بتناول وجبة الفطور تلك. لقد كان الفطر مسمومًا".

"ماذا؟!"

"السم، السم! ألم تسمع به من قبل أيها الثرثار الغليظ؟"
"أين..."

"اسكت".

انعطفت الشاحنة يسارًا، ثم يمينًا، ثم في الاتجاهين قليلًا، بينما كانت تدور حول دوارين على الأقل. وبعد ذلك، توقفت طويلاً عند إشارة المرور؛ كما افترض فين. وأطلق باندو بوق السيارة بشكلٍ مزعجٍ معترضًا على البطء في حركة الطابور. فصاح به دوك: "أثبت غباءك الآن".

تابعت الشاحنة طريقها، وبعد عدة التفافات إلى اليمين، ازدادت السرعة بشكلٍ ملحوظ، وكأنهم وصلوا إلى الطريق السريع؛ لكن فين لم يسمع ذلك الضجيج الذي يميز الطرق السريعة في العادة. ومز الوقت، ثم سمع نقرة ولاعة، وبعدها شم رائحة دخان السجائر.

قال دوك: "إنه لا يسمح لنا بالتدخين عندما نكون في العمل".

فبقي فين هادئًا، كان يفكر في الفطر المسموم، إذا كان مسمومًا بالفعل.

وفي وقتٍ لاحق، ربّما بعد خمس عشرة دقيقة، أو عشرين، تناول دوك سيجارةً أخرى وقال: "يعتقد أنه فقد رجلين من رجاله فقط، ولكن الآخرين هربوا ليلة أمس. أنا وباندو آخر رجاله، بالإضافة إلى مارم! مارم... يحصل مارم على جائزة الوفاء".

فقال باندو من حيث يجلس في الأمام: "مارم مجنونٌ مثله

تمامًا".

قال دوك: "لقد خاطرنا بحياتنا لإخراجك يا فين. لا أتوقع أن نشكرنا، ولكننا فعلنا ذلك على كل الأحوال".

فشكره فين على أي حال. كان صوته يرتعش، وكانت ساقيه ترتجفان. تذكر أغنية إلفيس: "اهتزي أكثر أيتها الجميلة، ومهما فعلت فلن أهتم". لقد احتل إلفيس عقله، وتساءل في سره عما إذا كانت جذته تعلم أن إلفيس قد اتهم شقيقه التوأم إينوس.

قال فين: "شكرًا جزيلاً".

فرد دوك: "لا أعرف إذا كنت شخصًا سيئًا، ولكنك لا تستحق الموت لمجرد أنه هو ما هو عليه الآن. هل رأيت ذلك الكتيب الذي يفتخر به؟ لقد كتبه بنفسه، هل خطر لك ذلك؟ لكنه لم يكن ينجح دائمًا، فقد قمنا بعمل جيد من دون علمه ذات مرة، هل تذكر يا باندو؟"

فأجاب باندو: "نعم! لقد أنقذت هذا العالم الملعون عام 2017، ولم يعرف بالأمر أكثر من اثني عشر شخصًا على الإطلاق. ولكننا عرفنا يا فتى، لقد فعلنا ذلك".

فقال دوك: "إن فيني سيرد بشيء ما، لا أشك في ذلك، وأنت لست مهمًا بالنسبة إليه. لكنه لن يترك الأمر يمز بسهولة؛ على الرغم من أنه لا يتذكر تلك الحركة".

"هل..."

فقاطعه دوك: "اصمت! كن فتى صغيرًا جيدًا وأبق فمك اللعين مغلقًا، إلا إذا أردت الوقوع في مشكلة أسوأ".

وقال باندو من الأمام: "لا، لم يكن على هذا النحو دائمًا كما أتذكر. آه، لا يهم، كان من الممكن أن أضع رصاصة في رأسك اللعين بنفسى مقابل نصف قطعة نقدية فقط".

بعد ساعتين على الأقل، وصلوا إلى مدينة أخرى، تبدو مدينة كبيرة بسبب أصوات السيارات والشاحنات والأصوات التي سمعها فين لدى التوقف عند إشارات المرور. إذ سمع أصواتًا وضحكات غريبة عنه.

أخيرًا، توقفت الشاحنة وانتزع دوك الكيس من رأس فين، وقال له: "هذه محطتك الأخيرة يا بني، وهذا المبلغ لتساعد نفسك". ثم دفع بشيء ما في الجيب الأمامي لجينز فين. وفجأة، ومن دون أن يفكر في الأمر، قَبِل فين على جبهته، وقال: "ادع لي في صلواتك، فسأحتاج إلى الكثير من الدعاء". وبعد ذلك، فُتح الباب الخلفي، فتعثر فين أثناء خروجه، وتحركت الشاحنة بينما كان دوك لا يزال يغلق الباب. فنظر فين حوله وكأنه رجل يستيقظ من حلم حي.

أطلق راكب دراجة بوقها لينبّهه، وقال: "ابتعد إلى اليسار، إلى يسارك".

فصعد فين إلى الرصيف ليتجنب الاصطدام بلوحة إعلانات قديمة رسم عليها شارب أبيض وأنف ضخمة وكأنه مقدمة مُدْمرة. رأى إلى يمينه كشك لبيع الصحف في شارع راندولف، والذي كان يشتري منه مجلات الكلمات المتقاطعة لجذته، وروايات اليافعين لأختيه إذا ضربه الكرم في بعض الأحيان، وإلى جانب كشك بيع الصحف، كان هناك كشك لبيع المقرمشات والمكسرات، حيث أنفق فين نصف أمواله خلال

السنوات العشر الماضية.

كان على بعد أقل من ميل واحد من منزله.

سار في ذلك الطريق ببطء وهو ينظر حوله، وينظر إلى أعين المشاة الآخرين (معظمهم حوّلوا أنظارهم بعيدًا على الفور، معتقدين أنهم كانوا ينظرون إلى شخص مجنون في الشارع)، ثم نظر إلى السماء، ونظر إلى داخل كل نافذة.

وراح يفكر: أنا على قيد الحياة، أنا على قيد الحياة، على قيد الحياة، على قيد الحياة. كما التفت إلى الخلف عدة مرّات للتأكد من عدم وجود أي أثر لتلك الشاحنة السوداء الخاصة بنقل البضائع.

توقّف عند زاوية شارع بيكي، ونظر حوله ليتأكد من أن بوبي فيني لم يكن يركض نحوه في مسار تصادمي، أو يحمل معه تلك الأوراق السريّة، أو المخططات، وهو يتجّه إلى مصنع القنابل. لم يكن هناك أحد. مَدَّ يده إلى جيبه وأخرج رزمة من الأوراق النقدية ذات اللون الأخضر من فئة مئة يورو. ثَقَّة أربعون قطعة أو أكثر، أعادها إلى جيبه.

قالت الجدة: "مقابل كلّ ضربة حظ سيئ تأتي ضربتان من الحظ الجيد!" حسناً، يملك الآن ما لا يقلّ عن أربعة آلاف. لقد حصل عليها بضربة حظ جيّدة واحدة، أمّا المعادل في الجانب السيئ، فقد كان حياته ذاتها.

أصبح المنزل على بعد بنائيتين وشارع واحد فقط. لا بدّ أن الجميع يشعرون بالقلق. ستكون والدته قد قطعت بشكلٍ طارئٍ عملها الكبير وعادت إلى البيت، لكن ربّما يمكنهم الانتظار لفترةٍ أطول قليلاً. قفل عائداً على طول شارع

بيكي إلى أمبرلي، ومن أمبرلي إلى شارع جين، حتى ظهر متنزه بيتينغيل في منتصف الطريق أسفل جين. لا بد أن الوقت غير مناسب. ربما كان بعد ظهر أحد الأيام الدراسية؛ لأن الملعب كان خاليًا باستثناء طفلين صغيرين يلعبان في الدوارة ببطء، تدفعهما أمهما أو المريّة. جلس فين على المقعد.

نظر إلى لعبة المزلقة واستعاد ذكرى رهبة ترجع إلى سنته الأخيرة في المدرسة. فقد درسوا مع السيد إدجرتون قصة كتبها أمبروز بيرس، وبعد أن قرؤوها جميعًا (لم يحصل فين على جميع زملائه من صف القراءة على الأرجح)، عرض عليهم السيد إدجرتون فيلمًا قصيرًا مستوحى من القصة، وكان يدور حول إعدام أحد مالكي العبيد خلال الحرب الأهلية الأمريكية.

وفي ذلك الفيلم، يدفع مالك العبيد المحكوم عليه بالإعدام من فوق الجسر، لكن حبله ينقطع لحسن الحظ، فيسبح إلى بر الأمان.

وتتغير القصة في ذروتها ليعرف القارئ أن صدف النجاة متخيّلة، وأنها حدثت في ذهن المحكوم، وكانت نوعًا من الحلم المستحيل الذي تمنّاه قبل أن يدفع فعليًا من فوق الجسر ويموت.

يعتقد فين أن هذا ما حدث له. فقد تمادوا في إيهامه بالفرق وهو غارق الآن، وبدلاً من أن تمر ذكريات حياته كلها أمام عينيه - كما يقال إنه يحدث - ها هو يتخيّل على النقيض من ذلك أن دوك قد أخرجه، وأن باندو هزبه بعيدًا عن الخطر، وها

هو الآن يستمتع في الحديقة مثل فتى صغير.

لأن الأمر لا يصدق! فهل يمكنه أن يصدق أنه هرب؟ هل ما يحدث الآن واقعي؟ قد تصدق ذلك في القصص المتخيلة، ولكن هل يحدث هذا في الحياة الحقيقية؟

حسنًا، هل كانت الحياة حقيقية، إذا فكرنا في الأمر؟ هل كانت كذلك بالفعل؟

أمسك فين أحد خديه، وكان لا يزال ينبض بالألم بسبب الصفعات التي وجهها له دوك، قبل أن يغير هذا الأخير مشاعره بتلك الطريقة غير المتوقعة.

قرص فين خذه بشدة، فشعر بالألم الشديد، وبدأ متنزّه بيتينغيل بارك للحظة يتأرجح مثل السراب؛ بسبب دموع الألم التي ملأت عينيه. أليس كذلك؟

لم يكن تغيير رأي دوك هو الشيء الوحيد الغريب، بل أضف إليه ذلك السيد لودلوم الذي يحاول أن يكون السيد ديتون، وذلك الكتيب المطبوع بشكل رديء (لا ننسى بأن كتابته كانت سيئة)، وتلك الأخبار المتعلقة بأخ إفيس التوأم... هل حصلت كل هذه الأحداث في الخيال؟ ماذا لو لم يضربه بوبي فيني على مؤخرته فحسب، بل على رأسه؟ ماذا لو ضرب رأسه في المكان نفسه الذي ضربه البرق في ذلك اليوم الذي لا يُنسى؟ ألن يكون هذا حظ فين موري المعروف؟ ماذا لو كان مستلقيًا الآن على سرير المستشفى في مكان ما، غارقًا في غيبوبة، ودماغه التالف يُنتج واقعًا بديلًا مجنونًا؟

نهض فين ومشى ببطء إلى المزلقة التي لم يكن قد تسلّقها منذ سنوات، منذ أن كان قصيرًا جدًا. ثم تسلّق المزلقة الآن، وراح يسحب نفسه. لقد أصبحت ضيقة عليه، ولكنه نجح.

في تلك اللحظة، توقفت الأم - أو المريّة - عن دفع الطفلين في الدوّارة، وحجبت الشمس عن عينيها بيديها، وقالت: "ما الذي تفعله بحقّ الله؟! ستكسر المزلقة، أيّها الضخم الأحمق".

غير أنّ فين لم يُجب، ولم يكسرها. بل وصل إلى القفّة، ثم استدار، وجلس واضعًا رجليه على المنحني الأول، وراح يفكر: إمّا أن أظلّ هنا بعد أن أسقط إلى القاع، أو لن أكون كذلك، الأمر سهل هكذا.

نظر إلى المرأة وقال: "لقد غادر إلفيس المبنى". ثم قفز نحو الأسفل.



على طريق سلايد إن

تتحرك سيارة جرانبوب من طراز بويك مثل ديناصور منقرض على طول الطريق الترابي بسرعة عشرين ميلاً في الساعة، يقودها فرانك براون بعينه المتسعيتين وشفتيه المطبقتين بشدة إلى أن تحولتا إلى خط أبيض، فيما تجلس زوجته كورين على المقعد الأمامي إلى جواره، وهي تضع جهازها اللوحي مفتوحاً في حضنها. وعندما سألها فرانك عما إذا كانت متأكدة من أنه يسير في الطريق الصحيح، أخبرته أن كل شيء على ما يرام، وأنه يمضي بثبات نحو وجهته، وسيصل من جديد إلى الطريق الرئيسي بعد ستة أميال أخرى، أو ثمانية على الأكثر، ومن هناك يتبقى القليل للوصول إلى الخط السريع. لم ترغب في أن تصارحه بأن النقطة الزرقاء الوامضة التي تشير إلى موقعهم على برنامج الخرائط قد اختفت منذ خمس دقائق، وأن الخريطة متجقدة في مكانها. فهما متزوجان منذ أربعة عشر عامًا، وتعرف كورين ما يدل عليه هذا الفم المضغوط على وجه زوجها، فقد يشير أحياناً إلى أنه على وشك الانهيار وفقدانه أعصابه.

وعلى المقعد الخلفي الفسيح، يجلس بيلي براون وماري براون إلى جوار العجوز جرانبوب الذي ينتعل حذاءه الأسود الكبير والقديم، ويرتكز على جانبي صندوق عصا ناقل السرعة. بيلي في الحادية عشرة من عمره، وماري في التاسعة، بينما يبلغ جرانبوب من العمر خمسة وسبعين عامًا، وهو مصدر للكثير من المتاعب لابنه، كما أنه عديم النفع كجد لهذين الحفيدين الصغيرين. ولكن هذا هو الحال.

عندما انطلقوا من فالماوث لرؤية أخت جرانبوب المحتضرة في ديري، لم يكف جرانبوب عن الكلام. وقد دار الحديث في الغالب حول الحقيقة ذات السحاب في المقعد الخلفي، والتي تحتوي على تذكارات البيسبول الخاصة بنان. أخبرهم أنها كانت مشجعةً مجنونةً للبيسبول، وأنها تملك بطاقات بيسبول قد تساوي قيمتها ثروة الآن (ويشك فرانك براون في ذلك)، أما قفاز الكرة اللينة الخاص بها والذي يعود إلى أيام الكلية فهو موقعٌ من دوم ديماجيو. كما أخبرهم عن الجائزة الأهم من بين كل الجوائز، المضرب الأكثر شهرةً وشعبيةً والذي يسقى: لوفيل سلاجر، فهو موقعٌ بدوره من قبل ضارب الكرة الأسطوري تيد ويليامز. وقد فازت به في سحب جرى في أحد الاحتفالات الخيرية لصالح صندوق جيمي في العام السابق لاستقالة ضارب الكرة الأسطوري ويليامز الذي دعا إلى إقامة هذا الاحتفال.

قال جرانبوب للطفلين: "طار تيدي إلى كوريا كما تعلمان، وانتقلت القنبلة اللعينة تلك إليهم".

ف قالت كورين من المقعد الأمامي: "هذا التشبيه لا يناسب الأطفال!" وكانت تعلم أنه لا جدوى من هذه الملاحظة، فقد نشأ والد زوجها في عصرٍ سيئٍ من الناحية السياسية، وهو ما يظهر دائمًا في كلامه. أرادت أن تسأله عما يمكن أن تفعله أخته الثمانيّة المحتضرة وهي ترقد في شبه غيبوبة بمضربٍ وقفازٍ جلبهما لها، ولكنها امتنعت عن ذلك. لم يكن لدى دونالد براون الكثير ليقوله عن أخته، أكان قولاً جيداً أو سيئاً، ولكنه يشعر دون شك بشيءٍ من المشاعر تجاهها،

والدليل على ذلك قيامه بهذه الرحلة، وإصراره أيضًا على الذهاب بسيارته البويك القديمة لأنها واسعة، ولأنه قال إنه يعرف طريقًا مختصرًا قد يكون أصعب بعض الشيء. وهو على حق في كلا الأمرين.

وضع كومة من كتبه المصورة القديمة في الحقيبة، وقال: "إنها قصص ليقرأها الصغيران أثناء الرحلة". لم يكن بيلي يهتم بالكتب المصورة القديمة، فهو يلعب على هاتفه، لكن ماري جثت على ركبتها، وفتحت حقيبة جرانبوب، وأخرجت مجموعة من القصص. كانت في معظمها رديئة، ولكن بعضها جيدة جدًا. وفي الكتاب الذي تقرأه الآن، تتقاتل بيتي وفيرونيكا على آرتشي، وتشد كل منهما شعر الأخرى... وما شابه ذلك.

قال جرانبوب: "أتعلمون؟ في الأيام الخوالي، كانت ثلاثة دولارات تكفي لشراء البنزين الكافي لإيصالك إلى فينواي، كما تكفي لحضور المباراة، وتناول النقانق والشراب..."

فتمتم فرانك من خلف المقود: "ولا يزال بإمكانك الفوز عندما تشجع الرقم خمسة".

عندها، صرخ جرانبوب بحماسة: "هذا صحيح. اللعنة! يمكنك ذلك. في أول مباراة شاهدها مع أختي، كان إليس كيندر يرمي الكرة، وكان هوت إيفرز في وسط الملعب، ويا له من حظ! كان ذلك الشاب ماهرًا في ضرب الكرة، وقد ضرب واحدة فوق سياج الملعب الأيمن فأسقطت نان "البوشار" الخاض بها وراحت تهتف بقوة".

أبدى بيلي براون أيضًا ملاحظة عن لعبة البيسبول، ثم قال:

"جرانبوب، لماذا تحب الجلوس في المنتصف هكذا؟ هل عليك أن تفتح ساقيك بهذا الشكل؟"

فأجاب جرانبوب: "أنا أدخل الهواء في الكرتين".

عندها، سألت ماري: "أي كرتين؟!" ثم تجهمت عندما ضحك بيلى.

فنظرت كورين من فوق كتفها إلى المقعد الخلفي، وقالت: "هذا يكفي يا جدي! إننا نأخذك لرؤية أختك، ونذهب بسيارتك القديمة بناء لطلبك، لذا..."

فقاطعها فرانك: "تلتهم هذه البويك الوقود بطريقة لن تصدقها".

غير أن كورين تجاهلت هذا، وتابعت تركيزها على ما تقوله: "إننا نسدي لك خدمة، ف لتردّها لنا بالمقابل ولتحتفظ بالحديث السيئ لنفسك".

فوعدها جرانبوب بأنه سيفعل ذلك، بعد أن اعتذر، وكشف لها بأسنانه الصناعية الناصعة عن سخريته، وعدم صدقه في وعده بفعل كل ما تريده.

ألخت ماري: "أي كرتين؟"

فقال بيلى: "كرتا البيسبول. لدى جرانبوب لعبة بيسبول تجري دائمًا في دماغه. اهتمي فقط بكتاب القصص واصمتي! لا تشتتي انتباهي، فقد وصلت إلى المستوى الخامس".

فقال جرانبوب: "لو وُلدت نان بكرات، لكان من الممكن أن تلعب دور المحترفين، تلك الوضعية كانت جيدة".

فصرخت كورين براون تقريبًا: "دونالد، هذا كافٍ".

عندها، تابع الرجل العجوز عابثًا: "حسنًا، لقد كانت كذلك. فقد لعبت كرة القاعدة في فريق جامعة ماين التي شاركت في بطولة العالم للسيدات، وتابعت الطريق إلى أوكلاهوما سيتي، وكاد أن يبتلعها الإعصار".

لم يُشارك فرانك في المحادثة، بل راح ينظر إلى الأمام فقط، إلى الطريق الذي لم يكن ينبغي له أن يسلكه قط، وشكر الله لأنه لم ينجح في إقناع والده بأن يستقلوا سيارة الفولفو. شعر أن الطريق يصبح أضيق، والأمر أكثر خشونة. إنه يعرف ذلك، حتى ذلك الاسم بدا مشؤومًا لفرانك؛ فمن يسقي طريقًا- خاصة إذا كان قذرًا وصعبًا مثل هذا- بطريق "سلايد إن"؟! فسر جرانبوب الأمر بأنه كان اختصارًا للطريق السريع 196، ووافقت كورين بعد استشارة الجهاز اللوحي الخاص بها. وعلى الرغم من أن فرانك ليس من محبي الاختصارات (فهو بصفته مصرفيًا يعرف أنها سبب وازد للمشاكل)، إلا أنه خضع للإغراء في البداية وهو يرى الطريق الأسفلتي المعبّد، ولكن سرعان ما تحوّل الأسفلت إلى تراب. وبعد ميل أو ميلين أفسح التراب المجال لألواح صلبة متعرجة تصطف على جانبيها أعشاب طويلة، ونبات عصا الذهب، وزهور دوار الشمس المائلة. مزّوا فوق طريق متهالك؛ ما تسبّب في اهتزاز سيارة البويك مثل الكلب بعد الاستحمام. ما كان فرانك سيهتم لو اهتزّت البويك الخارجة من غباء ديترويت والتي قطعت أميالًا طويلة، واستهلكت كمّيات كبيرة من الوقود، حتى الموت، لولا إمكانية تعطلها هنا في آخر بلاد الله.

والآن، غمرت قناة لتصريف المياه نصف الطريق، فتوجب

على السيد براون أن يدور حولها إلى اليسار، وهو يعلم أن إطاراته الجانبية تلتف بصعوبة حول الخندق. لو كان ثقة مجالاً للالتفاف لعاد أدراجة من دون شك، ولكن لا يوجد مكان.

تخطت البويك هذا التحدي ولكن بصعوبة كبيرة.

سأل كورين: "كم تبقى الآن؟"

فأجابت رغم تعطل خدمة الخرائط: "حوالي خمسة أميال". لم تكن كورين تملك أي فكرة، ولكن لديها قلباً مفعماً بالأمل، وهذا أمر جيد.

لقد اكتشفت منذ سنوات مضت أن زواجها من فرانك وأمومتها لبيلي وماري لم يكونا ضمن طموحاتها. والآن، وكمكافأة سيئة، يعيش معهم هذا الرجل العجوز البغيض لأنهم لا يستطيعون تحمل تكاليف وضعه في دارٍ للمسنين. وهي تأمل أن تؤمن هذه التكاليف بعد زيارة السيدة العجوز التي تحتضر بسبب السرطان.

تحلم كورين براون بأن تزور يوماً ما كرنفالاً، وتشرب شيئاً مزيئاً بمظلة ورقية. إنها تأمل أن تحظى بحياة أكثر ثراءً وكمالاً عندما يكبر الطفلان أخيراً، ويمضيان في حياتيهما بمفردهما، كما ترغب أيضاً في أن تكون على علاقة حميمة مع منقذ ما له عضلات بارزة وسمرة وابتسامة مبهرجة تبرز أسنانه البيضاء، ولكنها تفهم الفرق بين الحلم والخيال.

قالت ماري: "جرانبوب، لماذا يسقونه طريق "سلايد إن"؟ فهذه الكلمة تعني الانزلاق، فمن الذي انزلق فيه؟"

فقال جرانبوب: "بل تعني الفندق، مع حرف "أن" مضاعف. كان ثقة فندق جيّد هنا، فيه ملعب للغولف، ولكنه احترق بالكامل. لقد أصبح الطريق سيئًا منذ آخر مرة قدت فيها السيارة هنا، ولكن قبل ذلك كانت القيادة فيه سلس".

فسأله فرانك: "متى كان ذلك يا أبي؟ ربما خلال الفترة التي لعب فيها تيد ويليامز مع فريق ريد سوكس، فمن المؤكد أن أحدًا لم يعد يهتم بعد ذلك". فجأة، قفزت البويك بعد أن صعدت على مطب كبير، فصرّ فرانك على أسنانه.

وصرخ جرانبوب: "عذرًا يا عزيزي!"

فسأله بيلي عن سبب اعتذاره، وفسّر له جرانبوب أن هذا ما يجب أن تقوله عندما تصطدم بمطب كهذا، وقال: "أليس كذلك يا فرانك؟ اعتدنا أن نقول ذلك طوال الوقت، أليس كذلك؟"

لكن السيد براون لم يجب.

فألخ الجد: "أليس كذلك؟"

لم يجب فرانك أيضًا، وتصلّبت براجم أصابعه على المقود.

فما كان من العجوز إلا أن كرّر: "أليس كذلك؟"

أخيرًا، أجاب: "صحيح يا أبي! اللعنة يا عزيزي".

صاحت كورين موبخة: "لا تقل هذا أمام الطفلين يا فرانك".

فضحكت ماري، بينما كتم بيلي ضحكته، وابتسم جرانبوب ابتسامة خبيثة كشفت عن طقم أسنانه.

فكر فرانك: يا لها من متعة! يا إلهي! ليت هذه الرحلة تستمر

لفترة أطول، ليتمها تستمر إلى الأبد.

اعتقدت كورين أن المشكلة مع هذا العجوز هي أنه لا يزال يحصل على دفعة من الحياة، والأشخاص الذين يحصلون على مثل هذه الدفعات يستغرقون وقتًا طويلاً حتى يموتوا. إنهم يستمتعون بفترة الشيخوخة.

عاد بيلي إلى لعبته، وأنهى المستوى السادس، ولم يصل بعد إلى المستوى السابع.

فجأة، قال فرانك: "بيلي، هل هناك إشارة في هاتفك؟" عندها، أوقف بيلي اللعبة مؤقتًا للتحقق، ثم أجاب: "لدي نقطة واحدة، ولكنها تستمر في الوميض".
"عظيم! رائع".

في تلك اللحظة، اهتزت عجلات سيارة بويك، فخفف فرانك السرعة قليلاً.

كان يتساءل في سره عما إذا كان يستطيع تغيير اسمه، والتخلي عن عائلته، والحصول على وظيفة في مصرف صغير في بلدة أسترالية، وتعلم مهارات التواصل مع العملاء وأن يقول مبتسمًا: "يومًا سعيدًا".

صاح جرانوبوب: "انظرا، أيها الصغيران".

ومال العجوز إلى الأمام، فأذى صراخه وهو في هذه الوضعية أذن ابنه اليمنى وأذن زوجة ابنه اليسرى، فابتعدا في اتجاهين متعاكسين؛ هربًا من الضوضاء، ومن أنفاسه ذات الرائحة المقرفة، وكأن جرذاً قد مات في فمه. في معظم فترات الصباح، يبدأ العجوز بالتجشؤ، ثم يتلمظ بعد ذلك

وكانه تناول شيئًا لذيذًا. لذا، مهما يكن وضع أجهزته الداخلية، فهو بالتأكيد ليس على ما يرام، ولكنه مع ذلك ينضح بتلك الحيوية الرهيبة. وفي بعض الأحيان، تشعر كورين أنها تريد قتله، وأنها تستطيع قتله، ولكنها تعرف أن الطفلين يُحبانه على الرغم من عدم معرفتها بسبب هذا الحب.

عاد للصياح: "انظرا هناك، هناك!" ونقل إحدى الأصابع المصابة بالتهاب المفاصل بين السيد والسيدة براون، فكاد ظفره الحاد أن يمزق خد السيدة براون، وتابع قائلاً: "هذا هو فندق سلايد إن القديم، أو ما بقي منه. لقد حجزت فيه ذات مرة، كما تعلم يا فرانك، أنا وأختي نان والوالدان، وقد تناولنا الفطور في غرفنا".

نظر الطفلان باهتمام إلى ما تبقى من الفندق: بعض العوارض المتفحمة، وفتحة القبو. ورأت السيدة براون شاحنة قديمة هناك، متوقفة بين الأعشاب وأزهار دوار الشمس. إنها تبدو أقدم حتى من بويك جرانبوب، والصدأ يغطي جوانبها. قال بيلي: "هذا رائع يا جرانبوب!" وعاود اللعب مجددًا.

وقالت ماري: "رائع يا جرانبوب!" ثم عادت إلى قصتها المصورة.

خلفوا أطلال الفندق وراءهم، وفكر فرانك في ما إذا كان أصحاب الفندق قد تعمدوا إحراقه من أجل أموال التأمين.

ففي الواقع، من الذي يريد أن يأتي إلى هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع أو شهر العسل؟ فالمواقع الجميلة كثيرة في ولاية ماين، لكن هذا المكان ليس أحدها. كما أنه ليس مكانًا تمر به لتصل إلى مكان آخر؛ إلا إذا لم تتمكن من تجنبه. إنه

مثال حي عن المفاجآت السيئة!

سألت ماري: "ماذا لو ماتت العمّة الكبرى نان قبل أن نصل إلى هناك يا جدي؟"

وكانت قد أنهت قراءة كتابها المصور، والقصة التالية عن لولو الصغيرة، وليس لدى ماري رغبة في متابعة القراءة؛ إذ تبدو صور لولو الصغيرة بشعة جدًا.

أجاب جرانبوب: "حسنًا، سننعطف ونعود... بعد الجنازة، بالطبع."

جنازة! يا الله، الجنازة! لم يفكر فرانك حتى في احتمال موتها بالفعل، بل إنها قد تموت أثناء زيارتهم، وبعد ذلك سيتعين عليهم البقاء لحضور جنازة العصفورة العجوز. لقد أحضر بدلًا واحدًا من الملابس فقط، و...

صرخت كورين: "انتبه! قف!"

فتوقف فرانك في الوقت المناسب تمامًا.

كان هناك مجرى آخر مسدود، والطريق وعرف في أعلى التل. وهناك صدع بعرض ثلاث أقدام على الأقل ممتد على طول الطريق، والله يعلم مدى عمقه.

سأل بيلي وهو يوقف لعبته مرّة أخرى: "ما المشكلة يا أبي؟"

ثم سألت ماري: "ما المشكلة يا أبي؟"، وأوقفت بحثها عن كتاب مضحك آخر لآرتشي.

سأل جرانبوب: "ما الأمر يا فرانكي؟"

للحظة، تسقى فرانك براون مسندًا يديه على المقود، وهو يحذق من فوق غطاء محرك سيارة البويك الطويل.

لقد استطاعت تلك الكلمة إعادته إلى الأيام الخوالي، كما يحب والده أن يقول أحيانًا.

إلى تلك الأيام التي لم تكن المرأة تستطيع فيها الذهاب للتسوق قبل أن تشد حزامًا على خصرها، وتربط جوربها بحزام آخر. الأيام التي كان فيها بعض الأشخاص يخافون على حياتهم، وكانت هناك قطعة حلوى صغيرة مغطاة بالشوكولاتة تباع بخمسة سنتات. لا شيء مثل الأيام الخوالي، نعم!

أخيرًا، قال فرانك: "حسنًا، اللعنة على الطريق المختصر اللعين يا أبي. انظر إلى أين وصلنا".

فبدأت كورين بالكلام: "فرانك..."، ولكنه فتح باب السيارة وخرج قبل أن تتمكن من الاعتراض على تفوهه بكلام بذيء أمام الأطفال. ثم وقف محددًا إلى المكان الذي انشق فيه الطريق.

انحنى بيلى فوق حضان جرانبوب، وهمس في أذن أخته مرتدًا كلام والده: "اللعنة على الطريق المختصر اللعين". فوضعت يديها على فمها، وضحكت بتواطؤ، من دون صوت وهذا جيد، كما كتم جرانبوب ضحكه، وهذا أفضل للجميع.

ثمة أسباب وجيهة تجعلهما يحبان هذا الجذ العجوز بالتأكيد.

عندها، خرجت كورين وانضمت إلى زوجها أمام سيارة

البويك ذات المقدمة الطويلة والشعار الذي يشبه ابتسامة
ساخرة، ونظرت إلى الخندق العميق الذي يشق الطريق، وبدأ
أنها غير مسرورة بما تراه، وقالت: "برأيك، ما الذي علينا القيام
به؟"

ثم انضم الطفلان إليهما، ماري من جهة والدتها، وبيلي من
جهة والده. وأخيرًا، نزل جرانبوب بحذائه الأسود الكبير، وبدأ
مبتهجًا.

قال فرانك: "لا أعرف. لكنني أعرف أننا لن نواصل السير في
هذا الطريق".

فقال جرانبوب: "حسنًا، ينبغي تعديل المسار. يمكنك العودة
إلى الفندق القديم ذاك، ثم الالتفاف والمضي في طريق آخر
أفضل من هذا باتجاه الطريق الرئيسي".

عندها، مَرَّ فرانك يديه على شعره الخفيف وصاح: "يا الله!
حسنًا يا أبي. عندما نصل إلى الطريق الرئيسي، سنقرر ما إن
كنا سنواصل الذهاب إلى ديري أو سنعود إلى المنزل فحسب".

فظهر شيء من الغضب على وجه جرانبوب من فكرة
التراجع، ولكن بعد أن نظر إلى وجه ابنه، ولاحظ تلك البقع
الحمراء على خديه والخط الأحمر المتقطع على جبهته، قرَّر
التزام الصمت.

قال فرانك: "فليعد الجميع إلى السيارة. اجلس هذه المرة
على الجانب الآخر يا أبي، حتى أتمكن من رؤية المكان الذي
سأذهب إليه من دون أن يعيق رأسك الرؤية".

تذكر فرانك سيارة الفولفو، لو كانت معه في هذه الرحلة

لاستخدم الكاميرا الخلفية عوضًا عن المرآة، ولكنه للأسف يقود هذه البويك البدائية.

قال جرانبوب: "سوف أتبعكم مشيًا؛ إذ لا تتجاوز المسافة مني ياردة".

وانضقت ماري إلى جذها، وهذا ما فعله بيلي.

فقال فرانك: "لا بأس. ولكن حاول ألا تسقط وتكسر ساقك يا أبي، إذ ستكون تلك اللمسة الأخيرة ليوم رائع للغاية".

سار جرانبوب والطفلان نحو أسفل التل، إلى ممزّ النزل المحترق، وتمسكت ماري وبيلي بيدي الرجل العجوز. تذكر فرانك لوحات نورمان روكويل، وفكر في أن هذا المشهد يصلح ليكون لوحةً منها، بعنوان: "عجوزٌ نتن يقود الجميع".

جلس خلف المقود، فيما جلست كورين على المقعد المجاور، ووضعت يدها على ذراعه ومنحته ابتسامة جميلة، وكأنها تقول: أحبك، أيها الرجل القوي الكبير.

في الواقع، لم يكن فرانك كبيرًا أو قويًا، كما لم تتبقّ الكثير من الزهرات على شجيرة زواجهما التي ذبلت قليلًا، وتحولت بتلاتها إلى اللون البني عند الحواف، ولكن كورين كانت تحاول تهدئته للخروج من منطقة الخطر. وقد علّمتها الخبرة الطويلة كيفية القيام بذلك.

وسرعان ما تنهد، وحول اتجاه البويك.

قالت وهي تنظر إلى الخلف من فوق كتفها: "حاول ألا تدهسهم".

فأجاب فرانك: "لا تغريني". وراح يحاول إرجاع سيارة

البويك إلى الخلف. كانت الخُفر عميقة على جانبي هذا المسار الضيق، وإذا أسقط الطرف الخلفي في إحداها، فسوف تكون المشكلة كبيرة.

وصل جرانبوب مع الطفلين إلى الممر قبل أن يصل فرانك إلى منتصف الطريق أسفل التل، ولاحظ الرجل العجوز آثارًا مضغوطة في الحشائش. ورغم أن تلك الشاحنة بدت وكأنها موجودة هناك منذ سنوات، إلا أنه كانت لدى جرانبوب فكرة أخرى. ربما قرّر شخص ما التخييم هنا لبضعة أيام؛ هذا هو الاحتمال الوحيد الذي يمكن التفكير فيه. فمن المستحيل وجود أي شيء متبقٍ هنا للبحث عنه. وأي أحرق يستطيع أن يستنتج ذلك.

يحب دونالد براون ابنه، وهناك العديد من الأشياء التي يستطيع فرانكي القيام بها بشكل جيد؛ رغم أن جرانبوب لا يستطيع تذكر أي واحدة منها الآن. ولكن حين يتعلق الأمر بسيارة البويك العزيزة، فهو لا يستحق أي نقطة لصالحه. فالجزء الخلفي من السيارة الطويلة يهتز من جانب إلى آخر وكأنه ذيل كلب عجوز متعب، وهو يكاد يسقطها في الحفرة اليسرى. وعندما حاول تصحيح الأمر، مال بشكل مبالغ فيه وكاد أن يسقطها في الحفرة اليمنى، ثم صحّح ذلك مرّة أخرى.

صاح بيلي: "انظري يا جدي، إنه لا يفعل ذلك بشكل جيد".

فقال جرانبوب: "اصمت. إنه يبلي حسنًا".

سأل بيلي: "هل أستطيع الصعود مع ماري وإلقاء نظرة على فندق سليب إن القديم؟"

فصّح جرانبوب: "إنه سلايد إن. بالتأكيد، اصعد لمدة دقيقة فقط، اركض، وكن مستعدًا للرجوع فورًا، فوالدك ليس في مزاج جيد".

ركض الطفلان صوب الفندق.

فصرخ الجد خلفهما: "لا تسقطا في حفرة القبوا"، وأراد أن يضيف أن يبقيا في مجال رؤيته، ولكن قبل أن يقول ذلك، سمع صوت طحن، وزعقة بوق قصيرة، ثم سمع صوت ابنه وهو يلعن الحظ، وهذا واحد من الأشياء التي يجيدها.

عندها، تحوّل نظر جرانبوب من متابعة الطفلين المندفعين إلى فرانك، فلاحظ أنه تمكّن من الرجوع على طول الطريق إلى أسفل التلّ من دون الخروج عن الطريق، وترك السيارة بعد محاولته الانعطاف.

صرخ جرانبوب: "صه يا فرانكي! توقّف عن إطلاق الشتائم واللعنات، وأوقف المحرك عن العمل قبل أن توقف السيارة!". ثم حدّث نفسه: ربّما تمزق نصف أنبوب العادم على أيّ حال، لكن لا فائدة من إخباره بذلك.

أطفأ فرانك المحرّك وخرج، وخرجت كورين أيضًا، لكنّ خروجها لم يكن سهلاً؛ فقد اضطرّت إلى تدمير قوس من الأعشاب أمام الباب حتّى نجحت أخيرًا في ذلك. غاص الجزء الخلفي للسيارة عميقًا من الجانب الأيمن، أمّا المقدمة فكانت مائلة قليلاً نحو الأعلى إلى جهة اليسار.

مشى فرانك نحو والده، وقال: "لقد تحرّكت الأرض بينما كنت أستدير".

فقال الرجل العجوز: "لقد استدرت بسرعة، ولهذا السبب غاصت العجلة الخلفية اليمنى فقط".

لكنّ فرانك أصرّ على القول: "اهتزّت الأرض، أنا واثق من ذلك".

"بل استدرت بشدة".

"لقد أفسحت المجال للشتائم، واللعنات".

عندها، وقفت كورين بجوارهما، ولاحظت مدى تشابههما. وعلى الرغم من أنّها رأت هذا التشابه عدّة مرّات من قبل، إلا أنّه بدا لها في هذا الصباح الصيفي مثل فتح عظيم.

إنها تُدرك أن زوجها نسخة جينيّة متطابقة من والده. وفي اللحظة التي سيرحل فيها جرانبوب، سيحلّ فرانك محله وكأنّ شيئًا لم يختلف، ما عدا روح الدعابة السيئة وإنّما الجذابة التي يتمتّع بها جرانبوب في بعض الأحيان ولا يمتلكها ابنه.

يتعبها طبع فرانك، ولكنها لا تنكر أنّ طبعها متعب أيضًا، وعندما تسأل نفسها: هل هي أفضل منه حقًا؟ تعرف أن الجواب هو لا، مع أنّها تتمنّى عكس ذلك.

نظرت حولها حيث كان بيلى وماري، ثمّ صاحت: "دونالد، أين الطفلان؟"

وكان الطفلان يتفحصان الشاحنة الموجودة في أعلى التل، بالقرب من الموقع الذي كان فيه فندق سلايد إن ذات يوم.

كان الإطار الأمامي من جهة السائق فارغًا. راحت ماري تتجوّل في المقدمة لإلقاء نظرة على أرقام لوحة الترخيص،

(إنها تعرف الأرقام الجديدة للوحات؛ فقد علّمها جرانبوب هذه لعبة). فيما سار بيلى إلى حافة الحفرة الطويلة في الأرض حيث كان النزل قائماً ذات يوم، ونظر إلى الأسفل، ولاحظ أنها مليئة بالمياه الداكنة، كما رأى العوارض المتفحمة متلاصقة بعضها ببعض، ثم رأى ساق امرأة، والقدم مغطاة بحذاء رياضي أزرق فاتح. دقق النظر، وجقدته الصدمة قبل أن يتراجع إلى الخلف مذعوراً.

نادته ماري: "بيلى، الشاحنة مسجلة في ولاية ديلاوير. لم يسبق لي أن رأيت لوحة تعود إلى ديلاوير".
فسمعت صوتاً غريباً يقول: "هذا صحيح يا عزيزتي، إنها لوحة ديلاوير".

وحين نظر بيلى إلى الأعلى، وجد رجلين يسيران حول الطرف البعيد من حفرة الأساس. إنهما شابان. أحدهما طويل، وشعره الأحمر متكتل وكأ أنه مدهونٌ بالزيت، وتغطي وجهه بثور كثيرة. أما الآخر فقصيرٌ وسمين، ويحمل في إحدى يديه حقيبة تشبه حقيبة البولينغ القديمة الخاصة بجرانبوب التي كتبت على جانبها عبارة "الرعد الملتف" بأحرف زرقاء باهتة، لكن هذه لا تحمل أي كتابة.

كان الرجلان يبتسمان.

حاول بيلى أن يبتسم أيضاً، ولم يكن متأكداً مما إذا كانت ابتسامته تبدو مثل ابتسامة بالفعل، أم أنها أشبه بصرخة مكتومة لطفل مذعور، ولكنه أمل أن تكون مقنعة؛ فهو لا يريد أن يعرف هذان الرجلان أنه كان يبحث في فتحة القبو.

في تلك اللحظة، جاءت ماري من جانب الشاحنة البيضاء

الصغيرة بحذائها المسطح، وبدأت ابتسامتها طبيعية تمامًا. طبقًا، ولم لا تكون كذلك؟ إنها فتاة صغيرة، وعلى حد علمها، يحب الجميع الفتيات الصغيرات.

قالت: "مرحبًا، أنا ماري، وهذا أخي بيلي. لقد سقطت سيارتنا في الحفرة". وأشارت إلى أسفل التل، حيث ينظر والدها وجرانبوب إلى الجزء الخلفي من سيارة البويك، بينما تنظر والدتها إليهما.

فقال ذو الشعر الأحمر: "حسنًا، مرحبًا يا ماري، سررت بلقائك".

"وأنت أيضًا يا بيلي". ووضع الشاب السمين يده على كتف بيلي. كانت اللمسة مفاجئة، ولكن بيلي خاف جدًا من القفز والهرب، فحاول الحفاظ على ابتسامته قدر المستطاع.

عندها، قال الشاب السمين وهو ينظر إلى الأسفل: "نعم، نعم. ثقة مشكلة صغيرة مع السيارة". وعندما رفعت كورين يدها للتحية، رفع السمين يده في المقابل، وقال: "هل تعتقد أننا قادران على المساعدة يا غالين؟"

فقال ذو الشعر الأحمر: "لست واثقًا من أننا نستطيع ذلك. فلدينا مشكلتنا الخاصة، كما ترى". وأشار إلى الإطار المثقوب. "ونحن لا نملك إطارًا بديلًا". ثم انحنى نحو بيلي، وكانت عيناه زرقاوين زاهيتين، ولا يبدو فيهما أي شيء مريب، ثم سأل: "هل كنت تتفحص تلك الحفرة يا بيلي؟ إنها حفرة كبيرة جدًا".

أجاب بيلي: "لا". وحاول أن يبدو طبيعيًا، وغير مبالٍ بالسؤال. ولكنه لم يعرف إن كان قد نجح في ذلك. ظن أنه

سيفقد وعيه من شدة الارتباك، وتمنى لو أنه لم ينظر إلى هناك قط، ولم ير ذلك الحذاء الرياضي الأزرق.

قال: "كنت خائفًا من السقوط في الحفرة".

فقال غالين: "طفل ذكي، أليس كذلك يا بيت؟"

فوافق السمين الرأى وقال: "ذكي". ولوح باتجاه كورين مجدًا، ثم راح جرانبوب ينظر إلى أعلى التل أيضًا، بينما فرانك لا يزال يحدق إلى مؤخر سيارة بويك المتراخية، بكتفين منحنيتين.

سأل غالين ذو الشعر الأحمر ماري: "هل هذا الشخص النحيف والدك؟"

أجابت: "نعم، والعجوز جدنا".

فقال بيت: "حقًا! إنه اكتشاف كبير".

وكانت يده لا تزال على كتف بيلي، فنظر بيلي إليها، ورأى ما قد يكون دمًا تحت ظفر الإصبع الثانية.

انحنى غالين وتحدث إلى ماري التي استمرت في الابتسام له: "حسنًا، هل تعرفين أمرًا، ربّما نستطيع دفع تلك السيارة القديمة، وربّما نستطيع والدك بعد ذلك أن يوصلنا إلى مكان ما حيث يوجد مرآب ميكانيكي للحصول على إطار جديد لشاحنتنا الصغيرة".

فسأله ماري: "هل أنت من ولاية ديلاوير؟"

أجاب بيت: "حسنًا، لقد خضنا هذا الحوار مسبقًا". ثم تبادل وغالين نظرة وضحكا.

وقال غالين: "دعونا نلقِ نظرة على تلك السيارة، هل تفضلين أن أحملك إلى الأسفل يا عزيزتي؟"

فقالت ماري وقد أصبحت ابتسامتها مترددة بعض الشيء: "لا، لا بأس. أستطيع المشي".

وسأل بيت: "لا يتكلم أخوك كثيرًا، أليس كذلك؟" وكانت يده تلك التي لا تحمل حقيبة البولينغ (إذا كانت حقيبة بولينغ أصلاً)، لا تزال على كتف بيلي.

فأجابت ماري: "هذا على عكس العادة. إذ إن لسانه معلق في المنتصف ويمتد من كلي الطرفين؛ على حد وصف جرانبوب".

عندها، قال غالين: "ربما رأى شيئًا أخافه: طائرًا ضخماً أو ثعلبًا، وربما رأى شيئًا آخر".

فقال بيلي: "لم أرَ شيئًا". وخشي أن يباغته البكاء في أية لحظة، وراح يحاول السيطرة على نفسه.

عندها، قال غالين: "حسنًا، هيا". ثم أمسك بيد ماري - وهذا ما سمحت به فقط - وانطلقوا في الممر الذي ازداد عرضًا.

سار بيت بجانب بيلي تاركًا يده على كتفه، وهذا الأمر لا يثير الاهتمام، لكن بيلي فكّر في أن الرجل يحاول منعه من الهرب؛ وهو متأكد تمامًا من أن الرجلين يعرفان بما عرفه. فقد ضبطاه وهو ينظر إلى فتحة القبو الممتلئة بالمياه، وهو يظن أنه مع أخته والجميع في ورطة هنا.

بدا غالين مبتهجًا جدًا، وصاح مقتربًا من سيارة البويك: "مرحبًا أيها السادة، نهارك سعيد يا سيدتي. من الواضح أنكم

تواجهون مشكلة صغيرة هنا، هل أنتم بحاجة إلى مساعدة؟"
فردت كورين: "أوه، ستكون مساعدتكما رائعة".

وقال فرانك: "هذا عظيم. لقد انزلق الطريق اللعين تحت
السيارة بينما كنت أستدير".

فقال جرانبوب شارحًا: "لقد التفت بشدة".

عندها، نظر إليه فرانك نظرة قبيحة، ثم عاود النظر إلى
الوافدين الجديدين وابتسم قائلاً: "أراهن أننا- أنا وأنتما
معي- قادرون على إخراجها بسهولة".

فاكد بيت: "لا شك في ذلك".

فما كان من فرانك إلا أن مديده وقال: "أنا فرانك براون،
وهذه زوجتي كورين وأبي دونالد".

قال الشاب السمين: "بيت سميث".

وقال ذو الشعر الأحمر: "غالين برنتيس".

راح الجميع يتصافحون، وتمتم جرانبوب: "أنا سعيد
بالتعرف إليكما!" ولكنه ألقى نظرة خاطفة عليهما، وراح ينظر
إلى بيلي.

فقال غالين: "سيدتي، لماذا لا تتولين قيادة السيارة؟
وسأدفع أنا وبيت وزوجك الوسيم السيارة في غضون ذلك".

فأجابت كورين: "أوه، أنا لا أعرف القيادة".

عندها، قال جرانبوب: "يمكنني أن أتولى القيادة. إنها
سيارتي منذ الأيام الخوالي، ولن تجد مثل جودتها في هذه
الأيام أبدًا". وبدا متجهماً. وبعد أن شعر بيلي بالراحة قليلاً

توثر مجددًا؛ فقد ظنّ في البداية أنّ جرانبوب قد تكون لديه فكرة عن هذين الرجلين، ولكنه يستطيع أن يخفّن الآن بأنّه لا يملك أيّة فكرة.

لكنّ غالين كان له رأي آخر، إذ قال: "أيّها الجدّ، أريدك أن تقوم بالمراقبة عن كثب، أنا متأكّد من أنّ السيدة ستتمكّن من القيادة! أليس كذلك؟"

فابتعدت كورين وقالت: "ربّما".

ورفع غالين إبهامه لدعمها قائلاً: "تستطيعين ذلك بالتأكيد! هيّا أيّها الطفلان، قفا جانبًا مع الجدّ العزيز".

فقلت ماري: "إنه جرانبوب، الجدّ العزيز".

عندها ابتسم غالين وقال: "هل اسمه كذلك؟ لماذا؟ كلمة جرانبوب تشير إلى رجلٍ محتال".

في تلك الأثناء، جلست كورين خلف مقود سيارة البويك، وقربت المقعد إلى الأمام.

أمّا بيلى فلم يستطع التوقّف عن التفكير في تلك الساق البارزة من الماء العكر في فتحة القبو، والقدم ذات الحذاء الرياضي الأزرق.

أخذ غالين وبيت موقعيهما على جانبي الجهة الخلفية للسيارة، ووقف فرانك في المنتصف.

قال غالين: "شغلي المحرّك يا سيدتي". وعندما فعلت ذلك، مال الرجال الثلاثة إلى الأمام، وثبتوا أقدامهم، ووضعوا أيديهم أسفل الجهة الخلفية من السيارة، وتابع غالين تعليماته: "حسنًا! دوسي على دواصة الوقود، ليس كثيرًا، على

رسلك".

وخلال الضجيج الناجم عن دوران المحرك، انحنى جرانبوب نحو بيلى، وكانت أنفاسه كريهة كما هي دائماً، ولكنها أنفاس جرانبوب، وبيلى لا يمانع، ثم سأله: "ما المشكلة أيها الصغير؟" فهمس بيلى: "توجد سيّدة ميتة". وانهمرت دموعه وهو يوضّح: "توجد سيّدة ميتة في الحفرة هناك".

في تلك اللحظة، صرخ بيت السمين: "نحتاج إلى دفعة أقوى أيها الرجلان". وأطلق شتيمّة بعفوية. وفيما داست كورين بشدة أكثر على دواسة الوقود، حاول الرجال الدّفع، فبدأ الإطاران الخلفيان لسيارة بويك بالدوران، ثمّ عادت من جديد إلى الطريق، وها هي البويك قادمة، فهتف غالين: "يو هوو، توقّفى الآن".

كانت لدى بيلى رغبة مشوّشة ومفاجئة في أن تذهب والدته بعيداً وتتركهم، وتصور أنّها ستذهب وتكون آمنة، ولكنها توقّفت، وركنت السيارة ثمّ خرجت وهي تمسك طرف فستانها بكفها.

صاح غالين: "عملٌ ممتاز سيّدتى. عملٌ ممتاز! ها قد عادت إلى الطريق وهي بحالة جيدة وكأنّها ولدت من جديد! إلا أنّنا لا نزال نواجه مشكلة صغيرة، أليس كذلك يا بيت؟"

فقال بيت: "هذا صحيح! إطار شاحنتنا مثقوب ونحن لا نملك بديلاً، ربّما ثقبه مسمار بينما كنا نقودها".

ونفخ خذّيه اللذين أصبحا يلمعان الآن بسبب العرق، وراح يصدر صوتاً يشبه صوت تمزّق العجلة: بويشششش. كان قد

وضع حقيبته على الأرض أثناء عملية إنقاذ البويك، ولكنه عاد والتقطها، وبدأ يفتحها.

فقال فرانك: "اللعنة. لا تملك عجلة احتياطية".

وقال غالين: "أليس هذا سيئًا؟"

عندها، سألت كورين: "ماذا كنتما تفعلان هنا؟"

وكانت كورين قد تركت محرك البويك قيد التشغيل، والباب مفتوحًا. نظرت إلى زوجها الذي راح يبتسم ابتسامة المصرفي الكبير، ثم نظرت إلى طفليها. بدت فتاتها بخير، لكن وجه بيلي كان ممتقع اللون.

قال بيت: "كنا نقصد التخيم".

اختفت يده في حقيبته التي لم تكن حقيبة بولينغ.

فقال فرانك: "هكذا إذا! إن هذا..."

غير أن فرانك لم يتابع جملة؛ ربما لأنه لم يعرف ماذا يقول. ويبدو أن أي شخص من الموجودين لم يعرف كيف يبدأ المحادثة مرة أخرى.

في تلك الأثناء، صدح غناء الطيور من الأشجار. وكان بإمكان من ينصت أن يسمع صوت الصراصير وهي تفرك أرجلها القشرية في الحشائش العالية. إنه الكون الذي نعرفه، وقف فيه الأشخاص السبعة بشكل دائرة واسعة خلف سيارة بويك، فيما تبادل فرانك وكورين نظرة متسائلة عما يحدث هناك.

كان جرانبوب يعرف؛ فقد رأى رجالًا مثل هذين في فيتنام. إنهما جامعا قمامة ولضان. وتذكر كيف وقف أحدهم يومًا

أمام السياج وتلقى رصاصة قاتلة أطلقها أحد رجاله، بعد هجوم تيت المعروف في فيتنام. لا يقرأ هذان الحفيدان اللذان حظي بهما بعد أن أصبح طاعنًا في السن عن هذه الأمور المريعة في كتب التاريخ المدرسية.

في هذه الأثناء، صار فرانك مليئًا بالحياة؛ كما لو أن أحدهم قد نفخ دمية قابلة للتفخ بالهواء فبانت ملامحها. إذ أظهر ابتسامة المصرفي الناجح- تلك التي تعتمد على مقدار العمولة التي سيقدمها الزبون- وأخذ محفظته من جيبه الخلفي وهو يقول: "كنت أتمنى أن أقلك معي إلى المرأب، أو إلى أي مكان تريده، ولكن كما ترى لا مكان في السيارة".

فقال بيت وهو يهز حاجبيه: "باستطاعة زوجتك أن تجلس في حضني".

غير أن فرانك اختار تجاهل هذا، وقال: "لكن، دعني أخبرك شيئًا: سنتوقف ونعيد شخصًا إلى المكان الذي قابلناه فيه للمرة الأولى. والآن، ما رأيك في الحصول على مبلغ مكون من عشرة أرقام؟ هل تراه معادلًا لما بذلته من جهد في مساعدتنا؟"

ثم فتح محفظة نقوده بلطف شديد، لكن غالين اختطفها من يده بخفة، ولم يحاول فرانك منعه، بل حدق إلى يديه فقط بعينين واسعتين؛ وكأن المحفظة لا تزال معه، ولا يزال يشعر بثقلها، ولكنها غير مرئية الآن.

قال غالين: "ولماذا لا آخذ كل هذا؟"

عندها، قالت كورين: "أعد المحفظة، إنها ليست لك!" وفي تلك اللحظة، زحفت يد ماري إلى كف أمها، وطوت أصابعها

داخلها.

لكنه قال بلطف؛ تمامًا مثلما خطف المحفظة: "إنها لي الآن، وسنرى ما الذي يوجد داخلها".

وحين فتحها، تقدّم فرانك خطوة إلى الأمام. عندها، أخرج بيت يده من حقيبته التي لم تكن حقيبة بولينغ، وكان يحمل مسدسًا. وقد فكّر جرانبوب حين رآه أنه من عيار 0.38.

قال بيت: "تراجع يا فرانكي وانكي، فنحن نؤذي عملاً هنا". فيما أخرج غالين حزمة صغيرة من الأوراق النقدية من المحفظة، وطواها، ووضعها في جيب بنطاله الجينز، ثم رمى المحفظة إلى بيت الذي وضعها في الحقيبة قائلاً: "أيها الجد، دعنا نحصل على ما لديك".

فقال جرانبوب: "أنتما خارجان عن القانون".

ووافقه غالين بصوته اللطيف نفسه: "هذا صحيح! وإذا كنت لا تريد مني أن أفجر رأس هذا الصبي، أعطني محفظتك".

أرعب هذا الكلام بيلي، فارتخت مئانته، وشعر بالدفء والرطوبة في بنطاله، وبدأ يبكي؛ جزئياً بسبب شعوره بالخجل، وجزئياً بسبب إحساسه بالخوف.

أخرج جرانبوب محفظة اللورد بوكستون القديمة والمليئة بالشقوق من الجيب الأيسر الأمامي لبنطاله الفضفاض وقدمها له. كانت منتفخة، ولكنها لا تحتوي في الغالب إلا على بطاقات وصور وإيصالات تعود إلى خمس سنوات أو أكثر.

سحب غالين عشرين قطعة أو أكثر منها، ثم وضعها في جيبه، ورمى محفظة اللورد بوكستون إلى بيت الذي وضعها

في حقيبتة.

قال غالين: "يجب تنظيف المحفظة من حين إلى آخر أيها الجد. إنها قذرة جدًا".

فما كان من جرانبوب إلا أن قال: "هل يقول هذا الكلام رجل يبدو وكأنه لم يغسل شعره منذ مناسبة الشكر؟!". وعلى الفور، صفعه غالين على وجهه بسرعة مثل ثعبان يخرج من الأدغال، فبكت ماري ووضعت وجهها على ورك أمها.

وقال فرانك: "لا تفعل هذا". وكأن الأمر لم يحدث بعد، وكما لو أن والده لا ينزف من شفته وأنفه. وأردف في الوقت نفسه: "اصمت يا أبي".

عندها، قال غالين: "لا أسمح للناس بأن يسخروا مني، ولا حتى كبار السن. على كبار السن بشكل خاص أن يكونوا مهذبين. والآن يا كورين، هلاً نُخرج محفظتك من السيارة. ويمكن لفتاتك الصغيرة أن ترافقنا". ثم أمسك ماري من ذراعها، فغاصت أصابعه في لحمها.

فقالت كورين: "دعها وشأنها".

أجاب غالين: "لست من يصدر الأوامر هنا. أمر واحد إضافي وسوف أخزب وجهك. بيت، أوقف فرانك ووالده معًا بحيث تتلامس كتفاهما، وإذا تحرك أي منهما..."

وعلى الفور، أشار لهما بيت بمسدسه، فمشى جرانبوب إلى جوار ابنه. كان فرانك يتنفس من أنفه وكان تنفسه سريعًا ومسموعًا. لذا، لن يتفاجأ جرانبوب إذا فقد وعيه.

وجه بيت السؤال إلى بيلي: "لقد رأيت شيئًا، أليس كذلك؟

اعترف الآن".

فقال بيلي من بين دموعه: "لم أرَ شيئًا". وجرت الدموع بغزارة على وجهه، ولم يستطع كبحها. يا إلهي، حذاء أزرق. عندها، غنى بيت: "سيحترق الكاذب بالنار". ثم ضحك وداعب شعر الصبي.

بعد قليل، عاد غالين حاملاً المزيد من الأوراق النقدية في جيبه، وترك ماري التي تشبّثت الآن بأُمّها، بينما بدت كورين في حالة من الذهول.

لم يهدر جرانبوب الوقت في النظر إلى هذين الشخصين. إذ شاهد غالين ينضمّ مجدّدًا إلى بيت، وأراد أن يعرف ما سيفعلانه؛ وهو يكاد يتوقّع بالضبط جميع حركاتهما، ولا معنى للتظاهر بعكس ذلك.

سيأخذان البويك ويتركان عائلة براون، أو يمكنهما أخذ البويك وقتل عائلة براون. وإذا وقعا في قبضة الشرطة في أحسن الأحوال، فماذا سيحدث؟ سينتقلان للعيش في سجن شأنك بغضّ النظر عن تفاصيل الجرائم التي ارتكباها.

قال جرانبوب: "هناك المزيد".

فسأل غالين: "وما هو؟"، وكان واضحًا أنّ غالين هو المتكلم في العصاة، أمّا زميله الخارج عن القانون فهو من النوع السمين والصامت.

تابع جرانبوب: "هناك المزيد من المال. ليس كثيرًا، ولكنني سأعطيك إياه إذا سمحت لنا بذلك. خذ السيارة واتركنا في سلام".

فسأل غالين: "كم يبلغ المبلغ؟"

وأجاب جرانبوب: "لا أستطيع أن أقدر ذلك على وجه اليقين، ولكنه أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمائة، إنه في حقيبتى".
عندها، سأله غالين: "لماذا يتجول رجلٌ عجوزٌ مثلك في شوارع ويليواغز بثلاثة آلاف وثلاثمائة؟"

فأجاب جرانبوب: "إنها من أجل أختي نان. كنا ذاهبون إلى ديري لرؤيتها قبل وفاتها... لن يطول الأمر، إذا لم تكن قد رحلت بالفعل؛ فهي مصابةٌ بالسرطان، وغائبةٌ عن الوعي الآن".

عندها، ترك بيت حقيبتة التي ليست للبولينغ مرةً أخرى، وراح يفرك إصبعين من أصابعه معًا ويقول: "أسمع أصغر آلة كمان في العالم تعزف أغنية: قلبي يبكي معك، قلبي ينبض من أجلك..."

غير أن جرانبوب لم يعره أي اهتمام، بل قال: "صرفت معظم مبلغ الضمان الاجتماعي الخاص بي لدفع تكاليف الجنازة. فأنا لم أقدم لنان إلا القليل خلال حياتها، وإذا دفعت للجنازة نقدًا يمكنك أن تحصل على خصمٍ مناسب".

وربت على كتف بيلي، وتابع: "لقد بحث هذا الصبي عن كل شيء من أجلي على شبكة الإنترنت".

لم يكن بيلي قد فعل أي شيء من هذا القبيل، ولكن أحدًا لم يسمع صوته، باستثناء تنهيدة أخرى أو تنهيدتين، فيما تمنى لو أنه لم يذهب مع ماري قَطً إلى سلايد إن. وعندما نظر إلى والده بعينيه اللتين تترقرقان بالدموع، شعر بلحظة

من الكراهية الشديدة. وفكر في سرّه: إنه خطوك يا أبي. فقد تسببت في غرز عجلة السيارة، الأمر الذي أدى إلى سرقة هذين الرجلين أموالنا، والآن سيقتلانا. وجرانبوب يعرف هذا، أستطيع أن أرى أنه يعرف.

سأل غالين: "وأين حقيبتك؟"

فأجاب جرانبوب: "إنها في الجهة الخلفية مع بقية الأمتعة." "اجلبها".

وهكذا، توجه جرانبوب إلى السيارة، وندت عنه صرخة ألم وهو يرفع غطاء الصندوق. ربّما تشنّج ظهره. وفكر في سرّه بجملة والده المعتادة: يشيخ الظهر أولاً والفم أخيراً، وتشيخ الأشياء بينهما بالتسلسل.

تشبه هذه الحقيبة حقيبة بيت تماقًا، مع سخابٍ على طول الجزء العلوي، إلا أنها أطول بقليلٍ من حقيبة البولينغ.

سحب جرانبوب السحاب وفتح الحقيبة.

فسأله غالين: "لا يوجد سلاح هناك يا جدي، أليس كذلك؟"

أجاب جرانبوب: "لا، لا. السلاح للأولاد مثلك، ولكن انظر إلى هذا". وأخرج قفاز الكرة اللينة القديم المتضرر، وقال: "الأخت التي كنت أخبرك عنها، كان هذا القفاز لها. لقد أحضرته لها كي تنظر إليه إذا استيقظت من الغيبوبة ولم تمت، لقد ارتدته في بطولة العالم للسيدات، في مدينة أوكي، بطولة الكرة اللينة. أنت تعرف هذا الأمر". وقلب القفاز.

فقال غالين: "جداً. كل الاحترام، ولكنني لا أهتم".

عندها، أصرّ جرانبوب: "نعم، ولكن هنا في الخلف، انظر،

هل ترى؟ إنه موقعٌ من دوم ديماجيو. شقيق غولتين جو، كما تعرف."

ثم رمى القفاز جانبًا، وراح يبحث في عمق الحقيبة من جديد، وقال: "لدي حوالي مئتا بطاقة بيسبول، بعضها موقعٌ ويستحق المال..."

في تلك اللحظة، أمسك بيت بذراع بيلى ولفها، فصرخ الفتى.

وصرخت كورين: "لا تؤذه، لا تؤذ ابني".

فقال بيت: "ما أوصلك إلى هذه الورطة إنما هو خطأ ابنك، هذا الجرو الشقي الصغير". ثم نظر إلى جرانبوب وقال له: "لا نريد أي بطاقات بيسبول لعينة".

كانت ماري تبكي، وكورين تبكي، وكان الوالد على وشك أن يُغمر عليه، ولم يبدُ أن جرانبوب يهتم بأيّ منهم. ظنَّ بيلى أنَّ جرانبوب قد تراجع إلى عالمه الخاص، ولكنه قال من جديد وهو يخرج بعض القصص المصورة القديمة: "وماذا عن الكتب المضحكة؟ ربما لن تجد شيئًا عن آرتشيز أو كاسبرز، ولكن هناك عددًا قليلًا من قصص سوبرمان القديمة وقصتين لباتمان، حين قاتل الجوكر..."

فقال غالين: "أعتقد أنني سأطلب من بيت أن يطلق النار على ابنك إذا لم تتوقف عن المماطلة. هل المال موجود أم لا؟"

فقال جرانبوب: "نعم، نعم، في الأسفل. ولكن لدي شيء آخر قد يثير اهتمامك".

عندها، قال غالين وهو يتقدم إلى الأمام: "لقد انتهيت من الاهتمام، سأحصل على المال بنفسى... إذا كان موجودًا أصلًا. ابتعد عن طريقي".

فقال جرانبوب وهو يخرج مضرب لوفيل سلاجر: "هيا، ركز معي! من شأن هذا المضرب أن يجلب ضعف ما حصلت عليه نقدًا، وهو موقع من تيد ويليامز، اللاعب الأسطورة نفسه. ضعه فقط على موقع أي بي، وسوف تجني سبعة آلاف، على أقل تقدير".

فسأل غالين: "كيف حصلت أختك عليه؟" وأخيرًا بدا مهتمًا بما يقوله جرانبوب، وحاول رؤية التوقيع. كان باهتًا ولكنه واضح على المضرب.

فقال جرانبوب: "لقد ابتسمت له وغمزته فقط عندما اقترب ليوقع لها على الأوتوغراف".

وراح جرانبوب يلوح بالمضرب، وضرب رأس غالين فجأة، فانفتح جرح في فروة رأسه مثل ستارة النافذة، وتدفق الدم. وسرعان ما أغمض عينيه من شدة الألم ومن هول المفاجأة، وترنح ماذًا إحدى يديه ومحاولًا استعادة توازنه، ولكن من دون جدوى.

ثم صرخ جرانبوب: "أمسك بالآخر يا فرانكي! أوقعه أرضًا. لكن فرانك لم يتحرك، بل وقف في مكانه فاغترًا فمه.

حذق بيت إلى غالين للحظة وهو مذهول تمامًا. لكن اللحظة سرعان ما مرت، فوجه مسدسه نحو جرانبوب. وعندها، اندفع بيلى نحوه.

فصرخت كورين: "لا، بيلى لا".

أمسك بيلى بذراع بيت وأسقطه. وعندما خرجت الطلقة من بيت النار سقطت على الأرض بين قدميه. وفي تلك اللحظة، استقام غالين، وأمسك بغطاء صندوق السيارة المرتفع بإحدى يديه، لكن جرانبوب تجاهل عواء الاحتجاج القادم من الخلف، وألقى بالمضرب المصنوع من ثلاث وثلاثين أونصة من خشب الدردار الصلب باتجاه أضلاع صاحب الشعر الأحمر، فأنحنت ركبتا غالين فورًا، وشهق قائلاً: "بيت، أطلق النار على هذا اللعين!". ولم يكن صوته أكثر من مجرد همس. غير أن جرانبوب رفع المضرب، واستطاع النجاة من طلقة أخرى، أو على الأقل هذا ما كان يظنه، وهوى بالمضرب على رأس غالين؛ فسقط هذا الأخير على الأرض ولامس وجهه أحد إطارات البويك.

حاول بيت التخلص من بيلى، لكن بيلى بقي متمسكًا به مثل النمس.

وبعينين منتفختين وأسنانٍ تحفر في شفته السفلية، لوح بيت بالمسدس هنا وهناك، ثم أطلق مرةً ثالثة صوب السماء.

فزمجر جرانبوب: "الآن أنت، تحرّكي أيتها الأم".

وأخيرًا، تمكّن بيت من إلقاء بيلى بعيدًا. ولكن قبل أن يتمكن من رفع المسدس، هوى جرانبوب بالمضرب على معصمه وكسره، فسقط المسدس على الأرض. وعلى الفور، استدار بيت وركض هاربًا، تاركًا حقيبته التي لم تكن حقيقية بولينغ على الأرض.

فاندفع الطفلان نحو جرانبوب واحتضناه، وكادا أن يوقعاه

أرضًا. غير أنه دفعهما بعيدًا، وشعر بدقات قلبه، وفكر في أنه لو توقف الآن فلن يكون الأمر مفاجئًا.

ثم قال: "بيلي، خذ حقيبة هذا السمين. فأشياؤنا داخلها، وأنا لا أعتقد أنني أستطيع الانحناء".

ولكن الصبي لم يفعل ذلك؛ إذ ربما أخافته الرصاصات قليلًا. إلا أن الفتاة أخذتها، وألقت بالحقيبة في الجزء الخلفي من سيارة البويك، ثم دلت يديها على الجزء الأمامي من قميصها القطني الذي طبعت عليه صورة اليونيكورن.

وسأل جرانبوب: "فرانك، هل مات هذا الصبي ذو الشعر الأحمر؟"

غير أن فرانك لم يتحرك. عندها، ركعت كورين بجانب غالين، ثم رفعت رأسها بعد عدة ثوانٍ، فظهرت عيناها الزرقاوان للغاية تحت جبهتها الشاحبة، وقالت: "إنه لا يتنفس".

فقال جرانبوب: "حسنًا، هذه ليست خسارة كبيرة للعالم. بيلي، أحضر ذلك السلاح، وحاول ألا تلمس الزناد".

التقط بيلي المسدس الذي سقط، وقدمه إلى والده. لكن فرانك اكتفى بالنظر إليه فقط، فأخذه جرانبوب ووضعه في الجيب حيث كانت محفظته.

أما فرانك فقد وقف هناك، وراح ينظر إلى غالين المستلقي على وجهه فوق الأعشاب، بينما يلامس الجزء العلوي من رأسه إطار السيارة.

جذب بيلي ذراع جده العجوز وهو يبكي، والمخاط يسيل

على شفته العليا، وراح يرتعش قائلاً: "جرانبوب، جرانبوب! ماذا لو كان السمين يملك شاحنة أخرى وفيها مسدس؟"

فأجابه جرانبوب: "ماذا لو خرجنا من هنا بحق الله؟ كورين، قودي السيارة، فأنا لا أستطيع. أيها الولدان، اجلسا على المقعد الخلفي".

ولم يكن جرانبوب متأكدًا حتى من قدرته على الجلوس؛ فقد أذى ظهره بشدة، ولكنه مجبرٌ على ذلك، مهما كان مقدار الألم الذي سيسببه له الجلوس.

وعلى الفور، أغلقت كورين صندوق السيارة، وألقى الطفلان نظرة أخيرة على الممر للتأكد من أن بيت لم يعد بعد، ثم ركضا نحو البويك.

أما جرانبوب فذهب إلى ابنه وقال له: "لقد جاءتك الفرصة ولكنك تسقرت في مكانك. كان من الممكن أن تقتلني، أو تقتلنا جميعًا".

ثم صفع جرانبوب فرانك على وجهه؛ تمامًا كما صفعه الرجل الذي يرقد الآن ميتًا عند أقدامهما، وتابع الكلام: "ادخل السيارة يا بني. ربما أنت كبيرٌ في السن بحيث لا تستطيع أن تتحمل ما أنت عليه الآن، لا أعرف".

سار فرانك إلى مقعد الراكب الأمامي مثل رجلٍ يسير وهو نائم، فيما فتح جرانبوب الباب الخلفي، وشعر أنه لا يستطيع الانحناء، ولذلك أسقط نفسه نحو الخلف على المقعد، وسحب ساقيه وأن بصوت خافت من الألم.

عندها، زحفت ماري فوقه لتغلق الباب، وكان هذا مؤلمًا

أيضًا. لم يعد يشعر بالألم في ظهره فقط، بل امتدَّ إلى أمعائه أيضًا.

سألت كورين وهي تنظر إلى الوراء: "جرانبوب، هل أنت بخير؟" وكان فرانك يحدّق نحو الأمام مباشرة من خلال الزجاج الأمامي واضعًا يديه على ركبتيه.

فردَّ جرانبوب: "أنا بخير". ولكنه لم يكن كذلك. كان يرغب في الحصول على ست حبات من مسكنات الألم القويّة التي حصلت عليها أخته بلا شك من طبيب الأورام الخاص بها، لكنَّ نان تنام الآن على بعد مئة ميل من هنا، وهو لم يعد متأكّدًا من أنهم سوف يرونها اليوم. لا، ليس اليوم. ثم قال لكورين: "انطلقى".

سأل بيلى: "هل تملك ذلك القدر من المال حقًا يا جدي؟" بينما انطلقت والدته عائدة من حيث أتوا، وسارت بشكلٍ أسرع بكثير مما تجرّأ فرانك عليه. إذ كانت ترغب في تجاوز فندق سلايد إن، والخروج من طريق سلايد إن هذا أيضًا.

أجاب جرانبوب: "بالطبع لا". وراح يمسح الدموع عن وجهه حفيدته ويعانقها. كان يتألم، ولكنه تحقّل.

قالت: "جرانبوب، لقد نسيت مضرب البيسبول الخاص بالعمّة نان!"

فقال جرانبوب وهو يمسح على شعرها المتشابك والذي تفوح منه رائحة العرق: "لا بأس، ربّما نحصل عليه لاحقًا".

أخيرًا نطق فرانك وقال: "أريد التوقّف عند أحد المتاجر في البلدة على طريقنا، سأتصل بالشرطة من هناك". وبعد

ذلك، استدار وراح ينظر إلى الرجل العجوز، فظهرت العلامة الحمراء على خذه من جزاء الصفقة، وتابع كلامه: "كل هذا كان بسببك يا أبي. أردت أن نحضر بسيارتك اللعينة هذه، لو أتينا بالفولفو..."

فصاحت كورين: "اصمت يا فرانك! من فضلك، اصمت لمرة واحدة فقط".
فصمت فرانك.

شاشة حمراء اللون

إنه صباح سيئ بالنسبة إلى ويلسون. ففي البداية، جرح خذه أثناء الحلاقة، ومسح الدم الغزير الذي سال على ذقنه بالمناديل الورقية. وقد حدث ذلك عندما مدت ساندي رأسها داخل الحقام كي تحذره من عدم نسيان غطاء مقعد المرحاض مفتوحًا، ولتذكره بإغلاق أنبوب معجون الأسنان بإحكام.

ولكن الأمر لم ينتهِ هنا. فقد سكب العصير على نفسه، ولطخ ربطة عنقه واضطر إلى تغييرها قبل أن يغادر إلى العمل. كما سمع مجموعة جديدة من التحذيرات المبنية على مشاهدات ساندي: "لقد ألقيت زجاجات الشراب الفارغة في سلة المهملات بدلًا من سلة إعادة التدوير، ونسيت أن تغسل وعاء الآيس كريم قبل وضعه في غسالة الأطباق". وكانت هناك ملاحظة أخرى. ولكن تلك الملاحظات كانت تدخل من أذن وتخرج من أخرى من دون أن يتذكر أي كلمة منها. إنها نوع من الممارسة الدفاعية الذاتية؛ إذ يدخل كل شيء في كل شيء وينسى. هل وصل ذلك إلى مستوى المشكلة التي تتطلب علاجًا؟

لقد غدا كثير النسيان والأخطاء في الآونة الأخيرة. ربما أصبح الأمر واضحًا هكذا منذ ستة أشهر أو ثمانية؛ فهو لا يستطيع أن يجزم. أضف إلى ذلك أن الوقت لا يزال باكراً على طرح مثل هذه الأسئلة.

ولكن، راودته فكرة لحظة دخوله السيارة، وتراجعته إلى الممر. وقد حسنت هذه الفكرة مزاجه؛ وهي أن هذه الأحداث

الصباحية السيئة هي نصيبه لهذا اليوم. لذا، ستكون أموره جيدة في ما تبقى من اليوم.

"انطلاق سريع". صاح مبتهجًا، وكافأ نفسه على طاقته الإيجابية المفاجئة بتدخين سيجارة من العلبة الموجودة في صندوق القفازات.

غير أن هذه الفكرة المتفائلة لم تستمر أكثر من خمس عشرة دقيقة؛ إذ تلقى مكالمة أعادته إلى الجادة رقم أربعة وثلاثين في كوينز.

وأخبره المتصل أن شرطين من القسم ينتظرونه هناك، وهذا ليس بالفأل الجيد إطلاقًا.

مرت خمس ساعات. وفي الوقت الذي يفكر فيه عادة بتناول الغداء، كان ينظر عبر الزجاج باتجاه واحد داخل غرفة صغيرة مقابلة، حيث وُضعت طاولة وكريسيان، وكان هناك رجل يدعى ليونارد كروكر يجلس على أحدهما، وقد قُيدت يداه بحلقة حديدية إلى الطرف القريب من الطاولة.

كان يرتدي قميصًا داخليًا وبنطال بذلة عمل كاكي اللون، بينما كان قميصه الخارجي في رحلة إلى قسم الطب الشرعي ضمن كيس بلاستيكي.

عندما يأتي دوره (قد يستغرق الأمر بعض الوقت نظرًا لوجود تراكم دائمًا)، سٌسْتخرج بقع الدم الموجودة عليه، وسيُطَبَّق حمضها النووي، بالإضافة إلى الشكليات الأخرى...

سبق لكروكر أن اعترف بجريمة القتل. وفي القريب العاجل، سيُسْتبدل بهذا القميص الداخلي والبنطال الكاكي رداء

السجن الداكن.

ترك ويلسون بطاقة الهوية الخاصة به مع أشياءه الأخرى في الخارج. وعندما دخل الغرفة، ابتسم قليلاً وقال: "مرحباً سيد كروكر، هل تذكرني؟"

بدا ليونارد كروكر مرتاحاً جداً، مع الأصفاد وكل شيء، وسأل: "هل أنت المحقق؟"

فجلس ويلسون مجيئاً: "هذا صحيح. هل تفضل أن أناديك لين، لينى، أو ليونارد؟"

"لينى. هذا ما يناديني به الرجال في ورشة السباكة في أغلب الأحيان."

"حسناً يا لينى، ما نجرية هنا- إذا وافقت على ذلك- مجرد نوع من المحادثة الأولية. لقد قرأوا عليك حقوقك، أليس كذلك؟"

فابتسم لينى كما يفعل الرجل عندما يعرف أن شخصاً ما يحاول خداعه، ثم قال: "مَرتين: رجال الشرطة في مكان الحادث، ثم أنت عندما اتصلت بهم."

عندها، قال ويلسون: "هذا عظيم! ومن أجل الأمانة سأكررها بشكلٍ موجز: إن أي شيء تقوله..."

غير أن لينى قاطعه مكِلاً: "يمكن استخدامه ضدي."

وعلى الفور، تبدلت ابتسامة ويلسون، وأصبحت أشبه بتكشيرة، وهتف: "بينغوا ماذا عن التمثيل القانوني؟ ما الذي تتذكره عن الأمر؟ لأن هذه الجلسة مسجلة كما تعرف."

فأجاب لينى: "يمكنني توكيل محامٍ في أي وقت. وإذا لم

أتمكّن من ذلك، فسثعّين لي واحدًا. هذا هو القانون."

"كلامٌ سليم. حسنًا، هل تريد واحدًا؟ اطلب فقط." وفكر ويلسون في أنّه في حال طلب ذلك فسيتمكّن من الذهاب لتناول الغداء!

فيما أجاب ليني: "أنا سعيد بالتحدّث إليك أيها المحقّق، ولكنني سأحتاج إلى محامٍ خلال المحاكمة، أليس كذلك؟" فنصحه ويلسون: "إلا إذا أردت أن تدافع عن نفسك. لكن الرجل الذي يدافع عن نفسه..."

فرفع ليني إصبعه، وهزّ رأسه في حركة اشتهر بها العلماء، لا السباكون، وقال مكملًا جملة المحقّق: "... يكون مغفلاً."

عندها، ضحك ويلسون وأومأ برأسه قائلاً: "يمكنك الفوز بجائزة أظرف مجرم." ثم أصبح أكثر جدية، وجمع يديه أسفل ذقنه، ونظر مباشرة إلى ليني، وسأله: "لماذا لا ندخل في صلب الموضوع؟ لقد قتلت زوجتك هذا الصباح، أليس كذلك؟ فقد طعنتها ثلاث مرات في بطنها، وتركتها تنزف حتى الموت. هل هذا ما أخبرت به الشرطة؟ وقد أخبرتني به أيضًا، أليس كذلك؟"

عندها، هزّ ليني رأسه مؤكّدًا وقال: "أذكر جيدًا. قلت إنني طعنتها وتركتها تنزف."

"وهذا يعني أنك قتلت زوجتك آرلين كروكر."

"لم تكن زوجتي."

فأخرج ويلسون دفتر ملاحظاته من الجيب الداخلي لسترته وراجعته، وسأله مستوضحًا: "هل قلت إنّ آرلين كروكر ليست

زوجتك؟"

أجاب: "ليست زوجتي اليوم. ولم تكن زوجتي في العام الماضي". وبدا وكأنه يحسب السنوات، وتابع: "ربما لأطول من ذلك، من الصعب أن أكون دقيقًا".

"حسنًا، أنت تقول إنك قتلت امرأة غريبة عنك. امرأة تبدو مثل زوجتك التي عشت معها تسع سنوات، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح". ونظر ليني إلى ويلسون بصبر؛ الأمر الذي دفع المحقق للانتقال إلى الأسئلة الصحيحة، وتبين له أنه لن يساعده على كل الأحوال.

وتابع المحقق: "وهل تظن أننا بعد أن نحلل بقع الدم، ونختبر الحمض النووي على أرضية مطبخك وعلى قميصك لن يكون هناك تطابق مع دماء المرأة المقتولة؟"

فأجاب ليني: "يُحتمل أن يكون هناك تطابق". وتابع ليني بحكمة: "أنا متأكد تقريبًا من أن ذلك ما حدث. رغم أنني أمل أن يبحث العلماء في المخبر عن شيء غريب، مهم... ربما تكون.. مكونات مميزة أو غريبة. ربما سينتهي البحث من دون الحصول على شيء، ولكن سيكون من الحكمة التحقق منها. أنا شخصيًا أتوقع أن أذهب إلى السجن لقتلي ذلك الشيء، ولكنني بالتأكيد أفضل ألا يحدث ذلك".

ففهم ويلسون. لقد بدت علامات الجنون على كروكر بالفعل. "ما الذي تقوله لي يا ليني؟ هل تعني أن زوجتك كانت ممسوسة؟ ساعدني لأفهم".

ففكر ليني في الأمر، ثم قال: "لا أعتقد أنها التسمية

الدقيقة. فعندما يكون شخص ما ممسوسًا- وصُح لي إذا كنت مخطئًا أيها المحقق- تأتي روح، أو ربما شيطانٌ ما، لاستلام زمام الأمور رغم أن ذلك الشخص لا يزال موجودًا هناك، مسجونًا في الداخل. هل هكذا يكون الممسوس برأيك؟"

وكان ويلسون قد شاهد فيلم "طارد الأرواح الشريرة" بالإضافة إلى فيلمين آخرين يعالجان الفكرة نفسها، ولذلك أوما برأسه موافقًا: "صحيح إلى حد كبير. ولكن ليس هذا ما حدث لزوجتك، أليس كذلك؟"

"لا! لقد ماتت عندما وصلت إليها، كلهم ماتوا."

"كلهم؟ من تقصد بـكلهم؟"

"عدهم ليس كبيرًا حتى الآن مقارنةً بعدد سكان الأرض الذي يبلغ ثمانية مليارات نسمة وفق أحدث الإحصاءات. يمكنك التأكد من محرك البحث غوغل، ولكنهم يتزايدون كل لحظة. لقد سيطروا على الأمر أيها المحقق. إنهم النسخ البديلة المثالية، ونحن الأقنعة المثالية لهم."

فتظاهر ويلسون بأنه يفكر في الأمر. غير أن ما كان يفكر فيه حقًا هو أن هذه المقابلة ستنتهي من دون فائدة، ولن تقنع الدعي العام. ستحدث صولات وجولات في المحاكمة؛ اثنان من الأطباء النفسيين للادعاء، بالإضافة إلى طبيب كروكر الخاص، ولن يفاجأ ويلسون إن كان لدى كروكر واحد جاهز منذ اللحظة.

"أتعني كائنات فضائية؟"

وعلى الفور، أوجت ملامح وجه كروكر بأنه يكشف أمرًا مهمًا، وقال: "هذا صحيح. إنها كائنات غريبة. لا أعرف إن كانت من الفضاء أم من عالم موازٍ آخر. وتنقسم الآراء على مواقع الوب حول هذا الموضوع إلى حدٍ كبير. أنا أقول إنها كائنات تأتي من الفضاء، فهذا منطقي فعلاً..." ثم مال ليني إلى الأمام وتابع بطريقة جادة: "بسرعة الضوء كما تعرف".

فسأله ويلسون: "ما الذي أعرفه؟" ولم يعد ويلسون مهتمًا بالتأكيد، بل كان كل ما يشغل باله هو اللحم والديك الرومي في مطعم ديلي أسفل الشارع، وسيجارة المارلبورو التي ستليهما.

وتابع ليني: "لا تستطيع المركبات الفضائية أن تتجاوز هذا الحد، كما لا تستطيع العودة بالزمن إلى الوراء؛ فربما تتفكك في مثل هذه السرعة. هذا ما يقوله العلم. ولكن العقل المتنور الهادئ أيها المحقق يستطيع أن يحقق القفزة. وعندما تصل الكائنات الفضائية إلى هنا، فستحتاج إلى جثث. ربما لا تستطيع الكائنات أن تحيا من دونها، وربما نكون في المرحلة التمهيدية للغزو الآن، وإذا لم تتحلّ حكومات العالم بالحكمة، فستأتي الكائنات الفضائية بالآلاف وربما مئات الآلاف إن لم نقل بالملايين".

عندها، انحنى كروكر وجمع يديه المقيدين بالسلاسل، ثم عاد ليجلس مستقيماً، وتابع حديثه: "كل هذا موجود على الإنترنت".

فقال ويلسون: "أراهن أن الأمر كذلك يا ليني. وأراهن أن إحدى تلك الكائنات الغازية تنتظر فقط الفرصة كي تدمر

العالم! وحينها يمكنها أن تضع يديها على مقاليد السلطة". ثم نهض المحقق قائلاً: "أعتقد أنك بحاجة إلى العودة إلى زنزانتك والتفكير في الأمر ملياً قبل أن تبدأ المحاكمة. اعمل بنصيحتي. أعتقد أنك بحاجة إلى محام جيد، محام جيد يستطيع شراء هيئة المحلفين".

لكنّ ليني قال بهدوء: "اجلس، فأنت سترغب في سماع ما أقوله".

عندها، نظر ويلسون إلى ساعته، وقرر أن يمنح ليونارد كروكر خمس دقائق إضافية، وربما حتى عشر دقائق؛ فقد يتمكن من الحكم على سلامة عقل الرجل، ويستطيع أن يقرر إن كان مجنوناً حقاً أو يحاول خداعه. ولن يكون اكتشاف ذلك صعباً؛ فهو محققٌ بعد كل شيء.

"قبل خمس أو ست سنوات، اكتشف شخصٌ ما يحدث بالصدفة. وهذا موجودٌ على صفحات "الوب المظلم". وهو ينتشر يا حضرة المحقق من هناك انتشار الحبر في الماء".

هذه المرة، تحدث ويلسون من دون أن يبتسم: "أنا على دراية بكل ذلك؛ فقد رأيته مثلك على الشبكة، كما سمعت عن الديمقراطيين الذين يشربون الدماء، وعن حقنة كلوروكس الشرجية لعلاج الكورونا، كما شاهدت فيديوهات عن شذوذ الحيوانات... أنت قتلت زوجتك يا ليني. لذا، هلاً تتوقف عن هذا الكذب المثير للاشمئزاز وتبدأ بالتفكير قليلاً. فقد طعننها بسكين الجزار، وراقبتها وهي تموت".

لكنّ ليني تابع: "تدخل الكائنات أجساد الناس فيتغيرون، ويصبحون سريعى الغضب وشديدي الانتقاد. ولا تكفي

الكائنات بوجودها هنا، بل تريد السيطرة. لكننا نملك فرصة لأن بعض معالجات الحاسوب قد توصلت إلى طريقة لاكتشاف الأمر. وإذا نجونا، فسنصنع لذلك المعالج تمثالاً في كل بلد، وفي شتى أنحاء العالم.

تبدأ الكائنات بإصدار الأوامر من موقع عميق داخل الشخص، فيبدو كل شيء طبيعياً، ولا دليل على وجود الكائنات في الداخل؛ إذ لم يكتشفها سوى عدد قليل من الناس. إلا أن المعلومات تنتشر بفضل الإنترنت، أليس هذا دوره: نشر المعلومات؟

ففكر ويلسون في سرّه: وينشر الأمراض العقلية أيضاً. اتسعت عينا ليني وتابع: "سيكون سباقاً، سباقاً مع الزمن". فقال له ويلسون: "مهلاً، تراجع إلى الوراء. حسناً، هل قتلت زوجتك لأنها أصبحت سريعة الغضب وانتقادية؟" غير أن ليني ابتسم وقال: "لا تكن أحمق أيها المحقق. فكثيرات هن النساء المتذمرات، وأنا أعرف ذلك. والكثير من الرجال متذمرون أيضاً. هذه أمور مفهومة".

ثم باعد يديه إلى أقصى حدّ سمحت به الأصفاد، وهو مدي قصير نوعاً ما، وحاول أن يوضح: "هذه هي المؤشرات الأولية فقط".

فقال ويلسون: "أعتقد أن آرلين، بعد أن تزوجت بك، أصبحت لديها أسباب عديدة لتصير سريعة الغضب وانتقادية".

فشرح ليني: "بدأ الأمر بانتقاد بعض الأمور، ثم انتقاد أخرى،

وأخرى فأخرى... في البداية، أشعروني الأمر بالاكْتئاب".
فقاطعه ويلسون: "ربما شعرت بصدمة في كبريائك، أليس كذلك؟"

ولكن ليبي تابع: "ثم بدأت أشك في الأمر".
قال ويلسون: "زوجتي تنتقد بعض الأمور أيضًا؛ فهي لا تكف عن القول إنَّ سيارتي قذرة مثل حظيرة خنازير متنقلة، كما أنها تغضب إذا تذرَّعت بالنسيان ولم أغلق غطاء مقعد المرحاض... ولكنني لن أستخدم سكين الجزار لقتلها".
"لقد حصلت على الشاشة الحمراء. ظهرت لمدة ثانية أو ثانيتين فقط، ولذلك لم يتمكنوا من مراقبتي. وعندما رأيتها، عرفت الحقيقة".

فاستدار ويلسون إلى المرأة على الحائط على يساره والتي تتيح الرؤية باتجاه واحد وهو يقول: "ما أعرفه هو أنَّ هذه المقابلة قد انتهت". ثم التف ومسح رقبته بيده، فيما قال ليبي: "اقطع القيد. إنه غير مرئي". ثم نظر إلى ويلسون نظرة شفقة وتفوق في الوقت نفسه، وتحدث مجددًا: "تذكر تلك القصة عن الضفادع التي توضع في قدرٍ على النار، وأنت ترفع الحرارة ببطء شديد... فهذا ما يفعلونه معك. إنهم يسلبونك... يسلبونك احترامك لذاتك، وحالما تصبح ضعيفًا..." ثم رفع يديه إلى الأعلى، على طول السلسلة، وأدى حركة الخنق قائلاً: "ياخذون حياتك".

"أنت تعني النساء، أليس كذلك؟"

"النساء أو الرجال. أنا لا أتحدث من منطلق تحيز جنسي. لا

تفهم الأمر بهذا الشكل".

"أنت لا تتحدث عن طارد الأرواح الشريرة، بل عن غزو من قبل خاطفي الأجساد".

فابتسم قاتل زوجته، وبدأت ابتسامته أقرب إلى تكشيرة وهو يؤكّد: "بالضبط".

"ابقِ على كلامك يا ليني، وانظر كيف ستنتهي بك الأمور".
عند الساعة السابعة والربع، عاد ويلسون إلى منزله. كانت ساندي تشاهد أخبار المساء في غرفة المعيشة، وقرب طاولة المطبخ ثمة مقعدٌ وحيد لم يشغله أحد.

هتف: "مرحبًا يا عزيزتي".

فأجابت: "عشاؤك في الفرن. لا بد أن الدجاج قد جف الآن، ولكنك قلت إنك ستعود إلى المنزل عند الساعة الخامسة".

"حصلت بعض الأمور".

"هذه الأمور تحصل معك دائمًا".

هل أخبر ساندي حقًا أنه سيعود إلى المنزل عند الخامسة؟ في الحقيقة، لا يتذكر ويلسون ذلك، ولكنه يتذكر كروكر. من المرجح أن يكون في سجن متروبوليتان الآن قائلًا إنه أمر خفي.

أخرج الدجاج والبطاطا من الفرن، والفاصولياء الخضراء من القدر البخارية على الموقد. وفكر في أنه سيتناول البطاطا؛ فهي تبدو جيدة، بينما يبدو الدجاج والفاصولياء غير شهيين.

سألته زوجته: "هل جلبت الملابس من قسم التنظيف الجاف؟"

فجمد لحظة وهو يتناول شريحة من صدر الدجاج نصف مقطعة، وسأل: "عن أي ملابس من قسم التنظيف الجاف تتحدثين؟"

عندها، نهضت ساندي ووقفت عند المدخل قائلة: "ملابسنا من قسم التنظيف الجاف. لقد أخبرتك ليلة أمس يا فرانك، يا إلهي!"

حاول أن يستفسر أكثر، لكن هاتفه رن في تلك اللحظة، فأخرجه من حزامه ونظر إلى الشاشة.

لو كانت المكالمة من قبل شريكه لأقفل في وجهه، ولكنها لم تكن كذلك، بل من الكابتن ألفاريز. لذا، اعتذر من زوجته قائلاً: "علي أن أرد".

فقالت: "بالطبع، عليك أن ترد". ثم عادت إلى غرفة المعيشة حتى لا تفوتها آخر إحصائية عن ضحايا فيروس كورونا: "ليرحمهم الله".

فكر ويلسون في اللحاق بها، ومحاولة تهدئة الأمر، لكن رئيسه اتصل به، فأجاب واستمع إليه أولاً، وبعد ذلك جلس مصدومًا وهو يقول له: "هل تمزح؟"

أعاد صوته ساندي إلى المدخل. كان هاتفه يتدلى باتجاه أذنه، ورأسه منحنيًا إلى الأسفل، بينما أراح إحدى يديه على فخذه. جلست معه إلى الطاولة، فيما استمرت المكالمات لحظات أخرى، وبعدها أقفل الخط.

وعلى الفور، نقل طبقه إلى الحوض بعد أن ألقى كل ما فيه في سلة المهملات، وقال: "إنها نهاية مثالية ليوم سخيف مثالي".

فسأله ساندي: "ماذا حدث؟" ووضعت يدها على ذراعه. كانت لمستها خفيفة، ولكنه شعر بأنه يحتاج إليها بشدة.

فشرح لها: "كان لدينا رجل في الحجز متهم بقتل زوجته. كنت في مكان الحادث، وكانت الفوضى هائلة، والدماء في كل أنحاء المطبخ، وكانت زوجته ملقاة على الأرض. عدت إلى القسم، وأجريت الاستجواب الأولي، بدا القاتل مجنونًا حقيقيًا، وادّعى أنها كانت كائنًا فضائيًا، وشيئًا من قوة الغزو".
"يا إلهي!"

"لقد انتحرا! كان يتناول وجبة الطعام، فالتقط قلم رصاص، وقطع السلسلة التي كانت تقيده، ثم طعن نفسه في الوريد الوداجي. يقول ألفاريز إنَّ الحظ خدمه، لكنَّ الرقيب يقول إنه بدا وكأنه يعرف المكان الصحيح لغرس القلم فيه".

"ربما حصل على تدريب طبي".

"ساندي، لقد كان سباكًا".

أضحكها ما قاله، فضحك ويلسون أيضًا، ووضع جبهته على جبهتها.

فقالت ساندي: "الأمر ليس مضحكًا، ولكنك قلت بطريقتك مضحكة".

وعاودت الضحك.

فقال ألفاريز: "لقد قاومهم ومنعهم من الاقتراب. ظلّ

ينزف بغزارة إلى أن أغمي عليه، فاستطاعوا عندها نقله إلى مستوصف دار العبادة، ولكن بعد فوات الأوان. إذ كان قد خسر كثيرًا من الدماء".

فقلت ساندي: "أوقف عمل التلفاز لو سمحت. سأقلي لك بعض البيض".

"واللحم المقدد؟"

"ليس مناسبًا لمستوى الكولسترول لديك. لكن لا بأس لهذه الليلة".

هل قاما بعلاقة حميمة في تلك الليلة للمرة الأولى منذ أسابيع؟ أو ربما منذ وقتٍ أطول؟ ثمة شهز من الجفاء على الأقل. هذا جيد.

سألته ساندي بعد أن انتهى الأمر: "هل ما زلت تدخن؟" فكر في الكذب، وفكر في ذلك السباك الذي أصبح ميثًا الآن؛ عندما قال إن الأمر يبدأ في انتقاد بعض الأمور، ثم أخرى، ثم أخرى.. ولكنه فكر كم كان هذا المساء لطيفًا، وكم يختلف عن الأشهر الستة أو الثمانية الماضية.

لقد قال ليني إنهم يتغيرون، ويصبحون سريعى الغضب وانتقاديين.

غير أن ويلسون لم يلجأ إلى الكذب، بل اعترف أنه لا يزال يدخن، ولكن ليس كثيرًا؛ فهو لا يدخن أكثر من نصف علبة في اليوم، وانتظر منها أن تقول كالعادة: ذلك يكفي كي يقتلك.

ولكنها لم تقل شيئًا، بل قالت: "هل تملك سجائر هنا؟ إذا

كان لديك، فأعطني سيجارة من فضلك".

"هل تريد سيجارة؟!"

"ثمة أمر أريد أن أخبرك إياه، وكنت أؤجله منذ حين".

ففكر ويلسون: يا إلهي!

ثم نهض وأثار مصباح سريره. كانت مفاتيحه، ومحفظته، وهاتفه، والقليل من النقود متناثرة في الجزء العلوي من درج طاولة السرير، وكان سلاح الخدمة الخاص به موجودًا في مكانه في الدرج حيث يضعه دائمًا، وتناثرت خلفه مجموعة من سجائر مارلبورو وولاعة بيك. ناولها سيجارة، وفكر في أن سيجارة واحدة ستطرحها أرضًا من نفخة واحدة بعد الانقطاع عنها كل تلك السنوات.

قالت له: "خذ واحدة لنفسك".

فقال: "لا أخفي هنا منفضة سجائر. فعندما أريد التدخين، أذهب عادةً إلى حمام الضيوف".

"لا بأس، سنستخدم كوب الماء الخاص بي".

أشعل سيجارتها، ثم سيجارته. دخنا في السرير كما فعلا في شهر العسل، وكانا عندها يظنان أنهما سيرزقان بزوجين من الأطفال، وسيعيشون جميعًا في سعادة دائمة. لكنّ اثنتي عشرة سنة مرت من دون أي طفل، حتى شعر ويلسون بموت هذه الرغبة لديه.

قال: "أنت لا تنوين إبلاغي أنك تريد الطلاق، أليس كذلك؟" إنه يمزح، أو لا يمزح.

فأجابت: "لا. أريد أن أخبرك بالسبب الذي جعلني أكثر غضبًا

في الفترات الأخيرة، وجعل التعايش معي صعبًا منذ هذا الربيع."

"حسنًا، تفضلي."

فأخذت مجة من سيجارتها ولم تسحب أخرى، وقالت: "كانت هرموناتى مضطربة."

"لا أفهم ما الذي يعنيه هذا يا ساندي."

"هذا يعني أنني سأدخل في مرحلة انقطاع الطمث يا فرانك. وسرعان ما ستتوقف الدورة الشهرية."

"هل أنت متأكدة؟"

فرمقته بنظرة جافة، ولكنها ضحكت بعد ذلك وقالت: "أعتقد أنني أعرف، أليس كذلك؟"

"حبيبتي... أنت في التاسعة والثلاثين فقط."

"في عائلتي، تبدأ النساء مبكرًا وينتهين مبكرًا. دخلت أختي بات في هذه المرحلة عندما كانت في السادسة والثلاثين من عمرها فقط. ألا ترى كيف هي مشاعري مضطربة وتذهب بي في كل اتجاه؟"

"ولماذا لم تخبريني؟"

فتنهدت وهي تقول: "كان ينبغي لي أولاً أن أعترف بذلك لنفسى. فأخر دورة لي كانت قبل أربعة أشهر. ومنذ ذلك الحين، أصبحت شبه ذكرى، مجرد قطرات قليلة مثل قطرات الماء الأخيرة التي تنزل من الصنبور عندما تغلقه."

وتدحرجت دمعاً على خدها، دمعاً واحدة فقط. ثم رمت

السيجارة التي دخنت نصفها في كوب الماء، وغطت عينيها
ياحدى يديها، وقالت: "أشعر بالجفاف يا فرانكي. أشعر بأنني
قديمة، ومستعملة، وغير محبوبة. لقد عاملتك بطريقة سيئة
أيضًا، وأنا أعتذر".

فدخن سيجارته أيضًا، وأطفأها في الكأس، ثم احتضن
زوجته قائلاً: "أنا أحبك ساندي. كنت أحبك دائمًا، وسأبقى".
"شكرًا يا حبيبي".

وشدته بقوة إلى صدرها. أطفأ الضوء للحظة لا أكثر، فللمرة
الثانية، راحت شاشة هاتفه الخليوي تومض باللون الأحمر.
عندها، ابتسمت ساندي ويلسون في الظلام.

خبير في الاضطراب

1

كان كريغ ديكسون جالسًا في غرفة المعيشة في جناح جونيور في فندق فور سيزون، ويتناول الطعام باهظ الثمن الذي تقدمه خدمة الغرف، مستمتعًا بمشاهدة فيلم دفع مسبقًا لتحميله، عندما رنَّ هاتفه.

عندها، فقدت نبضات قلبه التي كانت هادئة وتيرتها وتسارعت. إذ كان ديكسون منفصلًا عن جميع العلاقات، وكان وحيدًا مثل حجرٍ يتدحرج أسفل تل، وئمة شخص واحد فقط يعلم بمكان وجوده هنا في هذا الفندق الفاخر مقابل بوسطن كومون. فكَّر في عدم الرد على المتصل، ولكن ذلك الرجل الذي يسميه "الفسهل" لن يتوقف عن معاودة الاتصال به حتى يجيب. وإن رفض الإجابة رغم كل ذلك الإلحاح فسيترب عليه أن يتحمل العواقب.

لم يفكر في الأمر على أنه جحيم؛ فأماكن الإقامة جميلة جدًا، ولكنها بمثابة مطهر؛ إذ لا يملك إمكانيةً للتقاعد قبل مضي وقتٍ طويل. كتم صوت التلفاز والتقط الهاتف. لم يقل مرحبًا، بل قال: "هذا ليس منصفًا، أتيت من سياتل قبل يومين فقط، وما زلت في وضع الراحة".

فقال الصوت: "أتفهم ذلك، وأنا آسف للغاية. لكن أمرًا طارئًا قد حدث، وأنت الشخص الوحيد المتاح".

ولفظ المتحدث كلمة "آسف" مثل "آف".

إذ كانت هناك لثغة خفيفة تميز صوت "الفسهل" الهادئ الذي

يدفع بالمرء إلى النوم؛ وكأنه موسيقى تم تشغيلها من أجل ذلك، ولا يفسده إلا بعض الأصوات الجانبية.

لم يسبق لديكسون أن رآه، ولكنه يتخيله طويل القامة ونحيفًا، أزرق العينين، في مثل عمره تقريبًا. كما يتخيل وجهه خاليًا من التجاعيد.

ربما كان سميثًا في الواقع، وأصلع، وداكن البشرة، لكن الصورة التي رسمها له ديكسون في عقله كانت توحى بالثقة، وهي لن تتغير أبدًا؛ إذ إنه لا يتوقع رؤيته.

عرف عددًا من خبراء الاضطراب على مدى السنوات التي قضاها مع الشركة - إذا كانت شركة - ولم ير أي منهم هذا الرجل من قبل، لا أحد منهم على الإطلاق. كانت وجوه الخبراء الذين يعملون معه خالية من الحيوية كسمة عامة، حتى إن الأشخاص الذين كانوا في العقد الثاني أو الثالث من أعمارهم بدوا في منتصف العمر.

ثمة أشياء تميز هذا العمل؛ إذ لا مجال للعمل حتى ساعات متأخرة، ولا يتطلب رفع أحمال ثقيلة... وهذا ما يجعلهم قادرين دائمًا على أداء مهماتهم.

قال ديكسون: "أخبرني".

فأجاب الصوت: "رحلة خطوط أليد إيري رقم تسعة عشر، المنطلقة من دون توقف من بوسطن إلى ساراسوتا. تغادر عند الساعة الثامنة وعشر دقائق هذه الليلة. لديك الوقت الكافي للقيام بذلك".

عندها، قال ديكسون وهو يشعر بأنه على وشك أن يبكي

مثل طفل متألم: "أليس هناك شخص آخر؟ أنا متعب يا رجل، متعب جدًا. كادت رحلة سياطل تقضي علي".

قال الفسهل: "مقعدك المعتاد". ثم أنهى المكالمة.

نظر ديكسون إلى سمكة "أبو سيف" الممددة في طبقه، والتي لم يعد يريدتها، كما نظر إلى فيلم كيت وينسليت الذي لم يعد يستطيع مشاهدة نهايته، وفكر: "ربما أكمله في مكان آخر".

راودته تلك الفكرة العريضة من جديد: أن يحزم أمتعته ويستأجر سيارة ويهرب إلى الشمال، إلى نيو هامبشاير أولاً، ثم إلى ماين، ثم يعبر الحدود إلى كندا. لكنهم سيقبضون عليه. يعرف جيدًا أنهم سيفعلون، كما يذكر تلك الشائعات حول ما فعلوه بأعضاء الفريق الفارين: الصعق بالكهرباء، وانتزاع الأحشاء، والرمي في المياه المغلية.

وعلى الرغم من أن هذه الشائعات لم تقنع ديكسون، إلا أنه خاف منها على كل حال.

ولهذا، بدأ بتحضير نفسه للقيام بالمهمة. لم يكن لديه الكثير من الأمتعة؛ لأن خبراء الاضطراب يسافرون من دون أحمال.

2

كانت تذكّره بانتظاره على المنضدة. وكما يحدث دائمًا، وضعت مهمته في الطائرة، في المقعد الأوسط خلف الجناح الأيمن مباشرة. أما كيف يمكن أن يكون هذا المكان متاحًا دائمًا فهذا لغز آخر. واللغز الأكبر هو الفسهل، والمكان الذي يتصل منه، والمنظمة التي يعمل لصالحها.

مثل التذكرة، كان المقعد ينتظره دائمًا.

وضع ديكسون حقيبته على الرف العلوي، ونظر إلى جيرانه ورفاقه المسافرين هذه الليلة: رجل أعمال أحمر العينين ويعبق الممر برائحة الشراب المنبعثة من أنفاسه، وسيدة في منتصف العمر تبدو وكأنها أمينة مكتبة بجوار النافذة.

همهم رجل الأعمال بشيء غير مفهوم عندما تجاوزه ديكسون مغمغماً باعتذار.

كان الرجل يقرأ كتابًا ورقيًا بعنوان "لا تدع الرئيس يتلاعب بك"، فيما أمينة المكتبة المفترضة تنظر من النافذة إلى المعدات المختلفة التي كانت تتحرك ذهابًا وإيابًا؛ وكأنها الأشياء الأكثر روعة التي رأتها على الإطلاق. وكانت تضع قطعة تحيكها في حضانها، وبدأ ديكسون أنها سترة.

التفتت وابتسمت له ومدت يدها: "مرحبًا، أنا ماري وورث. الاسم نفسه لفتاة القمص المصورة".

لم يكن ديكسون يعرف أي فتاة من القمص تدعى ماري وورث، ولكنه صافحها. "كريغ ديكسون. تشرفت بمقابلتك".

فشخر رجل الأعمال وقلب صفحة في كتابه.

قالت ماري وورث: "أنا متحمسة جدًا. إذ لم أحصل على إجازة حقيقية منذ اثني عشر عامًا. أتجه إلى مكان صغير في سيستا كي أستأجره مع اثنتين من رفيقات العالم الافتراضي".

فشخر رجل الأعمال مجددًا وقال: "رفيقات العالم الافتراضي!". يبدو أنه يعبر عن نفسه من خلال الشخير.

عندها، أجابته ماري وورث: "نعم، هذا هو الحال! حدث التعارف بيننا منذ ثلاثة أسابيع. لم نلتق في الواقع، ولكنهما صديقتان حقيقتان. ثلاثتنا أرامل، وقد التقينا في غرفة دردشة على الإنترنت. الإنترنت اختراع رائع! لم يكن هناك شيء مثله في طفولتنا".

فما كان من رجل الأعمال إلا أن قال وهو يقلب صفحة أخرى: "يعتقد المتحرشون أن التحرش أمر رائع أيضًا".

ولدى سماعها ذلك، اختفت ابتسامة السيدة وورث، ثم استعادت قوتها، وقالت: "تشرفت بلقائك سيد ديكسون. هل تسافر بهدف العمل أو المتعة؟"

فأجاب: "العمل".

في تلك اللحظة، انطلق مكبر الصوت برنينه المنبه: دينغ دونغ، ثم سُمع القبطان وهو يقول: "مساء الخير، سيداتي وسادتي، معكم "الكابتن" ستيوارت يخبركم بما يجري: نحن نبتعد عن البوابة، ونبدأ بالتحرك إلى المدرج رقم ثلاثة، حيث سنقلع في الصف الثالث. نقدر أن تستغرق الرحلة ساعتين وأربعين دقيقة للوصول إلى سيراك، والتي ستصل بك إلى أرض أشجار النخيل والشواطئ الرملية قبل الساعة الحادية عشرة صباحًا. السماء صافية، ونرجو أن تسير الرحلة من دون معوقات على طول الطريق.

نرجو منكم الآن ربط أحزمة الأمان، ورفع الطاولات في حال كنتم قد أنزلتموها".

فهمهم رجل الأعمال: "وكأن لدينا أي شيء لنضعه على الطاولة".

فيما تابع الصوت عبر المكبر: "... والقيام بتأمين أي ممتلكات شخصية إذا كنتم تستخدمونها. شكرًا لكم لاختياركم أليد إيريوي في هذه الليلة. ونؤكد لكم أنكم اتخذتم الخيار الصحيح".

فشخر رجل الأعمال ساخرًا وقال: "اختيار مؤخرتي".
عندها، قال له ديكسون: "لا تهتم بمؤخرتك. اقرأ كتابك واصمت".

فرمقه رجل الأعمال مندهشًا.
راح قلب ديكسون ينبض بقوة، وانقبضت معدته، وجف حلقه من الترقب.

حاول أن يهدأ، وحدث نفسه بأن الأمر سيكون على ما يرام، كما يكون دائمًا، لكن ذلك لم يساعده. إذ كان يخشى تلك الأغوار التي ستفتح تحته قريبًا.

أقلعت طائرة أليد تسعة عشر عند الساعة الثامنة وثلاث عشرة دقيقة مساءً، متأخرة عن الموعد المحدد بثلاث دقائق.

3

في مكان ما فوق ولاية ماريلاند، كانت إحدى المضيفات تدفع عربة المشروبات والوجبات الخفيفة في الممر، فوضع رجل الأعمال كتابه جانبًا، منتظرًا بفارغ الصبر أن تصل إليه. وعندما وصلت، تناول علبة من مشروب الطاقة شويبس، وزجاجتين صغيرتين من الشراب، وكيسًا من مقرمشات الفريتوس، لكن بطاقة "الماستر كارد" الخاصة به لم تعمل عندما أدخلتها في الجهاز المخصص لها، فأعطاه بطاقة

"أمريكان إكسبريس"، ونظر إليها وكأنها السبب في فشل بطاقته الأولى.

عندها، تساءل ديكسون عما إذا كانت بطاقة "الماستر كارد" قد وصلت إلى الحد الأقصى المسموح به. فإن كان الأمر كذلك، فربما يحملها رجل الأعمال ليكسر بها الزجاج في حالة الطوارئ.

ربما كانت قصة شعره سيئة أو أطراف شعره تالفة. وعلى الرغم من أن هذا الأمر لا يثير اهتمام ديسكون عادة، إلا أنه بدا مناسبًا للاهتمام به ليساهم في خفض مستوى الرعب الناتج عن الترقب، والذي راح يزداد باستمرار. إنهم يحلقون على ارتفاع أربعة وثلاثين ألف قدم، وهذه مسافة طويلة نحو الأسفل.

طلبت ماري وورث بعض الشراب، وسكبته بدقة في كأسها البلاستيكية الصغيرة.

ثم سألته: "ألم تأخذ شيئًا سيد ديكسون؟"

فأجابها: "لا. فأنا لا أكل أو أشرب على متن الطائرات".

عندها، شخر رجل الأعمال، وكان قد احتسى الزجاجات الأولى من الشراب مع مشروب الطاقة، وبدأ باحتساء الزجاجات الثانية.

فسأله ماري وورث من جديد بتعاطف: "أنت تعاني من رهاب الطيران، أليس كذلك؟"

لم يكن هناك سبب لعدم الاعتراف بذلك، فقال: "هذا صحيح! أخشى أنني أعاني من رهاب الطيران".

فما كان من رجل الأعمال إلا أن قال: "هون عليك". وبدأ منتعشًا بمشروبه، وتحدث بكلمات فعلية بدلًا من الشخير، وتابع قائلاً: "الطيران هو أكثر أشكال السفر أمانًا على الإطلاق. إذ لم يحدث حادث تحطم طائرة تجارية منذ وقت طويل جدًا؛ على الأقل ليس في هذا البلد".

فقلت ماري وورث: "لا مشكلة لدي مع الطيران".

وكانت قد احتست نصف زجاجة الصغيرة، وبدأت تعمل، فتورد خداه، وتألقت عيناها، وتابعت قائلة: "في الواقع، أنا لم أسافر على متن طائرة منذ وفاة زوجي قبل خمس سنوات. وكنا قبل ذلك نسافر معًا على متن الطائرة ثلاث أو أربع مرات في السنة. أشعر وأنا على متن الطائرة بأنني أقرب إلى الله".

وكان ما قالته كان إشارة، إذ سرعان ما أجهش طفل بالبكاء. فما كان من رجل الأعمال إلا أن جال بناظره في مقصورة الطائرة المزدحمة بالركاب هازئًا.

عندها، تابعت ماري وورث في الموضوع الأساسي: "يقولون إن السفر جواً أكثر أمانًا بخمسين مرة من السفر بالسيارة، وربما أكثر. ربما كان أمانًا أكثر بمئة مرة".

فقال رجل الأعمال: "وأنا أقول إنه أكثر بخمسة مرة". ثم انحنى أمام ديكسون ومدّ يده إلى ماري وورث. وكانت تلك أعجوبة؛ إذ استطاعت ماري تحويل اللفظ إلى شخص لطيف قال لها: "أنا فرانك فريمان".

فصافحته مبتسمة. جلس كريغ ديكسون بينهما، مستقيمًا

وبائسًا، ولكن عندما عرض عليه فريمان يده صافحها بدوره.
قال فريمان ضاحكًا: "هذا رائع! أعلم أنك خائف، ولكنك
تعرف المثل القائل: الأيدي باردة، لكن القلب دافئ". ثم ارتشف
ما تبقى من شرابه دفعةً واحدة.

كانت بطاقات الائتمان الخاصة بديكسون تعمل دائمًا؛ فهو
يقيم في فنادق الدرجة الأولى، ويتناول وجبات فاخرة، وقد
يقضي بعض الليالي الممتعة، أو يدفع مبلغًا إضافيًا لقاء بعض
النزوات...

كان لديه أصدقاء من بين خبراء الاضطراب الآخرين،
وكانوا طاقمًا متماسكًا، لا يرتبط بعضهم ببعض بسبب المهنة
فحسب، بل بسبب مخاوفهم أيضًا.

الراتب يمكن وصفه بأنه أكثر من جيد، بالإضافة إلى مزايا
إضافية. ولكن في مثل هذه الأوقات، جميع تلك المزايا تفقد
قيمتها. ففي مثل هذه الأوقات، لا يبقى شيء سوى الخوف.
سيكون كل شيء على ما يرام! انتهى كل شيء دائمًا على ما
يرام.

كانت هذه الفكرة أضعف من أن تصمد وهو ينتظر حدوث
العاصفة القذرة، وهذا ما جعله بالتأكيد جيدًا في هذا العمل.
أربعة وثلاثون ألف قدم، إنها مسافة مرتفعة.

4

اضطراب الهواء الصافي.

لطالما توقعه ديكسون، ولكنه لم يكن يومًا مستعدًا له. كانت
الطائرة أليد تسعة عشر، تحلق في مكان ما فوق ولاية

كارولينا الجنوبية عندما حدثت الضربة هذه المرة. في تلك الأثناء، كانت امرأة تتوجه إلى المرحاض في الجزء الخلفي من الطائرة، فيما كان شاب يرتدي الجينز وذو لحية أنيقة ينحني متحدثًا إلى امرأة تجلس على مقعد بجانب الممر إلى الجانب الأيسر، ثم ضحكا على شيء ما، وكانت ماري وورث تغفو وهي تسند رأسها إلى النافذة، بينما كان فرانك فريمان قد احتسى نصف الزجاجاة الثالثة من الشراب ويتناول كيسه الثاني من المقرمشات.

فجأة، قفزت الطائرة قفزة عملاقة إلى الأعلى، وأصدرت صوتًا هائلًا.

فطارت المرأة التي كانت في طريقها إلى المرحاض عبر الصف الأخير من المقاعد وارتطمت على الأرض، كما طار الشاب ذو اللحية إلى الحاجز العلوي، ورفع يده في الوقت المناسب لتخفيف الضربة. ومثله طار العديد من الركاب ممن لم يربطوا أحزمة الأمان، وارتفعوا وكأنهم عديمو الوزن، فيما انطلقت صرخات من عدة اتجاهات. انخفضت الطائرة وكأنها حجز في بئر، ثم ارتدت، وبعد ذلك ارتفعت مرة أخرى، ومالت في النهاية في الاتجاه الآخر.

حينها، كان فريمان يرفع مشروبه إلى فمه، فانسكب عليه وبلل ثيابه، فصرخ: "اللعة!"

أغمض ديكسون عينيه وانتظر الموت. كان يعرف أنه لن يموت إذا أدى عمله؛ فهو هنا من أجل ذلك، ولكن هذه الفكرة تتكرر؛ وهو ينتظر الموت دائمًا.

أصدر المكبر صوت "دينغ دونغ"، ثم سَمع صوت الطيار:

"معكم الكابتن". كان صوت ستيوارت يجسد ذلك الوصف الشائع الذي يقال عن بعض المذيعين الرياضيين: صوت رائع مثل الجانب الناعم من الوسادة.

قال ستيوارت: "يبدو أننا واجهنا بعض الاضطرابات غير المتوقعة. أيها السادة..."

غير أنَّ الطائرة ارتفعت من جديد بشكلٍ مروع؛ وبدأ الأمر وكأنَّ ستين طنًا من المعدن تُرمى إلى الأعلى مثل قطعة ورقٍ متفحمة في مدخنة، وتلا ذلك سقوط وارتطام وضجيج، الأمر الذي تسبب بمزيد من الصراخ.

ارتفعت تلك السيدة التي كانت متوجهة إلى المرحاض من جديد، وتراجعت إلى الخلف، ثم سقطت على ذراعيها، وبعد ذلك سقطت على مقاعد الجهة اليمنى، بينما جثم الرجل ذو اللحية في الممر ممسكًا بمسندَي الذراعين على الجانبين.

فانفتحت خزانتيان أو ثلاث من الخزائن العلوية، وسقطت الأمتعة.

مجددًا قال فريمان: "اللعنة!"

واستأنف الطيار حديثه قائلاً: "لقد أنرت علامة حزام الأمان. أعتذر بشأن هذا يا رفاق، سنعود إلى الأجواء الهادئة..."

غير أنَّ الطائرة سرعان ما بدأت بالارتفاع والهبوط في سلسلة من الحركات المضطربة، وكأنها حُرِّقَفَز في بركة.

وتابع الطيار: "... خلال لحظاتٍ قليلةٍ فقط، اهدؤوا وانتظروا!"

ثم هبطت الطائرة، وبعد ذلك ارتفعت مرةً أخرى، وارتفعت

معها حقائب اليد في الممر وسقطت وتدحرجت.

كانت عينا كريغ ديكسون مغمضتين الآن، وقلبه يعمل بسرعة كبيرة، وشعر بحموضة الأدرينالين في فمه، ثم تسلت يذ إليه، ففتح عينيه.

كانت ماري وورث تحقق إليه، وقد امتقع لون وجهها، واثسعت عيناها.

سألت: "هل سنموت يا سيد ديكسون؟"

نعم. كان يفكر: سوف نموت هذه المرة.

غير أنه قال: "لا. سنكون جميعنا بخير".

شعر الركاب كما لو أن الطائرة تصطدم بجدار إسمنتي، فاندفعوا إلى الأمام، مع أنهم ربطوا أحزمة الأمان، ثم انحرفوا باتجاه المقاعد ثلاثين درجة، أربعين، خمسين. وعندما تأكد ديكسون من أن الطائرة تكاد تنقلب بالكامل، استعادت وضعيتها الصحيحة.

سمع ديكسون صراخ الناس، وانتحب طفل، وصاح رجل: "لا بأس يا جولي. هذا طبيعي، كل شيء على ما يرام".

فأغمض ديكسون عينيه مجدداً، وأفسح المجال للرعب كي يسيطر عليه بالكامل. كان الأمر مريعاً، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة أمامه.

رأهم يتراجعون. لم يتوقفوا هذه المرة، بل تساقطوا بشكل كلي مع الجاذبية. رأى الطائرة الكبيرة وهي تفقد مكانها وسط الغموض الديناميكي الحراري الذي كان يكبحها سابقاً، ورأى مقدمتها ترتفع بسرعة، ثم تتباطأ، ثم تنحني نحو الأسفل مثل

سيارة تدور وهي غارقة في لجة عميقة، ورأى الطائرة وهي تؤدي مشهد الختام.

ارتطم الركاب الذين فقدوا أحزمتهم بالسقف الآن، وتطايرت أقنعة الأكسجين مثل الحشرات الصفراء في الهواء في آخر مشهد لها، ورأى الطفل يطير نحو الأمام ويختفي في درجة رجال الأعمال، وهو ينتحب.

رأى الطائرة تصطدم، وتتحول مقدمتها ومقصورة الدرجة الأولى إلى باقة متفتحة من الفولاذ في طريقها إلى الانفجار، فيما تصاعدت الأسلاك المعدنية والبلاستيكية والأطراف المقطوعة بحرية مثل النيران. سحب ديكسون نفسًا عميقًا ملأ رئتيه مثلما تمتلئ أكياس الورق.

حدث كل هذا في ذهن ديكسون خلال ثوان معدودة؛ ثلاثين ثانية، أو أربعين على الأكثر، وربما كان واقعياً جدًا. ولكن الطائرة استقرت بعد ذلك؛ بعد ارتدادها مرة أخرى. وعندها فتح ديكسون عينيه.

كانت ماري وورث تحقق إليه بعينين ممتلئتين بالدموع، وقالت: "ظننت أننا سنموت، بل كنت واثقة أننا سنموت. لقد رأيت ذلك".

وقد فكر ديكسون في ذلك أيضًا.

كان وجه فريمان أخضر، وبدا طيبًا وهو يقول: "هذا كلام فارغ! فنظرًا إلى الطريقة التي صنعت بها هذه الطائرات، يمكنها أن تطير وسط إعصار، لقد.."

غير أنه سرعان ما تجشأ وخرج سائل من فمه فتوقف عن

الكلام. وعلى الفور، أخرج فريمان الكيس من الجيب الموجود في الجزء الخلفي من المقعد أمامه، ثم فتحه ووضعه على فمه، وتلا ذلك صوت ذكر ديكسون بشيء صغير ولكن فعال: مطحنة القهوة.

توقف الصوت، ثم عاد من جديد.

انطلق المكبر: "دينغ دونغ"، وصوت الكابتن ستيوارت: "آسف من أجل ذلك يا رفاق".

لا يزال الصوت رائعًا مثل الجانب الناعم من الوسادة.

"قد يحدث هذا من وقت إلى آخر. وهذه ظاهرة جوية صغيرة نطلق عليها اسم "اضطراب الهواء الصافي". الأخبار الجيدة هي أنني اتصلت بإدارة الطيران، وسوف يقومون بتوجيه الطائرات الأخرى لتجنب منطقة الاضطراب تلك. أما الأخبار الأفضل فهي أننا سنهبط خلال أربعين دقيقة، وأنا أضمن لكم رحلة سلسة في ما تبقى من الطريق".

فضحكت ماري وورث وقالت: "لقد سبق له أن قال ذلك".

في تلك اللحظة، كان فرانك فريمان يطوي الجزء العلوي من الكيس الذي استخدمه، وكأنه يمتلك خبرة في ذلك، وقال مفسرًا: "لم يكن ذلك بفعل الخوف. لا تفهم الموضوع بهذا الشكل، إنه مجرد دوار الحركة القديم. فأنا لا أستطيع حتى الجلوس على المقعد الخلفي للسيارة من دون أن أصاب بالغثيان".

قالت ماري وورث: "سأستقل القطار في طريق عودتي إلى بوسطن. لقد اكتفيت من الطيران، شكرًا جزيلاً".

شاهد ديكسون المضيفات وهنّ يتأكدن أولاً من أن الركاب الذين لم يربطوا أحزمة الأمان بخير، ثم حاولن إخلاء الممر من الأمتعة المتساقطة، وضجت المقصورة بالثرثرة والضحك العصبي.

شاهد ديكسون واستمع، وراحت نبضات قلبه تعود إلى طبيعتها. لقد كان متعبًا كما يكون دائمًا بعد إنقاذه طائرة مليئة بالركاب.

مضت بقية الرحلة بسلاسة، تمامًا كما وعد القبطان.

5

أسرعت ماري وورث للحصول على أمتعتها التي ستصل إلى الحزام الناقل رقم اثنين في الطابق السفلي، بينما حمل ديكسون حقيبة صغيرة واحدة، وتوقف لشرب شيء في مقهى ديوارز، ودعا رجل الأعمال للانضمام إليه، ولكن فريمان هز رأسه قائلاً: "لقد حجزت طيرانًا مستمرًا إلى مكان ما على خط ساوث كارولينا وجورجيا، وأظن أن رحلتي على وشك الانطلاق. حظًا موفقًا في عملك في ساراسوتا، سيد ديكسون".

فأوماً ديكسون الذي كان مجال عمله في الخط نفسه بين كارولينا الجنوبية وجورجيا، وقال: "شكرًا لك".

وفيما كان يُنهي شرابه، وصلتته رسالة نصية. كانت من المُسهّل، وتحتوي على كلمتين لا أكثر: عملٌ جيد.

استقل المصعد نحو الأسفل، حيث وقف رجلٌ يرتدي بذلة داكنة ويعتمر قبعة سائق، ويحمل قطعةً من القماش عليها

اسم ديكسون الذي قال: "هذا أنا، أين حجزت لي؟"

فأجاب السائق: "في فندق ريتز كارلتون، إنه لطيف جدًا".

إنه لطيف بالطبع، وثمة جناح فاخر سيكون بانتظاره، وربما يطل على الخليج. ستكون في خدمته سيارة مستأجرة تنتظره في مرأب الفندق، إذا رغب في زيارة أحد الشواطئ القريبة أو الشواطئ المحلية الجذابة. كما سيجد في الغرفة مُغلَّفًا يحتوي على قائمة بمختلف الخدمات التي بمقدوره الحصول عليها.

غير أنه لن يستفيد من هذه العروض العظيمة هذه الليلة؛ فكل ما يريده الليلة هو النوم.

وعندما خرج مع السائق إلى الرصيف، رأى ماري وورث تقف بمفردها، وبدأت نظرتها تنم عن شيء من اليأس. كانت تضع الحقائق المتطابقة على جانبيها، وتحمل هاتفها في يدها.

قال ديكسون: "سيدة وورث".

فنظرت إليه وابتسمت قائلة: "أهلاً سيد ديكسون، لقد نجونا، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح. هل تنتظرين شخصاً؟ إحدى صديقاتك؟"

أجابت: "كان يفترض بالسيدة ييغر-كلوديت أن تصل، لكن سيارتها تعطلت. أظن أنني سأتصل بشركة أوبر".

فتذكر ديكسون ما قالته ماري وورث في الطائرة عندما خفت حدة الاضطراب أخيراً. تلك الثواني الأربعون بدت وكأنها أربع ساعات: "كنت واثقة أننا سنموت. لقد رأيت ذلك".

قال لها: "لست بحاجة إلى القيام بذلك. يمكننا أن نوصلك

إلى سيستا كي". وأشار إلى سيارة الليموزين، ثم التفت إلى السائق وسأله: "ألا نستطيع؟"

"بالطبع، نستطيع يا سيدي".

فنظرت إليه متشككة: "هل أنت متأكد من ذلك؟ لقد تأخر الوقت كثيرًا".

ولكنه قال: "سيكون من دواعي سروري، هيا بنا".

6

جلست ماري وورث بارتياح على المقعد الجلدي، ومدت ساقها ثم قالت: "أوه، هذا جميل. لا شك في أنك ناجح جدًا في أعمالك يا سيد ديكسون؛ مهما تكن هذه الأعمال".

فأجابها: "ناديني كريغ أرجوك. أنت ماري، وأنا كريغ، لا داعي للرسميات بيننا؛ لأنني أريد التحدث إليك".

ثم ضغط على زر جانبي، فارتفع زجاج الخصوصية.

راقبت ماري وورث ذلك بتوتر إلى حد ما، ثم التفتت إلى ديكسون وسألته: "لن تعتدي عليّ، أليس كذلك؟ هل تنوي ذلك؟"

فابتسم مطمئنًا: "لا، أنت في أمانٍ معي. قلت إنك ستعودين على متن القطار، فهل تعين ذلك حقًا؟"

"بالتأكيد. هل تتذكر ما قلته في الطائرة عن أنّ الطيران يشعرني بأنني أقرب إلى الله؟"

"نعم، أذكر ذلك".

"لم أشعر بذلك بينما كنا نقذف مثل الكرة على ارتفاع ستة

أو سبعة أميال في الهواء، لم أشعر بذلك على الإطلاق، بل شعرت فقط بأنني موشكة على الموت".

"ألن تستقلي الطائرة مرة أخرى؟"

فكرت في السؤال وهي تراقب أشجار النخيل، ووكالات السيارات، وأكشاك الوجبات السريعة التي تبتعد بسرعة بينما تنحدر مع ديكسون جنوبًا على طريق تاميامي، ثم قالت: "أفترض أنني سأضطر إلى ذلك إذا كان شخص ما على فراش الموت مثلاً، وكان علي الوصول إليه بسرعة. أنا لا أعرف من سيكون هذا الشخص الآن؛ إذ إنني لا أملك الكثير من الأقارب في حياتي، وأنا وزوجي الراحل لم نرزق بالأطفال. وقد رحل والدي، ولم يترك لي هذا سوى عدد قليل من أبناء عمومتي الذين نادرًا ما يرسلون لي بريدًا إلكترونيًا، وأنا لا أراهم إلا صدفة".

ففكر ديكسون: هذا أفضل وأفضل.

ثم قال: "ولكنك ستكونين خائفة لو سافرت على متن الطائرة".

عندها، نظرت إليه مرة أخرى بعينيها الواسعتين وقالت: "نعم. فقد اعتقدت حقًا أننا سنموت لو تفككت الطائرة في السماء، أو تحطمت وانفجرت على الأرض".

فقال ديكسون: "سأعرض عليك فكرة افتراضية. لا تضحكي لو سمحت، بل فكّري في الأمر بجدية".

"حسنًا".

"لنفترض أن هناك منظمة مهمتها الحفاظ على سلامة

الطائرات".

فقلت ماري وورث وهي تبتسم: "هناك منظمة بالفعل، أعتقد أنها تسمى إدارة الطيران الفيدرالية".

"لا أقصدها. لنفترض أنها منظمة تستطيع أن تتوقع متى ستواجه إحدى الطائرات خطورةً واضطرابًا غير متوقع في أي رحلة".

فصفت ماري وورث بيديها تصفيقًا ناعمًا، واتسعت ابتسامتها، وقالت: "إذًا، لا شك في أن العاملين في هذه المنظمة منجمون! أعني الأشخاص الذين...".

فقاطعها ديكسون: "الأشخاص الذين يتوقعون ما سيحصل في المستقبل". وحدث نفسه: أليس هذا ما يحدث؟ الأمر غير مستبعد، وإلا فكيف يحصل "الفُسْهْل" على معلوماته؟ وتابع قائلاً لماري وورث: "لكن لنفترض أن قدرتهم على توقع المستقبل تقتصر على هذا الشيء الوحيد".

"لماذا يحدث ذلك؟ لماذا لا يكونون قادرين على توقع نتائج الانتخابات، أو كرة القدم، أو سباق الخيل؟"

فأجاب ديكسون: "لا أعرف". واعتقد أنهم قادرون على ذلك، وقادرون ربما على توقع كل أنواع الأشياء. ربما كان الفُسْهْل من المنجمين، ولكن ديكسون لا يهتم، وتابع كلامه: "الآن، سأذهب في الافتراض أبعد قليلًا. لنفترض أن السيد فريمان كان مخطئًا، وأن الاضطرابات من النوع الذي واجهناه الليلة كانت أكثر خطورة بكثير مما يتصوره أي شخص، أو يرغب في الاعتراف به؛ بما في ذلك شركات الطيران، ولنفترض أيضًا أن هذا النوع من الاضطراب لا يمكن النجاة منه إلا إذا

كان هناك راكب واحد على الأقل موهوب ومذعور في كل طائرة من تلك الطائرات". وتوقف ديكسون عن الكلام قليلاً ثم تابع: "ولنفترض أن ذلك الراكب الموهوب والخائف على متن رحلة الليلة، كان أنا".

وعلى الفور، أطلقت ضحكة مرحة، ولكنها أوقفتها عندما لاحظت أنه لم ينضم إليها.

"ماذا عن الطائرات التي تحلق وسط الأعاصير يا كريغ؟ أعتقد أن السيد فريمان ذكر شيئاً عنها قبل أن يحتاج إلى استخدام الكيس الورقي للتقيؤ؟ ربما تنجو تلك الطائرات من اضطرابات أقوى وأساء مما شهدناه هذا المساء".

فقال ديكسون: "لكن الأشخاص الذين يقودون تلك الطائرات يعرفون ما يتورطون فيه، وهم مستعدون ذهنياً له. وينطبق الشيء نفسه على العديد من الرحلات الجوية التجارية؛ إذ سيأتي الطيار قبل الإقلاع ويقول: "أيها الرفاق، أعذر بشدة، ولكننا سنواجه رحلة صعبة بعض الشيء الليلة، لذا أبقوا أحزمة الأمان مشدودة".

عندها، قالت: "لقد فهمت. يستطيع الركاب المجهزون ذهنياً استخدام... أعتقد أنك ستسميها القوة التخاطيرية الموحدة لرفع الطائرة. إنها مجرد اضطرابات غير متوقعة تستدعي وجود شخص ما بالفعل مُعَدُّ لذلك. مرعوب... موهوب... لا أعرف كيف تصف شخصاً مثله؟"

فقال ديكسون بهدوء: "خبير في الاضطرابات الجوية. هكذا تستطيعين وصفه، وهكذا تستطيعين وصفي أيضاً".

"أنت تمزح".

"بل أنا كذلك، وأعلم بالتأكيد أنك تفكرين الآن في أنك تركبين مع رجل يعاني من وهم خطير، ولا يمكنك الانتظار للخروج من هذه السيارة. ولكن في الواقع هذه وظيفتي، وأنا أتقاضى أجرًا جيدًا..."

"من يوظفك؟"

"لا أعرف. ثمة رجل يتصل بي، أنا وغيري من خبراء الاضطرابات الجوية الآخرين. يوجد بضع عشرات منا، ونحن نطلق عليه اسم "الفسهل". وفي بعض الأحيان، تمر أسابيع بين المكالمات، قد تكون مرة واحدة كل شهرين، ولكنني تلقيت اتصالاً هذه المرة بعد يومين فقط. وصلت إلى بوسطن بعد مهمة في سياتل، فوق جبال روكي..." ومسح فمه بيده. لم يكن يريد أن يتذكر ذلك، ولكنه تذكر على أي حال، وتابع: "سأقول فقط إن الأمر كان سيئًا. ونتج عن الاضطراب تحطم أذرع بعض الركاب".

في تلك اللحظة، انعطفت السيارة، فنظر ديكسون من النافذة ورأى لوحة كتب عليها "سيستا كي، على بعد ميلين".

قالت: "إذا كنت جادًا، فلماذا تقوم بهذا العمل بحق الله؟"

أجابها: "الأجر جيد، ووسائل الراحة جيدة، وأنا أحب السفر، أو كنت أحبه على أي حال. فبعد خمس أو عشر سنوات، تصبح جميع الأماكن متشابهة، ولكن في الغالب..." ثم انحنى واحتضن إحدى يديها بيديه. ظن أنها قد تبتعد، ولكنها لم تفعل، بل راحت تنظر إليه بافتتان، وتابع: "أنا أنقذ الأرواح. كان هناك أكثر من مئة وخمسين شخصًا على متن الطائرة الليلة. شركات الطيران لا تسميهم أشخاصًا فقط، بل تسميهم

أرواحًا، وهذه هي الطريقة الصحيحة للتعبير عن الأمر. لقد أنقذت مئة وخمسين روحًا هذه الليلة، وأنقذت الآلاف منذ أن بدأت بهذا العمل وحتى الآن". ثم هز رأسه مستدرجًا: "لا، بل عشرات الآلاف".

عندها، قالت ماري وورث: "ولكنك تشعر بالرعب في كل مرة. لقد رأيتك الليلة يا كريغ، لقد كنت في حالة رعب عارمة، وكذلك كنت أنا؛ على عكس السيد فريمان الذي تقياً فقط لأنه كان يعاني من دوار الجو".

فقال ديكسون: "ليس بإمكان السيد فريمان القيام بهذه المهمة إطلاقًا. إذ لا يمكنك القيام بالمهمة إلا إذا كنت مقتنعةً بأنك ستموتين في كل مرة يبدأ فيها الاضطراب، مع أنك تعلمين أنك موجودة أصلاً للحيلولة دون موت أحد".

وهنا تحدث السائق بهدوء من جهاز الاتصال الداخلي: "خمس دقائق يا سيد ديكسون".

قالت ماري وورث: "يجب القول إن حديثنا هذا كان رائعًا. هل لي أن أسأل كيف حصلت على هذه الوظيفة الفريدة في المقام الأول؟"

فأجاب ديكسون: "لقد جئدت، وأنا أجندك الآن".

ابتسمت، ولكنها هذه المرة لم تضحك، بل قالت: "حسنًا، سأدخل في اللعبة. لنفترض أنك نجحت في تجنيدي؟ فماذا ستفعل؟ هل ستتقاعد مبكرًا؟ أم ستحصل على مكافأة؟"

قال ديكسون: "صحيح". شحسَم سنتان من خدمته المستقبلية، وهذه هي المكافأة: سيتقاعد قبل عامين من

التاريخ المحدد.

لقد قال الحقيقة بشأن دوافع الإيثار والغيرية، مثل إنقاذ الأرواح، ولكنه قال الحقيقة أيضًا حول الإرهاق الذي أصبح يمثله السفر بالنسبة إليه بعد كل هذه الخدمة؛ وهذا ينطبق أيضًا على إنقاذ الأرواح عندما يكون ثمن ذلك لحظات لا نهائية من الرعب في السماء العالية.

هل يجب أن يخبرها أنها إذا دخلت فلن تتمكن من الخروج؟ ربما يجب عليه ذلك، ولكنه لن يفعل.

انعطفت السيارة في الطريق الدائري نحو شقة على شاطئ البحر. وهناك وقفت سيدتان هما بلا شك صديقتا ماري وورث.

سأل ديكسون: "هلا تعطيني رقم هاتفك؟"

أجابته: "لماذا؟ ألكي تتمكن من الاتصال بي؟ أو حتى تتمكن من تمرير الأمر إلى رئيسك في العمل؛ ذلك الفسهل؟"

فقال ديكسون: "إنه رئيسي السابق تقريبًا."

صمتت وراحت تفكر قليلًا. كانت الصديقتان ترقصان فرحًا وحماسة بانتظارها، ثم فتحت ماري محفظتها، وأخرجت بطاقة سلمتها إلى ديكسون وهي تقول: "هذا رقم هاتفني الخلوي. يمكنك أيضًا التواصل معي على رقم مكتبة بوسطن العامة."

فضحك ديكسون وهو يقول: "عرفت أنك أمينة مكتبة."

قالت: "الجميع يعرفون ذلك. إنه عملٌ مملٌ قليلًا، ولكنه يكفي لدفع الإيجار، كما يقولون." فتحت الصديقتان الباب،

وصرختا ترحيبًا بها وكأنهما تريان نجمة روك.
فيما قال ديكسون: "توجد مهنٌ أكثر إثارة".

عندها، نظرت إليه بجدية وقالت: "ثمة فرقٌ كبير بين الإثارة المؤقتة والخوف المميت يا كريغ؛ وأعتقد أن كلينا نعرف ذلك".

لم يستطع أن يجادلها في هذا الشأن، ولكنه لم يعتبر ذلك رفضًا نهائيًا.

ترجل وساعد السائق في إنزال حقائبها، بينما احتضنت ماري وورث الأرملتين اللتين التقتهما في غرفة الدردشة عبر الإنترنت.

7

عادت ماري إلى بوسطن، وكادت أن تنسى كريغ ديكسون عندما رنَّ هاتفها ذات ليلة. كان المتصل رجلًا ذا لغة طفيفة جدًا. وتحدثا لفترة طويلة.

في اليوم التالي، كانت ماري وورث على متن رحلة غيتواي التي تحمل الرقم ستمئة وأربعة وتسعين، المنطلقة من دون توقف من بوسطن إلى دالاس، وكانت تجلس خلف الجناح الأيمن، في المقعد الأوسط، وقد رفضت أي شراب أو طعام. ضرب الاضطراب أوكلاهوما.

لوري

1

بعد مرور ستة أشهر على وفاة زوجته التي قضى معها قرابة أربعين عامًا من الحياة المشتركة، قادت أخت لويدي سندرلاند السيارة من بوكا راتون إلى راتسنيك لزيارته.

أحضرت معها جرو كلب أنثى رمادية داكنة وقالت إنها نتيجة تزاوج بوردر كولي ومودي، لكن لويدي لم تكن لديه فكرة عن هذا المودي، ولم يهتم.

"لا أريد كلبة يا بيت. بل أستطيع القول إن الكلبة هي آخر شيء أريده في العالم؛ فأنا بالكاد أستطيع الاعتناء بنفسى".

فقالت وهي تفك رباط الكلبة التي لا يزيد حجمها عن حجم لعبة: "هذا واضح. كم فقدت من وزنك حتى الآن؟"
"لا أعرف".

عندها، نظرت إليه متفحصة وقالت: "ربما خمسة عشر رطلًا، هذا ما بقي منك لا أكثر. سأحضرك الشجق مع الخبز المحمص. هل لديك بيض؟"

فقال لويدي: "لا. أريد نقانق مقلية". وراح يراقب الكلبة التي جلست على السجادة البيضاء، ولاحظ أنه ترك بطاقة اتصال مرمية هناك، لا يدري منذ متى، كما لاحظ أن سجادته تحتاج إلى تهوية، وربما تحتاج إلى تنظيف، ولكنها حتى الآن لم تتلوث بالبول. وكانت الكلبة تنظر إليه بعينيها الكهرمانيتين.

ألحت الأخت: "هل لديك بيض؟"

"نعم، ولكن..."

"والنقانق؟ بالطبع لا. فأنت تعيش غالبًا على الحساء الجاهز. سأشتري لك بعض النقانق من المتجر. سأنظر إلى ثلاجتك وأرى ما الذي تحتاج إليه أيضًا."

تكبره أخته بخمس سنوات، وهي في الحقيقة من ربته بعد وفاة والدتهما. في طفولته، لم يكن يخالف لها أمرًا، ولكنها كبيران الآن، ومع ذلك لا يستطيع أن يخالف لها أمرًا؛ لا سيما بعد رحيل ماريان. فبعد رحيل زوجته، شعر لويد بثقب يتسع داخل أحشائه. قد يتعافى، وقد لا يتعافى، ولكنه يشعر أن عمر الخامسة والستين متأخرٌ بعض الشيء على محاولات تجربة أشياء جديدة، ولذلك لن يقبل هذه الكلبة.

ما الذي فكّرت فيه بيتي بحق الله؟!

قال وهو يقف خلفها فيما هي تُنقب في الثلاجة: "لن أحتفظ بالكلبة. أنت اشتريتها، ويمكنك إعادتها."

"لم أشتريها. خرجت الأم - وكانت من فصيلة بوردر كولي الأصلية - وعاشت كلب الجيران مودي. وقد تمكّن المالك من بيع الجراء الثلاثة الأخرى، ولكنه لم يجد أحدًا يرغب في هذه القزمة. لذا، أوشك المالك - وهو مزارع يقود شاحنة صغيرة - على أخذها إلى الملجأ. وعندما قرأت اللوحة المعلقة على عمود الهاتف، والتي تفيد: "من يريد كلبة..."

فقاطعها لويد وهو لا يزال ينظر إلى الجرو التي راحت تبادله النظرات أيضًا: "وفكّرت أنني أريدها."

لاحظ لويد أن أذني الكلبة تحتلان الجزء الأكبر من رأسها.

"صحيح".

فقال: "أنا حزينٌ يا بيت". بيثي هي الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يوضح أمامها مشاعره بهذه الصراحة.

قالت: "وأنا أعرف ذلك". ثم هزت الزجاجات في الملاجئة المفتوحة، واستطاع أن يرى ظلها على الحائط وهي تنحني لتعيد ترتيبها. ذكرته بطائر اللقلق الذي يمسح المكان بحثًا عن الطعام. إنها لقلق بشري، ومن المحتمل أنها ستعيش إلى الأبد.

قالت: "يحتاج الإنسان الحزين إلى شيء يشغله، إلى شيء يرباه. هذا ما خطر في بالي عندما رأيت تلك اللوحة. في الحقيقة، لم أفكر في الجملة المكتوبة، من يريد كلبة، بل فكرت في من يحتاج إلى كلبة؛ وهو أنت. أوه! يا الله، إن هذه الملاجئة مزرعة للعفن، تجربة علمية من تجارب دروس العلوم، أشعر بالأسف الشديد".

في تلك اللحظة، وقفت الكلبة على قوائمها، وخطت بتردد نحو لويد، ثم بذلت رأيتها (على افتراض أن الكلاب تملك رأيًا)، ثم جلست مرة أخرى.

قال لويد: "احتفظي بها لنفسك".

أجابت: "هذا غير ممكن، فجيم يعاني من الحساسية".

"لديك قطتان يا بيتي، ألا يتحسس جيم منهما؟"

"إنه يتحسس، ويكفيه ما يعانيه معهما. إذا كان هذا ما تشعر به تجاه الكلبة، فساخذها إلى مأوى الحيوانات على شاطئ بومبانو، حيث ستنتظر لمدة ثلاثة أسابيع قبل أن ينفذوا بحقها القتل الرحيم. انظر إليها، إنها كائن صغيرٌ وجميل. انظر

إلى هذا الفراء الرمادي. أرجو أن يأخذها شخص ما قبل انتهاء
المدة".

فأدار لويد عينيه من دون أن تلاحظ حركته هذه. كان يؤدي
هذه الحركة في كثير من الأحيان، منذ أن كان في الثامنة من
عمره؛ حين تهدده بيت بضربه على مؤخرة بمضرب التنس
إذا لم ينظف غرفته. بعض الأشياء لا تتغير مطلقًا.

قال: "احزموا الأمتعة، إننا ننطلق في إحدى الرحلات
مدفوعة التكاليف التي تقودها بيت يونغ".

وحين أغلقت الثلاجة وعادت إلى غرفة المعيشة، نظرت
إليها الجرو، غير أنها استأنفت تفحص لويد وهي تقول: "أنا
ذاهبة إلى المتجر، حيث أتوقع أن أنفق أكثر من مئة دولار.
سأحضر لك الفواتير كي تدفعها لي".

قال: "وماذا علي أن أفعل في هذه الأثناء؟"

أجابته: "لماذا لا تتعرف إلى الكلبة التي سترسلها إلى غرفة
الإعدام؟"

ثم انحنت لترت على الجزء العلوي من رأس الكلبة، وقالت:
"انظر إلى هاتين العينين المفعمتين بالأمل".

رأى لويد في العينين الكهرمانيتين مجرد عينين فضوليتين.
"ماذا يفترض بي أن أفعل إذا بالت على السجادة ذات الوبر
الكثيف؟ لقد اشتريتها ماريان قبل أن تمرض مباشرة".

فأشارت بيت إلى المقود المتصل بالظوق الموضوع حول
عنق الجرو، وقالت: "أخرجها، وعزفها إلى حديقة ماريان
وأزهارها. وبالمناسبة هذه السجادة قذرة".

ثم أمسكت حقيبتها، وتوجهت نحو الباب.

فقال لويد: "الحيوان الأليف أسوأ هدية يمكن تقديمها. لقد قرأت ذلك على الإنترنت".

فأكملت: "حيث كل شيء صحيح، حسبما أعتقد".

وصمتت لتنظر إليه مجدداً، فظهرت آثار شمس أيلول القاسية في الساحل الغربي لفلوريدا على وجهها. تأمل الطريقة التي غرق فيها أحمر الشفاه داخل التجاعيد الصغيرة حول فمها، والطريقة التي تدلى بها جفناها السفليان بعيداً عن عينيها، وراقب الأوردة الهشة التي تنبض في جوف صدغها.

ستبلغ السبعين من العمر قريباً. إنها أخت كبيرة في السن، وعنيدة، ورياضية، وتستمتع بالنقاش، ولا تخضع لأحد؛ مثله تمامًا.

كان الأخوان دليلاً على أن الحياة في الأساس ليست أكثر من حلم قصير في ظهيرة أحد أيام الصيف. لكن بيثي لا تزال تمتلك حلمها. فهي متزوجة، ولديها ابنان بالغان، وأربعة أحفاد. إنها نموذج جميل عن مضاعفة الأعداد.

كان لدى لويد ماريان، ولكن ماريان رحلت، ولم يكن لديها أبناء. والآن، أعليه أن يستبدل بزوجته هذه الكلبة الهجينة؟ كانت الفكرة مبتذلة مثل بطاقة هولمارك، وغير واقعية تمامًا. "لن أحتفظ بها".

فرمقته بالنظرة نفسها التي نظرت بها إليه عندما كانت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها؛ تلك التي كانت تهدد باستخدام

مضرب التنس على مؤخرته، ثم قالت: "بل ستفعل. على الأقل، حتى أعود من المتجر. عندي بعض المهام لأنجزها أيضًا، ولن أخاطر بأخذها معي؛ فقد تموت بسبب الحر لآنها لا تزال صغيرة".

أغلقت الباب خلفها، وذهبت تاركةً لويد سندرلاند، الرجل المتقاعد، والأرمل منذ ستة أشهر، وغير المهتم في هذه الأيام كثيرًا لا بالطعام ولا بغيره من متع الحياة الأخرى، وهو يجلس محددًا إلى الزائرة غير المرحب بها فوق سجاده ذات الوبر الكثيف.

تبادل نظرة مع الكلبة، وسألها لويد: "ما الذي تنظرين إليه أيتها الحمقاء؟"

فنهضت الكلبة وتقدمت نحوه. كانت تتبخر في مشيتها، وكأنها تفتح طريقًا عبر الأعشاب العالية. جلست مرة أخرى على قائمتها اليسرى، وراحت تنظر إلى الأعلى. عندها، أخفض لويد يده متوقعًا أن تعضها، ولكنها لعقتها بدلًا من ذلك.

فأمسك لويد بمقود الحبل الشبيه بالعبة، وربطه بالطوق الوردي الصغير الخاص بالكلبة، ثم قال: "هيا، فلنبتعد عن السجادة اللعينة قبل أن نلوئها ونندم".

ثم سحب المقود، غير أن الكلبة جلست مكتفية بالنظر إليه. عندها، تنهد لويد وحملها، فلعلقت يده مرة أخرى. نقلها إلى الخارج، ووضعها على العشب. كان العشب طويلًا ويحتاج إلى قص، وكادت الكلبة تختفي بينه. لقد كانت بيت محقة عندما وصفت الأزهار بالفضيحة؛ فنصف الأزهار ماتت مثل ماريان. جعلته هذه الفكرة يبتسم؛ وهذا بدوره أشعره بأنه شخص

سيئ لأنه فكر في هذه المقارنة.

بدت حركة الكلبة أكثر وضوحًا بين الأعشاب. مشيت حوالي اثنتي عشرة خطوة، ثم أخفضت مؤخرتها في النهاية وبالت.
"جيد. ولكنني ما زلت مصرًا على ألا أحتفظ بك".

ساوره الشك للحظة في ألا ترافق الكلبة بيت في رحلة العودة إلى بوكا، بل أن تبقى هذه الزائرة غير المرغوب فيها هنا معه، في منزله، على بعد نصف ميل من الجسر المتحرك الذي يربط الجزيرة الفرعية بالبر الرئيسي.

لن ينجح الأمر. هذا مستحيل! فهو لم يسبق له أن اعتنى بكلبة في حياته. ولكن ماذا لو تركها لديه إلى أن يجد شخصًا يأخذها؛ إذ ستمنحه الكلبة شيئًا ليفعله غير مشاهدة التلفاز أو الجلوس أمام الحاسوب ولعب السوليتير وتصفح المواقع التي كانت مثيرة للاهتمام في مرحلة التقاعد الأولى، ولكنها الآن أصبحت مملة حتى الموت.

عندما عادت بيت بعد ساعتين تقريبًا، وجدت لويد ممددًا على كرسيه المريح، فيما الكلبة نائمة على السجادة.

أخته التي يحبها دائمًا - ولكنها كانت تزعجه طوال حياته - أزعجته اليوم كعادتها؛ خصوصًا عندما عادت وقد اشترت أكثر بكثير مما توقع.

كانت تحمل كيسًا كبيرًا من طعام الكلاب (العضوي بالطبع)، ووعاء كبيرًا من اللبن العادي الذي يقوي الجهاز الهضمي للكلبة ذات الأذنين الغضروفيتين الراداريتين عند إضافته إلى طعامها.

أحضرت بيت أيضًا مفارش مخصصة لتبول عليها الكلاب، وسريزًا لها، وثلاثة ألعاب للعض، تصدر اثنتان منها صريزًا مزعجًا، وركنًا مسورًا يستخدم لمنع الأطفال من التجول، وقد يفيد في تقييد حركة الجرو ليلاً كما قالت.

صرخ: "يا إلهي يا بيثي! كم كلف ركن الأطفال هذا؟"

فقالت وهي تتهذب من السؤال بطريقة يعرفها جيدًا: "لم يكلفك شيئًا. فهو على حسابي. والآن، بعد أن اشتريت كل هذه الأشياء، هل زلت مصرًا على رفض الكلبة؟ إذا كنت كذلك، فيمكننا إرجاع كل شيء."

تعود لويد أن يهزم أمام أخته، فقال: "سأحاول، ولكنني لا أقدر أن أكون مثقلًا بالمسؤولية؛ فقد كنت أنت من يتحمل المسؤولية دائمًا."

قالت: "بالتأكيد. هذا كان دوري بعد رحيل أُمي وغياب والدي إثر إدمانه على الشراب. كان علي أن أكون كذلك... والآن، ماذا بشأن التكيف؟"

"جيد."

"هل بالت على السجادة؟"

"لا."

"ستفعل قريبًا." في الواقع، بدت بيت سعيدة بالفكرة، واستدركت: "ماذا ستسميها؟"

فكر لويد في أنه إذا أطلق عليها اسمًا فهذا يعني أنها غدت ملكًا له، ولكنه يشك الآن في أنها صارت ملكه منذ أن لعقت يده للمرة الأولى.

وهكذا كانت علاقته مع ماريان؛ تعلقًا من القبلة الأولى. فكّر:
هذه مقارنة غبية أخرى، ولكن هل يمكن منع ذلك؟
وهل يمكنك التحكم بالطريقة التي يفرز فيها عقلك الأمور؟!
بالطبع لا، وإلا لكان بمقدورك أن تسيطر على أحلامك.
"لوري".

"ولماذا لوري؟"

"لا أعرف. لقد خطر لي هذا الاسم الآن".

قالت: "حسنًا، لا بأس".

وتبعتهما لوري إلى المطبخ بخطوات متمايلة.

2

غطى لويد السجادة البيضاء بالمفارش المخصصة لبول
الكلاب، ووضع ركن الأطفال المسور في غرفة نومه (طقطق
أصابعه خلال ذلك)، ثم دخل مكتبه، وشغل حاسوبه، وبعد
ذلك بدأ بقراءة مقال بعنوان "إذا كان لديك جرو جديد".

وبعد أن قرأ نصفه، لاحظ أن لوري تجلس بجوار حذائه،
وتنظر نحوه إلى الأعلى، فقرر أن يطعمها. وفيما كان في
طريقه إلى المطبخ، وجد بركة من البول في الممر ما بين
المطبخ وغرفة المعيشة، على بعد ست بوصات من أقرب
مفرش مخصص لبول الكلاب.

عندها، حمل لوري ووضعها قرب بركة البول، وقال: "ليس
هنا". ثم وضعها على المفروش الجديد وقال: "بل هنا".

فنظرت إليه، ثم تمايلت باتجاه المطبخ، حيث استلقت

بجانب الموقد وراحت تحك أنفها بمخْلِبيها، ثم عادت لمراقبته. فما كان من لويد إلا أن أخذ بضعة مناديل ورقية وقام بتنظيف البول، وفكّر في أنّه سيستهلك عددًا كبيرًا منها في الأيام القادمة، وربما على الدوام.

نظف تلك البركة، ولم تكن كبيرة جدًّا، ثم وضع ربع كوب من طعام الكلاب- وهو المقدار الذي أوصى به المقال الذي كان يقرؤه- وخلطه مع الزبادي في وعاء الحبوب، وقَدَّمه للكلبة الصغيرة التي تقدمت مسرورةً وبدأت بتناول وجبتها.

راقبها لويد قليلًا، ثم رنَّ هاتفه. إنها بيت، وكانت تتصل من موقف استراحة في مكانٍ ما في البراري يدعى "زقاق التمساح".

قالت له: "يجب أن تأخذها إلى طبيبٍ بيطري. نسيت أن أقول لك ذلك".

فقال: "عرفت هذا بمفردي يا بيتي". إذ كان قد قرأ ذلك في المقال السابق نفسه.

ولكنها استرسلت في الكلام وكأنه لم يقل شيئًا؛ وهي سمةٌ أخرى يعرفها جيدًا، وقالت: "أعتقد أنها ستحتاج إلى الفيتامينات وأدوية الديدان القلبية (8) بالتأكيد، بالإضافة إلى مادةٍ تقضي على البراغيث والقراد؛ إنها حبوبٌ تخلط مع طعامها. وكما تعلم، ستحتاج في ما بعد للإخلاء، ولكن ليس قبل بضعة أشهر".

قال: "نعم، هذا إذا احتفظت بها حتى ذلك الوقت".
في تلك اللحظة، أنهت لوري طعامها، فتوجَّهت إلى غرفة

المعيشة. وبدأ تمايلها أكثر وضوحًا بعد امتلاء معدتها. عندها، فكر لويد في أنها تبدو ثملة قليلًا.

وتابعت أخته على الهاتف: "تذكر أن تمشيها".

فقال: "صحيح". كل أربع ساعات وفقًا للمقال أيضًا، ولكنه طلب سخيًا! فهو لن يستيقظ عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل لأخذ ضيفته غير المرغوب فيها في نزهة إلى الخارج.

كانت قراءة الأفكار إحدى تخصصات أخته الأخرى، فقالت له في هذه اللحظة: "ربما تفكر في عبء الاستيقاظ المزعج عند منتصف الليل".

فقال مؤكّدًا: "هذا ما يخطر في ذهني الآن".

غير أنها تجاهلت هذا - كما تفعل دائمًا - وقالت: "ولكن، إذا كنت صادقًا بشأن إصابتك بالأرق منذ رحيل ماريان، فلا أعتقد أن هذا الأمر سيكون صعبًا".

"إنهما التفهم والاهتمام الشديد اللذان عودتني عليهما!"

"راقب سير الأمور؛ هذا كل ما أقوله لك. أعط الصغيرة فرصة". وبعد أن صمتت هنيهة تابعت: "أنا قلقة عليك يا لويد. فقد عملت في شركة تأمين لمدة أربعين عامًا تقريبًا، ويمكنني أن أخبرك بأن الرجال في عمرك ينبغي أن يركضوا كثيرًا لتجنب أخطار الإصابة بالأمراض بعد وفاة الزوجة. وتؤدي هذه الأمراض إلى الموت بالطبع".

وحين لم يقل لويد شيئًا سألته: "هل أنت موافق؟"

فسألها وكأنه لا يعرف: "علام؟"

"هل ستمنحها فرصة؟"

كانت بيت تضغط عليه من أجل انتزاع وعد منه بالتزام لم يكن مستعدًا له. راح ينظر حوله وكأنه يبحث عن الإلهام، فلمح كتلة من الغائط مثل قطعة وحيدة من النقانق الصغيرة؛ حيث كانت بركة البول بالضبط، على بعد ست بوصات من أقرب مفرش لقضاء الحاجة.

وعندها قال: "حسنًا، الصغيرة هنا الآن".

كان هذا أفضل ما استطاع أن يقوله لأخته، وتابع وهو ينهي المكالمة: "قودي بأمان، رافقتك السلامة".

"لم أتجاوز سرعة خمسة وستين طوال الطريق. تجاوزتني جميع السيارات، وأطلق بعضها الأبواق انزعاجًا، ولكنني لم أسرع قط؛ فأنا لا أثق في نتائج السرعة على سيارتي".

فقال: "وداعًا". وأمسك ببعض المناديل الورقية والتقط بها الغائط، ثم نظف المكان، فيما راقبته لوري بعينيها العنبريتين. أعادها إلى الخارج، حيث لم تفعل شيئًا، ثم تابع قراءة المقال المتعلق بتربية الجراء. وبعد ذلك بعشرين دقيقة، وجد بركة جديدة من البول في الممر، على بعد ست بوصات من أقرب مفرش لقضاء الحاجة.

عندها، انحنى واضعًا يديه على ركبتيه، وتحدث بنبرة التحذير المعتادة: "هذه آخر فرصة لك أيتها الكلبة".

فنظرت إليه.

وفي وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، عثر على بقعتين

من البول؛ وكانت إحداها في الواقع على المفروش القريب من المطبخ. فسحب لويد مقود الطوق الصغير، وأخذ لوري إلى الخارج، حاملاً إياها في ثنية ذراعه مثل كرة القدم. وحين صارا في الخارج، وضعها أرضاً وحثها على السير على الطريق الذي يمتد خلف المنازل. أدى الطريق إلى قناة ضحلة تدفقت في نهاية المطاف تحت الجسر المتحرك. في تلك الأثناء، كانت حركة مرور السيارات متوقفة، بانتظار عبور سفينة من خليج أوسكار إلى خليج المكسيك.

تبخترت لوري في مشيتها المعتادة إلى جوار لويد، وتوقفت بين الحين والآخر لكي تشم كتل الأعشاب التي ربما بدت لمخلوق صغير مثلها كأشجار الغابة الكثيفة التي لا يمكن اختراقها. وتابعا السير إلى أن وصلا إلى معبر متهاك يُعرف باسم: "درب الأميال الستة". لم يعرف لويد سر هذه التسمية قط؛ إذ إنَّ طوله لا يتجاوز ميلاً واحداً.

امتدّ الدرب جانبياً على طول القناة، فلمح لويد جاره دون الذي يعيش في البيت المجاور واقفاً هناك بين اللوحات التي كتبت عليها مجموعة متنوعة من التعليمات: لا ترمِ القمامة هنا، الصيد ممنوع... ونحو الأسفل قليلاً، كانت هناك لوحة كُتِبَ عليها تحذير: "احذر من التماسيح"، ولكنَّ شخصاً ما شطب كلمة التماسيح، وكتب بدلاً منها: "الكائنات الغريبة".

كانت رؤية دون بيتشر منحنياً على عكازه المصنوع من خشب الماهو غاني الفاخر، وهو يُعاني، تمنح لويد دائماً إحساساً بسيطاً - ولكن لا لبس فيه - بالرضى. كان الرجل عبارة عن صندوق موسيقي مليء بالآراء السياسية المملة،

وكان أيضًا متبلد المشاعر مثل نوع من الطيور التي تتغذى على الجيف؛ فلو مات أي شخص في الحي، فسيعرف ذلك أولاً من دون شك. وإذا واجه شخص ما من الحي مصاعب مالية، فسيعرف ذلك أيضًا.

لم يعد ظهر لويد كما كان عليه بالتأكيد، ولا عيناه ولا أذناه، ولكنه لا يزال على بعد سنوات من استعمال العكاز؛ أو هذا ما كان يأمله.

قال دون عندما انضم لويد إليه على الممشى الخشبي: "انظر إلى هذا اليخت. ما عدد الفقراء الذين يمكنهم أن يسدوا رمقهم به؟"

(ربما كانت لوري خائفة من الماء، فقد ظلت بعيدة ومعلقة في نهاية مقودها).

"لا أظن أنه حتى الجياع يستطيعون أن يأكلوا قاربًا يا دون."

"أنت تفهمني يا لويد، ماذا لديك هنا؟ جرو جديد؟ هل هو لطيف؟"

قال لويد: "إنها لطيفة! وأنا أحتفظ بها من أجل أختي."

فقال دون وهو يميل إلى الأمام ويمد يده: "مرحبًا يا صغيرتي."

لكن لوري تراجعت، ونبحت للمرة الأولى منذ أن أحضرتها بيت: نبحت مرتين بصوت مرتفع وحاد، تلاهما الصمت. فنهض دون وسأل: "ليست ودودة جدًا، أليس كذلك؟"

فقال لويد: "إنها لا تعرفك."

عندها، سأله دون: "هل تتغوط في كل مكان؟"

فأجاب لويد: "لا. الأمر ليس بهذا السوء".

ثم صمتا قليلاً وهما يراقبان اليخت. ربّما كان اليخت ملكاً لأحد أصحاب الثروات الذين يعيشون في الطرف الشمالي من جزيرة راتلسنيك.

جلست لوري على حافة الممشى الخشبي المتداعي وهي تراقب لويد.

وقال دون: "لن تقبل زوجتي بأن أحضر كلبًا. فهي تقول إنه يسبب الفوضى والمتاعب. كنت أرعى كلباً عندما كنت صبيًا، كلبة كولي، وكانت كبيرة ولطيفة، غير أنّها سقطت في البئر. كان غطاء البئر متآكلًا، فوقع فيها. وعندها، اضطررت إلى سحبها بذلك الشيء".

"هل هذا صحيح؟"

"نعم. عليك أن تنتبه من تلك الآبار القريبة من الطريق؛ فقد تسقط فيها، وعندها ستفقدّها إلى الأبد. انظر إلى حجم هذا القارب اللعين! أراهن بعشرة سنتات أو بدولار كامل على أنه سيرسو".

لكن اليخت لم يتوقف، بل تحرك مرة أخرى بعد إغلاق الجسر المتحرك، وانطلاق حركة المرور. وحين نظر لويد إلى الكلبة الصغيرة رآها نائمة على جانبها. وعندما التقطها، فتحت عينيها، ولعقت يده، ثم عاودت النوم.

"يجب أن أعود وأتناول شيئًا على العشاء. خذ الأمور ببساطة يا دون".

فأجاب دون: "خذها ببساطة أنت أيضًا، وراقب هذه الكلبة،
وإلا فستعض كل ما تملكه".

"لديّ بعض الألعاب التي يمكنها أن تعضها".

فابتسم دون، وكشف عن مجموعة من الأسنان غير
المتطابقة التي أصابت لويد بالقشعريرة، ثم قال: "ستفضل
قطع الأثاث الخاص بك، انتظر وسترى".

4

تلك الليلة، وبينما كان يُشاهد الأخبار على شاشة التلفاز،
اقتربت لوري من كرسيه المريح ونبتحت بحدة مرتين
متواليتين، فأخذ لويد نظرتها إليه بعين الاعتبار، وحاول أن
ي زن الإيجابيات والسلبيات، ثم التقطها ووضعها في حضنه،
وقال: "بليني مرة واحدة وسأقضي عليك".

غير أنها لم تبлле، بل غفت وهي تضع أنفها تحت ذيلها. راح
لويد يداعبها وهي نائمة، فيما كان يشاهد عبر هاتفه الخليوي
مشاهد لهجوم إرهابي في بلجيكا. وعندما انتهى الخبر، أخذ
لوري إلى الخارج مرة أخرى باستخدام المقود الذي ربطه
بطوقها، وتركها تمشي إلى حافة طريق أوسكار، حيث جلست
القرفصاء وتبرزت وبالت.

"فكرة جيدة، افعلي ذلك دائمًا".

وعند الساعة التاسعة، غطى ركن الأطفال بطبقة مزدوجة
من المفارش المخصصة لبول الجراء، وفكر في أن عليه شراء
المزيد منها غدًا، ومعها المزيد من المناديل الورقية. وضع
لوري في الداخل، فجلست تراقبه. وعندما أعطاه بعض الماء

في فنجان شاي، احتضنته لبعض الوقت، ثم استلقت وهي لا تزال تراقبه.

بعد ذلك، خلع لويد ملابسه، واستلقى على السرير من دون أن يكلف نفسه عناء سحب الغطاء. إذ كان يعرف من خلال التجربة أنه لو سحبه في المساء فسيجده في الصباح التالي على الأرض؛ ضحية لحركاته الليلية غير الإرادية. هذه الليلة، نام على الفور تقريبًا، ولم يستيقظ حتى الساعة الثانية من بعد منتصف الليل على صوت صرخات مرتفعة.

استلقت لوري وأنفها بارز من بين قضبان ركن الأطفال مثل سجين وحيدة في الزنزانة الانفرادية. كان هناك العديد من قطع النقانق على المفارش المخصصة لبول الجراء. عندها، فكّر لويد في أن عدد المتجولين في طريق أوسكار سيكون قليلًا في مثل هذه الساعة المتأخرة؛ مما سيقلل من احتمال انزعاج المارة من رؤية رجل يرتدي سروالًا داخليًا وقميصًا ضيقًا. وعلى الفور، انتعل حذاء كروكس الخاص به وحمل ضيفته (هكذا كان ينظر إلى لوري حتى الآن) إلى الخارج، ووضعها على الدرب، فتمايلت قليلًا، واستنشقت رائحة منبعثة من تجمع قريب لفضلات الطيور، ثم بالت عليها، ففكّر في سرّه مرة أخرى في أنه عليها التمسك بهذه الفكرة.

بعد ذلك، جلست ونظرت إلى الطريق الفارغ، بينما نظر لويد إلى النجوم.

ظن أنه لم يَرَ الكثير من النجوم، ثم قرر أنه رأى الكثير من دون شك، ولكن منذ وقتٍ طويل جدًا.

وحاول أن يتذكر آخر مرة كان فيها خارج البيت عند

الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، ولكنه لم يستطع. نظر إلى مجرة درب التبانة شبه مفتون، حتى أدرك أنه يكاد ينام واقفًا، فأعاد الكلبة إلى الداخل.

راقبته لوري بصمت وهو يُبدل المفارش التي لوثتها، وكانت هناك أيضًا بقع صفراء صغيرة على اثنتين منها، ولكنه عاد للقلق مباشرة بعد أن وضعها في ركن الأطفال، ففكر في أخذها معه إلى السرير، ولكنها فكرة سيئة جدًا، وفقًا لمقال: "إذا لديك جرؤ جديد!" فقد ذكرت الكاتبة سوزان موريس (الحاصلة على دكتوراه في الطب البيطري) بشكلٍ صريحٍ لا لبس فيه أنه "بمجرد أن تبدأ بالسير على هذا الطريق، فستواجه صعوبة كبيرة في العودة إلى الوراء". هذا بالإضافة إلى إمكانية الاستيقاظ صباحًا والعثور على واحدة من تلك النقانق البنية الصغيرة على جانب السرير، في المكان الذي كانت زوجته تنام فيه. لم تعجبه الفكرة؛ إذ لن يبدو الأمر غير محترم من الناحية الرمزية فحسب، بل سيعني ذلك أيضًا تغيير ملاءات السرير، وهو عمل روتيني لم يحبه مطلقًا.

ذهب إلى الغرفة التي كانت ماريان تسميها: العرين، وكانت معظم أغراضها لا تزال هناك؛ لأنه على الرغم من نصائح أخته الملحة بأن يقوم بما عليه القيام به، إلا أن لويد لم يمتلك ما يكفي من الشجاعة لتنظيف المكان الآن.

فمنذ وفاة ماريان، أبعدته الرفاق عن هذه الغرفة. إذ كان مجرد النظر إلى الصور الموجودة على الحائط مؤلمًا، لا سيما عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل؛ فهو يصدق أن مشاعر المرء تكون أكثر حساسية في الساعات الأولى من

اليوم، ولا تعود إلى طبيعتها قبل الخامسة؛ أي عندما تبدأ أولى أشعة الشمس بالظهور.

لم تحصل ماريان على جهاز آي باد تماشيًا مع الحداثة، بل احتفظت بمشغل الأقراص الليزرية الذي كانت تستخدمه أثناء ممارسة التمارين الرياضية مرتين أسبوعيًا، وكانت تحتفظ بمجموعة من تلك الأقراص على الرف؛ فوق مجموعتها الصغيرة من الألبومات.

فتح علبة البطارية، ولم يلحظ تلف أي واحدة من البطاريات الثلاث. تفحص الأقراص، وتوقف قليلًا عند "هول أند أوتس"، ثم انتقل إلى أعمال "جوان بايز" الأكثر شهرة. وبعد ذلك، وضع القرص المضغوط، وحركه بشكل مناسب، ثم أغلق الغطاء، وأخذه معه إلى غرفة النوم.

عندما رآته لوري توقفت عن الأنين. ضغط على زر التشغيل، فبدأ "جوان بايز" في أداء أغنية: "في تلك الليلة عندما رحلوا، سقط ديكسي العجوز".

وضع مشغل الأقراص المضغوطة على أحد المفارش المخصصة لبول الكلبة الجديدة، فشتمه لوري، ثم استلقت على الأرض إلى جانبه. وكاد أنفها يلامس الملصق على الجهاز، والذي كُتب عليه "تعود ملكية هذا الجهاز إلى ماريان سندرلاند".

"هل سيساعدني هذا على النوم؟ أتمنى ذلك، يا إلهي".

عاد إلى السرير، ووضع يديه تحت الوسادة. كان يشعر بالبرد، وراح يستمع إلى الموسيقى.

بكى عندما غنى بايز أغنية: "شابة طوال العمر"، واستدعى هذه الأغنية من ذاكرته البعيدة، وتوقع الكلمات، وأخيرًا نام.

5

انتهى شهر أيلول مفسحًا المجال أمام تشرين الأول. إنه الشهر الأفضل في السنة في شمال ولاية نيويورك، حيث عاش مع ماريان حتى تقاعد. وبحسب رأي لويد، (المتواضع كما يقولون على الفيسبوك) إنه أفضل شهر هنا على الساحل الغربي لفلوريدا.

فقد انقضت فترة الحر الشديد، مع استمرار الأيام الدافئة، ومع اقتراب شهري كانون الثاني وشباط بلياليهما الباردة، مع الكثير من طيور الثلج أيضًا. وبدلاً من فتحه وإغلاقه خمسين مرة في اليوم، كان جسر أوسكار المتحرك يعيق حركة المرور عشر مرات يوميًا أو نحو ذلك فقط؛ الأمر الذي يُخفف من الاختناقات المرورية.

أعيد افتتاح مطعم بيت الأسماك في راتلير بعد إغلاقه لمدة ثلاثة أشهر، وسمحت إدارته باصطحاب الجراء إلى الفناء المجاور له. لذا، كان لويد يصطحب لوري إلى هناك كثيرًا، حيث يسير الاثنان على طول مسار "الأميال الستة" بجانب القناة. وحين كانا يصلان إلى الأماكن المغطاة بأعشاب المنشار على الممر، كان لويد يحملها إلى أن يتجاوزها، ثم يتركها فتخب بسهولة تحت أغصان الشجيرات المتدلية، والتي كان على لويد أن يشق طريقه من خلالها منحني الرأس، وذراعه ممدودة لدفع الكتل الكثيفة؛ وهو الذي خشي دائمًا أن يسقط فأر الأشجار في شعره، رغم أن هذا لم يحدث

مطلقًا.

وحيث كانا يصلان إلى المطعم، كانت لوري تجلس بهدوء بجانب حذائه تحت أشعة الشمس. وفي بعض الأحيان، كانت تكافأ على حسن سلوكها بقطعة من البطاطا المقلية من سلة لويديز للأسماك والبطاطا. كانت كل النادلات يداعبنها، وينحنين للمس فرائها الناعم ذي اللون الرمادي الشبيه بلون الدخان.

شحرت بها المضيئة برناديت بشكل خاص، وكانت تقول دائمًا: "هذا الوجه" كما لو أن هذه الجملة تشرح كل شيء. كانت تركع إلى جانب لوري، مما يمنح لويديز رؤية ممتازة لجزء كبير من صدرها؛ الأمر الذي كان ينتظره كل مرة باهتمام بالغ. تقبلت لوري هذا الاهتمام، من دون أن تبدو تواقّة إليه، بل جلست ببساطة وراحت تتفحص المعجبة الجديدة قبل أن تحوّل انتباهها إلى لويديز من جديد. ربما كان جزء من هذا الاهتمام متعلقًا بالبطاطا المقلية، ولكن ليس كله؛ إذ كانت تنظر إليه باهتمام مماثل عندما كان يشاهد التلفاز وتظلّ كذلك إلى أن تنام.

بسرعة، تدرّبت على قضاء حاجتها. وعلى عكس توقعات دون، لم تشوه الأثاث بأسنانها، بل كانت تعض الألعاب الخاصة بها، والتي تضاعف عددها من ثلاث إلى ست إلى اثنتي عشرة، فجلب لويديز صندوقًا قديمًا لتخزينها فيه.

في الصباح، تتوجه لوري إلى الصندوق، وتضع قائمتيها الأماميتين على حافته، وتتفحص محتوياته مثل متسوقة تُقيم المنتج في المتجر، حتى تختار لعبتها أخيرًا، وتمضي

بها إلى الزاوية، وتستمر بمضغها إلى أن تشعر بالملل، وعندها تعود إلى الصندوق وتختار لعبةً أخرى. وتستمر على هذه الحال حتى نهاية اليوم؛ حيث تنتشر الألعاب في جميع أرجاء غرفة النوم وغرفة المعيشة والمطبخ، ليكون العمل الأخير الذي يقوم به لويد قبل الذهاب إلى السرير هو التقاطها وإعادتها إلى الصندوق. ليس بهدف إزالة الفوضى، بل لأنه يعرف أن إزالة الفوضى التي سببتها لوري منذ الصباح ترضيها.

كانت بيت تكثر من اتصالاتها لتطمئن على عاداته الغذائية، ولشكره بذكرى ميلاده واحتفالات الذكرى السنوية القديمة للأصدقاء والأقارب الأكبر سنًا، ولإبقائه على اطلاع دائم بمن مات منهم. وكانت تنهي اتصالاتها دائمًا بسؤاله عما إذا كانت لوري لا تزال في فترة الاختبار، فيجيب لويد في كل مرة بكلمة "نعم". واستمر الأمر كذلك حتى منتصف تشرين الأول.

إذ كانا قد عادا منذ وقتٍ قصيرٍ من مطعم بيت الأسماك، وكانت لوري تنام على ظهرها في وسط أرضية غرفة المعيشة، وكانت قوائمها متباعدة مثل أربع نقاط رئيسية تحدد اتجاهات البوصلة، فيما النسيم المنبعث من مكيف الهواء يحرك فراء بطنها. عندها، تأملها لويد بإعجابٍ وأدرك أنها جميلة. لم تكن هذه الفكرة نابعةً عن مشاعره، بل هي حقيقة من حقائق الطبيعة؛ تمامًا مثلما أحس بجمال النجوم عندما أخرجها للتبول آخر مرة هذا المساء.

ففي تلك الأمسية، قال لويد لأخته أثناء اتصالها المعتاد: "لا، أعتقد أننا تجاوزنا مرحلة الاختبار. لكن إذا عاشت بعدي يا

بيثي، فعليك أن تأخذها إلى بيتك، وليذهب جيم بحساسيته إلى الجحيم، أو جدي لها منزلًا جيدًا".

فردت عليه بيث: "سأكون نسخة منك أيتها البطة المطاطية".

وقد اقتبست بيثي لقب "البطة المطاطية" من أغنية شاحنات قديمة تعود إلى السبعينيات، وظلت متمسكة به منذ ذلك الحين. وهذا شيء آخر عن بيث يجده لويد محببًا ومزعجًا حتى القرف في الوقت نفسه.

قالت بصوت منخفض: "أنا سعيدة لنجاح الأمر. في الحقيقة، لم أتصور أن ذلك سيحدث".

فسألها لويد: "والآن، قولي الحقيقة. لماذا جلبتها لي؟" فأجابته: "أردت أن أجرب شيئًا. كنت أعرف أنك بحاجة إلى شيء يتطلب جهدًا أكبر مما تبذله للعناية بسمكتك الذهبية. هل تعلمت النباح؟"

فردّ لويد: "إنه أشبه بالنواح. وهي تصدره عندما يأتي ساعي البريد، أو شاحنة توصيل البضائع، أو عندما يأتي دون لتناول الشراب. صوتان فقط في كل مرة: يارك يارك، وتتوقف. بالمناسبة، متى ستزوريني؟"

"لقد كنت أنا من زارك آخر مرة، وahan دورك الآن لتزورني".
"يجب أن أحضر لوري معي، فمن المستحيل أن أتركها مع دون وإيفلين بيتشر".

كان ينظر إلى الكلبة النائمة، وأدرك أنه لن يتركها مع أي شخص، حتى خلال الرحلات القصيرة إلى السوبر ماركت.

إذ كان تركها يؤثره، ودائماً ما كان يشعر بالارتياح لدى رؤيتها
تنتظره عند الباب حين يعود إلى المنزل.

"إِذَا، أحضرها. فأنا أود أن أرى كم صار حجمها".

"وماذا عن حساسية جيم؟"

فأجابت: "فليذهب إلى الجحيم". ثم أنهت المكالمة وهي
تضحك.

6

بعد التذمر والصياح على لوري، نامت على المقعد الخلفي
طوال الرحلة، ولم تستيقظ إلا مرة واحدة كي تفرغ مثانتها
في الطريق إلى بوكا. استعادت بيت دورها كأخت كبرى،
ورتبت الأولويات التي قد تزعجه في بعض المواضع. وكانت
موهوبة في الإزعاج أيضاً. كانت مشكلتها الرئيسية هذه المرة
هي الدكتور أولبرايت، وضرورة إجراء فحص متأخر للويد.

قالت: "يجب أن أعترف بأنك تبدو بصحة جيدة، كما أنك
حصلت على سمرة جميلة؛ إذا افترضنا أنك لست مصاباً
باليرقان".

فأجابها: "إنها الشمس فقط. فأنا أخرج للتنزه مع لوري ثلاث
مرات في اليوم. إذ نذهب إلى الشاطئ عندما نستيقظ، ونسير
على طريق الأميال الستة باتجاه مطعم بيت الأسماك، حيث
أتناول الغداء، ثم أعود معها إلى الشاطئ في المساء كي
أشاهد غروب الشمس. إنها لا تهتم بذلك؛ إذ لا تهتم الكلاب
بذلك لأنها لا تمتلك أي حس جمالي، ولكنني أستمتع به".

"هل تتمشى وإياها على ممشى القناة؟ يا إلهي، لويدا إنه

ممشى متهالك، وربما ينهار أسفله في أي لحظة ويلقي بك في القناة، مع هذه الأميرة الصغيرة". ومشدت الجزء العلوي من رأس لوري.

فقال لويد: "لقد صمد هذا الممشى لمدة أربعين عامًا أو أكثر، وأعتقد أنه سيُعمر أكثر مني".

"هل حددت موعدًا مع الطبيب؟"

"لم أحدد، ولكنني سأفعل".

فأمسكت هاتفها، وقالت: "افعل ذلك الآن. لماذا لا تفعل ذلك؟ سأنتظرك".

كان يستطيع الحكم من خلال نظرتها أنها لا تتوقع منه أن يفعل، وكان هذا أحد الأسباب التي منعتة من الاتصال بالفعل، ولكنه ليس السبب الوحيد. ففي السنوات الأخيرة الماضية، كان يخشى الذهاب إلى الطبيب، وظل يتصور ذلك المشهد: (بالاستناد إلى عدد كبير جدًا من البرامج التلفازية)، عندما ينظر إليه الطبيب بجدية ويقول: "عندي بعض الأخبار السيئة".

لكنه الآن يشعر بالارتياح. فقد أصبحت ساقاه مشدودتين عندما يستيقظ في الصباح؛ ربما بسبب المشي الطويل، كما صار ظهره أقل صريرًا من أي وقت مضى. ولكن عندما حوّل تركيزه إلى الداخل، لم يجد شيئًا مثيرًا للقلق. غير أنه كان يعلم بالتأكيد أن الأمور السيئة قد تنمو في جسد الرجل العجوز من دون أن يشعر بها لبعض الوقت، ثم تخرج دفعة واحدة من دون سابق إنذار. لكن أي شيء لم يندفع حتى اللحظة، ولا مقدمات أو أعراض خارجية، ولا براز دموي، أو

بلغم، ولا ألم عميق في الأمعاء، ولا صعوبة في البلع، ولا ألم عند التبول.

وجد أن لا أحد سيجد صعوبة في الذهاب إلى الطبيب عندما يخبره جسمه أنه غير مضطر للقيام بذلك.

قالت بيت حائرة: "لماذا تبتسم؟"

فأجابها: "لا شيء. أعطيني الهاتف".

وحاول أخذ هاتفها، لكنها أبعدته عن يده قائلة: "إذا كنت تريد الاتصال حقًا، فاستخدم هاتفك".

7

وبعد أسبوعين من إجراء الفحص، طلب منه الدكتور أولبرايت الحضور لمراجعة النتائج، وكانت جيدة. وقد قال له بالتفصيل: "وزنك في المعدل الطبيعي، وضغط دمك جيد، كما أن مستويات الكولسترول لديك أفضل من المرة الأخيرة التي سمحت لنا فيها بأخذ القليل من دمك..."

قال لويد: "أعرف. لقد مر وقت طويل، طويل جدًا".

"لن نأخذ قريبًا المزيد من الدم، ولا حاجة إلى إلزامك بالحمية؛ وهذا يعد انتصارًا في حد ذاته. فنصف مرضاي على الأقل ممن هم في عمرك يلتزمون بها".

فقال لويد: "أنا أمشي كثيرًا؛ إذ جلبت لي أختي جرّوا صغيرًا، كلبة".

"الجراء نعمة من الله لتنفيذ برنامج التمرين المثالي. وما عدا التمرين، كيف تتدبر الأمر؟ هل تأقلمت؟"

لم يكن أولبرايت بحاجة إلى أن يدخل في التفاصيل أكثر؛ إذ كانت ماريان مريضته أيضًا، وكانت أكثر التزامًا من زوجها بكثير في ما يتعلق بالفحوصات التي تجريها كل ستة أشهر. وكانت قادرة على ضبط كل شيء، فهي ماريان سندرلاند وهذه طبيعتها. لكن الورم كان أقوى منها؛ فقد سرق قدراتها أولاً ثم قتلها. وكان ذلك خارج نطاق الفحوص الاستباقية؛ إذ تكون عميقًا جدًا في الداخل.

قال لويد: "الأمر جيدة جدًا. فقد استعدت قدرتي على النوم، وصرت أذهب إلى السرير متعبًا في معظم الليالي؛ وهذا يساعدني".

"أسبب الكلبة؟"

"نعم، على الأرجح".

فقال أولبرايت: "عليك أن تتصل بأختك وتشكرها".

أعجب لويد بهذه الفكرة، فاتصل بأخته في ذلك المساء وشكرها، وأخبرته بيث أنها ترحب به دائمًا، ولا داعي للشكر.

وحين أخذ لويد لوري إلى الشاطئ للتنزه، راقب غروب الشمس، فيما وجدت لوري سمكًا ميتًا فبالت عليه، ثم عادا إلى المنزل راضيين.

8

بدأ يوم السادس من كانون الأول هذا العام بشكل عادي؛ بنزهة الشاطئ الصباحية ثم الفطور: "برغر جاينز" من أجل لوري، وبيضة مخفوقة وقطعة من الخبز المحمص من أجل لويد. وفي ذلك اليوم، لم يفكر لويد في أن هناك مأساة

ستحصل.

شاهد لويد الساعة الأولى من برامجه التلفازية، ثم ذهب إلى عرين ماريان. فقد حصل على عمل بسيط يتمثل بإجراء بعض الحسابات لصالح مطعم بيت الأسماك، ووكالة بيع السيارات في ساراسوتا. وهكذا، كانت الأمور تمضي حوله بشكل طبيعي وببطء، ولم يعاني من أي ضغوطات. فبالإضافة إلى تلبية احتياجاته المالية، كانت عودته إلى العمل مرة أخرى أمرًا جميلًا. وقد اكتشف أنه يحب مكتب ماريان أكثر من مكتبه، كما أحب موسيقاها أيضًا، وكان يفكر دائمًا في أن ماريان ستكون سعيدة إذا عرفت أنه يستخدم ركنها الخاص.

جلست لوري على جانب كرسيه، وراحت تعض لعبة الأرنب الخاصة بها بعناية، ثم أخذت قيلولة. وعند الساعة العاشرة والنصف، أنجز لويد عمله، فدفع حاسوبه إلى الوراء، وقال: "إنه وقت الوجبة الخفيفة يا حلوة".

فتبعته إلى المطبخ، واختارت للعض عصا من الجلد الخام. كان لدى لويد حليث وبعض البسكويت الذي صنعتته أخته بيت من أجله وحمله مع حزمة من الهدايا في طريق عودته من زيارتها. كان البسكويت محترقًا قليلًا من الأسفل، ولكنه صالح للأكل (وَتَعَدَّ كعكات ذكرى الميلاد المحروقة اختصاصًا أخريميز بيت).

قرأ لفترة لا يستطيع أن يحددها في مجلدات أعمال جون ساندفورد الضخمة. وفي النهاية، قاطع تركيزه صوت جلجلة مألوف.

كانت لوري تقف قرب الباب الأمامي، ومقودها مربوط

فوق المقبض، وراحت تمسح المشبك الفولاذي ذهابًا وإيابًا بخطمها. عندها، نظر لويد إلى ساعته، فوجد أنَّ الساعة قد أصبحت الثانية عشرة إلا ربعًا، فقال: "حسنًا، أنت محقة".

وعلى الفور، ربط مقودها بطوقها، وتفقّد جيبه الأمامي الأيسر للتأكد من أنه يحمل محفظته، ثم ترك لوري تقوده خارجًا نحو الضوء الساطع. وبينما كانا يتوجهان إلى درب "الأميال الستة"، رأى أنَّ دون قد بدأ بتركيب مجموعته المعتادة من الديكورات البلاستيكية المربعة الخاصة بالاحتفالات: مشهد المهد، وسانتا البلاستيكي الكبير (دنيس)، ومجموعة أخرى من التماثيل في الحديقة شكّلها بسوريالية، وقريبًا سوف يخاطر بحياته وهو يتسلق السلم لتركيب المصابيح الوامضة؛ الأمر الذي سيحول منزل بيتشر إلى أصغر وأروع مكان للقوارب النهرية في العالم.

في السنوات السابقة، كانت زينة دون تسبب الحزن للويد، ولكنها أبهجته اليوم.

كان عليه أن يقدر دون بيتشر بشكل أفضل دائمًا؛ فهو يعاني من التهاب المفاصل، ومن مشاكل في عينيه وظهره، ولكنه لم يستسلم قط. فبالنسبة إليه التزيين للكريسماس مهم. في تلك اللحظة، خرجت إيفلين إلى فناء البيت الخلفي، وكانت ترتدي معطفًا ورديًا زّرت أزواره بطريقة خاطئة، وكان ثمة نوع من المادة الكريمة الصفراء المائلة إلى اللون الأبيض تلتخ خديها، فيما بدا شعرها مبعثرًا في كل اتجاه.

أكد دون للويد أنَّ زوجته بدأت تفقد تركيزها قليلًا، ومظهرها اليوم يؤكد كلامه.

سألته: "هل رأيته؟"

نظرت لوري إلى الأعلى، وألقت التحية المميزة لها: يارك، يارك.

فاستفسر لويد: "من؟ هل تعنين دون؟"

"لا، أعني جون واين! بالطبع دون، من غيره؟"

فقال لويد: "لم أره".

عندها، قالت: "حسنًا. إذا رأيته، فاطلب منه أن يتوقف عن السخافة، ونصب الزخارف والديكورات اللعينة. فالأضواء معلقة في الأسفل، والحكماء لا يزالون في المرأب! هذا الرجل مجنون".

"سوف أخبره عندما أراه".

انحنت إيفلين فوق السور بشكل مثير للقلق وقالت: "ذكرني مجدًا، ما اسم هذه الكلبة الجميلة؟"

فأجاب لويد، كما فعل عدة مرات من قبل: "لوري".

"أوه، كلبة، كلبة، كلبة!" صرخت إيفلين بحماسة شكسبيرية، ثم قهقهت وقالت: "سوف أكون سعيدة عندما ينتهي الاحتفال بالكرسمس، أخبره بذلك أيضًا".

وما إن استقامت مجدًا حتى شعر لويد بالارتياح؛ إذ كان يشك في قدرته على الإمساك بها إذا سقطت. وحين عادت إلى الداخل، وقفت لوري على قوائمها، وهرولت نحو الممشى الخشبي، تجذبها روائح الطعام المقلي التي تهب من بيت السمك. فاستدار لويد معها، متشوقًا للحصول على قطعة من سمك السلمون المشوي فوق الأرز. فهو لم يعد من عشاق

الأشياء المقلية.

تعرجت القناة، وتخرج معها مسار "الأميال الستة" في هذا الاتجاه وذاك، محاطًا بالأعشاب البرية النامية بكثرة، فيما كانت بعض ألواح مفقودة هنا وهناك. توقفت لوري مؤقتًا لمشاهدة بجعة تغوص في الماء، ثم تخرج وهي تحمل في منقارها سمكة تتلوى، ثم واصلت لوري طريقها مع لويد، وتوقفت مجددًا عند بعض الأعشاب بين لوحين مشوهين، فرفعها لويد من بطنها، ولاحظ أنها أصبحت أكبر حجمًا الآن؛ بحيث لا يستطيع حملها في يده مثل كرة القدم.

وعلى بعد مسافة قصيرة، قبل المنحنى التالي، نمت بعض أشجار النخيل فوق الممشى الخشبي، وشكلت قوسًا منخفضًا كان بإمكان لوري الصغيرة المشي تحته، ولكنها توقفت فجأة، وتوجهت إلى الأسفل، فأمسك بها لويد، وانحنى ليرى ما كانت تنظر إليه. لقد كان عكاز دون بيتشر. وعلى الرغم من أنه كان مصنوعًا من خشب الماهو غاني القوي، إلا أنه متصدع في وسطه.

وحين رفعه لويد، رأى ثلاث أو أربع قطرات من الدم متناثرة على الخشب فقال: "هذا ليس جيدًا. أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب..."

لكن لوري اندفعت إلى الأمام، وأفلتت المقود من يده، واختفت تحت القوس الأخضر، فققع مقبض المقود وهو يدور خلفها. ثم نبحت، ولم يكن النواح المعتاد المزدوج، بل أطلقت وابلًا من الأصوات الأكر إلهاءًا؛ فانزعج لويد، وانحنى نحو قوس النخيل ملوحًا بالعصا في هذا الاتجاه

وذاك، محاولاً دفع الأغصان جانباً، فتراجعت الفروع، وخدشت خديه وجبهته. ثم رأى بعض قطرات الدم على الأغصان، وكان هناك المزيد من الدم على الألواح الخشبية.

على الجانب الآخر، وقفت لوري وباعدت بين قائمتيها الأماميتين، وأحنت ظهرها، ولامس أنفها الألواح. كانت تنبح على تمساح أخضر اللون داكن، طوله حوالي عشر أقدام على الأقل، وكان يحدق إلى لوري التي تنبح أمام عينيها الباهتتين.

كان التمساح مُمدداً فوق جسد دون بيتشر، وفمه العريض بأنياه الحادة يستريح على رقبة دون التي أحرقتها الشمس، فيما احتضنت قائمتاه الأماميتان القصيرتان المتقشرتان كتفي دون المجردتين من العظام.

كان هذا أول تمساح يراه لويد منذ رحلته مع ماريان إلى أدغال غاردنز في ساراسوتا، والتي كانت منذ سنوات بعيدة.

اختفى الجزء العلوي من رأس دون كلياً تقريباً، واستطاع لويد رؤية العظام المشقوقة من خلال ما بقي من شعر جاره. كان مجرى من الدم لا يزال رطباً، وكان يجف على خده. ورأى ما يشبه خيوطاً من دقيق الشوفان، ثم أدرك بعد لحظات أنها شيء من دماغ دون بيتشر الذي كان يستخدمه، ربما قبل دقائق فقط، ليفكر في أن هذا العالم عديم المعنى.

كان مقبض مقود لوري قد سقط على جانب الممشى الخشبي داخل القناة، ولكنها لم تكف عن النباح، فنظر إليها التمساح، ولكنه لم يتحرك. بدا الأمر غريباً بشكل ملحوظ، فصاح لويد: "لوري! توقف عن النباح، اسكتي".

فكر في إيفلين بيتشر وهي تقف في فنائها الخلفي مثل

ممثلة وسط المسرح باكية. أوه، كلبة، كلبة، كلبة!

توقفت لوري عن النباح، ولكنها استمرت في إصدار صوت مكتوم من حلقها. يبدو أن حجمها قد تضاعف مرتين؛ لأن فروها الرمادي الداكن بلون الغيم كان بارزًا؛ ليس فقط في مؤخر رقبتها، بل في جميع أنحاء جسمها. جثا لويد على إحدى ركبتيه، ومن دون أن يكف عن النظر إلى التمساح، أدخل يده اليسرى في القناة بحثًا عن المقود إلى أن وجد الحبل، فرفع المقبض نحو الأعلى، وأمسك به، ووقف على قدميه، وسحب المقود.

في البداية، شعر أنه يسحب عمودًا عالقًا في الأرض. إذ كانت لوري متخشبَةً إلى حدٍّ ما، ولكنها استدارت بعد ذلك نحوه. وعندما فعلت ذلك، رفع التمساح ذيله وأسقطه، ضاربًا سطح الماء؛ فتطايرت قطرات الماء، وارتج الممشى.

وعلى الفور، انكمشت لوري، وقفزت على حذاء لويد الرياضي. فأنحى والتقطها، من دون أن يكف عن النظر إلى التمساح. كان جسد لوري ينبض وكأنَّ تيارًا كهربائيًا يعبره، وكانت عيناها واسعتين بما يكفي ليرز بياض عينيها.

بدا لويد مذهولًا مثلها من رؤية التمساح وهو يمشي على جثة جاره الميت. وقد شغله ذهوله عن الشعور بالخوف. غير أنه عندما تمالك نفسه، تبين له أنَّ ما يشعر به لم يكن خوفًا، بل كان نوعًا من الغضب الوقائي، ففكَّ المقود من طوق لوري وأسقطه.

"اذهبي إلى المنزل. هل تسمعينني؟ اذهبي إلى المنزل، وسأكون خلفك مباشرة".

ثم انحنى، وهو لا يزال ينظر إلى التمساح الذي لم يكف بدوره عن النظر إليه. كان قد حمل لوري مثل كرة القدم عدة مرات عندما كانت أصغر سنًا، والآن حملها بالطريقة نفسها، ورمى بها من بين ساقيه مباشرة إلى داخل قوس النخيل. لم يكن هناك وقت ليتأكد مما إذا كانت ستذهب، فقد تقدم التمساح نحوه بسرعة مذهلة، ودفع جسد دون ورماه مسافة عدة أقدام خلفه بقائمتيه الخلفيتين، وفتح فمه أثناء دفعه إلى الخلف، كاشفًا عن أسنانه التي بدت مثل سياج اعتصام قذر، وعن لسانه الجلدي ذي اللون الأسود الوردي، فاستطاع لويد أن يرى أجزاء من قميص دون.

في تلك اللحظة، لوح لويد بالعكاز، ثم ضرب جانب رأس التمساح فوق إحدى عينيه الخاليتين من التعبير بشكل غريب، فتحطم العكاز على طول الشق في خشب الماهو غاني، ودارت القطعة المكسورة بعيدًا ثم سقطت في القناة. عندها، توقف التمساح للحظة وكأنه تفاجأ، ثم تقدم، حتى استطاع لويد سماع قعقة مخالبه. وبعد ذلك، فتح فمه، وانزلق فكه السفلي على طول الممشى الخشبي.

لم يفكر لويد في شيء، بل تولى زمام الأمور بشكل تلقائي، فأمسك بما تبقى من عكاز دون، وغرس الطرف الخشن في اللحم الأبيض إلى جانب رأس التمساح ممسكًا بمقبض العكاز بكليتي يديه، ثم انحنى إلى الأمام، ضاغظًا بكل ثقله، ودفع بالعصا بكل ما أوتي من قوة.

استطاع لويد دفع التمساح جانبًا لبرهة. غير أنه قبل أن يتمكن من التحكم بنفسه، سمع سلسلة سريعة من أصوات

التشققات، مثل طلاقات تندفع من مسدس رشاش، تبعها انهيار جزء من الممشى؛ الأمر الذي أدى إلى سقوط النصف العلوي من التمساح في القناة. حينها، ضرب بذيله الألواح الملتوية، وجعل جسد دون يقفز، فصار الماء عكراً. وعلى الفور، كافح لويد ليحافظ على توازنه، فتراجع بعد ظهور رأس التمساح، وطعنه مرةً أخرى فكسر فكيه. ومن دون أن يقصد التسديد، أدخل أسفل العصا في عين التمساح. ولو لم يترك لويد المقبض المنحني للعصا في اللحظة المناسبة، لكان التمساح قد سحبه إلى عمق الماء.

ثم استدار لويد واندفع عبر النخيل وهو يمد ذراعيه أمامه؛ مستعرضاً جميع الاحتمالات التي قد تحدث في تلك اللحظة: كأن يعضه التمساح من الخلف، أو يقذفه إلى الأعلى... إلا أن التمساح كان يسبح تحت الممشى الخشبي، في القاع الموحل، وهو يضرب الطريق خلفه بذيله، ثم خرج من الجانب الآخر وهو ملطخ بدماء دون، وينزف.

حينها، أدرك لويد أن لوري لم تذهب إلى المنزل، بل كانت تقف على بعد عشر أقدام منه. وعندما رآته، أسرعت نحوه؛ حتى إن قوائمها كان تضرب مؤخرتها لشدة سرعتها، ثم قفزت إليه، فأمسك بها لويد (مثل كرة القدم أيضاً)، وبعد ذلك ركض هارباً وهو لا يدرك أنها كانت تتلوى بين ذراعيه، وتئن، وتلعق وجهه من دون توقّف. وسيتذكّر ذلك لاحقاً ويقول إنها كانت تقبله بسعادة.

بعد أن خرج من الممشى الخشبي نظر خلفه بتلقائية؛ إذ كان يتوقّع أن يرى التمساح يلاحقهما على طول الممشى بسرعه

المخيفة والمفاجئة. وكان قد اجتاز نصف الطريق إلى منزله قبل أن تنضب طاقته ويجلس، فيما انهمرت الدموع من عينيه وارتعش جسده بالكامل، وظلّ ينظر إلى الخلف، مترقبًا التمساح، فيما ظلت لوري تعلق وجهه، ولكن ارتعاشها هداً قليلاً. وعندما شعر بأنه يستطيع المشي مجدداً، حمل لوري وسار في ما تبقى من الطريق إلى المنزل. وفي أثناء ذلك، داهمه الشعور بالإغماء مرتين، فاضطر إلى التوقف قليلاً.

وفيما كان على وشك الوصول إلى باب بيته الخلفي، عادت إيفلين إلى فناء منزلها الخلفي وبادرته بالقول: "ألا تعلم أنك حين تحمل كلباً بهذه الطريقة، فسيعتاد على ذلك ويتعبك؟ هل رأيت دون؟ لا يزال عليه أن ينهي تركيب زينة الكرسمس".

ففكر لويد في سرّه: ترى، ألم ترّ الدم أم أنها لا تريد رؤيته؟ غير أنه قال لها: "لقد وقع حادث".

فسألته: "أي نوع من الحوادث؟ هل اصطدم شخص ما بالجسر المتحرك اللعين مرّة أخرى؟"

عندها، قال لويد: "هلاً تدخلين إلى البيت؟"

ثم دخل بيته من دون أن ينتظر ليري ما إذا كانت قد فعلت ما طلبه منها أم لا. وفور دخوله، أحضر وعاءً جديداً من الماء للوري التي التفت حوله بصبر نافذ، وبينما كانت تفعل ذلك اتصل بالرقم 911.

لا بد أن الشرطة قد توجهت إلى منزل عائلة بيتشر فوراً بعد

استعادتها جثة دون، فقد سمع لويد صراخ إيفلين. لم تكن صرخات كثيرة، ولكنها بدت طويلة.

فتساءل: هل من الضروري أن يذهب إليها كي يحاول تهدئتها؟ ولكنه لم يشعر بأنه قادرٌ على فعل ذلك. فقد تعب كما لم يسبق له أن تعب في حياته؛ حتى عندما كان يمارس كرة القدم في المدرسة الثانوية بعد ظهر أيام شهر آب الحار. وكل ما أراد فعله هو أن يجلس على كرسيه المريح ويضع لوري في حضنه. إنها تغفو بعمق الآن.

جاء رجال الشرطة ودونوا أقواله. وبعد سماعهم قصته، قالوا إنه كان محظوظًا جدًا.

وقال أحد رجال الشرطة: "وما عدا الحظ، لقد فكرت بطريقة سريعة، وأجدت استخدام عصا السيد بيتشر".

قال لويد: "كان من الممكن أن يصل إلي لو لم يسقط الجزء الخارجي من المشى بسبب ثقله".

وكان من المحتمل أن يأكل لوري أيضًا؛ فهي لم تعد إلى المنزل، بل انتظرت لويد. في تلك الليلة، أخذها معه إلى الفراش، فنامت في الجهة التي كانت ماريان تنام فيها.

لويد نفسه لم ينم إلا قليلًا. وأثناء كل غفوة كان يستعيد صورة التمساح وهو يتمدد على جسد دون: عيناه السوداوان، ووجهه الذي بدا وكأنه يبتسم، والسرعة غير المتوقعة عندما جاء لمطاردته. ثم راح يداعب الكلبة النائمة إلى جانبه.

وفي اليوم التالي، جاءت بيت من بوكا ووبخته، ولكن ليس قبل أن تحتضنه وتقبله من دون توقّف؛ ما جعل لويد يتذكر

كيف راحت لوري تلعق وجهه بإلحاح عندما خرج من الممشى
المغطى بأشجار النخيل المتشابكة.

وقالت بيت: "أنا أحبك أيها الغبي، حمدًا لله أنك لا تزال على
قيد الحياة".

ثم التقطت لوري وعانقتها، وتحملت لوري هذا بصبر، ولكنها
قفزت فورًا عندما وضعتها بيت أرضًا، وأخذت أرنبها المطاطي
إلى الزاوية، حيث جعلته يصدر صريرًا.

عندها، تساءل لويد عما إذا كانت أخته تتخيل أنه مرق
التمساح إربًا، وفكر في سره في أنه غبي بالفعل؛ إذ لا ينبغي
وضع الحيوانات في موقف لا يمكنها السيطرة عليه، ولكنه لم
يقرأ هذه القاعدة في مقال: "إذا لديك جرو صغير".

فهذا الأمر يكتشفه المرء بنفسه في الوقت المناسب.

10

وفي اليوم التالي لزيارة بيت، جاء مراقب متخصص
بالأسماك والحياة البرية ويدعى جيبسون من فلوريدا لرؤية
لويد. جلسا في المطبخ، وشرب المراقب كوبًا من الشاي
المثلج، فيما استمتعت لوري بشم رائحة أطراف بنطاله
وحذائه لبعض الوقت، قبل أن تختفي تحت الطاولة.

قال جيبسون: "لقد أمسكنا بالتمساح. أنت محظوظ لأنك
على قيد الحياة يا سيد سندرلاند. لقد كانت حادثة كبيرة
جداً".

"أعلم ذلك. هل قتلتموه؟"

"لم نقتله بعد، فهناك بعض المناقشات حول ذلك؛ إذ إن

التمساح كان يرعى بعض البيض عندما هاجم السيد بيتشر.
"هل كان يجلس على البيض؟"
"هذا صحيح".

نادى لويد لوري، فركضت نحوه، فحملها وشرع يداعبها:
"منذ متى والتمساح هناك؟ كنت أمشي على ذلك الممر اللعين
وصولاً إلى بيت الأسماك مع كلبتي كل يوم تقريباً".
فأجاب جيبسون: "إنه هناك منذ بداية الحضانة العادية،
والتي تستمر لمدة خمسة وستين يومًا".

عندها، استغرب لويد وقال: "هل كان التمساح هناك طوال
ذلك الوقت؟"

فأوماً جيبسون مؤكداً وقال: "هناك الكثير من التماسيح،
نعم! في أعماق الحشائش وبين النباتات".
"كانت التماسيح تشاهدنا ونحن نمز".

"أنت وكل من استخدم ذلك الممشى الخشبي. لا بد أن
السيد بيتشر قد فعل شيئاً ما - عن طريق الصدفة - أثار غضب
التمساح". فهزّ جيبسون كتفيه وتابع: "لا أقول إن التماسيح
تمتلك غريزة أمومة، فقد لا يكون هذا صحيحاً من الناحية
العلمية، ولكنها مبرمجة لحماية بيوضها".

عندها قال لويد: "ربما أرجح العصا باثجاها؛ إذ كان من
عاداته أن يورجح العصا دائماً، وربما ضرب التمساح الأم بها،
أو أصاب عش البيوض".

في تلك اللحظة، أنهى جيبسون الشاي المثلج ووقف قائلاً:
"مررت لأتني أظن أنك تود أن تعرف ما جرى".

فأجابه لويد: "شكرًا لك".

قال جيبسون: "على الرحب والسعة. لديك كلبٌ صغيرةٌ ولطيفة، أصولها بوردر وكولي، وماذا أيضًا؟"
"مودي".

"حسنًا، نعم، أرى ذلك الآن. وهل كانت معك في ذلك اليوم؟"
"في الواقع، كانت أمامي، وهي التي رأت ما حدث قبلي."
"إنها محظوظةٌ لأنها لا تزال على قيد الحياة".
فداعبها لويد وهو يقول: "هذا صحيح".

وحين نظرت إليه لوري بعينيها الكهرمانيتين، أعجب بها من جديد، بالانبهار الدائم نفسه كلما نظرت إليه؛ تمامًا كما انبهر بالنجوم التي رآها في تلك الليلة الأولى عندما أخرجها للتّنزه. كان جمالها لغزًا يشعره بشيءٍ جيّد. فالقليل من الغموض أمرٌ جيّد، وخاصةً بالنسبة إلى رجل عجوز رأى ما رآه خلال السنوات الطويلة.

شكره جيبسون على الشاي المثلّج، ثم غادر.

فجلس لويد في مكانه لبعض الوقت، وهو يمرّر أصابع يده على الفراء الرمادي الداكن، ثم أنزل كلبته كي تقوم بعملها.

الأفاعي المججلة

تموز - آب 2020 م

لم تفاجئني رؤية العجوز وهي تدفع عربة الأطفال ثنائية المقعد الفارغة؛ فقد سبق لي أن سمعت عن الأمر. حدث هذا على طريق راتلسنيك- بلدة الأفاعي المججلة- ويمتد هذا الطريق بطول أربعة أميال من جزيرة راتلسنيك، على طريق ساحل خليج فلوريدا، حيث المنازل والشقق في الجنوب، بالإضافة إلى عدد قليل من البيوت الخاصة بالأثرياء في الطرف الشمالي.

ثمة منعطف شديد على بعد نصف ميل من قصر كريغ أكرمان، حيث أقمت ذلك الصيف، ويبدو مثل حبة البازيلاء الأخيرة في علبة كبيرة الحجم. وكانت شجيرات متشابكة تعلو قمة رأسي (علقاً أن طولي 76 إنشاً) تحيط بالطريق، ثم يضيق الطريق تدريجياً، فيصبح ما كان ضيقاً في البداية أكثر ضيقاً عند المنعطف. وقد وضع الأطفال على جانبي الطريق علامات من البلاستيك الأخضر المشع، تحمل كل واحدة منها تحذيراً: "تمهل، فالأطفال يلعبون!"

في سني البالغة اثنين وسبعين عامًا، وفي صباح أحد أيام تموز شديدة الحرارة، كنت أسير ببطء شديد، وكانت خطتي هي السير إلى البوابة المتأرجحة التي تفصل الجزء الخاضع من الطريق عن الجزء الذي يقع تحت مسؤولية المقاطعة، ثم العودة إلى منزل كريغ. وكنت أتساءل عما إذا كنت قد "قضمت أكثر مما أستطيع مضغه".

لم أكن متأكدًا تمامًا من أن كريغ لم يكن يضايقني بشأن السيدة بيل، ولكن ها هي الآن تدفع عربتها باثجاوي، وكانت إحدى عجالات العربة تصدر صريرًا، وتحتاج إلى بعض الزيت. وكانت ترتدي بنطالًا قصيرًا فضفاضًا وجوربين يصلان إلى ركبتيهما، وتنتعل صندلًا، وتعتمر قبعة زرقاء تقيها أشعة الشمس. توقفت وسألتني... تذكرت كريغ حين سألتني عما إذا كانت مشكلتها- هكذا سقى الأمر- ستسبب لي مشكلة، فقلت له إن ذلك لن يحدث. ولكنني لم أعد متأكدًا الآن.

قلت: "مرحبًا، أعتقد أنك السيدة بيل. اسمي فيك ترينتون، وسأقيم في منزل كريغ لبعض الوقت".

فقلت لي: "هل أنت صديق كريغ؟ كم هذا لطيف! وهل أنت صديق قديم؟"

أجبتها: "لقد عملنا في وكالة الإعلانات نفسها في بوسطن. كنت كاتب الإعلانات، بينما كان هو..."

فقاطعتني قائلة: "كان ينظم الصور والمخططات. أعرف ذلك، وذلك قبل أن يجني الكثير من المال". ثم دفعت عربة الأطفال ثنائية المقعد إلى مكان أقرب، ولكن ليس قريبًا جدًا، وتابعت بفضول: "أهلاً بأي صديق من أصدقاء كريغ، سررت بمقابلتك. بما أننا سنكون جارين، وما دمت ستبقى هنا، فأرجو أن تدعوني أليتا، أو آلي إذا أردت. هل أنت بخير؟ هل ظهرت عليك إحدى علامات الأنفلونزا الجديدة؟"

"أنا بخير. لا سعال ولا حمى، وأعتقد أنك بخير أيضًا".

"أنا كذلك. وهذا أمر جيد؛ على الرغم من تقديمي في السن، ومعاناتي من القليل من المشكلات الصحية المعتادة لكبار

السن. إنَّ أحد الأشياء القليلة الجميلة في وجودي هنا خلال فترة الصيف هو نجاتي من العدوى التي تصيب معظم الناس. لقد شاهدت ذلك في الأخبار هذا الصباح، ويقول الدكتور فوسي إنَّ عدد الحالات الجديدة قد يصل إلى مئة ألف كلَّ يوم، هل تصدِّق ذلك؟"

فأخبرتها بأنني شاهدت هذا الحوار.

عندها، سألتني من جديد: "وهل أتيت إلى هنا لتجنَّب المرض أيضًا؟"

"لا. في الواقع، كنت بحاجة إلى الابتعاد. وقد غرِضَ عليَّ المكان، فوافقت".

وكان ذلك بعيدًا كلَّ البعد عن الحقيقة.

"أعتقد أنك مجنونٌ إلى حدٍّ ما لأنك تفكِّر في إمضاء إجازتك في هذا الجزء من العالم خلال فصل الصيف يا سيد ترينتون".

ففكَّرْتُ في سَري: وفقًا لكريغ، أنتِ الشخص المجنون هنا على ما أعتقد. وبالنظر إلى عربة الأطفال التي تتجولين بها، لا أظنُّ أنه كان مخطئًا.

غير أنني قلت: "ناديني فيك لو سمحت، بما أننا جيران".

فقلت: "هل ترغب في إلقاء التحيَّة على التوأم؟" وأشارت إلى عربة الأطفال.

كان ثقة زوج من البناتيل القصيرة الزرق على المقعد الأول، وزوج من البناتيل القصيرة الخضراء على الآخر، وقميصان ملتفان على ظهري المقعدين، وقد كُتبت على

أحدهما كلمة "سيئ" فيما كُتِبَت على الآخر كلمة "أسوأ". ثم أشارت إلى البنطالين القصيرين الأزرقين وقالت: "هذا جاكوب". وبعد ذلك، لمست القميص الذي كتبت عليه كلمة "أسوأ" وقالت: "وهذا جوزيف". كانت لمستها سريعة ولكنها لطيفة ومحبة، وكانت نظرتها هادئة ولكنها حذرة، وكأنها بانتظار طريقة ردي.

هذا جنون بالتأكيد، ولكنني لم أشعر بعدم الارتياح، ولدي سببان لذلك. أولاً: لأن كريغ قد وضح لي الأمر مسبقاً، وأخبرني أن السيدة بيل كانت في باقي الأمور عاقلة تماماً وعلى اتصال بالواقع. وثانياً: لأنك حين تمضي حياتك العملية في استثمار الأموال في مجال الإعلان، فستقابل الكثير من الأشخاص المجانين الذين قد لا يبدوون كذلك عندما يبدوون بالعمل، ولكنهم سرعان ما يصبحون كذلك.

علي فقط أن أكون لطيفاً - كما أخبرني كريغ - فهي لا تؤذي أحداً، كما أنها تصنع أفضل كوكيز بالشوفان والزيب التي سأتذوقها على الإطلاق. لم أكن متأكداً تماماً بخصوص الكوكيز؛ إذ إن صناع الإعلانات يبالغون كثيراً بحكم مهنتهم، حتى أولئك الذين تركوا الوظيفة، ولكنني على الرغم من ذلك على استعداد تام لأن أكون لطيفاً.

قلت: "مرحباً أيها الولدان، أنا مسرور بلقائكما".

وبما أنهما لم يكونا هنا، لم يرد جاكوب ولا جوزيف، ونظراً لعدم وجودهما هنا، لم تزعجهما الحرارة المرتفعة، ولا داعي للقلق أبداً من إصابتهما بوباء كوفيد أو بسرطان الجلد.

قالت آلي بيل: "إنهما في الرابعة من عمرهما". أن يكون لهذه

المرأة توأم يبلغ من العمر أربع سنوات سيكون خدعة جيدة؛ إذ فكرت في أنها تبدو في منتصف العقد السادس من عمرها. قالت: "إنهما كبيران بما يكفي للمشي حقًا، ولكنهما كسولان جدًا، ويفضّلان العربة على عناء السير. لذا، أختار لهما بناطيل قصيرة بألوان مختلفة لأنني في بعض الأحيان أشعر بالارتباك في التفريق بينهما." ثم تابعت ضاحكة: "سأسمح لك بأن تواصل نزهتك يا سيد ترينتون..."

"ناديني فيك من فضلك".

"حسنًا يا فيك، وعند الساعة العاشرة ستصل درجة الحرارة إلى التسعين في الظل؛ أما الرطوبة، فلا داعي للحديث عنها. قولاً وداعًا أيها الولدان".

يفترض أنهما فعلاً ذلك، فتمنيت لهما يومًا جيدًا، وأخبرت آلي بيل أنني سعيد بمقابلتها.

قالت: "وأنا سعيدة أيضًا. يراك التوأم رجلًا لطيفًا، أليس كذلك أيها الولدان؟"

"أنتما محققان، وأنا أيضًا." أكدت للمقعدّين الفارغين في عربة الأطفال ثنائية المقعد.

فابتسمت آلي بيل. لو كان هذا اختبارًا، فيبدو أنني نجحت فيه. ثم سألتني في اللحظة الأخيرة: "هل تحب الكوكيز يا فيك؟"

أجبتها: "أحبها جدًا. وقد أخبرني كريغ أنك متخصصة في كوكيز الشوفان بالزبيب".

عندها، قالت بالفرنسية وهي تضحك: "نعم، هذا صحيح.

إنني متخصصة فيها". ثقة شيء مثير للقلق إلى حد ما في سياق الأحداث، فقد تعرّفت منذ لحظاتٍ إلى توأم رحل عن الحياة منذ وقتٍ طويلٍ جدًا. قالت لي: "سأعدّ لك بعض الكوكيز في المستقبل القريب؛ إذا كنت لا تمانع زيارتي".

"بالطبع لا أمانع".

"ولكن، أرجو أن تسمح لي بالزيارة مساءً، عندما يبرد الجو قليلًا. فأنا أكاد أعجز عن التنفّس في منتصف النهار، وهذا لا يزعج جاك وجو، كما أنني أصبحت أحمل العصا دائمًا خلال سيري".

"عصا!"

فقالت: "لضرب الثعابين! تا تا! إلى اللقاء الآن".

ثم دفعت عربة الأطفال أمامي، غير أنها تراجعث بعد ذلك قليلًا وقالت: "قد لا يكون هذا هو الوقت المناسب للاستمتاع بساحل الخليج، إلا أنّ شهرَي تشرين الأول وتشرين الثاني هما الوقت المناسب لذلك".

فقلت: "لاحظت ذلك".

كنت أظنّ أنّ اسم الجزيرة راتلسنيك قد يكون ناتجًا عن شكلها؛ إذ تبدو ملتويةً مثل أفعى في الهواء، ثم تلتفّ مرّةً أخرى على نفسها كما تفعل الأفاعي، لكنّ كريغ أخبرني أنّ الاسم ناتج عن الأفاعي المجلجلة التي كانت تغزوها بشكلٍ منتظم، حتّى أوائل الثمانينيات. وذلك عندما بدأت طفرة البناء في منطقة جنوب راتلسنيك سيستا وكيسي؛ فحتّى ذلك الحين كانت تلك الأفاعي السفليّة في سبات.

ثم قال لي كريغ: "ثعد الأفاعي مظهرًا من المظاهر البيئية المحلية. وكنت أعتقد في البداية أن أنواعًا قليلة منها جاءت سابحة عبر البر الرئيس، فهل تستطيع الأفاعي السباحة؟" فأجبت: "نعم، يمكنها ذلك".

فتابع: "أو ربما ركبت في قعر قارب إمداد أو في مقصورة يخت رجل ثري، اللعنة! ثم تكاثرت بين الشجيرات، حيث كان من الصعب على الطيور التهام صغارها. الأفاعي المجلجلة لا تضع البيض كما تعلم، بل تلد الأمهات ثمانية أو عشرة في المرة الواحدة، وهذا عدد كبير بما يكفي لصناعة الأحذية من جلد الأفاعي. دعني أخبرك أن تلك الأفاعي اللعينة كانت في كل مكان، وكان هناك المئات منها، وربما الآلاف، ثم انتقلت شمالًا عندما بدأ تطوير الجزء الجنوبي من راتلسنيك، وبعد ذلك، عندما دخل الأغنياء.."

فقاطعته: "ملك".

فقال بتواضع: "حسنًا، مثلي. لقد كانت سوق الأوراق المالية جيدة بالنسبة إلى هذا الفتى الذي يقف أمامك، وخاصة في شركة أبل".

تابعت: "وتسلا".

قال: "صحيح. أبلغتك عن استثماراتي لتفعل مثلي، ولكنك، أيها المواطن المتشكك من نيو إنغلاند..."

فقاطعته: "توقف عن ذلك".

تابع: "ثم، عندما جاء الأثرياء، وبدأوا ببناء فيلاتهم الضخمة..."

فقاطعته مجدّدًا: "ملك".

فقال: "هناك فرقٌ يا فيك. أرجو أن تلاحظ أنني أبدعت من الناحية المعمارية؛ على عكس بعض أهوال الجص والأسمنت في فلوريدا".
"كما تشاء".

غير أنه تابع: "عندما بدأ الأغنياء بالبناء، وجد المقاولون الأفاعي في كل مكان، كانت أعدادها هائلة، فقتل البناؤون جميع الأفاعي الموجودة في الأراضي التي كانوا يعملون فيها على جانبي الخليج، من دون أي حملات إبادة منظّمة للأفاعي؛ حتى بعد حادثة توأم بيل. إذ لم تفعل المقاطعة أي شيء حتى ذلك الحين؛ بحجة أن القطاع الخاص هو الذي يملك الطرف الشمالي من الجزيرة، ويقوم بعمليات التطوير العقاري. ولذلك شكّل المقاولون مجموعةً منهم لمطاردة الأفاعي.

في ذلك الوقت، كنت أعمل في الإعلانات، وأمارس العمل المكتبي والتداول اليومي، ولذلك لم أكن موجودًا هنا. ولكنني سمعت أن مئة رجل وامرأة، وقيل مئة على الأقل، بدأوا الحملة وهم يرتدون القفازات، وينتعلون الجزمات من حيث تنتصب البوابة المتأرجحة الآن، وشقّوا طريقهم شمالًا، ودخلوا الأدغال وقتلوا كل أفعى وجدوها. كانت الأفاعي التي قتلوها مجلجلة في الغالب، ولكن كانت هناك أنواع أخرى مثل الأفاعي السوداء، وأفاعي العشب... يصعب تصديق ذلك، ولكنها الحقيقة، الأفعى اللعينة".

سألته: "هل قتلوا الأفاعي غير السامة، وكذلك الأنواع التي

تعض؟"

فاكد كريغ: "لقد قتلوها كلها، ولم يرصد الكثير من الأفاعي منذ ذلك الحين".

في تلك الليلة، ائصل بي كريغ وكنت أجلس بجانب حوض السباحة الخاص به، وأحتسي الشراب وأنا أنظر إلى النجوم. كان يريد أن يعرف إذا كنت أمضي وقتًا طيبًا في المنزل، فقلت له إنني كنت أستمتع بالأمر، وشكرته مرة أخرى على سماحه لي بالبقاء هناك.

فقال: "على الرغم من أن هذا الوقت ليس الأمثل للاستمتاع في الجزيرة، وخاصة مع إغلاق معظم مناطق الجذب السياحي بسبب كوفيد، فأفضل الأوقات..."

قاطعته: "في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني، أخبرتني السيدة بيل... آلي".

فسألني: "هل قابلتها؟"

"نعم بالفعل، هي والتوأم، جاكوب وجوزيف، أو ربّما التقيت ببناطيلهما القصيرة وقمصانهما".

ساد صمت قصير، ثم قال كريغ: "هل أزعجك الأمر؟ كنت أفكر في دونا عندما عرضت عليك ذلك المكان. ولم أفكر قط في أن ذلك سيستحضر ذكرياتك..."

لم أكن أرغب في التذكر، حتى بعد كل تلك السنوات. غير أنني قلت: "لا بأس. لقد كنت مُحققًا، تبدو آلي بيل امرأة لطيفة جدًا، كما أنها ستصنع الكوكيز من أجلي".

"ستحبه".

فكرت في البقع الملونة المستديرة الصغيرة على خديها، وقلت: "أكّدت لي أنها ليست مصابة بكوفيد-19، وهي تسمّيه الأنفلونزا الجديدة. لم تكن تسعل، ولكنها لم تبدّ سليمة تمامًا". ثم فكرت في عربة الأطفال ثنائية المقعد الفارغة، وتابعت: "أعني جسديًا. وقالت شيئًا عن وجود بعض المشاكل الصحية".

قال: "حسنًا، إنها في السبعين من عمرها".

قلت: "حقًا! خفّنت أنها في السّتين".

"كانت هي وزوجها أول من بنيا في الطرف الشمالي. وقد حدث ذلك في عهد الرئيس كارتر. كلّ ما أقوله هو أنك حين تصل إلى السبعين من عمرك، فلن تعود أجهزتك مضمونة".

فقلت له: "لم أرَ أيّ شخصٍ آخر، ولكنني هنا منذ ثلاثة أيام فقط، حتى إنني لم أفرغ كلّ أمتعتي بعد، وأنا لم أحزم حقيبة كبيرة. كنت أتابع قراءاتي في الغالب، وألتزم تمامًا بما وعدت نفسي بفعله عندما أتقاعد؛ إذ أشاهد التلفاز، وأكتم الإعلانات التجارية. سيسعدني عدم رؤية أيّ إعلانٍ آخر في ما تبقى من حياتي".

فقال: "يا صديقي، إنه الصيف، صيف كوفيد، ألا يكفي هذا التعليل؟ وبعد أن تتجاوز البوّابة المتأرجحة هناك، لن يبقى سوى أنت وأليتا و...". ولكنه ما لبث أن صمت، فتابعت:

"والتوأم: جاكوب وجوزيف".

سألني: "هل أنت متأكّد من أنّ هذا لا يزعجك؟ أعني، بالنظر إلى ما حدث لـ...".

قاطعته: "لا، لا يزعجني! تحدث أشياء سيئة للأطفال في بعض الأحيان. لقد حدث ذلك لي ولدونا، وحدث لآلي بيل. كان لدينا ابن منذ وقت طويل، ولدا ولكنه رحل إلى مكان أفضل". إنها كذبة. هذا التقبل كذبة مفضوحة. لذا، قلت محوّلًا مجرى الحديث: "بقي لدي سؤال".

فقال: "وبقيت لدي إجابة".

جعلني رذه أضحك. كريغ أكرمان أكبر منه سنًا وأكثر ثراءً، ولكنه لا يزال ذكيًا. عندما كنا ندير حساب شركة برايت للمشروبات الغازية، جاء إلى أحد الاجتماعات ذات مرة وهو يحمل زجاجة برايت كولا، ذات العنق الطويل المميز، بعد أن سجن داخلها ذبابة مضغوطة بالغازات.

سألته: "هل هي تعرف؟"

فأجاب: "لست متأكدًا من أنني فهمت السؤال".

ولكنني كنت متأكدًا من أنه فهمه، فكررت: "هل تعرف أن عربة الأطفال فارغة؟ هل تعلم أن توأمها ماتا منذ ثلاثين عامًا؟"

أجاب: "بل منذ أربعين عامًا، أو ربما منذ فترة أطول بقليل. والجواب نعم، إنها تعرف".

"هل أنت متفائل، أم أنك متأكد حقًا؟"

فقال: "متفائل فقط". ثم صمت لحظة وتابع بعدها: "بالحد الأدنى من التفاؤل".

كان ذلك من صفات كريغ أيضًا؛ أي أن يترك لنفسه مخرجًا دائمًا. كنت قد شاهدت النجوم وأنهيت شرابي حين دوى

الرعد قليلاً، ثم هدر على الخليج. وكانت هناك ومضات غير متركة من البرق، ولكنني اعتقدت أنها تهديدات فارغة.

أفرغت حقيبتى الثانية- وكان ينبغي لي القيام بذلك منذ يومين- ولم يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق، ثم ذهبت إلى السرير. إنه العاشر من تموز، وفي أخبار العالم الأكبر، كانت حالات كوفيد تتجاوز ثلاثة ملايين، فقط في الولايات المتحدة. أخبرني كريغ أنه يرحب ببقائي في منزله حتى أيلول إذا أردت، ولكنني أخبرته أن ستة أسابيع ستكون كافية لتصفية ذهني كما أعتقد. ولكنني الآن، وبعد أن أصبح العالم أكثر هدوءًا بما يكفي، أعتقد أنني قد أبقى لفترة أطول، بانتظار المرض الرهيب.

كان الصمت رائعًا هنا، يكسره صوت الأمواج التي تضرب مركب كريغ على الشاطئ بهدوء. أستطيع الاستيقاظ مع شروق الشمس، والبدء بالمشي في وقت أبكر مما قمت به اليوم، وربما أتجنب لقاء آلي بيل. ولكنني لم أجد داعيًا لذلك؛ فقد كانت لطيفة بما فيه الكفاية، وأظن أن كريغ مُحق في أنها تمتلك على الأقل ثلاثة أرباع قواها العقلية، ولكن عربة الأطفال ثنائية المقعد مع البنطالين القصيرين مختلفي اللون على المقعد كانت أشياء مخيفة.

تمت: "سيئ وأسوأ". كان لغرفة النوم الرئيسة باب جزأ، وكان مفتوحًا قليلاً، تدخل منه بعض النسمات التي ترفع الستائر الرقيقة وتحولها إلى أذرع متطاولة.

أستطيع الآن أن أفهم قلق كريغ علي بشأن التوأم الوهمي؛ لأنها مرتبطان بي. على الأقل فهمت ذلك الآن. وربما يكون

فهني متأخرًا بعض الشيء، ولكن ألا يقال: أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي مطلقًا؟ من المؤكد أنني لم أربط ما قاله بحياتي السابقة مطلقًا؛ عندما أخبرني عن غرابة آليتا بيل للمرة الأولى، ولم أذكر ابني تاد الذي مات أيضًا في عمر جاكوب وجوزيف تقريبًا. لكن تاد لم يكن السبب الذي دفعني إلى الابتعاد عن نيو إنغلاند - لفترة من الوقت على الأقل - فقد كان هذا الحزن قديمًا. هنا، في هذا المنزل الضخم إلى الحد الذي يبعث على السخرية، وخلال هذه الأجواء الحارة من أسابيع الصيف، أملك الآن أسبوعًا جديدًا لأعيشه.

حلمت بدونا، كما كنت أفعل في كثير من الأحيان. وفي هذه المرة، كنا نجلس على الأريكة في غرفة المعيشة القديمة، شابكين يدينا، وكنا صغيرين. لم نكن نتحدث، وكان هذا كل شيء. كان هذا هو الحلم كله، ولكنني استيقظت والدموع على وجهي. في تلك الأثناء، كانت الرياح تهب بقوة أكبر، رياح دافئة، ولكنها جعلت الستائر تبدو كأسلحة ممتدة أكثر من أي وقت مضى. نهضت لأغلق الباب الجزار، ولكنني خرجت إلى الشرفة بدلًا من ذلك. في النهار، تستطيع رؤية امتداد الخليج بالكامل من غرف النوم في الطابق العلوي (وقد رخب كريغ باستخدامي غرفة النوم الرئيسة، وكان هذا ما فعلته). ولكن في الساعات الأولى من الصباح لم أر سوى اللون الأسود، باستثناء ومضات عرضية من البرق، والتي تصبح أقرب الآن، وسمعت دوي الرعد؛ فعلمت أن التهديد بالعاصفة لم يعد فارغًا.

وقفت عند السياج فوق الممر الحجري وحوض السباحة.

كنت أرتدي قميصي القطني، فيما سراويلي الداخلية ترفرف حولي. كنت أستطيع أن أقنع نفسي بأن الرعد هو ما أيقظني، أو الريح المنعشة، ولكن ما أيقظني كان الحلم بالطبع. إذ كنا معًا على الأريكة، متشابكي اليدين، وغير قادرين على التحدث عما كان بيننا. كانت تلك الخسارة كبيرة جدًا، ودائمة جدًا.

لم تكن الأفاعي المجلجلة هي التي قتلت ابننا، ولكنه مات من جُزاء تعرّضه للجفاف في سيارة ساخنة. لم أَلَمْ زوجتي على ذلك قط؛ فقد ماتت معه تقريبًا. كما لم أَلَمْ الكلب قط- وهو كلب سانت برنارد واسمه كوجو- إذ كان يقفز ويدور حول سيارة الفورد بينتو المعطلة لمدة ثلاثة أيام تحت شمس الصيف الحارقة.

هناك كتاب من تأليف ليموني سنيكيت، وعنوانه "سلسلة من الأحداث المؤسفة"، وقد وصف ما حدث لزوجتي وابني بشكل مثالي. إذ تعطلت سيارتنا بعيدًا عن المنزل، في مكان مهجور من الريف. ولم يكن العطل أكثر من صقّام إبرة استغرق الميكانيكي خمس دقائق فقط لإصلاحه. جُنّ جنون الكلب، ولو كان لتاد ملاك حارش، فلا شك في أنه كان في إجازة في شهر تموز من ذلك العام.

حدث كلّ ذلك منذ زمن طويل، منذ عقود طويلة.

عدت إلى الداخل، وأغلقت الباب الجزار، ثم استلقيت على ظهري. كنت شبه نائم عندما سمعت صوت صرير خافتًا، فجلست في وضع مستقيم، وحاولت أن أسمع.

في بعض الأحيان، تخطر في البال أفكار مجنونة، أفكار قد

تبدو سخيّة في وضح النهار، ولكنها تبدو معقولة تمامًا في الساعات الأولى من الصباح. لم أتذكر إن كنت قد أغلقت باب المنزل. وكان من السهل جدًا القول إنها آلي، وإنها ربّما أكثر جنونًا مما يعتقد كريغ. ربّما هي في الطابق السفلي الآن، تدفع عربة الأطفال ثنائية المقعد ذات العجلة التي تصدر صوتًا حادًا عبر الغرفة الكبيرة نحو المطبخ، حيث ستترك علبه من كوكيز الشوفان بالزبيب. تدفع العربة معتقدة أنّ توأمها اللذين فارقا الحياة منذ أربعين عامًا يجلسان فيها.

صريز ثم توقّف، صريز ثم توقّف.

نعم، أستطيع رؤيتها، كما أنني أستطيع رؤية جيك وجو، تمامًا مثلها وإنّما مع فارقٍ وحيد؛ وهو أنّه يمكنني أن أرى أنهما ميتين، كما يمكنني رؤية الجلد الشاحب، والعيون الزجاجية، والتورّم في الساقين والكاحلين مكان عضّة الأفاعي.

لقد كان الأمر سخيّفًا وغبيًّا. وحتى في ذلك الوقت الذي كنت فيه جالسًا على السرير منتصبًا والملاءة في حضني كنت أعرف ذلك. ولكن، ماذا بعد؟

صريز، ثم توقّف، ثم صريز.

أنرت المصباح الموجود بجوار السرير وعبرت الغرفة، وأخبرت نفسي أنني لست خائفًا. ثم أنرت مصباح الغرفة، وبعد ذلك وصلت إلى زرّ الضوء العلوي عبر المدخل وشغلت إضاءة المسار في الطابق العلوي أيضًا، وقلت لنفسي إن أحدًا لن يمسك بيدي المتلقّسة، وإنني لن أصرخ إذا أمسك شخص بي.

سرت في منتصف الطريق عبر الصالة، ونظرت إلى السياج الذي يصل ارتفاعه حتى الخصر. لم يكن هناك أحد في الغرفة الكبيرة بالطبع، ولكنني سمعت رذاذ المطر الأول وهو يضرب نوافذ الطابق السفلي، واستطعت سماع شيء آخر، الصوت نفسه.

صريز ثم توقف، وصريز ثم توقف.

لقد نسيت إيقاف تشغيل المروحة السقفية، وكان هذا سبب الصرير؛ رغم أنني لم أسمع شيئًا خلال النهار.

كان مفتاح التشغيل في أعلى الدرج، فقلبته. وعلى الفور، توقفت المروحة، وأصدرت صريزًا آخر وأخيرًا. فعدت إلى السرير، ولكنني تركت مصباح الطاولة منازًا، وضبطته على أدنى مستوى له. وبعد ذلك استغرقت في النوم. ربّما شاهدت حلماً آخر، ولكنني نسيته في الصباح.

استغرقت في النوم صباحًا لوقت أطول من المعتاد؛ ربّما بسبب الخوف الذي أصابني في الليلة الماضية، ولهذا تخطيت نزهتي الصباحية. ولكنني استيقظت باكراً في الأيام الثلاثة التالية؛ فيما كان الهواء منعشًا والطيور صامتة، وتوجهت مشيًا إلى البوابة المتأرجحة ثم عدت. رأيت الكثير من الأرانب، ولكنني لم أرَ بشرًا. ومررت بصندوق بريد بيل الموجود في بداية ممزٍ مغلقٍ بشجيرات الورد، والتي تكاد تخفي المنزل الذي يقع على جانب الخليج، محتجبًا عن الأنظار بالأشجار وبالمزيد من شجيرات الورد.

خلال أيام الأسبوع، كنت أسمع صوت أداة جمع أوراق الأشجار أثناء ساعات العمل، ورأيت سيارتين لتنسيق

الحدائق متوقفتين عند مدخل منزل آلي، بينما كنت في طريقي إلى محل البقالة. ولكنني أعتقد أنها كانت وحيدة مثلي، وتشبهني في أمرٍ آخر؛ فكلُّ منا هو آخر من بقي من عائلته بعد أن رحل رفاقه. هذه فكرة جيّدة لفيلم رومانسي لائق (إذا قام أيّ كان بإصدار أفلام كوميدية رومانسية عن كبار السن، فإنَّ "ذا غولدن جيرلز" كان الاستثناء الذي يثبت القاعدة). ولكنَّ فكرة أن أتقرب منها لم تكن واردة قط، واحتمال قيامي بها أقل من الصفر في الواقع. ماذا أستطيع أن أفعل معها؟ هل ندفع التوأم غير المرئي معًا؛ كلُّ منا يدفع جانبًا من العربة؟ هل نتظاهر بإطعامهما المعكرونة؟

كان لدى كريغ حارث لبيته، ولكنه طلب مني أن أسقي الأزهار المزروعة في الأصص الكبيرة المحيطة بأبواب المنزل وبجانب الممر وحوض السباحة. كنت أفعل ذلك في عصر أحد الأيام- بعد مرور عشرة أيام أو اثني عشر يومًا على انتقالي للسكن هنا- عندما سمعت صرير عجلة قويًا، فأقفلت صنبور الخرطوم. وكانت تلك آلي التي راحت تدفع عربة الأطفال نحو أسفل الممر، مرتدية حقالةً للكتف في داخلها عصا من الفولاذ المقاوم للصدأ، مع خطافٍ على شكل الحرف U في نهايته. سألتني عن صحتي، فأجبت بأنني بخير. فقالت: "وأنا بخير أيضًا. لقد جلبت لك الكوكيز".

قلت: "هذا لطف منك". رغم أنني لم أكن لأمانع لو أنها نسيت. كانت قد وضعت بنطالًا قصيرًا أحمر على أحد مقعدي العربة هذا المساء، وبنطالًا قصيرًا أبيض على المقعد الآخر. ولفتت على ظهري المقعدين قميصين للدعابة، كتبت على

الأول: "أراك لاحقًا أيها التمساح"، فيما كتب على الثاني "أراك بعد فترة قصيرة أيها التمساح". لو حملت هذه العربة طفلين حقيقيين لبدوا لطيفين جدًا... كما كان سيبدو... لا.

ورغم ذلك، كانت آلي جارتي ولم تكن مؤذية. فقلت: "مرحبًا جاك، مرحبًا جو، كيف حال الطقس؟"

فضحكت بتردد، وقالت: "أنت لطيف حقًا". ثم نظرت إلي مباشرة وقالت: "أعلم أنهما ليسا هنا".

في تلك اللحظة، لم أعرف ما ينبغي لي قوله. إذ لا يبدو أن آلي ترفض الفكرة.

وتابعت: "ومع ذلك، إنهما يكونان هنا في بعض الأحيان". فتذكرت حينها أن دونا قالت ذات مرة شيئًا مشابهًا لذلك. كان هذا بعد أشهر من وفاة تاد وليس قبل وقت طويل من انفصالنا. قالت لي حينها: "أراه أحيانًا". وعندما أخبرتها بأن هذا غباء- وكنا حينها قد تعافينا إلى حد كافٍ لنتزم حدود اللياقة والتعقل في أحاديثنا- قالت: "لا، هذا ضروري".

كانت حقالة آلي تحتوي في جانبٍ منها على حقيبة أخرجت منها كيسًا مغلقًا بسحاب فيه كوكيز، فأخذته وشكرتها، وقلت: "تفضلني بالدخول لتتناول الكوكيز معًا". ثم صمتُ قليلًا قبل أن أضيف: "وأحضري التوأم بالطبع".

فقلت وكأنها تسأل: "بالتأكيد. ومن سأحضر غيرهما؟". كانت هناك مجموعة من الدرجات التي توصل من المرائب إلى الطابق الأول، فركنت عربة الأطفال عند بدايتها، وقالت: "أخرجنا أيها الصغيران، أسرعًا، لا بأس، إننا مدعوون". تابعتُهما

عينها وكأنهما يتحركان حقًا، ثم وضعت حقالتها على أحد المقعدين.

وحين رأته أنظر إلى عصا الإمساك بالأفاعي، ابتسمت وقالت: "جربها، إذا أردت. ستتفاجأ حين تدرك أنها خفيفة جدًا".

أخرجتها ورفعته، لا يمكن أن تزن أكثر من ثلاثة باوندات. "إنها مصنوعة من الفولاذ المجوف. القطعة الحادة الموجودة في نهاية الخطاف مخصصة لضرب الأفاعي، ولكنها سريعة جدًا بالنسبة إلي". ثم مدت يدها، فأعطيتها العصا، وقالت: "يمكنك عادةً أن تضغط عليها، ولكن إذا لم ينفع ذلك..." وأخفضت خطاف العصا، ثم رفعته بسرعة، وتابع: "يمكنك قلبها. لكن عليك أن تفعل ذلك بسرعة".

أردت أن أسألها عما إذا كان قد سبق لها أن استخدمتها، ولكن قررت أنني أعرف الإجابة بالفعل.

فإذا كان هناك ولدان غير مرئيين، فلا شك في أن هناك أفاعي غير مرئية أيضًا، نتيجة منطقية. لذا، قلت إن هذه العصا مفيدة جدًا.

وأكدت بدورها قائلة: "وضرورية جدًا".

وبعد أن اجتازت آلي نصف الدرجات توقفت، وربت على صدرها، ثم أخذت بعض الأنفاس العميقة، وكانت تلك البقع الحمراء تلون خديها أيضًا.

فسألتها: "هل أنت بخير؟"

أجابت: "أعاني من ضربات متسارعة في القلب. إنها ليست

خطيرة، وقد وُصف لي دواءً لها، أعتقد أنه علي تناول حبتين.
هَلَا تعطينني كوبًا من الماء؟"

فقلت: "وماذا عن الحليب؟ لا شيء أفضل منه مع الكوكيز".
فقلت مازحة: "الحليب والكوكيز مثل المرضى!"

صعدنا بقية الدرجات، وجلست بهدوء إلى طاولة المطبخ.
سكبث كأسين صغيرتين من الحليب، ووضعت نصف دزينة
من كوكيز الشوفان والزبيب في طبق. وكنت قد قدّرت أنها
ستتناول ثلاث قطع، فيما سأتناول القطع الثلاث الأخرى. إلا
أن الأمر انتهى بي بتناول أربع قطع؛ فقد كانت لذيذة جدًا.
فجأة، نهضت وصاحت: "لا تثيرا المشاكل أيها الولدان. لا
نريد فوضى، كونا مهذّبين".

فقلت: "أنا واثق من أنهما كذلك. هل تشعرين بالتحسن؟"
"نعم، أنا أفضل الآن. شكرًا لك".

ثم قلت لها: "لديك القليل..." وأشرت إلى شفّتي العليا.
فضحكت وهي تقول: "ألديّ شارب الحليب؟" وشعرت أن
ضحكتها ساحرة إلى حدّ ما.

وحينناولتها منديلًا من علبة ليزي سوزن، رأيته تنظر إلى
إصبعي، ثم سألتني: "ألم تأتِ زوجتك برفقتك يا فيك؟"
فلمست خاتمي وقلت: "لا، لقد توفّيت".

وعلى الفور، اتسعت عيناها وقالت: "أوه! آسفة جدًا. هل
حدث هذا منذ وقت قريب؟"

فأجبته: "منذ وقت قريب إلى حدّ ما. هل ترغبين في تناول

قطعة كوكيز أخرى؟"

ربما لم تكن السيدة شديدة التعقل عند حديثها عن طفلها، ولكنها فهمت إشارتي لتغيير الموضوع عندما رأتها، أو بالأحرى حين سمعتها.

فقلت: "حسنًا، ولكن لا تخبر طبيبي".

تحدثنا لبعض الوقت، ليس عن الأفاعي المجلجلة، وليس عن الأطفال غير المرثيين، وليس عن الزوجات الميتات.

تحدثت عن فيروس كورونا، كما تحدثت بعد ذلك عن سياسي فلوريدا الذين تعتقد أنهم يسيئون للبيئة، وقالت إن خراف البحر تنفق بسبب جريان الأسمدة في الماء، ثم شجعتني على زيارة "موت مارين" - وهو حوض أسماك في سيتي آيلاند في ساراسوتا - وعلى مشاهدة بعض خراف البحر، ولكنها استدركت بقولها: "إذا كانت أبوابه لا تزال مفتوحة".

وحين سألتها عما إذا كانت تريد المزيد من الحليب، ابتسمت وهزت رأسها، ثم وقفت. تمايلت قليلًا، ثم تمكنت من الوقوف بثبات، وقالت: "لا بد لي من إعادة الولدين إلى المنزل، لقد تجاوزا موعد نومهما. جيك! جوا! هيا أيها الزفيقان". وصمتت قليلًا ثم قالت: "ها هما. ماذا كنتما تفعلان أيها الزفيقان؟" ثم خاطبتني: "لقد كانا في تلك الغرفة في نهاية القاعة، أمل أنهما لم يفسدا أي شيء".

كانت الغرفة الموجودة في نهاية القاعة هي غرفة مكتب كريغ؛ حيث كنت أجلس للقراءة في المساء. فقلت: "أنا متأكد من أنهما لم يفسدا شيئًا".

فقلت: "يملك الأولاد الصغار ميلاً فطرياً لإحداث الفوضى كما تعلم. سأسمح لهما بدفع عربة الأطفال بنفسيهما؛ فأنا أشعر بالتعب بسهولة في هذه الأيام. ألا ترغبان في ذلك أيها الصغيران؟"

ثم راقبتها وهي تنزل الدرجات المؤدية إلى المرأب، وكنت مستعداً للإمساك بذراعها إذا ترنحت، ولكن يبدو أن الحليب والكوكيز قد منحها بعض الطاقة.

قالت للتوأم: "ادفعاهما الآن، ولكن بتعقل. إذ لا نريد أن نصدم سيارة السيد ترينتون، هل اتفقنا؟"

فتدخلت قائلاً: "اصدماها! فهي ليست لي بل مستأجرة". فضحكت على ما قلته، وقالت: "هيا أيها الصغيران، عندما نصل سنقرأ قصة ما قبل النوم".

دفعت عربة الأطفال خارج المرأب، ورأيت النجوم الأولى وهي تبدأ بالظهور، وصار الجو أكثر برودة. أيام تموز تكون قاسية على ساحل الخليج كما تبين لي، لكن الأمسيات تكون لطيفة؛ حيث القليل من البرودة غير المزعجة.

مشيت معها حتى صندوق البريد.

"أوه، انظر إليهما، إنهما يتقدمان إلى الأمام". ثم رفعت صوتها قائلة: "لا تبتعدا أيها الولدان! كونا حذرين من الأفاعي".

فقلت: "أعتقد أنه عليك دفع عربة الأطفال بنفسك". "هكذا يبدو الأمر، أليس كذلك؟" وابتسمت، لكنني لاحظت أن عينيها حزيتان، أو ربما كان الضوء هو السبب.

قالت: "أنت تراني مجنونةً بالكامل".

فقلت لها: "لا. لكل شخص منا طريقه الخاصة للتعایش. كانت زوجتي...".

ثم توقفت عن الكلام، فسألتنی: "ماذا؟"

"لا تهتقي للأمر". إذ لم أشأ إخبارها بما قالتة زوجتي خلال الأشهر الصعبة الأخيرة من زواجنا (زواجنا الأول): "إنني أرى ابننا أحيانًا". فقد كانت هذه الكلمات مثل علبه من الديدان لا أرغب في فتحها. شاهدت سيده الكوكيز بالزيب وهي تمضي، ثم تختفي في ظلمة الشفق موجهة نحو الظلام الدامس، وسمعت تلك العجالات التي تصدر صريًا، وتمنيت لو أنني زيتها لها؛ فما كان الأمر ليستغرق أكثر من دقيقة واحدة فقط.

بعد ذلك، عدت إلى المنزل، وأغلقت الباب، وغسلت الصحون، ثم التقطت الكتاب الذي كنت أقرأه، وهو واحد من روايات جو بيكيت، ونزلت إلى مكتب كريغ. لم يكن لدي أي اهتمام بتفحص موقع عمل كريغ، حتى إنني لم أقم بتشغيل الحاسوب المكتبي. ولكنني كنت سعيدًا بالكرسي المريح واللطيف مع المصباح القائم بالقرب منه. فهذا هو المكان المثالي لقراءة رواية جيدة لبضع ساعات قبل النوم.

كانت لدى كريغ أيضًا قطة تدعى بوتونس، ويفترض أنها تقيم الآن في مسكنه في إيست هامبتون مع كريغ وصديقه الحالية (التي ستكون بلا شك أصغر منه بعشرين عامًا على الأقل، وربما بثلاثين عامًا). وكانت لدى بوتونس سلة صغيرة من الألعاب، رأيتها الآن إلى جانبي، وكان غطاؤها مفتوحًا،

وفيهما زوج من الكرات، وفأز بلاستيكي للمضغ، وسمكة مظاطية ملونة ملقاة على الأرض. نظرت إلى هذه الأشياء مطوِّلاً، وقلت لنفسى: "لا بد أنني ركلت السلة في وقت سابق من اليوم من دون أن ألاحظ ذلك؛ فما الذي قد يسبب تناثر هذه الألعاب غير ذلك؟!" ثم أعدت الألعاب وأغلقت الغطاء.

كان السيد إيتو القائم بأعمال كريغ يأتي مرّتين في الأسبوع. وكان يرتدي دائماً قمصاناً بنية اللون وبناطيل قصيرة بنية أيضاً مجعدة بشدة وتصل إلى حدود ركبتيه، وينتعل أحذية قماشية بنية. كما كان يعتمر أيضاً قبعة من القش البني انحسرت فيها أذناه الكبيرتان جداً. كانت صحته مثالية وربما سيعيش إلى الأبد. ذكرني بالشخصية السادية للعقيد سايتو في رواية "الجسر على نهر كواي"، وكنت أتوقع منه أن ينقل شعار العقيد سايتو إلى ابنه الأقل نشاطاً منه: "كن سعيداً في عملك".

إلا أن السيد إيتو، واسمه الأول بيتر، كان أبعد ما يكون عن السادية، وهو من مواطني فلوريدا الأصليين وقد وُلِدَ في تامبا. نشأ في بورت شارلوت، ويعيش في قرية بالم على الجانب الآخر من الجسر، وكان كريغ عميله الوحيد في راتلسنيك، ولكنه كان يشرف على الكثير من المنازل في باردي وسيستا وبوكا تشيتا. كان يقود شاحنة تحمل لوحة إعلانية، فيما يقود ابنه الضعيف شاحنة أخرى. وقد طُبع على جانبي الشاحنتين شعار: "إنه أخضر جداً!" وكان هذا الشعار سيبدو عنصرياً لو أن السيد إيتو ينتمي إلى عائلة ماكسويني. رأيته في أحد الأيام الأولى من شهر آب وهو يأخذ قسطاً

من الراحة. كان واقفًا في الظل ويشرب من مطرته. (نعم، كانت لديه واحدة!)، وكان يراقب ابنه الذي راح يدور في ملعب كريغ للتنس ويجز الأعشاب بواسطة الآلة المخصصة لذلك. فخرجت إلى الفناء ووقفت إلى جانبه.

قال لي وهو يضع قناعه: "إنني آخذ قسطًا من الراحة يا سيد ترينتون، وسأعود إلى العمل خلال دقيقة. لم أعد أتحمل الحرارة كما كنت في السابق".

فقلت له: "انتظر حتى تصل إلى عمري. أريد أن أسألك عن أمرٍ يثير فضولي. هل تتذكر توأم بيل: جيك وجو؟"

أجاب: "نعم، يا إلهي! ومن الذي يستطيع أن ينسى؟ حدث ذلك عام 1982 أو 1983 على ما أعتقد، وكان شيئًا فظيعةً. كنت صغيرًا مثل هذا الغبي عندما حدث ذلك". وأشار إلى ابنه إيدي الذي بدا وكأنه يتحدث عبر هاتفه أثناء قيامه بجز الأعشاب. وكنت أتوقع أن يتدحرج ويقع بين لحظةٍ وأخرى، الأمر الذي سيتسبب في حصول كارثة.

قلت: "لقد قابلت آلي، و... حسنًا..."

فأومأ قائلاً: "إنها سيّدةٌ حزينة، سيّدةٌ في غاية الحزن، تدفع عربتها دائمًا. لا أعرف إذا كانت تصدق أن فيها طفلين حقًا".

فقلت: "ربّما تصدق ولا تصدق في الوقت نفسه".

فسألني: "أحيانًا تصدق وأحيانًا لا؟"

عندها، هزّزت كتفي في حيرة.

فقال: "ما حدث لهما كان عازًا كبيرًا. وقد كانت شابةً صغيرة عندما حدث ذلك، ربّما في الثلاثين من عمرها أو أكبر قليلًا.

وكان زوجها هنري أكبر سنًا بكثير".

فسألته: "هل هاجمت أفاعٍ حقيقية التوأم؟"

فما كان منه إلا أن أزال قناعه، وتناول شربةً أخرى من مطرته، ثم أعاد قناعه إلى مكانه.

أما أنا فقد تركت قناعي في البيت.

قال: "نعم. كانت أفاعي، أفاعي مجلجلة. وقد حقق رجال الشرطة في الأمر، وكتبوا في تقاريرهم أن سبب الموت هو سوء الحظ. كنا أكثر تكتُّفاً في ذلك الوقت، ولم تكن هناك وسائل تواصل اجتماعي مثلما هي الحال هذه الأيام، باستثناء كلام الناس، وهذا نوع من التواصل الاجتماعي مثل وسائل الإعلام، ألا ترى ذلك؟"

فوافقته الرأي.

"حينها، كان السيد بيل في مكتبه في الطابق العلوي يجري المكالمات؛ فقد كان مستثمرًا عظيمًا مثل صديقك السيد أكرمان تمامًا، وكانت السيدة تستحم، بينما الطفلان يلعبان في الفناء الخلفي، حيث كانت هناك بوابة عالية، من المفترض أنها مغلقة، ولكنها لم تكن كذلك حقًا، بل بدت مغلقة. وقال محقق المقاطعة المسؤول عن التحقيق إن مزلاج البوابة استبدل عدة مرات بسبب الصدا، ولم يوضح الطريقة التي خرج بها الطفلان. فقد تعودت الأم أن تدفعهما باستخدام عربة الأطفال - ولا أعرف إن كانت هي العربة نفسها التي تمتلكها الآن أم لا - رغم أنهما كانا قادرين على المشي جيدًا، وينبغي لهما أن يمشيا. وفي ذلك الحين، قرّر الطفلان الذهاب إلى الشاطئ".

فقاطعته: "ألم يسيرا على الممشى الخشبي؟"

فهز السيد إيتو رأسه نفياً وقال: "لا. لا أعرف السبب، ولا أحد يعرف السبب. وقد تمكن فريق البحث من معرفة المكان الذي ذهب إليه لدى تعقبه الأغصان المكسورة، وملاحظته قطعة صغيرة من القميص تتدلى من أحدها".

في تلك اللحظة، تذكرت العبارة المكتوبة على ظهر العربة: "أراك لاحقاً أيها التمساح".

"يبعد الشاطئ حوالي أربعمئة ياردة من طريق راتلسنيك، والدرب إليه مكتظ بالشجيرات. اجتاز الطفلان الدرب حتى منتصفه تقريباً، وكان أحدهما ميّثاً عندما عثر عليهما فريق البحث، أما الآخر فقد مات قبل أن يصلوا به إلى الطريق. كان عمي ديفين ضمن فريق البحث، وقال إن الأفاعي عضت كل واحد من الطفلين أكثر من مئة مرة. وعلى الرغم من أنني لم أصدق ذلك، إلا أنني أظن أنها كانت عضات كثيرة. معظم العضات تركت ثقباً على أرجلهما، وكان هناك المزيد على العنقين والوجهين".

فسألت: "ألأنهما وقعا؟"

"نعم. في اللحظة التي بدأ فيها السم بالعمل وقعا. لم تكن هناك سوى أفعى واحدة عندما وصل فريق البحث، فقتلها أحد الرجال بعصا الإمساك بالأفاعي. إنها أداة فيها خطاف..."

"أعرفها. تحمل آلي واحدة منها عندما تمشي في الظلام".

فأوماً السيد إيتو وقال: "هذا لا يعني أن هناك الكثير من الأفاعي الآن. بل من المؤكد أنه ليس هناك أفاعٍ؛ فقد

أقيمت حملة صيد لمدة يومين في ما بعد، وجاء الكثير من الرجال، وشكلوا حشدًا منتظمًا. كان بعضهم من مقاولي البناء وطواقمهم، وكان الباقون من قرية بالم، واشترك العم ديفين في ذلك أيضًا. تحركوا شمالًا، ودخلوا في الأدغال، وقتلوا أكثر من مئتي أفعى مجلجلة على الطريق. هذا ما سمعته. كما قتلوا الكثير من الأفاعي الأخرى. وقد وصلوا إلى مكان يقع بين ممر ديلايت وجزيرة دوما، غير أن هذا المكان لم يعد موجودًا، فقد غمرته المياه الآن. سبح عدد قليل من الأفاعي بعيدًا، وربما غرقت، أما ما بقي منها فقد قُتل هناك. أربعمئة أو خمسمئة منها كما قال العم ديفين؛ لكن هذا هراء في رأيي. اعذرني على الشتائم. أعتقد أن عددها كان كبيرًا جدًا. وقد انضم هنري بيل إلى تلك المجموعة، ولكنه لم يستمر حتى النهاية، إذ أغمي عليه حسبما أعتقد بسبب الحرارة والانفعال. وللأسف، لم تر السيدة بيل طفليها حيث ماتا، بل رأتهما فقط في صالة الجنازة. وقد كان والدهما من ضمن فريق البحث الذي عمر عليهما، واضطروا إلى حمله إلى المستشفى. لقد توفي إثر نوبة قلبية بعد فترة ليست بالطويلة. ربما لم يتمكن من تجاوز الأمر قط. وفي الحقيقة، من يستطيع أن يفعل ذلك أصلًا؟

أعرف تمامًا تلك الأمور التي لا يمكن تجاوزها.

سألته: "وكيف قتلوا كل تلك الأفاعي؟" وكنت قد وصلت أثناء سيري سابقًا إلى نهاية الجزيرة، إلى ذلك المثلث الصغير من الشاطئ الصدفي بين الممر والتاج الصغير من الخضرة؛ وهو كل ما تبقى من جزيرة دوما، ولم أستطع تخيل وجود

كتلة من الأفاعي هناك.

انبعث صوت قعقعة مرتفعة قبل أن يتمكن من الإجابة؛ إذ كان إيدي إيتو قد خرج بآلته نحو ملعب التنس.

"أوي، أوي، أوي!" صرخ السيد إيتو، وركض نحوه ملوِّحاً بذراعيه. عندها، لم يعد إيدي مهتماً بهاتفه، بل أصابه الدهول، ولكنه تمكن من إعادة الآلة إلى العشب قبل أن تتسبب في أضرار جسيمة لسطح الملعب. وقد نتج عن هذا الحادث الكثير من الأوساخ والتراب الذي اندفع السيد إيتو لتنظيفه؛ ممّا منعني من الوصول إلى نهاية القصة.

دفنت ودونا جثة ابننا في مقبرة هارموني هيل، واكتشفنا أن جثته المدفونة هي أصغر شيء منه. وقد اكتشفنا ذلك خلال الأشهر التي تلت الدفن. إذ كان لا يزال هناك... لا يزال بيننا. وعلى الرغم من أننا حاولنا إيجاد طريقة للالتفاف حول ما جرى؛ لنستطيع تجاوزه والعودة إلى ما كنا عليه ممّا، إلا أننا لم نستطع. ثم انسحبت دوننا إلى عزلتها، وعانت من اضطراب ما بعد الصدمة، وراحت تتناول الحبوب وتفرط في احتساء الشراب. ولم أتمكن من إلقاء اللوم عليها بخصوص ما حدث في مزرعة كامبر؛ فقد كانت حينها عاجزة تمامًا عن إنقاذ ابننا. وبدلاً من ذلك، رحت ألومها على علاقة غرامية أقامتها قبل ذلك مع أحد الأشخاص الفاشلين، وكان اسمه ستيف كيمب. كانت علاقتهما قصيرة وغير مهمة بالنسبة إليها، كما أنها لم تكن السبب في انسداد الصمام في السيارة الذي أدى إلى وفاة ابننا؛ ولكنني كلما خدشت المكان المؤلم أكثر ازداد التهابه والألم التاجم عنه.

قالت لي ذات مرة: "إنك تلومني لأنك لا تستطيع إلقاء اللوم على القدر".

ربما كان ما قالته صحيحًا، ولكن اكتشافه لم يساعد قط. وعندما حصل الطلاق، لم يكن بسبب خطأ ولا خلاف، بل بدا وكأنه طلاقٌ وديّ إذا صحّ التعبير؛ رغم أنه لم يكن كذلك. ولكننا بحلول ذلك الوقت كنا مرهقين عاطفيًا للغاية بحيث لم يعد أحدهنا يظهر غضبه أمام الآخر.

في تلك الليلة، بعد سماعي رواية السيد إيتو عن وفاة التوأم؛ تلك التي تشوبها مبالغات كثيرة ولكنها لا تخلو تمامًا من الحقيقة، واجهت صعوبات في النوم كالعادة. وعندما غفوت كان نومي خفيفًا، وحلمت بعربة الأطفال ثنائية المقعد تتحرك ببطءٍ على الطريق.

في البداية، ظننت أنها تتحرك من تلقاء نفسها، وكأنها عربة أطفال شبحية، ولكن عندما أضيئت المصابيح الأمنية رأيت التوأم يدفعانها. كانا متشابهين تمامًا، وفكرت وقتها أن الأم معذورة لمحاولتها التمييز بينهما من خلال ألوان الملابس. تحت غرة الشعر الأشقر، كان هناك خطب ما في الوجهين، وربما لم يكونا وجهين، ربما بدا عنقاها منتفخين، وكأنهما يعانيان من مرض النكاف، أو كوفيد. وعندما اقتربا، رأيت أذرعهما متورمة أيضًا، ومميّزةً بنقاط حمراء مثل رقائق العجين بالفلفل.

صير، توقف. صير، توقف. صير، توقف.

اقتربا أكثر، ورأيت هناك أفعى مجلجلة على كل مقعد، تتلوى وتلتف. ربما أحضرا لي الأفاعي هدية أو عقوبة؛ فقد

كنت بعيدًا عندما مات ابني. غير أنه كان لي عذرٌ بالتأكيد؛ إذ كنت في بوسطن لمعالجة مشكلة في حسابٍ إعلاني. كان هذا العذر مقبولًا جزئيًا؛ إذ كنت غاضبًا بشأن خيانة دونا. لا، لم أكن غاضبًا، بل كنت بحاجة إلى الابتعاد قليلًا.

لم أتمنِّ موتها قط، وحاولت أن أخبر الطفلين الصغيرين ذوي العيون الفارغة بذلك، لكن ربما حمل كلامي نصف الحقيقة فقط. فالحب والكراهية توأم أيضًا.

صحوت، لكنني كنت في حالة من الخدر. في البداية، ظننت أنني ما زلت أحلم لأنني لا أزال أستطيع سماع ذلك الصرير الإيقاعي. لقد كان مصدر الصرير هو المروحة الموجودة في الغرفة الكبيرة من دون شك. فنهضت لأوقف عملها، ولكنني لم أكد أصل إلى باب غرفة النوم حتى توقّف الصوت. مشيت في الممر وأنا لا أزال أقرب إلى النوم مني إلى اليقظة. ولم يكن من الضروري حتى أن أنير المصباح كي أعرف أن شفرات المروحة لم تكن تتحرك.

عندها، ظننت أن سبب الصوت هو الحلم، وقد لحق بي إلى بداية الصحو.

فعدت إلى السرير، واستغرقت في نومٍ طبيعي في الحال تقريبًا، ولم تكن هناك أحلام هذه المرة.

نمت حتى وقت متأخر لأنني سهرت حتى منتصف الليل؛ هذا ما اعتقدته على الأقل. وربما كان المشي إلى أسفل الممر للتحقق من المروحة جزءًا من الحلم أيضًا. لم أظن ذلك، ولكنني لا أستطيع التأكد.

ما كنت سأتمكن من المشي لو كان اليوم حارًا، ولكن إحدى

الجبهات الباردة الأسطورية لساحل الخليج هبت بين عشية وضحاها. لم تكن شديدة البرودة قط؛ إذ عليك أن تعيش فصل الشتاء في ولاية ماين لتفهم معنى أن يكون الطقس الباردًا حقًا، ولكنني الآن في السبعين من عمري. كان النسيم منعشًا. فخبزْتُ لنفسي مافن إنكليزية، ودهنتها بالكثير من الزبدة كيفما اتفق، وانطلقت نحو البوابة المتأرجحة.

عبرت مسافة ربع ميل قبل أن أرى النسر تحوم، السوداء منها والرومية ذات الرؤوس الحمراء. إنها طيور قبيحة وغريبة، وهي كبيرة إلى الحد الذي يعيقها عن الطيران. أخبرني كريغ أنها تظهر بالآلاف تقريبًا إذا كان هناك مدُّ أحمر(9)، وتلتهم الأسماك الميتة التي تجرفها الأمواج إلى الشاطئ. لم يكن هناك مدُّ أحمر في ذلك الصيف- وكان من المستحيل أن تخطئ في تمييز ذلك الشعور بالوخز في رثتيك عن غيره- وقد ظهرت هذه الطيور على الطريق بدلًا من الشاطئ.

لذا، توقَّعتُ أن أجد أرنبًا أو حيوان "مدزَع"(10) ميتًا في الطريق، أو ربّما قطةً أو جرّوا هاربًا من شخص ما. لكنّه لم يكن حيوانًا، بل كانت آلي. وكانت مستلقيةً على ظهرها بجانب صندوق البريد الخاص بها، فيما عربة الأطفال ثنائية المقعد مقلوبة أمامها، وقد وقعت البناتيل القصيرة والقمصان على الصخرة الناتئة من الأرض. وكانت سثة من الصقور تتشاجر فوقها، وتقفز حولها، وتتدافع في ما بينها، وتنقر ذراعيها وساقها ووجهها. ربّما لم تكن تهاجمها فقط، بل التعبير الأصح هو أنها كانت تنتزع لحمها بمناقيرها الكبيرة.

رأيت واحدًا منها- وهو نسز رومي أحمر الرأس يزن خمسة باوندات- يحفر في العضلة ثنائية الرأس المكشوفة، ثم يرفع الذراع وهو يهز رأسه ويجعل يدها تهتز معه، فبدت وكأنها تلوح لي.

وبعد لحظة من الجمود بسبب الصدمة، هاجمتها، ورحت أحرك ذراعي وأصرخ، فطارت بعض الصقور وابتعدت بطريقة خرقاء، فيما تراجع معظم الصقور على الطريق في قفزات كبيرة خرقاء أيضًا. إلا ذلك الذي رفع الذراع بمنقاره، والذي استمر في هز رأسه رغم تقديمي؛ إذ كان يحاول تمزيق قطعة من اللحم. في تلك اللحظة، تمنيت لو كانت عصا الإمساك بالأفاعي التي تملكها آلي بمتناول يدي. وكان من الممكن أن يفيد مضرب البيسبول أكثر، ولكنك تعرف ما يقولونه عن الأمنيات والمتسولين والخيول. وفي تلك اللحظة، سقطت إحدى سعف النخيل، فالتقطتها، ورحت ألوح بها صارخًا:

صرخت: "ابتعد، ابتعد أيها اللعين".

لم تكن هذه السعفة تزن شيئًا تقريبًا، ولكنها تصدر صوتًا عاليًا عندما تكون جافة. هز الصقر رأسه مرة أخيرة، ثم انطلق محلقًا أمامي وهو يحمل قطعة من ذراع آلي في منقاره، فيما حدقت إلي عيناه السوداء وان وكأنهما تقولان إن دوري سيأتي قريبًا. لكمته، ولكنني أخطأته.

لم يكن ثقة شك في أن آلي قد ماتت، ولكنني ركعت إلى جانبها للتأكد. أنا كبير في السن الآن، وبحسب قول الأطباء، إن عمليات التفكير لدى المرء تصبح بطيئة حتى لو لم يكن مصابًا بمرض الزهايمر أو خرف المسنين، وما شابه ذلك...

ولكنني أعتقد أنني لن أنسى أبدًا ما فعلته طيور الجيف بالسيدة اللطيفة التي كانت بحاجة إلى التظاهر بأن الطفلين اللذين ماتا منذ فترة طويلة حيّان يرزقان. فالمرأة التي أحضرت لي كوكيز الشوفان والزبيب، كان فمها مفتوحًا، وقد اختفت منه الشفة السفلية، فبدت وكأنها تطلق صرختها الأخيرة. كما حصلت الطيور على نصف أنفها وعينيها، فحذق محجراها إلى وجهي وقد غطاها الدم.

وما هي إلا لحظات حتى ابتعدت إلى الجانب الآخر من الطريق، وتقيأت المافن الإنكليزية وقهوتي الصباحية، ثم عدت إليها. لم أرد البقاء هناك؛ فكل ما أردته هو أن أعود إلى منزل كريغ بأسرع ما يمكن أن تفعله ساقاي العجوزتان، ولكن الصقور ستعود وتستأنف وجبتها إن ذهب؛ إذ كان بعضها يدور في السماء حتى الآن، بينما جثم معظمها على أشجار الصنوبر والنخيل الأسترالي، وكأنها نسور من فيلم رعب كارتوني بنسخة نيويوركية. كنت أحمل هاتفني فائصلت بالرقم 911، وأبلغت بما حدث، وقلت إنني سأبقى إلى جانب الجثة حتى وصول الشرطة. وتمنيت أن تصل سيارة إسعاف، فمن شأن طاقم سيارة الإسعاف أن يحدث فرقًا كبيرًا.

تمنيت لو كان لدي شيء أعطي به وجهها المشوه، ثم أدركت أنني فعلت ذلك. إذ وضعت عربة الأطفال بشكل مستقيم، ونقلت الجثة إلى الجدار السميك الذي شكّله شجيرات الورد الأحمر، وعنب البحر على جانب الممر، وأخذت أحد القمصان ووضعتته على ما تبقى من وجهها. كانت ساقاها مفلطحتين، وكانت تنورتها مرتفعة إلى فخذيها. كنت أدرك

من خلال مشاهدتي التلفاز أنه لا يُسمح بتحريك الجثة حتى تأتي الشرطة، ولكنني قرّرت تجاهل ذلك، وقربت ساقها من بعضهما. كانت النسور قد نقرت الساقين أيضًا، وبدأت لي تلك النقاط الحمراء مثل لدغات الأفاعي. ثم أخذت القميص الآخر لأغطي ساقها. كان أحد القميصين أسود والآخر أبيض، ولكنهما يحملان العبارة نفسها: أنا توأم!

جلست إلى جانبها منتظرًا وصول الشرطة، وتمنيت لو أنني لم آت إلى جزيرة راتلسنيك قط. فقد كان هذا المكان هو البقعة التي وصل إليها صائدو الأفاعي خلال حملتهم للقضاء عليها- كما أخبرني السيد إيتو- لكنني اكتشفت أنه صار أسوأ مما كان عليه سابقًا؛ إذ لم تعد الأفاعي هي الخطر الوحيد.

كان ممز بيل محاطًا بالكثير من الحجارة والأصداف الكبيرة، فالتقطت بعضًا منها ورحت أرشق بها الصقور كلما حاولت الاقتراب. وقد أصبت واحدًا منها فقط، فأطلق قعقة عالية للغاية.

انتظرت صفارات الإنذار، وكنت أحاول ألا أنظر إلى المرأة الميتة التي تغطي القمصان وجهها وساقها. وفكرت في كوكيز الشوفان بالزبيب، وفي رحلة قمت بها إلى بروفيدينس قبل عشر سنوات. كنت حينها في الثانية والستين من عمري، وأفكر في التقاعد، ولا أعرف ما الذي سأفعله في ما يسقى سنواتي الذهبية، ولكن المتعة التي لطالما شعرت بها في عالم الإعلانات عند تأليف الشعار الصحيح الذي يتماشى مع الفكرة الصحيحة بدأت بالنمو بداخلي.

كنت هناك، مع اثنين آخرين من الشخصيات البارزة في

وكالة بوسطن، للتحاور مع مكتب المحاماة: ديبين أند ديبين، إذا أمكن ذلك. وكان مقر المكتب الرئيس في بروفيدينس، ولديه مكاتب فرعية في جميع ولايات نيو إنغلاند. وكان متخصصًا في قضايا حوادث السيارات والإصابات الانزلاق والسقوط. حينها، أراد طاقم المكتب حملة إعلانية قوية من شأنها أن تغطي جميع محطات التلفاز من كرانستون إلى كاريبو، وقالوا إنهم يريدون شيئًا خارقًا، شيئًا من شأنه أن يجعل الناس يتصلون بالرقم 800. لم أكن متشوقًا للقاء، وكنت أعلم أنه سيكون طويلًا ومليئًا بالحوارات؛ إذ يعتقد المحامون أنهم يعرفون كل شيء.

وفيما كنت أجلس في بهو فندق هيلتون في الليلة السابقة للموعد المتفق عليه، بانتظار عضوي فريقي، جيم وولسي وأندريه دوبوز، لينزلا من غرفتيهما جرتب شيئًا على الورق. كانت الخطة هي أن نذهب في اليوم التالي إلى حديقة أوليف ونطرح بعض الأفكار، أما الهدف النهائي فهو التوصل إلى عرضين جيدين، اثنين فقط لا أكثر. فعلى الرغم من أن المحامين يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء، إلا أنه من السهل تضليلهم أيضًا. في تلك الليلة، كتبت على ورقة ملاحظات: لماذا نسمح بخداعنا؟ متى شعرت بأنك تُخدع؟ اتصل بمكتب ديبين أند ديبين للمحاماة!

ربما لم تكن بداية بالمعنى الحقيقي، ولكنني طويت الورقة ووضعتها في جيب سترتي، ونظرت إلى المقهى. هذا كل ما في الأمر. في بعض الأحيان، أفكر في تلك اللحظة؛ فقد كان بإمكانني النظر من النافذة بهدوء، أو التوجه إلى المصعد

لأتفقد جيم وأندريه المتأخرين، ولكنني لم أفعل. وبدلاً من ذلك، ألقيت نظرة خاطفة على المقهى.

حينها، رأيت امرأة تجلس على أحد الكراسي، وكانت ترتدي بنطال بذلة لونه أزرق داكن، وشعرها يتماوج بين الأسود والأبيض. كانت تسريحته رائجة في ذلك الوقت، وربما يسقيها مصففو الشعر التسريحة الهولندية؛ فقد سزحت شعرها انطلاقةً من مؤخر عنقها وصعوداً نحو الأعلى. وكان وجهها ملتفاً بمقدار الربع فقط باتجاهي عندما رفعت كأسها لترتشف منها، ولكنني لم أحتج إلى رؤية المزيد. فتمة أشياء نعرفها فوراً، أليس كذلك؟ كالطريقة التي يميل بها رأس الشخص، والطريقة التي يهبط بها الفك نحو الذقن، أو كيف يرفع كتفاً واحدةً قليلاً وكأنه يهز كتفيه بطريقة فكاهية، وكيفية تمشيّط إحدى يديه خصلة من الشعر، بإصبعين مرفوعتين، واثنتين ملتفتين نحو راحة اليد... ثمة حكايات يرويها الزمن دوماً، أليس هذا صحيحاً؟ الزمن والحب.

فكرت في سري: إنها ليست هي! لا يمكن أن تكون هي! ولكنها هي، وليست أي امرأة أخرى.

لم أكن قد رأيته منذ أكثر من عقدين من الزمن. نعم هذا ما حدث، إذ فقدت الاتصال بها تماماً، حتى إنني تخلّصت من بطاقات العطلات على مدى اثنتي عشرة سنة أو نحو ذلك، إلا أنني عرفت ما إن رأيته.

وعلى الفور، وقفت وأنا أشعر بالخدر في ساقي، ودخلت المقهى، وجلست إلى جانبها. إنها امرأة غريبة الآن رغم أنها كانت ذات يوم أقرب صديقة لي، وكانت موضوع شهوتي

وحبي. إنها المرأة التي قتلت كلبًا مسعورًا ذات مرة دفاعًا عن ابنها وابني، ولكن بعد فوات الأوان! بعد فوات الأوان! بعد فوات الأوان!

قلت: "هل تسمحين لي بشراء شراب لك؟"

فاستدارت مندهشة، ومستعدة لقول كل ما كانت تودّ قوله: شكرًا ولكنني أقابل شخصًا ما، شكرًا ولكنني لا أبحث عن صحبة... غير أنها حين رأته، ارتسمت دائرة الدهشة المثالية على فمها، وتحركت على مقعدها نحو الخلف.

لمست كتفيها، فركزت عينيها على عيني، وغاصت عيناها الزرقاوان الداكنتان في عيني.

قالت: "فيك، هل هذا أنت حقًا؟"

فسألتها: "هل هذا المقعد شاغر؟"

في تلك الليلة أجرى جيم وأندريه جلسة العصف الذهني بمفردهما، وانتهى الأمر بقبول المحامين، وإعطاء الضوء الأخضر حقًا للقيام بحملة إعلانية هائلة تضمّ نجم رعاية البقر السابق. أما أنا فذهبت مع حبيبتي السابقة لتناول العشاء في مكانٍ بعيد عن حديقة أوليف. تذكّرت وجبتنا الأولى معًا بعد ثلاثة أشهر من الطلاق، والتي انتهت لقاءنا فيها بمعركة مريرة. إذ ألقت بطبق السلطة علي فظردنا من المطعم، وقالت لي: "لا أريد رؤيتك مرة أخرى أبدًا. إذا شعرت بحاجةٍ إلى أن تقول لي شيئًا ما، فعليك أن تكتبه".

ثم ابتعدت من دون أن تنظر إلى الخلف، وكان ذلك خلال فترة حكم ريغان. كنا نظن أننا كبار في السن، ولكننا لم نكن

نعرف إلى أي حد.

لم نُهر المعارك في تلك الليلة في بروفيدينس، بل كان هناك الكثير من الأخبار التي فاتتنا، وقدّرَ لا بأس به من الشراب؛ بما يكفي لتعود إلى غرفتي، ونقضي الليل معًا. وبعد مرور ثلاثة أشهر، وهي فترة كافية كي نتأكد من أن ما بيننا ليس مجرد نوع من التمسك بسراب الماضي، تزوّجنا مرة أخرى.

جاءت ثلاث دوريات للشرطة. قد يكون في الأمر مبالغة بالنسبة إلى حادثة وفاة امرأة عجوز، كما جاءت سيارة إسعاف. أزالوا القمصان التي غطيت بها جثة آلي بيل، وبعد الفحص من قِبَل فرق الطوارئ الطبية والتقاط بعض الصور الفوتوغرافية في الموقع، والتي لا يرغب أحد في أن ينظر إليها، وضعوا جارتي في كيس الجثث.

كان شرطي المقاطعة الذي أخذ إفادتي يدعى بي زين، والشخص الذي التقط الصور وصوّر فيديو لي أثناء الإدلاء بإفادتي هو د. كانافان. كان كانافان أصغر سنًا، ولديه أسئلة بشأن عربة الأطفال وحجم ملابس الأطفال. وقبل أن أتمكن من الشرح، قال زين: "إنها مشهورة نوعًا ما. فهي غريبة ولكنها لطيفة بما فيه الكفاية. هل سبق لك أن سمعت تلك الأغنية "دلّتا الفجر"؟"

فهزّ كانافان رأسه. ولكن باعتباري من محبي موسيقى الريف بشكل عام، ومن عشاق تانيا تاكر بشكل خاص، كنت أعرف الأغنية التي كان يتحدث عنها. ولم تكن قصتها تنطبق على آلي تمامًا، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن بعيدة جدًا عنها.

قلت: "إنها أغنية تتحدث عن امرأة تستمر في البحث عن حبيبها الذي رحل منذ زمن طويل، وكانت السيدة بيل تحب أن تدفع عربة طفليها إلى كل مكان، مع أنهما ماتا منذ فترة طويلة. لقد ماتا منذ سنوات".

فكر كانافان في الأمر مليًا، ثم قال: "هذا سلوك عديم الجدوى".

فكرت: ربّما عليك أن تفقد طفلًا لكي تفهم.
ثم انضم إلينا أحد أفراد الإسعاف قائلًا: "سنجري تشريحًا للجثة، ولكنني أعتقد أنها كانت سكتة دماغية أو نوبة قلبية".
فقلت: "أنا أقول إنها نوبة قلبية. فقد كانت تتناول حبوبًا لعلاج عدم انتظام ضربات القلب، وربّما تكون في جيب فستانها. أو..."

ومشيت إلى عربة الأطفال، ونظرت إلى الحقيبتين الموجودتين على ظهري المقعدين، ووجدت قبعتي بيسبول لتامبا رايز، وأنبوب كريم واقٍ من الشمس في إحداهما، ووجدت في الأخرى زجاجةً من الحبوب أخذها المسعف. نظر المسعف إلى الاسم، وقال: "سوتالول، لضربات القلب السريعة أو غير المنتظمة".

ربّما قلبت عربة الأطفال أثناء محاولتها الحصول على الدواء، وما الذي قد يكون غير ذلك؟! من المؤكد أنها لم تَرَ أفعى مجلجلة.

عندها، قال لي الشرطي زين: "قد يتعيّن عليك الإدلاء بشهادتك في التحقيق. هل ستبقى هنا لبعض الوقت يا سيد

ترينتون؟"

فأجبتة: "نعم، ولست وحدي. يبدو أن الجميع في هذا الصيف لن يبارحوا أماكنهم".

فقال: "هذا صحيح". ثم عدل قناعه وقال: "امش معنا. دعونا نر إذا كانت قد تركت المنزل مفتوحًا. إن فعلت ذلك فعلينا أن نغلقه في هذه الحال".

دفعث عربة الأطفال؛ ربما لأن أحدًا لم يطلب مني عدم القيام بذلك. فيما أخذ الشرطي زين الحبوب، ووضعها في مغلف.

قال كانافان: "يا إلهي، كيف لم تدفعها هذه العجلة التي تصدر صوتًا حادًا إلى الجنون؟". ثم فكر في ما قاله وتابع: "مع أنني أظنها كانت كذلك".

فقلت: "لقد أحضرت لي كوكيز ذات ليلة، فنويت حينها تزييت العجلة ولكنني نسيت".

لم يكن المنزل الموجود خلف جدار من شجيرات الورد الأحمر منزلًا يعكس الثراء، بل بدا في الواقع مكانًا صيفيًا على طراز تلك البيوت التي كانت تؤجر لاثنيين من الصيادين أو لعائلة تقضي إجازة مقابل خمسين أو سبعين دولارًا للأسبوع الواحد خلال فترة منتصف القرن العشرين؛ أي قبل وقت طويل من اكتشاف الأثرياء لهذا الخليج.

وكان هناك بناء إضافي أكبر وأحدث خلفه، ولكنه لا يزال صغيرًا (أو مبتذلًا بعض الشيء) ولهذا لا يمكن وصفه بالفيلات الخاصة بالأثرياء. كان المرأب متصلًا بالمنزل بواسطة ممر

مسقوف. نظرت إلى الداخل، ووضعت يدي على الزجاج، فرأيت سيارة تشيفي كروز قديمة عادية. كان هناك ما يكفي من الضوء يأتي من خلال النوافذ الجانبية؛ الأمر الذي سمح لي برؤية مقعدي الأطفال في الخلف.

طرق الشرطي زين باب المنزل، وهذا إجراء شكلي. ثم حاول الضغط على الباب وفتحه، وطلب من كانافان أن يأتي معه، وأن يصور ما يجري كي يعرضه على رؤسائه، ومنهم المدعي العام للمقاطعة، كدليل على أنه قام بواجبه على أتم وجه. وسألني زين إن كنت أرغب في الدخول فرفضت، ولكن بعد دخولهما، حاولت فتح الباب الجانبي للمرأب، فانفتح بسهولة أيضًا، ودفعت عربة الأطفال إلى الداخل وركنتها بجانب السيارة. إذ كانت هناك عواصف رعدية متوقعة في وقت لاحق من اليوم، ولم أرغب في أن تبطل.

قلت: "كونا طفلين صالحين". وخرجت الكلمات من فمي قبل أن أعرف أنني سأقولها.

بعد عشر دقائق، خرج زين وكانافان. وكان الأخير لا يزال يصور الفيديو، بينما جَرَب زين مجموعة من المفاتيح في حلقة، حتى حصل على واحد يناسب الباب الأمامي.

قال لي: "كان المنزل مفتوحًا تمامًا، النوافذ وكل شيء. أغلقت الجزء الخلفي وأبواب الفناء من الداخل، من أجل سلام روحها".

ففكرت: لا بأس، فهي تصطحب طفلها معها، وهما الشيء الوحيد الذي تهتم به حقًا.

بعد مزيد من البحث والتجريب في حلقة مفاتيح المرأة

الراحلة، أغلق زين المرأب. وفي ذلك الوقت، أوقف كانافان تشغيل كاميرا الفيديو، فمشينا نحن الثلاثة عائدين إلى الطريق. ثم سحب رجال الشرطة قناعيهما نحو الأسفل فوصلا إلى رقبتيهما. نسيت القناع مرة أخرى، فأنا لم أكن أتوقع أن أقابل أحدا حين خرجت من البيت هذا الصباح.

سألني زين: "إيتو يعمل لصالحك، أليس كذلك؟ الرجل الياباني ذو الأصول أميركية من القرية".
فأكدت له المعلومة.

عندها قال: "أيعمل لصالح السيدة بيل أيضًا؟"

"لا. إنه يعمل لصالحه فقط، فقد كانت تتعامل مع شركة بلانت وورد فو ذا غراوند. وكنت أرى شاحناتهم أحيانًا؛ ربما مرتين في الأسبوع".

"ألم توظف حارسًا؟ أو أي شخص يقوم بفتح المصارف المسدودة أو إصلاح السقف؟"

فأجبت: "لا أعرف شيئًا عن هذه الأمور. ربما كانت تستعين بالسيد إيتو".

فما كان من زين إلا أن حك ذقنه وقال: "لا بد أنها كانت تخدم نفسها بنفسها؛ إذ تستطيع بعض النساء فعل ذلك. حتى لو كانت تعتقد أن طفلها لا يزالان على قيد الحياة بعد مرور أربعين عامًا على وفاتهما، فهذا لا يعني أنها لا تستطيع إصلاح الغسالة أو زجاج النافذة".

فقال كانافان: "لكنها لم تكن مستعدة لتزييت عجلة عربية الأطفال هذه!"

قلت: "ربما كانت تحب ذلك، أو..."

وتدخل كانافان قائلاً وهو يضحك: "أو لا شيء. فلا أحد يحب العجلة التي تصدر صريرًا. ألا تعرف المثل القائل: العجلة ذات الصرير يجب أن تُزيت".

فلم يردّ زين ولا أنا. ولكنني أظن أن الطفلين قد أحبا الصوت، وربما كان هذا الصوت يساعدهما على النوم بعد يوم طويل من اللعب والسباحة. صرير... توقّف... صرير... توقّف... صرير...

وعندما عدنا إلى المكان الذي وجدت فيه الجثة، كانت سيارة الإسعاف واثنتان من سيارات الشرطة قد غادرت، بينما علّق رجال الشرطة الآخرون قبيل رحيلهم شريطًا أصفر اللون مكتوبًا عليه: "ممنوع العبور" بين شجرتي نخيل على جانبي الطريق، فاضطررنا للانحناء تحته.

سألت الشرطي زين عما سيحدث بالمنزل، وعقن سيقوم برعاية نفقاتها النهائية، فقال إنه لا يملك أي فكرة. ثم شرح قائلاً: "ربما تركت وصية. سيتعين على شخص ما أن يدخل البيت لإيجادها أيضًا، والبحث عن أي أوراق أخرى. لقد مات طفلها وزوجها، ولكن لا بد أن يكون هناك أقارب في مكان ما. وإلى أن نجد حلولًا لكل هذه المسائل، هل تستطيع أن تقدّم لنا المساعدة يا سيد ترينتون، وتراقب أنت وإيتو المنزل؟ هل تمانع القيام بذلك؟ قد يستغرق الأمر وقتًا بسبب المستندات الرسمية، ولكن السبب في الغالب يعود إلى نقص عدد الموظفين؛ فلدينا ثلاثة محققين فقط: اثنان في إجازة والآخر مريض".

ووضّح كانافان: "إنه مصاب بكوفيد. سمعت أن وضع تريس صعب".

فقلت: "أستطيع أن أفعل ذلك. وأظن أنه من الضروري ألا يعرف أحد أن المكان فارغ، ويجد في ذلك منفعة له".

فأجابني: "هذا كل شيء. على الرغم من أن اللصوص الذين يسرقون منزل شخص متوفى يفعلون ذلك عادةً عندما يقرؤون النعي، ولكن من سيكتب نعيًا للسيدة بيل؟ فقد كانت وحيدة".

"لماذا لا أنشر اسمها وما أعرفه عنها على الفيسبوك؟"

"حسنًا، جيّد. وسنقوم بنشره في الأخبار".

قال كانافان: "وماذا عن الجد الأكبر؟ هل يمكنه المرور إلى المنزل للبحث عن وصية وربما دليل العناوين؟"

فأجاب زين: "إنها فكرة جيّدة".

فما كان مئي إلا أن سألتهما: "ومن هو الجد الأكبر؟"

فردّ زين: "إنه أندي بيلي. وهو رجلٌ شبه متقاعد؛ إذ يرفض التقاعد بشكل كامل، ويساعد من يحتاج إلى شخص ما".

وقال كانافان: "إنه عضوٌ في ميثاق نادي 10-42".

وضحك كانافان فتجهم زين.

"ما الذي يعنيه هذا؟"

قال زين: "رجال الشرطة الذين لا يستطيعون حمل أنفسهم على الانسحاب من العمل. لكنّ بيلي شرطي جيّد، فهو يمتلك خبرة طويلة، كما أنّه رفيق أحد القضاة في صيد السمك، وأنا

متأكد من أنه قادرٌ على إنجاز بعض الأمور الملحة بسرعة".
"وهكذا، لن أضطرّ إلى دخول المنزل فعليًا..."

قال زين: "لا، لا، لا يمكنك ذلك. ستكون هذه مهمة بيّلي، إذا وافق على القيام بذلك. ولكن شكرًا لك لاستعدادك للمساعدة، ولإبعادك تلك الصقور اللعينة عنها. لقد شوّهتها، ولكن كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ بكثير. آسف من أجلك، فقد حظيت بصباح مزدحم بالأحداث السيئة، وفشلت نزهتك الصباحية".

قلت: "يحدث أمر سيئ في بعض الأحيان؛ ربّما كان هذا القول لكونفوشيوس".

فبدأ كانافان في حيرة، ولكن زين قال ضاحكًا: "هَلَا تسأل السيد إيتو إذا كان يعرف أي شخص من أقارب السيدة بيل عندما تقابله".

"سأفعل بالتأكيد".

ثم راقبتهما وهما يستقلّان سيارتهما، ولوّحت لهما وهما يدوران حول المنعطف التالي، وبعد ذلك عدت إلى المنزل.

فكرت في دونا، وفكرت في تاد؛ ابنا الراحل الذي كان سيصبح الآن في العقد الرابع من عمره لولا انسداد صمام السيارة، وكان شعره في هذا الوقت سيبدأ بالتحول إلى اللون الرمادي. وفكرت في آلي بيل التي صنعت كوكيز الشوفان الجيدة، والتي قالت لي: "أنا أعلم أنهما ميّتان، وأشعر مع ذلك بأنهما هنا في بعض الأحيان".

فكرت في عربة الأطفال ثنائية المقعد التي ركنتها في

المرأب المظلم، بجوار سيارة تشيفي كروز بتصميمها الجاذ وإطارات بلاك وول. وفكرت في أنني كدت أقول: "كونا طفلين صالحين...". على الرغم من أن عربة الأطفال كانت فارغة.

لم يكن ما جرى منصفًا. لم يكن منصفًا بالنسبة إلى توأم بيل، ولم يكن منصفًا بالنسبة إلى ابني، ولا بالنسبة إلى زوجتي التي تزوجتها مرتين. إن العالم مليء بالأفاعي المجلجلة، وقد تدوس عليها في بعض الأحيان فلا تعض، فيما تدوس عليها في أحيان أخرى وتعض.

على أي حال، كنت جائعًا في الوقت الذي عدت فيه إلى المنزل. لم أكن مجرد جائع، بل كنت أتضور جوعًا، فسلبت أربع بيضات وحقصت مافن إنكليزية أخرى. كانت دونا ستقول إن جوعي صحي؛ فهو دليل على الحياة، وهو بصاق في عين الموت، ولكنه قد يكون مجرد جوع فقط. لا شك في أن عثوري على امرأة ميتة في نهاية مدخل بيتها، وتلويحي لإبعاد الطيور الجارحة التي تريد أكلها قد أحرق الكثير من سعراتي الحرارية. وعلى الرغم من أنني لم أستطع التوقف عن التفكير في وجهها المشوه، إلا أنني أكلت كل شيء في طبقي على أية حال.

كان الطقس لطيفًا وليس حارًا جدًا - "أشد حرارة من مخاطر الكلب"؛ هكذا كان السيد إيتو يحب أن يقول - ولذلك قررت أن أمشي بعد كل شيء، ولكن ليس إلى البوابة المتأرجحة هذه المرة، كيلا أؤمر من المكان الذي وجدت فيه جثة آلي. لذا، مشيت عبر ممشى كريغ إلى الشاطئ بدلًا من ذلك. كان الجزء

الأول منه مطوّقًا بالنخيل وسعفه، ما حوّله إلى نفقٍ أخضر. وبدا أنّ حيوانات الراكون تحبّ هذا الجزء، لذا كان عليّ الحرص لتجنب الكتل الصغيرة من برازها المنتشرة في كلّ مكان. وفي نهاية الممشى الخشبي، كانت ثقة شرفة مراقبة، ثم تفضي الأشجار بعد ذلك إلى منطقة واسعة من عشب الشاطئ وقصب الكتبان الرملية. وهناك، بدا صوت الأمواج خفيًا ومهدّئًا، فيما النوارس وطيور الخرشفة تحلق في دوائر متنقلة مع نسيم الخليج. كانت هناك طيورٌ أخرى، طيورٌ كبيرة جدًا وأخرى صغيرة. وكان كريغ من هواة الطيور لذا كان يعرف أسماءها كلّها، على عكسي.

نظرت جنوبًا حيث كانت هناك تشابكات كبيرة من الشجيرات، وظهرت بعض أشجار النخيل فوقها، ولكنها لم تبدُ سليمة وبحالة صحيّة؛ ربّما لأنّ تكاثر النفايات كان يمتصّ معظم العناصر الغذائية الغنية من المياه الجوفية. إنه المكان الذي قابل فيه جيك وجو حظّهما العاثر. كنت أستطيع رؤية ممشى بيل، وفكرت في أنهما لولا لعبهما دور مستكشفي الغابة لرّبّما كانا الآن في الأربعين من عمرهما، يدفعان أطفالهما الصغار في تلك العربة القديمة. فقد كانت الأفاعي المجلجلة هي الخطر الوحيد فقط؛ لأنّها كما أعتقد مليئةٌ بالسم.

تركت شرفة المراقبة خلفي، واتجهت شمالًا على طول الشاطئ الذي كان واسعًا ورطبًا ومشرقًا تحت أشعة الشمس. سيكون هناك عددٌ أقلّ بكثير من الطيور على الشواطئ بعد ظهر ذلك اليوم، ولا شيء تقريبًا عندما يحلّ المساء؛ حين

يكون المد مرتفعًا. قال السيد إيتو إنَّ الأمر لم يعد هكذا، ويعود السبب إلى ظاهرة الاحتباس الحراري. وبحلول الوقت الذي سيصبح فيه أيدي في مثل عمره، سيكون الشاطئ قد اختفى.

كانت النزهة ممتعة؛ إذ كان الخليج إلى يساري والكثبان الرملية إلى يميني، وكان منزل كريغ أكرمان هو المنزل الأخير في الجزيرة. وإلى الشمال من ممتلكاته، كانت أراضي المقاطعة تغطيها الأشجار الكثيفة المتشابكة، والتي تزايدت بالقرب من الشاطئ، فكنت أضطر أحيانًا إلى إزالة أغصان النخيل والقفز فوق كتل كبيرة من الأعشاب البحرية. ثم انتهت أوراق الأشجار واتسع الشاطئ على شكل مثلث غير متوازن وعميق من الأصداف. وجدت بعض أسنان سمكة قرش مرقطة متناثرة هناك، بعضها بحجم إصبع السبابة، فالتقطت القليل منها ووضعتها في جيبِي، وفكرت في أن أعود بها إلى دونا، ثم تذكرت فجأة أن زوجتي قد ماتت.

عضة أخرى، هكذا خيل إلي.

كان المثلث غير متوازن لأنَّ معبر ديلايت يقطع الشاطئ، ويؤدي إلى جريان المياه بعكس المد من خليج كاليبسو؛ فيقاوم أمواج الخليج المعتدلة في البداية، ثم يدور في دوامة قبل أن ينضم إليها. لقد فتح الإعصار معبر ديلايت، والذي كان مغلقًا قبل تسعين عامًا. فهذا ما قرأته عن تاريخ راتلسنيك الجنوبية في الكتيب المصور الذي وجدته على طاولة قهوة كريغ عندما وصلت إلى البيت. وعلى الجانب الآخر من الطريق، كانت هناك رقعة عائمة من المساحات

الخضراء؛ وهي كل ما تبقى من جزيرة دوما التي غمرتها المياه أثناء الإعصار نفسه الذي فتح المعبر.

فقدت الاهتمام بالتقاط أسنان سمك القرش. ولو كنت مكاني وتذكرت أن زوجتك قد ماتت، فمن دون شك ستفقد الاهتمام مثلي. لذا، وضعت يدي في جيبتي، ونظرت إلى الشاطئ الصدفي حيث انتهت جزيرة راتلسنيك. كان الطريق، حيث قتل فريق الصيد ما تبقى من أفاعٍ مسدودًا. إن وجود مجموعة من المحامين يعني سماع خطبة بلاغية، فيما وجود مجموعة من الأفاعي المجلجلة يعني رقصة رومبا. لا أدري بالضبط من أين جاءت هذه الفكرة، ولكنني عرفتُها؛ فالعقل لا يكون دائمًا مجرّد زاحف سامّ يعضّ نفسه في بعض الأحيان، بل يكون أيضًا قفّامًا متحفّسًا.

وقفت هناك، وراح النسيم يداعب قميصي، فيما حامت الطيور فوق رأسي، وأشارت أوراق الأشجار الخضراء المتساقطة إلى ما تبقى من جزيرة دوما؛ فيما راحت ترتفع وتهبط مع الأمواج، وكأنها تتنفس. كيف قاد الفريق الأفاعي إلى هذا المكان؟ إنه شيء لم أعرفه. وعندما وصلوا بها إلى هنا، كيف قتلوها كلّها؟ ألم تحاول الهرب والسباحة بعيدًا؟ ألم تجد مكانًا تهرب إليه؟ لم أعرف إجابة عن هذه الأسئلة أيضًا.

سمعت صريرًا خلفي، تلاه صرير آخر، فشعرت بالعرق ينساب باردًا على مؤخر رقبتني. لم أشأ تحريك رأسي؛ لأنني كنت متيقنًا من أنني سأرى عربة الأطفال ثنائية المقعد وفي داخلها الطفلان الميتان منتفخين بسبب عضات الأفاعي. ولكنني لم أجد أي مكان أهرب إليه (مثل تلك الأفاعي)،

وأنا لا أصدق وجود الأشباح. وحين التفث، رأيت زوجًا من النوارس يقفان هناك. رأيت رأسين أبيضين، وجسدين أسودين، وعيونًا خرزية تحثق وكأنها تسأل عما أفعله هنا، وعن السبب الذي دفعني إلى التعدي على موقعها.

ولأنني كنت خائفًا، رميت عليها فورًا بعض أسنان القرش من جيبِي. لم تكن بحجم الأصداف التي ألقيتها على الطيور الجارحة، ولكنها كانت كافية، فطارت النوارس وهي تصيح بسخط. ولكن ما سمعته خلفي كان صريًا؛ مثل صوت العجلة التي تحتاج إلى التزييت، فقلت لنفسي إن هذا هراء، وصدقت ذلك تقريبًا.

في تلك الأثناء، حمل إلي النسيم رائحة شيء نفاذ، قد يكون الكيروسين أو البنزين. فلم يفاجئني الأمر. إذ إن سياسيّ فلوريدا- من الحاكم وصولًا إلى المدينة والبلدة بمجالسها المحلية- مهتمون بالأعمال التجارية أكثر من اهتمامهم بالحفاظ على النظام البيئي الهش لساحل الخليج، وهم يسيئون استخدامه، وسيفقدونه في النهاية إلى الأبد.

بحثت عن قطرات قوس قزحية من النفط أو الزيت على سطح الماء، أو ملتفة عند حواف تلك الدوامة المستمرة، فلم أرَ شيئًا. فتنفّست بعمق غير أنني لم أشم أي رائحة. عندها، عدت إلى المنزل، وظللت أفكر في ذلك في منزل كريغ أكرمان.

لا أعرف ما إذا كان الزواج مرةً أخرى ناجحًا كقاعدةٍ عامة، ولا أعرف إذا كانت ثمة إحصائيات؛ فأنا لم أقرأ شيئًا عن ذلك، ولكننا تزوّجنا مرةً أخرى. هل كان ذلك بسبب القطيعة

الطويلة؟ إذ مرّت سنوات لم يرَ فيها أحدنا الآخر، ثم انقطعنا عن التواصل تمامًا. هل أدّت الصدمة إلى إعادة التواصل؟ ربّما كان ذلك جزءًا من الدوافع، وربّما كان الجزء الآخر منها هو ذلك الجرح الرهيب الذي سبّبه موت ابننا، والذي سهّل الوقت شفاءنا منه. لكنني أتساءل عمّا إذا كان الأزواج يتجاوزون شيئًا كهذا.

عن نفسي، كنت أفكر في تاد بشكل متناقص، ولكنني عندما أفكر فيه، يعتصرني الألم بقوة كما كان دائمًا. ذات يوم، حين كنت في المكتب تذكرت كيف كنت أسرد له قصصًا دينية قبل النوم بهدف تقليص مخاوفه من الظلام. وقد جعلتني هذه الذكرى أجلس لوقت طويل في ح قام المكتب باكيًا. ولم يحدث ذلك بعد عام أو عامين أو حتى عشرة من رحيله، بل عندما كنت في الخمسين من عمري. وها أنا الآن في السبعين، وما زلت غير قادرٍ على النظر إلى صورته؛ مع أنني خزّنت الكثير منها على هاتفي. وقالت دونا إنها بكت أيضًا، ولكن فقط في يوم ذكرى ميلاده. وهذا نوعٌ من طقوس الاحتفال بتلك المناسبة. ولكنها كانت دائمًا أقوى مما تبدو عليه، لقد كانت محاربة.

ربّما تكون الرومانسية هي محور كل الزيجات الأولى؛ رغم أنني متأكد من وجود استثناءات. فبعض الأشخاص يتزوجون من أجل المال، أو لتحسين حياتهم بطريقة أو بأخرى، لكنّ معظم الزيجات تكون مدفوعة بمشاعر أغنيات البوب مثل أغنية "الريح تحت أجنحتي"؛ سواء أكان ذلك بسبب الشعور الذي يصل إلى المستمع، أو بسبب النتيجة

الطبيعية التي لا تصل إليها هذه الأغنية؛ إذ تموت الريح في النهاية. وعليك بعد ذلك أن ترفرف بتلك الأجنحة إذا لم ترغب في أن تحط على الأرض محطماً. قد يجد بعض الأزواج حباً أصعب يستمر بعد انتهاء العلاقة الرومانسية التي تتلاشى شيئاً فشيئاً، فيما يكتشف أزواج آخرون أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الحب الأصعب، فيتجادلون حوله بدلاً من مناقشة الأوضاع المالية، ثم يحلّ الشك محل الثقة، وتزدهر الأسرار في الظل.

وتنتهي بعض الزيجات بسبب موت طفل. لم تفعل آلي بيل ذلك، ولكنه كان أمراً وارداً. ولكن زوجها توفي هو أيضاً بعد فترة قصيرة من وفاتهما. أما أنا فلا مشاكل لديّ في الشريان التاجي، ولكنني أصبت بنوبات هلع، فاحتفظت بكيس ورقي في حقيبتني كي أنفخ فيه كلما شعرت بهذه النوبات. وفي النهاية توقفت.

عندما تزوجت ودونا مرة أخرى، كان هناك حب أقدم وأكثر لطفًا وأكثر تحفظًا. ولم تكن هناك أي من المشاكل المالية التي تربك العديد من الأزواج الشباب في بداية حياتهم المشتركة؛ إذ كنت قد قمت بعمل جيد في عالم الإعلانات، كما كانت ودونا تشرف على إحدى أكبر المناطق التعليمية في جنوب ولاية ماين. وفي ذلك المساء، حين رأيتها في ذلك المقهى، كانت في بروفيدنس لحضور مؤتمر مديري المدارس السنوي في نيو إنغلاند. لم يكن راتبها مرتفعاً مثل راتبي، ولكنه كان جيداً. وكان كل منا قد وضع خطة مالية لتقاعده، وكان هذا كافياً لكي يلبي احتياجاتنا المالية.

كانت العلاقة الحميمة بيننا مرضية؛ على الرغم من غياب الشغف الكبير عنها (ربما باستثناء تلك المرة الأولى بعد الانقطاع الطويل). كان لديها منزلها، وكان لديّ منزلي. وقد عاش كلّ منا في منزله، ولم يشكل التنقل أزمة كبيرة؛ إذ اتضح لنا أننا كنا نعيش على بعد سبعين ميلًا فقط طوال سنوات الانفصال. لم نكن معًا طوال الوقت، وكان ذلك جيدًا، إذ لم نكن بحاجة إلى ذلك. وعندما كنا نلتقي، كان يبدو الأمر وكأننا برفقة صديق جيد ينتهي بنا الأمر مصادفة بمشاركته السرير. عملنا على تحسين علاقتنا بطريقة لا يفعلها الأزواج الذين بدأوا علاقتهم منذ وقتٍ قصير؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك، إذ يملكون تلك الريح تحت أجنحتهم. لكن الأزواج الأكبر سنًا، وخاصة أولئك الذين يعانون من رهاب الظلام في ماضيهم الذي يحتاجون إلى تجنبه، كان عليهم أن يرفرفوا. وهذا ما فعلناه.

تقاعدت دونا مبكرًا. وفي عام 2010 أصبحنا زوجين في منزل واحد؛ وأقمنا في منزلنا في نيوبريبورت، وكان هذا قرارها. اعتقدت في البداية أن السبب هو رغبتها في قضاء المزيد من الوقت معي، وكنت مُحقًا في ذلك. ولكنني لم أعرف سبب شعورها بأنّ إمضاء المزيد من الوقت معي أصبح ضروريًا. أمضينا أسبوعًا في نقل حاجاتها، ثم توضح الأمر في أحد أيام السبت المشمسة من شهر تشرين الأول، عندما كنت أمشي معها بالقرب من الجدار الصخري الذي يفصل منزلي عن نهر ميريماك. كانت تمسك بيدي، وكنا نركل الأوراق، ونستمع إلى الخشخشة الصادرة عنها، ونستنشق رائحة القرفة الحلوة التي تفوح من الورقات قبل سقوطها

وبدء تحللها. فخلال فترة بعد الظهر من ذلك اليوم الجميل، وفيما كانت الغيوم الضخمة تبحر عبر السماء الزرقاء، قلت لها إنها تبدو وكأنها فقدت من وزنها، فقالت إن هذا صحيح، وإن سبب ذلك هو إصابتها بالسرطان.

كنت أخشى أن التفكير في الصقور التي كانت تمرق آلي قد يبقيني مستيقظًا، ولذلك ذهبت للبحث في خزانة أدوية كريغ ذات الحجم الكبير (إذ كان صديقي مصابًا دائمًا بالوسواس المرضي)، ووجدت دواءً آمنًا يساعدني على النوم. وقد كتبت على الدواء أنه منتهي الصلاحية منذ مايو 2018، ولكنني فكرت في الأمر وأخذت قرصين، فربما كانا مفيدتين. وقد يكون ذلك ناتجًا عن تأثير الدواء الوهمي، إلا أنني نمت طوال الليل، ومن دون أحلام.

وعند الساعة السابعة من صباح اليوم التالي، استيقظت منتعشة، وقررت أن أتنزه، وشعرت بأنني لا أستطيع تجنب ذلك المكان الذي ماتت فيه آلي طيلة الفترة المتبقية لي هنا. وعلى الفور، ارتديت بنطالًا قصيرًا، وانتعلت حذاء رياضيًا، ونزلت إلى الطابق السفلي لتشغيل آلة صنع القهوة.

كان ممز كريغ يؤدي إلى فناء كبير بجانب المنزل، وتطلّ النافذة أسفل الدرج على هذا الفناء. وما إن تقدّمت خطوتين من أسفل الدرج حتى تجقّدت في مكاني محددًا.

إذ كانت عربة الأطفال هناك.

لم أستطع تصديق ذلك، لم أستطع استيعاب الأمر، وظننت أن ما رأيته وهمًا من الظلال. ولكن، في ذلك الوقت المبكر لا يسمح ضوء الصباح بتشكيل الظلال، ما عدا الظل الذي ألقيه

عربة الأطفال إلى جانبها. كانت هناك، وكان الأمر حقيقياً. وقد أثبت الظل وجودها أكثر مما فعلت بحد ذاتها، فلا وجود للظلال إلا إذا كان هناك شيء يسببها.

وبعد الصدمة الأولية التي تعرّض لها دماغي، شعرت بالخوف. فقد جاء شخص ما، شخص لثيم لا أعرفه، وترك عربة الأطفال تلك كي يخيفني. وقد نجح في ذلك. فزعت، ولم أستطع تحديد من سيُقدّم على مثل هذا الأمر. بالتأكيد، لن يكون الشرطيّان زين وکانافان من قام بذلك. ربّما سمع السيد إيتو بخبر وفاة السيدة بيل؛ فالأخبار يتمّ تناقلها بسرعة في المجتمعات الصغيرة. ولكنه لم يكن من النوع الذي قد يُقدّم على مثل هذا النوع من المزاح، فيما ابنه يقضي معظم الوقت في أرض أحلامه على الإنترنت. لم أعر على من أشتبّه به، غير أنّ هذا لم يكن مهماً، فما يهمّ هو أنّ شخصاً ما قد جاء إلى منزلي عند منتصف الليل.

هل أقفلت الأبواب خلفي قبل أن أنام؟! غير أنّي لم أستطع تذكر ذلك تحت تأثير الصدمة والخوف الأوليين (في البداية لم أكن غاضباً). في ذلك الوقت، كنت أستطيع تذكر الاسم الأوسط لزوجتي الراحلة، لو طلب مني ذلك. وعلى الفور، أسرعّ إلى الباب الأمامي فوجدته مقفلاً، وذهبت إلى الباب الذي يُفضي إلى المسبح والفناء فوجدته مقفلاً أيضاً. عندها، ذهبت إلى الباب الخلفي الذي يفتح على المرأب، وكان مقفلاً أيضاً. لذا، على الأقل لم يكن هناك أحد في الداخل، يزحف عند منتصف الليل. كان ينبغي أن يكون هذا مصدر ارتياح، ولكنه لم يكن كذلك.

اعتقدت أن أحد رجال الشرطة قد ترك هذا الشيء، فقد أقفل زين المرأب وأخذ المفاتيح.

كان هناك منطق في هذا الكلام، ولكنني لم أصدق ذلك. فقد بدا زين رصينًا، ويمكن الاعتماد عليه، وبعيدًا عن أن يكون غيبًا. ثم هل كان مفتاح المرأب ضروريًا حقًا؟ على الأغلب لا. فالقفل الموجود على الباب الجانبي تفتحه أي بطاقة ائتمان.

خرجت لإلقاء نظرة على عربة الأطفال. وتوقعت أن أجد ملاحظة من النوع الذي قد نجده في أفلام الرعب "أنت التالي" أو مثلًا: "غد من حيث أتيت". وتبادرت هاتان العبارتان إلى ذهني.

غير أنني لم أجد ملاحظة، بل شيئًا أسوأ: بنطالًا قصيرًا أصفر على أحد المقعدين، وآخر أحمر على المقعد الآخر؛ وهما مختلفان عن البنطالين اللذين كانا بالأمس. والقميصان الملفوفان على الظهر ليسا نفسيهما أيضًا. لم أشأ التمعن في القميصين، ولم يكن من الضروري قراءة ما كتب عليهما: تويدليديوم وتويدليدي، إذ إنهما قميصا التوأم بالتأكيد. ولكن هذا التوأم مات منذ زمن طويل.

والسؤال الذي تبادر إلى ذهني الآن: ما الذي ينبغي لي فعله بعربة الأطفال اللعينة هذه؟ وكان سؤالًا بديهيًا. فالآن، بعد أن أصبح وجودها هناك حقيقة، بُدِدت صدمتي الأولى التي أعقبها الخوف، والذي تحوّل بدوره إلى فضول وغضب: يا لها من طريقة غبية لبدء الصباح! كان هاتفني الخلوي في جيب بنطالي القصير، فأتصلت بقسم المقاطعة، وطلبت الشرطي زين، غير أن موظفة الاستقبال طلبت مني الانتظار قليلًا.

وبعد قليل، أخبرتني أن زين خارج الخدمة حتى يوم الاثنين التالي. ولأنني كنت أعرف أن طلب رقم هاتف الشرطي الشخصي سيكون مرفوضًا بالتأكيد، لذلك طلبت من الموظفة أن تخبره بأن فيكتور ترينتون قد اتصل، وأن تطلب منه الاتصال بي.

ولكنها أجابتني: "سأرى ما يمكنني فعله". فلم يساعدني رذها غير المبالي في تحسين صباحي السيئ.

غير أنني قلت لها: "أشكرك على جهودك". وأنهيت المكالمة.

لم يكن السيد إيتو سيحضر قبل يوم الاثنين، ولم أفكر في أي رفقة أخرى. ولكنني صقمت على إبعاد عربية الأطفال عن فنائي، وقزرت إعادتها إلى مرأب منزل السيدة بيل الذي كان يقع في نطاق مسيري المعتاد. فربما أستطيع حينها معرفة هوية ذلك الشخص اللئيم الذي خطط لهذه الخدعة، والذي فتح باب المرأب عنوةً. في البداية، التقطت صورتين للعربة في مكانها كي أريهما لزين؛ على افتراض أنه مهتم. قد يعترض قليلًا لأنني حرّكت عربية الأطفال من حيث وجدتها في الفناء، ولكن هل سيعتبر هذا الفعل دليلاً على قيامي بالجريمة؟ هل تعرّضت آلي بيل للضرب حتى الموت باستخدام عربية متنقلة؟

لا. كل ما في الأمر هو أنني سأعيدّها إلى المكان الذي تنتمي إليه.

دفعت العربة إلى أعلى الطريق تحت شمس الصباح الحارقة. ربّما كانت آثار الدواء المنوم لا تزال تسيطر عليّ. لأنني بعد أن تجاوزت الخوف الذي شعرت به لدى رؤيتي

عربة الأطفال (حتى البناتيل القصيرة والقمصان العادية، مثل أنواع الملابس المتوفرة في متاجر وول مارت أو أمازون)، أصابني نوع من الذهول. ولو كنت الآن في السرير، أو مستلقيًا على الأريكة، لاستغرقت في النوم وأنا في هذه الحالة، ولكن بما أنني أسير على طريق الأفاعي المجلجلة، فقد تركت عقلي يطفو في تياره الخاص.

هل كانت العجلة تصدر صريرًا، أو لم يكن هناك صرير؟ (كان من الأفضل أن أزيّتها). كان دفع عربة الأطفال سهلًا، وخصوصًا وهي لا تحمل أي صبي يبلغ من العمر أربع سنوات، ولذلك دفعتها بيدي اليسرى، ولمست بيدي اليمنى القميصين المعلقين على ظهري المقعدين: الأول، ثم الثاني. لم أدرك ما كنت أفعله إلا في وقت لاحق.

تخيّلت الولدين وهما يعبران الطريق، ثم يشقان طريقهما نحو الشاطئ عبر الشجيرات من دون أن يزعجهما الأمر، أو يدفعهما للجوء إلى الشتائم الخاصة بهما إذا صفعت سعة نخيل متأرجحة وجه أحدهما، أو كشط فرغ بارز ذراع الآخر. إنهما غير غاضبين، بل صبوران. ربّما فكّرا في المشي عبر الممر. كانا مثل المستكشفين للغابة الخيالية المشتركة، وهما يعتمدان قبعتين من أوراق الصحف صنعهما والدهما من عدد "تريبيون" الملون الخاص بيوم الأحد. في مكان ما أمامك قد يكون هناك صندوق كنز تركه القراصنة خلفهم، أو قرذ عملاق مثل كينغ كونغ؛ وهو فيلم شاهداه في "تامبا ماتيني" عند الساعة الرابعة، عندما كانا يجلسان متربعتين على الأرض أمام التلفاز، قبل أن تستولي أمهما عليه لحضور برنامج أخبار

الليلة مع توم بروكاو.

سمعا صوت الخشخشة منخفضًا في البداية، ولكنه ازداد ارتفاعًا وقربًا وهما يندفعان ببطولة إلى الأمام. غير أنهما تجاهلا الأصوات في البداية، وكان هذا خطأهما الفادح الأول. ربّما ظن جو أنّه النحل، وسيعثران على العسل مع تقدّمهما قدمًا، وربّما سأله جيك عن عدد اللسعات التي يفضلها وطلب منه ألا يكون غبيًا؛ فهما يبحثان عن الكنز، والعسل ليس كنزًا. سمعا صوت خشخشة يأتي من اليسار واليمين. لا مشكلة. الشاطئ أمامهما مباشرة، وبمقدورهما سماع صوت الأمواج بالفعل، وهما سيجذبان بأقدامهما قبل الحفر في الرمال بحثًا عن الذهب (أو بناء قلعة إذا لم يسفر البحث عن الكنز عن أي نتائج). أرادا الخوض في الماء لأن الجو حار. كان يومًا حارًا مثل ذلك اليوم الذي كان على تاد الصغير أن يتأقلم معه، ولم يكن لديه ماء يُجذف فيه بقدميه، وكان محاصرًا في سيارة ساخنة مع والدته لأنّ هناك وحشًا في الخارج. لم يرحل الوحش، ولم تمش السيارة.

لم ينتبه الثوأم في ذلك اليوم إلى المنخفض في الأرض؛ لأنه محجوب بشبكة من الشجيرات التي تخفي وكّزًا للأفاعي أيضًا، فيما مجموعة من الأفاعي المجلجلة تعيش في ظلّ الأشجار. كان بإمكان جيك وجو التجوّل جنبًا إلى جنب في هذه المساحات الخضراء. ولكن لا، فهذه ليست الطريقة التي يتصرّف وفقها المستكشفون الشجعان. إذ يتقدّم المستكشفون الشجعان إلى الأمام مباشرة، ويجتازون المساحات الخضراء مستعملين المناجل غير المرئية لقطع

الأغصان.

وهذا ما فعلاه. ولأنهما كانا يسيران جنبًا إلى جنب، فقد غاصا في الحفرة معًا، بين الأفاعي التي تنام هناك. كان هناك العديد منها، ولا تزال بعض الأفاعي صغيرة. وعلى الرغم من قدرة تلك الأفاعي الصغيرة على العض، إلا أنها لا تستطيع حقن السم، خلافًا للاعتقاد السائد، ولكن عضاتها مؤلمة أيضًا. غير أن معظم الأفاعي كانت بالغة، فاثخذت فورًا وضعيّة الدفاع عن النفس والحماية، ورفعت رؤوسها الماسية نحو الأمام، ثم غرست أنيابها عميقًا.

بكى الولدان، وصرخا: "آه، توقفي أيتها الأفاعي، إن هذا مؤلم".

عضّت الأفاعي كاحلي جو وفخذه عدة مرات، فحاول الهرب على إحدى ركبتيه، ولكن الأفعى عضّت فخذه والتفت حول ركبته مثل الضمادة. فيما كافح جيک للخروج من الحفرة المليئة بالأغصان، وقد أحاطت الأفاعي بكاحليه مثل الأساور. بدا وكأن الأفاعي تملأ العالم. وحين حاول جو الوقوف على قدميه، غرست الأفعى أنيابها في لحم كفه الصغيرة بسرعة. وعلى الفور، وقع جو على بطنه، وزحفت الأفاعي فوقه. عندها، حاول حماية وجهه على الأقل، ولكنه لم يستطع. إذ انغرست الأنياب في رقبته وخديه. وعندما أدار رأسه في محاولة غير مجدية للفرار، عضّت أنفه وفمه، وسرعان ما بدأ وجهه يتورّم.

أما جيک فقد استدار وبدأ باقتراف الخطأ الفادح الثاني عائداً إلى الطريق؛ في محاولة منه للوصول إلى منزل بيل

على الجانب الآخر، وفي الوقت الذي كانت فيه الأفاعي تطوق كاحليه. عندها، سقطت أفعى، فيما بدأت أفعى أخرى تشق طريقها نحو ساق بنطال الصبي. ففكر جيك: لماذا يهرب تاركًا شقيقه هناك؟ إنهما دائمًا يفعلان كل شيء معًا. هل لأنه يعرف أنه ما عاد بإمكانه مساعدة شقيقه التوأم؟ لا. هل السبب أن الذعر قد أعماه؟

لا، فحتى الذعر لن يجعله يتخلى عن جو، ولكنه يريد الحصول على مساعدة والده إذا كان في المنزل، أو والدته إذا لم يكن والده في المنزل. ولهذا، لم يهرب لأنه مذعور، بل لأنه يسعى إلى الحصول على النجدة. أبعد جيك الأفعى عن ساقه، ونظر إلى العينين الخرزيتين للحظة واحدة، قبل أن تغرس الأفعى أنيابها في معصمه. حاول أن يرميها بعيدًا، وحاول أن يهرب إلا أنه لم يستطع. والآن، بدأ السم ينتشر في جسده، وهذا ما جعل قلبه ينبض بشكل غير منتظم، وصعب عليه التنفس.

ما عاد جو يصرخ.

بدأ جيك يرى الأشياء مزدوجة، ثم صار يرى الأشياء في ثلاث نسخ، ثم فقد قدرته على المشي. حاول أن يزحف، ولكن يديه كانتا متورمتين مثل القفازات في الرسوم المتحركة. وحاول أن ينادي أخاه، ولكنه لم يستطع لأن حلقه...

في تلك اللحظة، أخرجني صوت البوابة المتأرجحة من هذه الرؤية. إذ إن العربة التي كنت أدفعها مزّت أمام اللوح الكهربائي الذي يفتح البوابة ففتحتها. كنت قد تجاوزت منزل آلي وأنا في حالة الزومبي تلك. كانت يدي اليمنى

لا تزال تتحرك ذهابًا وإيابًا وهي تلمس القميص الأول "تويدليديوم" ثم الآخر "تويدليدي"، فسحبته إلى الخلف وكأنني لمست شيئًا ساخنًا. كان اليوم لا يزال في أوله، والجو رائع نسبيًا، ولكن وجهي كان مبتلًا بالعرق، ومثله قميصي. كنت أسير فقط (أو على الأقل كنت أظن ذلك، فلا أستطيع أن أتذكر على وجه اليقين)، ولكنني كنت أتنفس بسرعة، وكأنني كنت في نهاية سباق مثلي ياردة.

سحبت عربة الأطفال إلى الخلف، فأغلقت البوابة المتأرجحة، ثم سألت نفسي: "ما الذي حدث الآن؟" اعتقدت أنني أعرف. كان الأعضاء الآخرون في فريق في الوكالة سيضحكون لو استمعوا إلي، باستثناء كاثي ويلكين التي كان لديها خيال يمتد إلى أبعد من الشعارات الخاصة بمنظف المراحيز. ولكن لم تكن لدي أي طريقة أخرى لشرح ذلك. سبق لي أن شاهدت الكثير من الأفلام، وبرنامجًا وثائقيًا تلفازيًا واحدًا على الأقل يتناول استدعاء ما يسقى بالوسطاء أو العزافين لمساعدة الشرطة في تحديد مكان جثث الأشخاص الذين يُفترض أنهم ماتوا. ومثلما يُقرب رجال الشرطة ملابس الضحايا من أنوف الكلاب البوليسية لتشتم الزائحة التي يفترض بها البحث عنها، يُعطى أولئك الوسطاء ملابس أو أشياء تخص الشخص الذي ينبغي تحديد موقعه. وعلى الرغم من أن النتائج كانت مخيبة للآمال في الغالب، إلا أن هذه الطريقة نجحت في حالات قليلة، أو بدا الأمر كذلك.

لقد كان القميصان هما السبب... فقد لمس القميصين. وماذا بشأن الجزء الخاض بتاد؟ ربما كانت تلك ذكرياتي الخاصة

تتطفل. فمهما تكن الأجواء التي وضعتني ذاك القميصان داخلها، لم يكن دخول ابني إلى رؤيتي الغريبة مفاجئًا؛ فقد توفي وهو في مثل عمر توأم بيل تقريبًا، وفي الوقت نفسه تقريبًا أيضًا. إذًا، لدينا ثلاثة أطفال، والمأساة تستدعي المأساة.

وبينما كنت أدير عربة الأطفال عائداً إلى الورا، بدأت حيوية رؤيتي تتلاشى، وبدأت أشكك في أنني مررت بتجربة نفسية حقيقية. لا يعني هذا أنني لم أعرف ما حدث لتوأم بيل بعد كل ذلك، وربما كان ذهني قد أضاف بعض التفاصيل، مثل الحفرة الخفية التي وقعا فيها، وربما لم يحدث الأمر بهذه الطريقة على الإطلاق. وبالإضافة إلى ذلك، لم يكن هناك من يُنكر أنني كنت في حالة تدفعني إلى التأثير بشكل كبير بسبب ظهور عربة الأطفال في فناء بيتي.

هذا الأمر الذي لم أجد له تفسيرًا بعد.

انحنيت أسفل الشريط الأصفر، ودفعت عربة الأطفال إلى أعلى الممر المنحني الذي يؤدي إلى منزل بيل. تتالت أصوات الصرير؛ إذ كان الباب الجانبي للمرأب مفتوحًا، ويتأرجح بتكاسلٍ ذهابًا وإيابًا مع النسيم الخفيف. لم يكن هناك أي أثر لكسر فوق لوحة القفل أو أسفلها، ولا على الباب نفسه. ربما فُتح القفل باستخدام بطاقة الائتمان، ولكن من دون أن يتم حشرها بالقوة.

عاينت مقابض الأبواب؛ الخارجية منها والداخلية. كان هناك ثقب مفتاح في منتصف المقبض الخارجي، والذي استخدمه الشرطي زين لقفل الباب. ولم تكن هناك حاجة إلى مفتاح

لقفل الداخل، بل كان هناك زرّ في وسط هذا المقبض وكلّ ما عليك فعله هو الضغط عليه.

اعتقدت أن الحلّ بسيط، إنهما التوأم. لقد كان جاكوب وجوزيف من أدارا المقبض الداخلي، وضغطا على الزرّ وفتحا الباب بسهولة، ثمّ دفعا عربة الأطفال إلى منزلي: جيك من جهة، وجو من جهة أخرى.

إنه أمرٌ مؤكد. قلت ذلك لنفسي. وإذا صدّقت هذا، فسأصدّق أننا انتصرنا في فيتنام، وأن الهبوط على سطح القمر مزيّف، وأنّ الآباء المجرمين في ساندي هوك كانوا مجرّد ممثلين للآزمات، وأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر مؤامرة داخلية.

ورغم ذلك، كان باب المرأب مفتوحاً، وكانت عربة الأطفال قد وصلت إلى منزلي، على بعد ربع ميل. في تلك اللحظة، رنّ هاتفي فقفزت. إنّه الشرطي زين. فبعد كل شيء، لقد بلّغته موظّفة الاستقبال في القسم بما طلبته منها.

قال لي وهو يبدو أكثر استرخاءً اليوم، وتبدو لهجته أكثر جنوبية بكثير: "مرحباً سيد ترينتون، ما الذي يمكنني أن أفعله لك؟" ربّما لأنّه في إجازته كان يتحدث مثل سائر المدنيين.

فقلت له: "أنا في منزل بيل". وأخبرته بالسبب. ولا داعي للقول إنني احتفظت بالجزء المتعلق برؤيتي عن الطّفلين لنفسي.

مرّت لحظة صمتٍ عندما أنهيت كلامي، ولكنه ما لبث أن قطعها قائلاً: "تابع عملك، وأعد عربة الأطفال هذه إلى مكانها

في المرأب. لماذا لا تفعل ذلك؟" فلم أشعر بأنه متفاجئ أو قلق جدًا. ربّما لأنّه لم يعيش تجربة رؤية الأفاعي الزاحفة إلى جميع أجزاء جو بيل وهو يصرخ. ثمّ تابع قائلاً: "لقد قام أشخاص غير معروفين بترتيب خدعة من أجلك. إنهم من المراهقين على الأرجح، وربّما تسلّوا عبر طريق راتلسنيك ليروا المكان الذي ماتت فيه السيدة المجنونة؛ فقد كانت تتمتع بهذه السمعة نوعًا ما في قرية بالم".

فسألته: "هل تعتقد أنّ هذا هو الأمر حقًا؟"

ولكنّه أجابني بالسؤال: "وما الذي يمكن أن يكون غير ذلك؟"

ففكرت في الأشباح؛ شبّحا الطفلين. ولكنني لم أنو قول ذلك له، كما لم يعجبني حتى التفكير في الأمر. وقلت: "أنت محقّ على الأرجح. لا بدّ أنهم فتحوا القفل باستخدام بطاقة ائتمان أو رخصة قيادة، فليست هناك علامة تدلّ على حدوث أي كسر".

فقال: "بالتأكيد. فهذه على الأقلّ تسهّل الفتح فلا يحتاج الأمر إلى اللجوء إلى الكسر أو الخلع".

وعندها تابعت: "الأمر سهل، بسهولة الغمز".

فقهقه قائلاً: "أفهم هذا تمامًا. أعدّ عربة الأطفال فقط وأغلق الباب. مفاتيح السيدة المتوفاة موجودة في قسم الشرطة، وسيمرّ أندي بيلي لأخذها، هل تتذكّر من أتحدث عنه؟"

"بالتأكيد. الجدّ الأكبر".

فضحك قائلاً: "حسنًا، لكن لا تناديه بذلك في وجهه. على

أي حال، استطاع من خلال صديقه القاضي أن يوقع على موافقة مستعجلة للدخول وإجراء بحث عن أقرب الأقارب وجهات الاتصال المحلية الممكنة. أندي صقر عجز حاد النظر، وإذا كان ثقة شخص من الأقارب، فسوف يصل إليه. علينا على الأقل أن نجد شخصًا يستطيع أن يتولى مسؤولية دفن السيدة".

فرحت أفكر وأنا أراقب الباب يتأرجح ذهابًا وإيابًا مع النسيم، ثم قلت: "أظن أنها لن تبقى في المشرحة وقتًا طويلًا، أليس كذلك؟"

فأجابني: "ليست لدينا مشرحة! إنها في دار بيردومو للجنائزات في تاميامي. اسمع، بما أنك هناك والمرأب مفتوح، هل تمانع في الدخول لكي ترى ما إذا كانت سيارة السيدة قد تعرضت للتخريب بأي شكل من الأشكال؟ إطارات مثقوبة، زجاج نوافذ محطم، زجاج أمامي متصدع... يتعين علينا أن نأخذ الأمر بجدية أكثر قليلًا".

"يسعدني ذلك. وأنا آسف لتطفلي على يوم إجازتك".

"لا عليك. لقد تناولت فطوري، وأنا الآن أجلس في الخارج وأقرأ الصحيفة. اتصل بي إذا لاحظت أي شيء غريب في السيارة، وفي هذه الحال سأقوم بإبلاغ أندي. هل من شيء أخير يا سيد ترينتون؟"

"لم لا تناديني فيك؟"

"حسنًا، يا فيك. إذا كنت تشعر بأن الأطفال الذين نقلوا تلك العربة إلى منزل السيد أكرمان قد يفعلون ذلك مرة أخرى- فإن الأطفال الذين يتصرفون بهذه الطريقة ليسوا من النوع

الذي يعجبنا إبداعهم - فبإمكانك أن تأخذها معك الآن وتضعها في مرأبك".

"أعتقد أنني سأتركها هنا".

"هذا مناسب بما فيه الكفاية. أتمنى لك يومًا جيدًا".

وعندما دفعت عربة الأطفال إلى المرأب، ورفعت الدولابين الأماميين لأضعها فوق الدعامة، أدركت أنني لم أخبر زين بخصوص البنطالين القصيرين والقميصين أيضًا.

لم يكن المرأب مكيفًا، فبدأت أتعرق لحظة عبوري الباب. كانت السيارة بحاجة إلى رحلة نحو أقرب مغسل للسيارات، وقد كسا الملح زجاج النوافذ، ومثلها الزجاج الأمامي. ما عدا ذلك، كانت السيارة بخير. وجدت نفسي أجدق إلى مقاعد السيارة الفارغة في الخلف (كانت فارغة بالطبع)، ثم رحت أنظر إلى البعيد. كان هناك عددٌ من الصناديق الكرتونية المكثسة على طول الجدار الخلفي، وقد كُتب عليها بدقّة بقلم عريض "إلى بيت جيك وجو".

كانت أمي تردد قولًا مأثورًا: "التطفل فقط أدنى من النميمة"، ولكنّ والدي كان يحب أن يداعبها بقول مأثور آخر: "يقتل الفضول القط، ثم يعيده الرضى إلى الحياة". وحين فتحت أحد الصناديق، رأيت أحاجي صور من النوع الذي يحتوي على قطع على شكل حيوانات.

فتحت صندوقًا آخر ووجدت كتبًا مصورة: دكتور سوس، وريتشارد سكري، وبيرنستين بيرز. ثقة صناديق عديدة تحتوي على ملابس، وبناطيل قصيرة، وقمصان مخصصة للتوائم طبعت عليها عبارات لطيفة. وهكذا، عرفت من أين

أتى البنطلان القصيران والقميصان الموجودان على عربة الأطفال. والسؤال الذي خطر في ذهني هو: كيف عرف ذلك المخادع الطريقة التي تضع فيها آلي هذه الأشياء على عربة الأطفال لتبدو مثل دمية طفل غير مرئي؟ كان الشرطي زين سيقول إن هذا ممكن؛ فالأخبار تنتشر. ولكنني لم أكن متأكدًا من ذلك.

ينام الحزن ولكنه لا يموت. على الأقل ليس قبل أن يموت أهله. وقد كان هذا درسًا تعلمته مرّة أخرى عندما فتحت الكرتونة الأخيرة. إذ كانت مليئة بالألعاب: سيارات صغيرة، ملصقات ألعاب، شخصيات حرب النجوم، وعشرات الديناصورات البلاستيكية.

كانت لدى ابنا سيارات صغيرة أيضًا، ولعبة الديناصورات، وكان يحبّها.

آلمتني عيناى، ولم تعد يدي ثابتة تمامًا فيما كنت أغلق الصندوق. كنت أرغب في الخروج من هذا الجو الحار، وربما خارج جزيرة راتلسنيك كلّها. فقد جئت إلى هنا لأتخلص من مشاعر الحزن على رحيل زوجتي وعلى جميع السنوات التي قضيناها والتي أهدرناها بحماقة. جئت كي لا أعيد فتح الجرح الرهيب الناجم عن موت ابني والذي التأم منذ فترة طويلة. وبالتأكيد، لست بحاجة إلى ومضات نفسية من نوع العرض الداخلي لمصائب مختلفة. فكّرت في أن أعطي نفسي فترة يومين أو ثلاثة أيام أخرى للتأكد. وإذا استمرّ حدوث ذلك، فسأصل بكريغ وأشكره، ثم سأطلب من السيّد إيتو أن يراقب المكان، وسأعود إلى ماساتشوستس؛ حيث يكون الجو

حارًا في شهر آب، ولكنه لا يصل إلى حد الجنون.

وفي طريقي نحو الخارج، رأيت بعض الأدوات: مطرقة، مفك براغي، ومفاتيح ربط فوق رفٍّ على يسار الباب. كانت هناك أيضًا مزيتة قديمة الطراز، من النوع ذي القاعدة المعدنية التي تضخها بأصابعك مع فوهة طويلة ذكّرتني قليلًا بعصا الإمساك بالأفاعي الخاصة بآلي بيل. في تلك اللحظة، قرّرت - على الرغم من أنه لم تكن لديّ أيّ نية حتى آخر لحظة للقيام بذلك، وعلى الرغم من أنني لا أنوي دفع عربة الأطفال إلى منزل كريغ - أن أزيل تلك العجلة التي تصدر صوتًا حادًا. هذا إذا كان قد بقي أي زيت في تلك المزيتة القديمة.

وحين التقطت المزيتة، رأيت شيئًا آخر على الرف. كان عبارة عن مجلّد ملفات كُتب عليه: "جيك وجوا" وبأحرف أكبر: "احفظ هذا!"

وما إن فتحته حتّى رأيت قبعتين ورقيتين مصنوعتين من أوراق مجلة الأحد، فنسيت كل شيء عن التزييت، وعن العجلة التي تصدر صريرًا، ولم أرغب في لمس القبعتين المصنوعتين في البيت يدويًا؛ إذ إنّ لمسهما قد يستحضر رؤية أخرى في هذا المرأب الساخن. ولم تبدّ لي الفكرة سخيفة، بل معقولة جدًا.

أغلقت باب المرأب وعدت إلى المنزل. وحين وصلت إلى هناك شغّلت الإنترنت على هاتفي، وبحثت عن تامبا ماتيني. لم أكن أرغب في القيام بذلك، ولكنني حين وجدت القبعتين قرّرت فعل ذلك. أخذني المتصفّح إلى موقع "الحنين" الذي أنشأه أحد الموظفين في تلفزيون ديليو تي في، الشركة

التابعة لشبكة سي بي أس الإعلامية في تامبا منذ اليوم الأول. وجدت قائمةً بالبرامج المحلية التي عرضت منذ الخمسينيات إلى التسعينيات: عرض الدمى في الصباح، حفلة رقص للمراهقين بعد ظهر يوم السبت، تامبا ماتيني، فيلم بعد الظهر الذي عرض بين الساعة الرابعة والسادسة من بعد ظهر كل يوم من أيام الأسبوع حتى عام 1988. في ذلك الوقت، بعد ثلاث سنوات فقط من وفاة ابني، جلس جو وجيك متربّعين أمام التلفاز يشاهدان كينغ كونغ وهو يتشبث بأعلى مبنى إمباير ستيت.

لم يكن لديّ أي شك في ذلك.

لقد أمضينا عشر سنوات معًا بعد زواجنا الثاني. تسع منها، قبل اكتشاف السرطان، وكانت سنوات جيدة. في السنة الأخيرة... حسناً، حاولنا أن نجعل الأمر جيدًا. وفي الأشهر الستة الأولى نجحنا في أغلب الأحيان، ثم بدأ الألم بالتصاعد، وانتقل الوضع من الخطير إلى شديد الخطورة؛ ذلك المستوى الذي لا يمكنك معه التفكير في أي شيء آخر. كانت دونا شجاعة، ولم تكن ضعيفة الإرادة، فقد واجهت ذات مرة في الماضي كلب سانت برنارد مسعورًا وهي لا تحمل سوى مضرب بيسبول. لم يكن لديها في مواجهة السرطان سلاح سوى إرادتها، ولكنه كان يحرق أعضائها، ولم تكن إرادتها كافية لوقت طويل. وعندما اقتربت النهاية، لم يكن قد بقي منها أكثر من ظلّ للمرأة التي أخذتها إلى الفراش في ليلة الحظ. وبالنسبة إليّ، كانت لا تزال تلك الجميلة.

أرادت أن تموت في المنزل، واحترمت رغبتها، فوظفنا

ممرضة نهارية، وممرضة ليلية بدوام جزئي. ولكنني في أغلب الأوقات، كنت أعتني بها بنفسي؛ فكنت أطعمها، وعندما لم تعد قادرة على الذهاب إلى الحمام، كنت أقوم بتغيير حفاضاتها. إذ أردت أن أفعل هذه الأشياء تعويضًا عن كل السنوات الضائعة.

كانت هناك شجرة خلف منزلنا انقسمت بفعل صاعقة، ثم نمث أفرعها المتباعدة مرة أخرى معًا، تاركة ثقبًا على شكل قلب. وكانت الشجرة تمثلنا، حتى لو بدت الاستعارة عاطفية بشكل مفرط، أقبل ذلك، فأنا أقول الحقيقة كما أفهمها، وكما أشعر بها.

ربما فشل غيرنا، ولكننا بذلنا قصارى جهدنا لنصل إلى ما وصلنا إليه.

استلقيت على السرير، ورحت أحدق إلى شفرات مروحة السقف التي تدور ببطء. رحت أفكر في عربة الأطفال بعجلتها ذات الصرير، وبالقبعتين المصنوعتين من أوراق الصحف، وبلعبة الديناصورات. لكنني فكرت أكثر الوقت في الليلة التي ماتت فيها دونا. كنت قد تجنبت تلك الذكرى وقتًا طويلاً، والآن يبدو الأمر ملحًا إلى حد ما. كان هناك إعصار قوي ترافقه الثلوج والرياح التي تبلغ سرعتها أربعين ميلاً في الساعة. وفي ذلك اليوم، اتصلت الممرضة الليلية من لويستون عند الساعة الثالثة من بعد الظهر واعتذرت عن الحضور، وقالت إن جميع الطرق أصبحت غير سالكة. ومضت الإنارة عدة مرات، لكن الكهرباء لم تنقطع، وهو أمر جيد، فأنا لا أعرف بالضبط ماذا سأفعل لو انقطعت؛ إذ انتقلت دونا من

استعمال أقراص الأوكسيكودونتين إلى مضخة المورفين منذ أواخر كانون الأول. وكانت مضخة المورفين تقف كالحارس إلى جانب سريرها، وتعمل بواسطة الكهرباء. كانت دونا نائمة، وكان الجو باردًا في غرفة نومنا؛ إذ لم تتمكن المدفأة من مجاراة رياح شهر كانون الثاني العاتية. كانت دونا قد أصبحت نحيفة، وكانت وجنتاها مبتلتين بالعرق، وما بقي من شعرها الكثيف كان ملتصقًا بالتقوس الهش لجمجمتها.

كنت أعرف أنها تدنو من النهاية، وهذا ما كان طبيب الأورام الذي يعالجها يعرفه أيضًا، ولذلك حضر الجرعة المحددة من مضخة المورفين التي راح ضوءها الصغير يتوهج باللون الأخضر بشكل مستمر، وأعطاني تحذيرًا إلزاميًا بأن الكثير منه من شأنه أن يقتلها، ولكنه لم يبذ قلقًا للغاية. ولماذا سيكون كذلك؟ فقد اتهم السرطان معظم جسدها بالفعل، وهو الآن يلتهم البقايا. في ذلك اليوم، جلست إلى جانبها كما فعلت معظم الوقت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، وشاهدتها وهي تحرك عينيها ذهابًا وإيابًا تحت جفنيها وهي تحلم بأحلامها المحتضرة. فكرت في أنني قد أجد قارورة من المورفين داخل المضخة، وأني قد أتمكن من الحصول على مفك البراغي من الطابق السفلي إذا انقطعت الكهرباء. وفكرت...

وفي تلك اللحظة، فتحت عينيها، فسألتها عن حالها، وكم كان الألم سيئًا.

فقلت: "ليس سيئًا". ثم قالت: "أراد أن يرى البط".

"من هو يا عزيزتي؟"

"تادا! قال إنه يريد رؤية البظ. أعتقد أن هذا آخر شيء قاله لي. عن أي بظ كان يتكلم في رأيك؟"
فأجبت: "لا أعرف".

"هل تتذكر حديقة حيوان رومفورد للحيوانات الأليفة؟"
وعلى الرغم من أنني لم أتذكر أننا أخذناه إلى هناك على الإطلاق، إلا أنني قلت لها: "نعم، هذا هو البظ الذي تكلم عنه".
فنظرث خلفي، وأشرق وجهها وهي تقول: "يا إلهي! لقد كبّزت، انظر كم ازداد طولك". وحين أدت رأسي، لم أرَ أحدًا هناك بالطبع، ولكنني كنت أعرف من كانت تقابل. وفي تلك الأثناء، هبت الريح، فأطلقت الأفاريز زعقاتها، وسقط الثلج على نافذة غرفة النوم محكمة الإغلاق مصدّرًا صوتًا مثل صوت الحصى. وبعد ذلك، خفتت الأضواء ثم عادت كما كانت. ولكن، في مكان ما، انفتح باب.

"لن تفعل، تنفّس!" صرخت دونا.

فوقف شعر جسمي من رأسي وحتى أخمص قدمي. لست متأكدًا، ولكنني أعتقد أنه وقف حقًا. لم أكن لأصدق أنها لا تزال تملك القدرة على الصراخ، ولكنها كانت تفاجئني دائمًا، وقد فاجأتني حتى النهاية. كانت الريح تعصف داخل المنزل الآن، مثل لّص يتوق إلى قلب المكان رأسًا على عقب. شعزت باندفاع الريح تحت باب غرفة النوم المغلق، وسمعت صوت سقوط شيء ما في غرفة المعيشة، أعقبه صوت انكسار.

"تنفّس يا تاد، تنفّس".

ثم سقط شيء ما على الأرض؛ ربما كان كرسيًا.

وفجأة، تمكنت دونا بطريقة ما من النهوض على مرفقيها المدعومين بذراعيها النحيلتين، ثم عاودت الاستلقاء على ظهرها وقالت: "حسنًا، سأفعل ذلك، نعم".

كان ذلك أشبه بالاستماع إلى أحد طرفي محادثة هاتفية. وأومأت: "نعم. حسنًا، يا إلهي! حمدًا لله أنك... ماذا؟ سأفعل".

ثم أغمضت عينيها وظلت مبتسمة. عندها، غادرث الغرفة، وخرجت لأغلق الباب الأمامي؛ إذ كان الثلج قد تراكم وبلغ ارتفاعه بوصة. وعندما عدت إلى الغرفة، كانت زوجتي قد ماتت. قد تسخر من فكرة أن ابنا جاء ليصطحبها إلى العالم الآخر، وأنت حز في ذلك. ومن ناحية أخرى، سمعت ذات مرة صوت ابني الصغير يأتي من خزانته بينما كان يموت على بعد عشرات الأميال.

ولم أخبر أحدًا عن ذلك، حتى دونا.

لم تفارقني تلك الذكريات للحظة، ولم تكف عن العودة إلي كصقور تهاجمني وكأفاع تعضني. لم تكن تدعني وشأني. وعند منتصف الليل، تناولت قرصين آخرين من أقراص أمبين المنومة الخاصة بكريغ، واستلقيت على ظهري منتظرًا أن يبدأ مفعولها، وأنا أفكر في دونا وكيف استطاعت رؤية تاد كرجل بالغ وهي تودّع هذا العالم. كما فكرت في أن رحيلها بهذه الطريقة من شأنه أن يهدئني قليلًا. لكن ذلك لم يحصل. إذ ظلت ذكرى فراش موتها مرتبطة بالرؤية التي كانت لدي عن ولدين سقطا في حفرة الأفاعي وعادا مجددًا إلى الواقع. هل أحزن لرحيلهما أو أحذر من بقائهما؟

فكرت في احتمال أن أراها عندما تحل نهايتي كما حصل لدونا مع تاد. ماذا لو رأيتهما حقًا؟ فآلي قد رأتهما. أنا متأكد من ذلك.

رؤية تاد منحت دونا العزاء بينما كانت تعبر إلى الحياة الآخرة. فهل ستمنحني رؤية هذين الطفلين بعض العزاء؟ لم أعتقد ذلك، فمن سيمنحانه العزاء قد رحل. ولم أكن سوى غريب بالنسبة إليهما. كنت... ماذا؟ ماذا كنت بالنسبة إليهما؟ لم أشأ أن أعرف. لم أشأ أن يطاردني شبح ذكراهما. وإن مجرد التفكير في احتمال حصول ذلك يمكن أن يبقيني مستيقظًا.

كنت على وشك أن أغفو عندما سمعت الصرير المنتظم. بدأ فجأة، ولم تكن هناك أي طريقة أستطيع من خلالها التظاهر بأنه صادر من مروحة السقف في غرفة معيشة كريغ؛ لأنه كان آتيا من الحمام الملحق بهذه الغرفة نفسها.

صرير، وصرير، وصرير.

تملكني الرعب كما يملك شخصًا وجد نفسه وحيدًا في منزل مهجور في بقعة نائية. لكن، إن كانت دونا قد تمكنت من مواجهة كلب سانت برنارد دفاعًا عن ابنها، ولم تكن مُسلحة سوى بمضرب بيسبول، فمن المؤكد أنني أستطيع إلقاء نظرة على الحمام. فكرت وأنا أنير مصباح الطاولة بجانب السرير وأنهض من فراشي بأنني أتخيل ذلك الصوت. أتذكر أنني قرأت في مكان ما أن أقراص أمبين تسبب الهلوسة، ألم أقرأ ذلك؟

سرت نحو باب الحمام، ووقفت إلى يساره مستندًا إلى

الجدار، وأنا أعض شفتي. ثم أدت المقبض، ودفعت الباب فاتحاً إياه. الآن، أصبح صوت الصرير أعلى من أي وقت مضى. لقد كان الحمام كبيراً، وكان هناك شخص ما يدفع العربة ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً.

مذت يدي عبر الباب مذعوراً من أن تلمس يد ما يدي. وأعتقد أنه من الطبيعي أن يُذعر المرء في موقف كهذا. وعندما وجدت يدي مفتاح النور تلمسته بتوتر لفترة من الزمن شعرت بأنها طويلة، ولكنها لم تتعدّ الثانية، ثم رفعته إلى الأعلى. كان نور مصابيح الفلورسنت المثبتة في السقف ناصعاً ومشرقاً. في معظم الحالات، يُبَدّد الضوء الرعب الليلي، ولكنه لم يكن كذلك هذه المرة. فحتى الآن، ومن مكان وقوفي، لم يكن بإمكانني رؤية الحمام من الداخل، ولكنني كنت أرى على الجدار المقابل ظلاً كبيراً يتحرك ذهاباً وإياباً. لم يكن الظل واضح المعالم، ولهذا لم يكن بإمكانني التأكد من أنه ظل تلك العربة اللعينة، ولكنني كنت أعرف أنه ظلها. ولكن هل كان الولدان هما من يدفعانها؟

حسناً، كيف وصلت إلى هنا؟

حاولت أن أقول: "أيها الولدان"، لكن الكلمات لم تخرج من حلقي الجاف. فتنحنحت وحاولت مجدداً: "أيها الولدان، لا أحد يريدكما هنا. فأنتما غير مرحب بكما هنا".

ثم أدركت أنني كنت أتحدث بالطريقة نفسها التي كنت أستخدمها ذات يوم لتهدة ابني الصغير.

"هذا حمامي وليس حمامكما. هذا منزلي وليس منزلكما. عودا من حيث أتيتما".

هل أتيا من التابوتين الصغيرين المدفونين تحت تراب مقبرة بالميتو غروف؟ هل هاتان جثتاها المتفسختان، أو ما تبقى من جثتيهما المتفسختين؟ مَنْ الذي يدفع العربة بطريقة جنونية ذهابًا وإيابًا؟ هل تتساقط من جثتيهما قطع لحم على الأرض؟

صرير، وصرير، وصرير.

الظل على الجدار.

عندها، استجمعت كل ذرة تبقت من شجاعتي، وابتعدت عن الجدار، ثم عبرت الباب، فتوقفت الصرير. كانت العربة مكونة أمام غرفة الاستحمام الزجاجية، وكان بنطلونان أسودان موضوعين على مقعديها وسترتان سوداوان موضوعتين على ظهري المقعدين. إنهما بذلتا الدفن اللتان ضنعتا لتلبسا إلى الأبد.

وبينما كنت أنظر إلى العربة وقد جفدني الرعب لأنه ما من قدرة على الأرض تستطيع أن تضعها هنا في هذا الوقت، صدرت خشخشة بدلًا من صوت صرير عجلة العربة. في البداية، كانت الخشخشة منخفضة وكأنها تأتي من مكان بعيد، ولكنها ارتفعت تدريجيًا حتى صارت شبيهة بصوت عظام ترقص على لوح من القصدير. كنت أنظر إلى غرفة الاستحمام، وعندما التفت إلى حوض الاستحمام الفخم الخاص بكريغ والذي كان طويلًا وعميقًا، وجدته ممتلئًا حتى حافته بالأفاعي المجلجلة. وفيما كنت أنظر إليه، برزت يد صغيرة من بين تلك الأفاعي المتلوية، وامتدت نحوي.

فهربت.

كانت العربية هي ما أعادني إلى رشدي.

إذ كانت مركونة وسط الممر الحجري؛ تمامًا كما كانت من قبل، باستثناء أنها الآن تحت ضوء القمر بدلًا من نور الصباح. لا أذكر كيف نزلت الدرج راكضًا وأنا أرتدي فقط الشورت الرياضي الذي نمت فيه، كما لا أذكر أنني قد خرجت من باب الفناء الخلفي. ولكن لا بد أنني جئت من هناك لأنني وجدت الباب مفتوحًا عندما عدت إلى الداخل.

تركت العربية حيث كانت، وصعدت إلى الأعلى متوجسًا من كل خطوة أخطوها، وأنا أقنع نفسي بأنه كان حلقًا - ولكن ما كان بإمكانني إنكار وجود العربية في الخارج - على الرغم من معرفتي بأن الأمر لم يكن كذلك. لم تكن رؤية أيضًا، بل كانت زيارة. الشيء الوحيد الذي منعني من قضاء بقية الليل في سيارتي المستأجرة مقفلًا على نفسي بداخلها هو إحساسي الواضح بأن الزيارة قد انتهت. مجددًا لم يعد هناك أحد في المنزل سواي. حدثت نفسي: "قريبًا سيكون فارغًا تمامًا". إذ لم أنو البقاء في جزيرة راتلسنيك وأنا أملك بيتًا مناسبًا في نيوبوريبورت أستطيع العودة إليه؛ حيث لا يوجد شبح هناك إلا شبح زوجتي.

كان الحمام فارغًا. عرفت أنه سيكون فارغًا. لم تكن هنالك أفاعٍ مجلجلة في حوض الاستحمام، ولا أثر لعجلات العربية على رخام الأرضية الاصطناعي. توجهت إلى الشرفة، وألقيت نظرة على الفناء وأنا آمل أن تكون العربية قد اختفت أيضًا، ولكنني لم أكن محظوظًا بهذا الشأن. فقد كانت هناك، تحت ضوء القمر، حقيقية كالحياة نفسها.

ولكنها كانت في الخارج على الأقل.

وهكذا، عدت إلى سريري، وصدق أو لا تصدق، استغرقت في النوم.

وفي الصباح، كانت العربة في مكانها. هذه المرة، مع اثنين من البناتيل القصيرة المتطابقة على المقعد. ولكنني عندما اقتربت، تبين لي أنهما ليسا متطابقين. إذ كانت هناك خطوط رفيعة حمراء تمتد على جانبي أحدهما، وأخرى زرقاء على جانبي الآخر، بالإضافة إلى قميصين طبع عليهما غرابان متطابقان: واحد باسم هيكل والآخر باسم جيكل. لم أنو دفعها مرة أخرى إلى منزل آلي بيل، فبعد مسيرة طويلة في مجال الإعلان، كنت أستطيع تمييز العمل الذي لا طائل منه عندما أراه. لذا، بدلًا من ذلك، وضعتها في مرأبي.

ربما كنت تتساءل عفا إذا بدا كل ما حصل في ضوء الصباح وكأنه حلم. باستثناء العربة الهائجة، فالإجابة بسيطة بالطبع: لم يبدُ كذلك. لقد سمعت الصرير، ورأيت الظل المتحرك بينما كان التوأم الغاضبان يدفعان عربتهما ذهابًا وإيابًا في ذلك الحمام الذي كان بحجم غرفة معيشة شقة متواضعة. وأنا واثق أنني رأيت حوض الاستحمام مليئًا بالأفاعي.

انتظرت حتى الساعة التاسعة لأتصل بشركة دلتا للطيران، فأبلغتني رسالة مسجلة أن جميع وكلاء الحجز مشغولون حاليًا، وطلبت مني الانتظار. وهذا ما فعلته، حتى سمعت نسخة من مقطوعة ستيروي تو هيفن لون هاندريد كوموتس سترينغز، وعندها استسلمت واتصلت بالخطوط الجوية الأميركية. وتكرر الأمر نفسه، ثم تكرر مع جت بلو.

كان لدى ساوث ويست رحلة إلى كليفلاند يوم الخميس، ولم تكن هناك رحلة مجدولة إلى بوسطن. لكن ذلك ربما يتغير، كما أخبرني الوكيل. كان من الصعب التأكد من ذلك بسبب فيروس كورونا؛ إذ كانت الفوضى تعم قطاع الطيران.

حجزت على رحلة كليفلاند، وفكرت في استئجار سيارة أقودها إلى بوسطن إذا لم تتوفر رحلة مباشرة إلى هناك. سأستعين بخدمة أوبر إلى نيويورك. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف، وكنت واثقًا من أن العربة في مرأبي، وشعرت كما لو أن هناك حجرًا ساخنًا في جيبتي.

دخلت موقع هيرتز عبر هاتفي، فوضعت على قائمة الانتظار النهائية. وحصل الأمر نفسه مع أفيس وإنتربرايز. وفي بودجيت، ردّ وكيل على الهاتف، ثم تحقق من حاسوبه وأخبرني أنه لا توجد سيارات متاحة للتأجير لرحلة باتجاه واحد في كليفلاند. عندها، لم يعد أمامي سوى قطار أمتراك أو خطوط الحافلات. ولكن بحلول ذلك الوقت، كنت محبّطًا ومتعبًا من وضع الهاتف على أذني.

ظلت أفكر في العربة، والقميصين، وبذلتي الدفن السوداوين بقياس الأطفال. كان يفترض بضوء ذلك اليوم الحار من آب أن يطمئنني، ولكنه لم يفعل. وكلما تقلّصت خياراتي أكثر، ازدادت رغبتني في الخروج من منزل كريغ والابتعاد عن منزل آلي بيل المجاور. فما بدا أنه مكان للتعافي بالقرب من الخليج الهادئ صار الآن وكأنه سجن.

حضرت كوب قهوة، وسرت في المطبخ ذهابًا وإيابًا، وحاولت التفكير في ما يجب عليّ فعله، ولكنني وجدت

صعوبة في التفكير في أي شيء سوى العربية، والقميصين المتطابقين، وبذلتي الدفن السوداوين، وكل ذلك الصرير اللعين. كذلك كان التابوتان متطابقين وأبيضين، وكانت مقابضهما ذهبية. كنت أعرف هذا.

شربت القهوة المرة، وعندها فقط أدركت الأمر: ربما انتهت الزيارة الليلة، ولكن المطاردة لم تنته.

رگزت على يوم الخميس، فالخميس لدي رحلة إلى كليفلاند، أي بعد ثلاثة أيام.

سأغادر الجزيرة حتى ذلك الحين. سأفعل ذلك. ألا يمكنني أن أفعل ذلك؟

في البداية، ظننت أن الأمر سهل كرمشة عين. فأمسكت هاتفي، وعثرت على فندق ومنتجع باري في قرية بالم، واتصلت. بالتأكيد ستكون لديهم غرفة يمكنني الإقامة فيها لثلاث ليالٍ. ألم أر في الأخبار أن عددًا قليلًا من الناس كان يسافر هذا الصيف؟ ربما سيستقبلني هذا المكان (صرير) بأذرع مفتوحة!

لكن ما حصلت عليه كان رسالة مسجلة مختصرة وواضحة: "شكرًا لاتصالكم بفندق ومنتجع باري. المنتجع مغلق حتى إشعار آخر". فاتصلت بفندق هوليداي إن إكسبرس في فينيسيا، وأخبروني أن الفندق مفتوح ولكنهم لا يستقبلون نزلاء جدًا. وحين اتصلت بموتيل 6 في ساراسوتا لم يرد علي أحد. وكحل أخير، اتصلت بفندق دايز إن في برادنتون. نعم، لديهم غرفة، وأستطيع حجزها شرط اجتيازي فحص درجة الحرارة ووضع كمامة. حجزت الغرفة؛ على الرغم من

أن برادنتون كانت تبعد أربعين ميلاً وتقع على بُعد مقاطعتين، ثم خرجت لمحاولة تصفية ذهني قبل حزم حقائبي. كنت أستطيع المرور بالمرأب، ولكنني اخترت باب الفناء بدلاً من ذلك؛ إذ لم أرغب في النظر إلى عربة الأطفال، ناهيك عن تزييت العجلة الصارّة. فقد لا يعجب ذلك التوأم.

كنت واقفاً بجانب حوض السباحة عندما وصلت شاحنة بيك آب من طراز أف-150 تلمع تحت شمس الصيف، وسارت في الممر وتوقفت في الفناء؛ بالضبط حيث وجدت عربة الأطفال اللعينة في المرتين. وترجل من الشاحنة رجل يرتدي قميصاً استوائياً عليه رسوم الببغاوات، وبنطالاً قصيراً كاكيا فضفاضاً، ويعتمر قبعة من القش من النوع الذي يبدو أن سكان فلوريدا وحدهم من يعتمرونه. كان أجعد الوجه وقد سقرته أشعة الشمس، ولديه شارب ضخّم جداً.

لوح لي بيده عندما رأيته، فنزلت على الدرج المفضي إلى الفناء وأنا أمدّ يدي. أسعدتني رؤيته؛ فقد قطعت الحلقة المتكررة في رأسي. أعتقد أنّ رؤيتي أي شخص كانت ستفعل ذلك، ولكنني كنت شبه متأكد من أنني أعرف من يكون: إنه الجد الأكبر.

غير أنّه بدلاً من مصافحته يدي، عرض علي مرفقه، فلامست مرفقه بمرفقي، مفكراً في أن التحية بهذه الطريقة أصبحت الآن أمراً طبيعياً. "أندي بيلي. وأنت السيد ترينتون". "هذا صحيح".

"هل أنت مصاب بالكوفيد أيها السيد ترينتون؟"

"لا. وأنت؟"

"نظيف تمامًا؛ على حد علمي".

كنت أبتسم كالأحمق، ولماذا؟ لأنني كنت سعيدًا برؤيته، سعيدًا جدًا لأنني لم أكن أفكر في البذلتين السوداوين والتابوتين الأبيضين والعجلات التي تصدر صريرًا.

"هل تعرف من تشبه؟"

"أوه، يا للهول! أعرف. أسمعها طوال الوقت." ثم ظهرت ابتسامة أسفل شاربه وبريق في عينيه، وقلد ويلفورد بريمل بشكل لا بأس به.

"شوفان كويكر، إنها الخطوة الصحيحة الواجب القيام بها." وضحكت بشكل هستيري.



"ممتاز، لقد أصبت الشبه".

أخذت أثرثر، ولم أستطع ضبط نفسي.

"بالفعل كان إعلانًا جيدًا. وأنا أعرف ذلك لأن..."

"لأنه سبق لك أن عملت في مجال الإعلانات".

كان يبتسم، ولكنني كنت مخطئًا بشأن البريق في تينك العينين الزرقاوين. ففي الواقع، كانت نظرته نظرة تفحص، نظرة شرطي. "كنت تتولى حساب شركة شارب للحبوب، أليس كذلك؟"

فقلت: "منذ زمن طويل". وفكرت: لقد بحث عني عبر الإنترنت، وتحري عني. لماذا؟ لا أعرف، إلا إذا كان يعتقد أنني...

"لدي بعض الأسئلة لك يا سيد ترينتون. ربما نستطيع

الدخول، فالجو حار في الخارج. أعتقد أن الموجة الباردة قد انتهت بشكل رسمي".

"بالطبع، نادني فيك".

"فيك، فيك، حسنًا".

كنت أنوي أن أصطحبه عبر الدرج إلى الفناء، ولكنه توجه صوب المرأب، ثم توقف عندما رأى عربة الأطفال.

"هه، أخبرني بريستون زين أنك أعدتها إلى مرأب السيدة بيل".

"فعلت، لكن شخصًا ما أعادها إلى هنا".

أردت أن أستأنف ثرثرتي وأخبره بأنني لا أعرف السبب، وليست لدي فكرة عن سبب تتبع عربة الأطفال لي؛ فهي تتبعني كرائحة سيئة (لو كان بإمكان الرائحة السيئة أن تصدر صريرًا، فسيكون هذا صريرها)، لكن نظرة التفحص عادت إلى عينيه المنكمشتين بفعل الشمس، فأحجمت عن المتابعة.

"هه، ليلتان متتاليتان، عجبًا!"

كانت عيناه تعبران عن كل شيء؛ وتشيران إلى أن ما أقول لا يمكن تصديقه، كما كانتا تسألانني إن كنت أكذب، وإن كان لدي سبب للكذب، وإن كان لدي ما أخفيه. لم أكن أكذب، لكن بالتأكيد كان لدي شيء لأخفيه لأنني لم أرغب في أن أعتبر مجنونًا، أو أن يُنظر إلي وكأن لي علاقة بوفاة آلي بيل، وأتحول إلى الشخصية الشهيرة التي يحبها رجال التحقيق: "شخص ذي صلة". لكن هذا سخيف، أليس كذلك؟

"ما رأيك يا فيك في أن ندخل ونستمتع بالتكييف؟"

"حسنًا، لقد أعددت القهوة، إذا كنت..."

"في هذه الأيام لم أعد أشرب القهوة. لكن لا بأس بكوب من الماء البارد، ربما مع مكعب ثلج. أنت لست مريضًا أليس كذلك؟ لأنك تبدو شاحبًا نوعًا ما."

"لا، لست مريضًا". ليس بالطريقة التي يظنها.

غير أن بيلى لم يبذ مستعدًا للمخاطرة؛ إذ أخرج كمامة من جيب بنطاله القصير الفضفاض ووضعها على وجهه بمجرد أن دخلنا.

جلبت له ماء مثلجًا، وسكبت لنفسى المزيد من القهوة، وفكرت في وضع كمامتي. ولكنني في النهاية لم أفعل؛ لأنني أردته أن يرى وجهي كاملاً. جلسنا إلى طاولة المطبخ، وفي كل مرة كان يرتشف فيها الماء كان يُنزل الكمامة ثم يعيدها إلى مكانها؛ وجعلها الشارب تبدو منتفخة.

"سمعت أنك من وجد السيدة بيل. لا بد أن ذلك كان صادقًا."
"بالفعل، كان كذلك."

كان شعوري بالراحة لوجود رفقة - كائن بشري آخر في القصر المسكون - قد بدأ يتحوّل إلى حذر. قد يكون هذا الرجل ضمن ما سقاه كانافان بنادي 10-42، لكن زين كان محققًا، فهو يبدو ذكيًا؛ وظننت أنني سأخضع للاستجواب بدلًا من زيارة مجاملة.

"يسعدني أن أطلعك على ما حدث وكيف عثرت عليها. لكن بما أنك هنا، هناك شيء ما يثير فضولي ووددت سؤالك عنه."
"حقًا!" وحثقت إليّ عيناه، وظهرت على جانبيهما التجاعيد

التي تظهر عند الابتسام، ولكنه لم يكن يبتسم.

"أخبرني زين أنك في هذه الأرجاء منذ وقت طويل".

قال ذلك وهو يرتشف الماء ويمسح شاربه بيد الفلاح الكبيرة، ثم يعيد الكمامة إلى مكانها: "منذ وقت طويل جدًا".

"أعلم بشأن الأفاعي المججلة التي قتلت توأم السيدة بيل. ما أنا فضولي بشأنه هو كيف تخلص من قاموا بالحملة منها، هل تعرف؟"

"أوه، طبعًا". وللمرة الأولى منذ قدومه، بدا أنه يسترخي قليلًا.

"يجب أن أعرف ذلك؛ فقد كنت جزءًا من تلك الحملة على الأفاعي. كل شرطي في المقاطعة لم يكن منهمكًا في مهمة كان جزءًا من الحملة، بالإضافة إلى الكثير من الرجال وبعض النساء. لا بد أنه كان هنالك مئة مئًا وربما أكثر. حفلة جزيرة عادية، باستثناء أن لا أحد كان يمرح. كان يومًا حارًا، أشد حرًا من اليوم، ولكننا جميعًا كنا ننتعل أحذية، ونرتدي بناطيل طويلة، وقمصانًا طويلة الأكمام، وقفازات، ونضع كمامات مثل التي أضعها الآن. والحجابات أيضًا".

"الحجابات؟"

"بعضها كانت حجابات لمربي النحل، وبعضها كان مصنوعًا من ذلك القماش-ربما التول- الذي تضعه السيدات على قبعاتهن عندما يزرن دار العبادة؛ على الأقل هذا ما كنّ يفعلنه في الأيام الخوالي، لأنه كما تعرف..."، ثم مال نحوي وحدثني إلى عيني، وبدأ أكثر شبهًا بويلفورد بريمل من أي وقت

مضى.

"كما تعرف، في بعض الأحيان قد تنتصب الأفعى إذا شعرت بالخوف بما فيه الكفاية، فترش السم بدلًا من حقنه، وإذا دخل عينيك..." ولوّح بيده متابعًا من دون توقف: "فستكون رحلته قصيرة إلى دماغك، وستصبح في خبر كان. أرى أن زائر منتصف الليل قد أعاد عصا الإمساك بالأفاعي الخاصة بالسيدة بيل أيضًا." كان يتعقد أخذي على حين غرة، وقد نجح.

"ماذا؟!"

"رأيتها في المرأب وقد أسندت إلى الجدار الخلفي". نظرت له لم تفارقني، في انتظار أن أحول عيني بعيدًا، أو أن تبدو عليّ أي ردة فعل أخرى. فحافظت على ثبات نظرتي، ولكنني رمشت. لم أستطع المقاومة.

"لا بد أنه قد فاتك هذا".

"أنا... نعم، أظن..." ولم أعرف كيف أنهي الجملة، فاكتفيت بهزّ كتفي.

"تعرفت إليها على الفور من الحلقة الفضية الصغيرة على المقبض؛ إذ كانت السيدة تحملها معها دائمًا، على الأقل ضمن الجزيرة. الكثير من الناس على طريق راتلسنيك (الأفعى المجلجلة) وعبر الجسر المتحرك في القرية يعلمون هذا الأمر أيضًا".

قلت: "وعربة الأطفال".

"نعم، كانت تحب دفع عربة الأطفال. وأحيانًا كانت تتحدث

إلي، وتحدث إلى ولديها الراحلين، لقد رأيتها تفعل ذلك".
"وأنا أيضًا".

وصمت قليلاً، وفكرت في القول إنّ عربة الأطفال كانت في حمامي في الليلة الماضية، وإنّ التوأم كانا يدفعانها.
"لقد سألتني عن الأفاعي..." وشرب من كوب الماء، ثم مسح شاربه بقبضة يده، فارتفعت الكمامة، وتابع: "الحملة الكبرى للأفاعي كانت عام 1980 أو عام 1983. يجب أن أطلع على الأمر لأتأكد، وبإمكانك أن تفعل ذلك فيك، أليس كذلك؟" فاكثفت بهز رأسي.

"حسنًا، من لم يملك منّا عصيًا للأفاعي، كانت لديه مضارب بيسبول، ومضارب سجاد، أو مضارب تنس؛ كل أنواع الأشياء لضرب الشجيرات كما تعلم، وشباك الصيد أيضًا. إذ لا يخلو الخليج من شباك الصيد مطلقًا؛ فكل الجزر الصغيرة على الساحل الغربي ضيقة، وهذه الجزيرة أضيق من معظمها؛ فالخليج على جانب وخليج كاليسو على الجانب الآخر. وأوسع نقطة فيها- وهي بالقرب من الجسر المتحرك- تبلغ ستمئة ياردة. وفي آخرها، حيث انتقلت الأفاعي المجلجلة عندما بدأ البناء في الجنوب، نصف المسافة تقريبًا. من هنا يمكنك رؤية كل من الخليج والشاطئ، أليس كذلك؟"
"من الفناء الجانبي، نعم".

"هذا المنزل لم يكن موجودًا وقتها، بل فقط أشجار النخيل وحشائش النوباكا الشاطئية- وكانت الأفاعي تحب ذلك- والصنوبر الرديء، بالإضافة إلى الكثير من الشجيرات التي لا أعرف أسماءها حتّى. في ذلك الحين، انتشرنا في خط

مستقيم من الخليج إلى كاليبسو، وتوجهنا شمالاً ونحن
نضرب الشجيرات ونجر تلك الشباك وندق الأرض. فالأفاعي
لديها حاسة سمع ضعيفة، إلا أنها تشعر بالاهتزازات. لقد كانت
تعرف أننا قادمون؛ إذ يمكنك رؤية الأوراق تهتز، وخاصة
النوباكا، ولا بد أن الأمر كان أشبه بالزلازل بالنسبة إليها.
وعندما وصلنا إلى نهاية الجزيرة حيث تنتهي الخضرة،
رأيناها؛ كانت الحديقة في كل مكان، وبدا الأمر وكأن الأرض
تتحرك، ولم نُصدق ما رأيناه وما سمعناه؛ فحتى الآن ما زلت
أسمع الخشخشة في أذني.

"كعظام ترقص فوق لوح من القصدير."

عندها، نظر إليّ بتمعن، وقال: "صحيح. كيف عرفت ذلك؟"
"رأيتها في حديقة حيوان فرانكلين بارك." قلت هذه الكذبة
بملامح ثابتة، "تلك التي في بوسطن، وأيضًا كما تعلم، في
برامج الطبيعة."

"حسنًا، إنه وصف جيد. فقط عليك أن تتخيل لوحًا كبيرًا
جداً، ومقبرة كاملة من العظام."

وعلى الفور، فكّرت في حوض الاستحمام الكبير الخاص
بكريغ، واليد التي امتدت من بين تلك الكتلة الملتوية.

"هل ذهبت إلى الطرف الشمالي للجزيرة يا فيك؟"

فأومأت برأسي مجيبًا: "لقد مشيت إلى هناك قبل عدة أيام."

"لم أذهب إلى هناك سيرًا على الأقدام منذ الحملة على
الأفاعي، ولكنني رأيته كثيرًا وأنا أصطاد السمك. تغيّرت
الجزيرة كثيرًا خلال الأعوام الأربعين الماضية؛ فقد شهدت

عملية بناء فظيعة، ولكن الطرف الشمالي لا يزال كما كان عليه من قبل، وشاطئ الأصداف يبدو كمثلث كبير مائل، أليس كذلك؟"

قلت: "إنه بالضبط كما تقول".

فأوماً برأسه، وأخفض الكمامة، وارتشف رشفة من كوب الماء، ثم رفع الكمامة مجددًا.

"هناك انتهى الأمر بالأفاعي، بلا مكان للذهاب إليه سوى ممر ديلايت؛ إذ يمكنك القول إنها أصبحت وكأن ظهورها إلى المياه، باستثناء أن الأفعى عبارة عن ظهر، أليس كذلك؟ كانت تغطي تلك المساحة التي تبلغ نصف أكر، فلم نر الأصداف على الإطلاق إلا كل ثانية أو اثنتين وهي تلتف حول بعضها وتهز ذيولها زاحفة فوق بعضها. يمكن القول إن كمية السم في تلك الأفاعي تكفي لقتل نصف سكان تامبا.

كانت معنا مجموعة من رجال الإطفاء من قسم قرية بالم، ومجموعة أخرى من قسم الطريق السريع 41 في نوكوميس، وهم رجال أقوياء. لا بد أنهم أقوياء لأنهم كانوا يحملون حقائب سموكتشيسر سعة عشرين غالونًا على ظهورهم، أي ما كان يُطلق عليه سابقًا مضخات الهنود؛ تلك الأشياء التي صنعت بالأساس لمكافحة حرائق الأحراش، والتي لدينا الكثير منها. غير أنها لم تكن يومها مملوءة بالماء بل بالكيروسين. وعندما تمكنا من الأفاعي - أغلبها؛ لأن الناس ظلوا يعثرون على أفاعٍ ضالة لأشهر بعد ذلك - ولم يكن خلفها سوى الماء، قام هؤلاء الشبان برشها بشكل جيد ومناسب، ثم أشعل صديقي القديم جيри جانت، رئيس مطافئ قرية

بالم والذي رحل منذ زمن، مشعل بروبان بيرنزوماتيك وألقاه،
فاشتعلت تلك الأفاعي في اللهب، ويا إلهي! كانت الرائحة
فظيعة، وقد عبقت ملابسي بها، ولم أستطع التخلص منها.
لم يستطع أي منا ذلك، ولم يُفد غسلها لذا أحرقتها مثل
الأفاعي".

ثم جلس صامتًا للحظة، وراح ينظر إلى كوب الماء؛ إذ
سيعود إلى السبب الذي جاء من أجله، ولكنه الآن لم يكن
هنا على الإطلاق، بل كان يرى تلك الأفاعي المحترقة، ويشم
رائحتها وهي تتلوى في اللهب.

"كانت هناك دوامة في البحر في ذلك الوقت، فسبحت
بعض الأفاعي نحوها. وربما وصل القليل منها إلى برّ الأمان،
إلا أن معظمها غرق. لا أعرف ما إذا كنت قد لاحظت وجود
دوامة في البرزخ".

"لاحظت وجود دوامة".

"تلك الدوامة... ذلك التيار... كان أقوى عندما كانت جزيرة
دوما لا تزال موجودة؛ لأن المياه كانت تتدفق بشكل أقوى.
أراهن أن العمق هناك حيث تدور المياه يصل إلى ست عشرة
قدمًا، وربما أكثر. هل تعرف أنها حفرت قاع القناة، بالإضافة
إلى أن المد كان منخفضًا في ذلك اليوم، وهذا ما زاد من
تدفق المياه من الخليج. رأينا أفاعي تدور في تلك الدوامة،
وكان بعضها لا يزال مشتعلًا.

تلك هي يا فيك الحملة الكبرى على الأفاعي في
الثمانينات".

"حكاية عجيبة".

"أخبرني الآن، كيف تعرفت إلى أليتا بيل؟ وكيف وجدتها؟"
"لم أكن أعرفها على الإطلاق، ولم أرها سوى مرتين عندما
كانت على قيد الحياة. فالمرّة الثّانية الّتي رأيّتها فيها كانت
عندما أحضرت لي كوكيز الشوفان بالزبيب، فتناولنا بعضه
إلى هذه الطاولة بالذات. لقد تناولناه مع الحليب، وقلت مرحبًا
للتوأم".

"هل فعلت ذلك؟"

"ربما يبدو الأمر غريبًا الآن، ولكنه لم يكن كذلك عندها؛
إذ شعرت حينها أنه السلوك المذهب الذي ينبغي لي اتّباعه،
لأنها في جميع النواحي الأخرى بدت لي عاقلة تمامًا. في
الواقع..."، وركّزت قليلًا لأتذكر، ثم تابعت:
"قالت إنّها تعرف أنّهما ليسا هناك".

"همم".

ألم تقل ذلك؟ كانا موجودين على الرغم مما قالت، وكنت
أعتقد ذلك، ولكنني لم أتذكر ذلك تمامًا. إذا كانت قد قالت
ذلك، فقد كانت على حق، أعلم ذلك الآن.

"أعاد أحدهم تلك العربة، ليس مرة واحدة، بل مرتين".
"نعم".

"لكنك لم ترَ أحدًا".
"لا".

"ولم تسمع أحدًا".
"لا".

"ولم تلحظ أيضًا تشغيل الأضواء الحساسة للحركة؟ لأنني أعلم أن أكرمان أمر بتركيبها."
"لا".

"ألم تجلب عصا الإمساك بالأفاعي أيضًا؟"
"لا".

"أخبرني، كيف عثرت عليها؟"

فأخبرته بما حصل؛ بما في ذلك الجزء حيث رميت صدفة- وربما أكثر من واحدة؛ إذ كنت مضطربًا ولم أعد متأكدًا- لأبعد الصقور عن جسدها.

"أخبرت الشرطيين زين وكانافان بكل ذلك".

"أعرف أنك فعلت. لقد ذكرنا ذلك في تقريرهما، باستثناء عودة العربة للمرة الثانية. وهذا ما نسميه معلومات جديدة".

"لا أستطيع مساعدتك في ذلك؛ كنت نائمًا".

"همم"، ثم أنزل الكمامة وأنهى كوب الماء وبعد ذلك رفعها مجددًا.

"قال بيت إيتو إنك تخطط للبقاء حتى أيلول، سيد ترينتون".

لم أتجاهل واقع أنه تحدث إلى السيد إيتو، ولم أتجاهل أيضًا أنه عاد لاستخدام اسم عائلتي.

"تتغير الخطط؛ فرؤية امرأة تنهشها الصقور تغير كل شيء. لدي حجز في فندق دايز إن برادنتون الليلة، ورحلة من تامبا إلى كليفلاند يوم الخميس، ومسألة انتقالي إلى منزلي

في ماساتشوستس لم تُقرر بعد؛ إذ تسود الفوضى حاليًا في أمريكا".

بدا أن كلمة "فوضى" خرجت من فمي بقوة أكبر مما نويت. فقال بيلى: "في الوقت الحالي، تعم الفوضى شتى أنحاء العالم. ما الذي جاء بك إلى هنا في الصيف على أي حال؟ معظم الناس لا يأتون إلا إذا كانت لديهم قسائم مجانية لزيارة عالم ديزني".

لو تكلم مع بيت إيتو؛ فمن المؤكد أنه يعرف كل شيء. نعم، لقد كان استجوابًا: "توفيت زوجتي مؤخرًا، وأنا أحاول التأقلم مع الأمر".

"وهل... تمكنت من التأقلم مع الأمر الآن؟"

فنظرت إليه، ولم يبدُ الآن شبيهًا بويلفورد بريمل، بل بدا شبيهًا بمشكلة تحتاج إلى حل.

"ما الأمر أيها المحقق بيلى؟ أم يجب أن أدعوك بالسيد بيلى؟ ظننت أنك متقاعد".

"متقاعد جزئيًا. لم أعد محققًا، ولكنني مفوض موثوق، وأعمل بدوام جزئي. يجدر بك إلغاء رحلتك". هل شدد لتوه على كلمة "رحلتك"؟ وتابع: "أنا متأكد من أنهم سيعيدون الرسوم إلى بطاقتك الائتمانية، بالإضافة إلى غرفة الفندق. يجدر بك ألا تتجاوز حدود فندق باري الذي في القرية، ولكن...".

"إنه مغلق، حاولت الاتصال به. ما الذي..."

"سأشرح لك الأمر. سأكون مرتاحًا لو بقيت هنا حتى تُشرح

جثة السيدة بيل، وكذلك سيراتاح قسم الشرطة".
"لا يمكنك منعي".

"إنها مجرد نصيحة. ولكن، لو كنت مكانك ما كنت لأخاطر".
سمعت الصوت حينها؛ كان خافتًا، ولكن يمكن سماعه: صرير،
وصرير، وصرير.

حاولت إقناع نفسي بأنني لم أسمع، وحدثت نفسي بأنه
أمر سخي، وبأنني لست شخصية في قصة خيالية تدعى
(عربة الأطفال الواشية).

"دعني أسألك مجددًا أيها السيد... حضرة المحقق بيلي، ما
الأمر؟"

فظل بيلي هادئًا وهو يقول: "سيكشف لنا التشريح كيف
ماتت، وسيخرجك ذلك من المشكلة على الأرجح".
"لم أعرف أنني في مشكلة".

"أما بخصوص ما وجدته على طاولة المطبخ عندما دخلت
بيتها صباح اليوم عند الساعة السادسة، فهو يُعقد الأمور".
وعبث بهاتفه ثم مَرَّه لي؛ إذ التقط صورة لمغلف أبيض
كتب عليه بخط يد أنيق: يُفتح في حال وفاتي، آليتا ماري
بيل.

"لم يكن المغلف مختومًا، ففتحته. انتقل إلى الصورة التي
تليه".

فعلت ذلك. كانت الرسالة الموجودة داخل المغلف مكتوبة
بالخط الأنيق نفسه، والتاريخ أعلاها...

"إنه اليوم التالي لتناولنا الكوكيز مع الحليب".

كان الصرير لا يزال يصدر من المرأب في الأسفل. وكما هي الحال مع الشرطة في قصة إدغار آلان بو، لم يبدو أن بيلى يسمعه، ولكنه رجل عجوز، وربما كان سَمعه ضعيفًا.

"هل هذا ما حصل؟"

"نعم، وبعض الحوار اللطيف". لن أخبره أن آلي أرسلت جيك وجو إلى مكتب كريغ للعب، وأتني وجدت في ما بعد سلة القش الخاصة بألعاب القطط مقلوبة. كان ذلك آخر شيء سأخبر به هذا الرجل ذا النظرة الثاقبة (لكن ربما ضعيف السمع)، كما لن أخبره أنني تحدثت - نوعًا ما - إلى التوأم قائلًا: "مرحبًا جيك، مرحبًا جو، ما الأخبار؟"

كانت مجارة بريئة لخيال امرأة ثكلى؛ هذا ما ظننته حينها. لكن، من يدري متى تفتح الباب للأشباح؟ أو كيف؟

"تابع القراءة".

فتابعت القراءة؛ إذ كانت مختصرة وغير رسمية.

هذه وصيتي الأخيرة. وأنا ألغي كل شيء؛ لأنه في حالتي لا يوجد غيرها. أنا بكامل قواي العقلية وإن لم أكن بكامل قواي الجسدية، أترك هذا البيت وحسابي المصرفي في فرست صن ترست، وحساب الاستثمار الخاص بي مع بيلدينغ ذا فيوتشر آل آل سي، وجميع ممتلكاتي المادية الأخرى ليفيكتور ترينتون الذي يعيش حاليًا في 1567 طريق راتلسنيك. محامي هو ناثان رذرفورد في قرية بالم، ولم أستشره عندما كتبت هذه الوصية.

التوقيع،

آليتا ماري بيل.

وكان هناك توقيع آخر في الأسفل بخط يد مختلف: روبرتو أم. غارسيا، شاهد.

نسيت الصرير القادم من المرأب (وربما توقف ولم أنسه)، وقرأت رسالة وفاتها - لم أجد لها اسمًا آخر - مرة أخرى، ثم ثلاث مرات، وبعد ذلك دفعت بهاتف بيلي إلى الجانب الآخر من الطاولة بقوة أكثر مما كنت أريد، فأوقفه كقرص هوكي بيده المسمرة والمجعدة.

"هذا جنون".

"هذا ما يعتقده المرء، أليس كذلك؟"

"لقد التقيتها مرتين فقط. ثلاث مرات إذا احتسبت المرة التي وجدتها فيها ميتة".

"هل لديك فكرة عن سبب تركها لك كل شيء؟"

"لا، ومهلاً. تلك... تلك الرسالة... لن تصمد أمام المحكمة. كنت سأقول إن أقاربها سيثورون، ولكنهم لن يضطروا إلى ذلك لأنني لن أعترض".

"روبرتو غارسيا يملك شركة بلانت فور ذا غراوند، وكانت الشركة تعتني بفنائها".

"نعم، رأيت شاحنته في ممر بيتها".

"بوبي جي أيضًا كان هنا لسنوات طويلة؛ وإذا قال إنه رآها تكتب تلك الرسالة - وقد تحدثت إليه، وقال إنه رآها، على

الرغم من أنها حجبته بيدها عندما وقّع، فلم يعرف محتواها-
فعلي أن أصدقه".

"لا يغير هذا من الأمر شيئًا". وخرجت كلماتي بشكل جيد،
مع أن وجهي كان خدرًا، وكأنني خُفنت بالنوفوكاين. إنه
الأمر الأكثر غرابة على الإطلاق، وتابعت: "سيتواصل هذا
المحامي مع أقاربها و..."

"تحدثت أيضًا إلى نيت روثفورد، أعرفه منذ..."

"سنوات طويلة بالطبع. يبدو أنك شديد الانشغال أيها
المحقق".

فأجاب بغير رضى: "أنا أتنقل كثيرًا. إنه محامي السيدة بيل
منذ..."، وبدأ يفكر باستخدام عبارة "سنوات طويلة"، ثم قرر
أن يعدل عنها وتابع: "منذ عقود. وقد تولى شؤونها بعد وفاة
زوجها وولديها، فانهارت تمامًا من شدة الحزن. وهل تعرف
ماذا؟ يقول إنها لا تمتلك أقارب".

"الجميع لديهم أقارب. زعمت زوجتي المتوفية دونا أن هناك
صلة قرابة تربطها بماري ستيوارت، المعروفة أيضًا بماري،
ملكة..."

"ملكة إسكتلندا سيد ترينتون. لقد ارتدت المدرسة يومًا ما،
عندما كانت جميع الهواتف تحتوي على أقراص دوّارة، ولم
يكن في السيارات أحزمة أمان. وقد سألت نيت عما تُقدّر به
ثروة السيدة، فرفض أن يجيب، ولكن بالنظر إلى العقار- من
الخليج إلى الشاطئ- أعتقد أن ثمنه سيكون باهظًا".

فنهضت، وغسلت كوب قهوتي، وملأته بالماء لأمنح نفسي

بعض الوقت للتفكير، ولكي أصغي إلى صوت العربية، ولكنها كانت هادئة.

ثم عدت وجلست إلى الطاولة: "هل تقول إنني بطريقة ما أجبرت السيدة على كتابة وصية مرتجلة... ثم... ماذا؟ قتلتها!"

فاخترقت نظرة عينيه عيني: "أعتقد أنك قلت ذلك للتو سيد ترينتون، لكن بما أنك قتلتها... فهل أجبرتها؟"

"يا إلهي، لا! تحدثت إليها مرتين، شجعتها على تهيؤاتها الصغيرة، ثم وجدتها ميتة! على الأرجح بنوبة قلبية، لقد أخبرتني أن لديها اضطرابًا في دقات القلب."

"لا. أنا لا أصدق ذلك حقًا، ولذلك جئت إليك، ولم أطلب منك تقديم بيان رسمي. ولكنك تُقدّر الموقف الذي وضعت أنا والقسم فيه، أليس كذلك؟ سيدة تكتب وصية بخط يدها، وبحضور شاهد يوقع عليها، والرجل - الغريب - الذي وجد جثتها، تبين أنه المُستفيد."

فتمتمت: "لا بد أنها كانت مجنونة حتى قبل خسارة طفلها"، ووجدت نفسي أفكر في تلك الأغنية التي ذكرها الشرطي زين: دلتا داون.

"ربما نعم، وربما لا. في كل الأحوال، من المحتمل أن عملية التشريح تجري الآن، وستخبرنا بشيء. وعليك أن تدلي بشهادتك في التحقيق بالطبع، إذ ستكون شهادة رسمية."

فشعرت بانقباض في قلبي: "متى؟"

"ليس قبل بضعة أسابيع، وستكون عبر وسائل التواصل،

فيس تايم، أو زووم، لا أعرف. فأنا بالكاد أستطيع استخدام هذا الهاتف الفاخر". لم أصدق ذلك للحظة.

"أيًا يكن الأمر يا فيك، سيكون من الجيد لو بقيت هنا". وعاود استخدام اسمي الأول، فشعرت وكأنه فخ. وتابع: "في الواقع، يجب أن أصرّ على أنه في ظل الظروف الحالية، ومع تفشي كوفيد بشكل جامح، يُحتمل أن يكون من الأسلم لك أن تبقى هنا وتُغلق على نفسك، وتضع الكمامة عندما تخرج. ألا تعتقد هذا؟" قد يكون هذا هو الوقت الذي بدأت فيه أدرك ما فعلته أليتا بيل؛ على الرغم من أن الأمر لم يتضح تمامًا حتى مساء ذلك اليوم.

ربما لم تكن هي. فكّرت في دونا في تلك الليلة الأخيرة، وكيف نظرت إلى ما ورائي. عيناها المحتضرتان تألقتا للمرة الأخيرة وهي تقول: "يا إلهي! لقد كبّزت".

لا يمكن للأطفال حياكة المؤامرات. من جهة أخرى، البالغون...

"فيك؟"

"هممم".

تقلصت الخطوط الناتجة عن الابتسام عند زاويتي عينيه وهو يقول: "تبدو شارد الذهن".

"أنا أحاول استيعاب الأمر فقط".

"بالطبع. هناك الكثير لاستيعابه، أليس كذلك؟ حتى بالنسبة إلي؛ الأمر أشبه بإحدى روايات الغموض. أعتقد أنه من الأفضل أن تلتزم بخطتك الأصلية، وتبقى هنا حتى أيلول.

تنزه في الصباح، أو في المساء بعد أن يصبح الجو لطيفًا، أو استمتع بالسباحة في حوض السباحة. علينا أن نجد حلًا لهذه المعضلة، إن استطعنا".

"سأفكر في الأمر".

عندها، تقلصت الخطوط الناتجة عن الابتسام عند زاويتي عينيه من جديد وهو يقول: "فكر جيدًا، وابق ضمن حدود المقاطعة في غضون ذلك". ثم نهض وعدل حزام بنطاله القصير وتابع: "حسنًا، لقد أخذت الكثير من وقتك".

"سأرافقك إلى الخارج".

"لا داعي لذلك، أعرف الطريق".

غير أنني أصررت: "سأرافقك إلى الخارج". فرفع يديه معلنًا استسلامه.

وفيما كنا ننزل على الدرج المؤدي إلى المرأب، توقف في منتصف الطريق وسألني بمقدار متساوٍ من الفضول والتعاطف: "كيف توفيت زوجتك يا فيك؟" بدا سؤاله طبيعيًا، ولا يعطي سببًا للاعتقاد بأنه يشك في أمر ما، ولكنني أظن أن الفكرة حاضرة في ذهنه، وليست مجرد خاطرة عابرة.

فأجبت: "بسبب السرطان".

فتابع نزول الدرج قائلاً: "يوسفني سماع هذا".

"شكرًا لك. هل يمكنك أن تأخذ عربة الأطفال إلى منزل بيل؟ تستطيع وضعها في الجزء الخلفي من شاحنتك". إذ أردت التخلص منها.

فقال: "نعم، يمكنني ذلك. ولكن، ما الجدوى؟ فقد تعود مرة

أخرى، إذا كان هذا... المشاغب... مصرًا على أن يحظى ببعض المرح على حسابك. نحن نرسل دورية شرطة إلى طريق راتلسنيك مرة أو مرتين في الليل، لكن هذا يترك الكثير من الوقت من دون مراقبة. بالإضافة إلى أن بعض رجال الشرطة مصابون بكوفيد. قد يكون من الأسهل تركها هنا".

فكرت في أنه لا يعتقد بوجود أي مشاغب، بل بأني أنا من أعاد العربة في المرتين. لا أعرف لماذا، ولكن هذا ما يعتقده. "وماذا عن بصمات الأصابع؟"

فحك خلف عنقه المجعد والمسمّر بشدة وقال: "أجل، يمكنني أن أرفعها. فلديّ عذّة لرفع البصمات في شاحنتي، ولكن هذا سيعني نقل أي بصمات رفعتها سابقًا، وقد أعبث بها فأتلفها. إذ لم تعد يداي ثابتتين كما كانتا في السابق". لم ألحظ هذا الأمر.

وفجأة، أشرق وجهه وهو يقول: "هل تعرف؟ يمكنني على الأقل رفع البصمات عن قضبان الكروم تلك، والتقاط بعض الصور إذا وجدت شيئًا. فلا طائل من المحاولة مع مقابض اليد لأنها مصنوعة من المطاط، والذراعان الصغيرتان بجانب المقعد مصنوعتان من القماش. لكن قضبان الدفع المعدنية مثالية لرفع البصمات عنها. هل لمسها زين أو كانافان؟"

"لست متأكدًا. لا أظن أن أحدًا سواي قد لمسها، وآلي بيل بالطبع".

فأومأ برأسه. في تلك اللحظة كنا عند أسفل الدرج، ولم نخرج إلى المرأب بعد.

"هذا يعني أنه ستظهر بصماتي وبصمات السيدة بيل؛ رغم أن ذلك غير وارد على الأرجح، لأن معظم الناس يستخدمون المقابض المطاطية فقط."

"أعتقد أنني انحنيت ورفعت العربة لأجتاز باب المرأب وأدخلها. ربما لففت يدي حول تلك القضبان الموجودة أسفل المقابض. قد لا تجد بصمات أصابع، ربما فقط بصمات راحة يدي."

فأوماً مجددًا، ودخلنا مرأب كريغ. ثم خرج لجلب معداته، ولكنني أمسكت بمرفقه، وأوقفته مشيرًا إلى العربة: "انظر."
"ماذا؟"

"لقد نُقلت من مكانها. عندما أدخلتها، وضعتها بجانب باب السائق، وهي الآن بجانب باب الراكب بجانب السائق." هذا يعني أنها نُقلت عندما سمعت الصرير.

"لا أذكر على وجه الدقة."

أدركت من عبوسه الشديد أنه يتذكر جيدًا، ولكنه لا يريد تصديق الأمر.

"بالله عليك يا أندي!" وتعقدت مناداته باسمه الأول. وهذه حيلة قديمة من حيل اجتماعات الإعلان، كنت أستخدمها عادة عندما تشتد الخلافات. أردت أن أشركه معي في الأمر: "كنت شرطياً لفترة طويلة، لذا لا بد أن دقة الملاحظة أصبحت بالنسبة إليك عادة. كانت العربة في الظل، والآن هي تحت أشعة الشمس على الجانب الآخر من سيارتي."

ففكر قليلاً، ثم هز رأسه وأجاب: "لا أستطيع الجزم."

أردت منه أن يعترف بالأمر، وأردت أن أخبره أنني سمعت الصرير عندما نُقلت من مكانها، حتى لو لم يسمعه هو، وأردت أن أهرّ بقوة الذراع التي أمسكها بها، ولكنني فضلت عدم القيام بذلك. وعلى الرغم من أن ذلك كان صعبًا، إلا أنني فعلته. إذ لم أرغب في أن يظنني مجنونًا، أو أن يظن أنني من كُنْث أعيد العربية ليلاً، فقد قطع شوطًا للوصول إلى تلك النتيجة. وهناك تلك الوصية الخطية الغربية لآلي بيل التي ينبغي له أن يأخذها بعين الاعتبار أيضًا. هل صدق حقًا أنه ما من علاقة تربطني بآلي؟ هل كُنْث سأصدق لو كُنْث مكانه؟ بدا لي أن الأسئلة قد بدأت لتوها.

قال بيلي: "سأحضر صندوق العدة؛ مع أنني لست متفائلًا بالنتيجة".

ثم انطلق بعربته البيك آب بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة؛ بعد أن ذكرني مرة أخرى بآلا أغادر المقاطعة، قائلاً إن قيامي بذلك سيكون فكرة سيئة للغاية. وأخبرني أنه سيتم التوصل معي بعد التشريح من قبله هو أو من قبل أحد المحققين الدائمين في المقاطعة.

كان يومًا طويلًا. وفي المساء، حاولت أن أنام فلم أستطع. وفي عدة مرات، ظننت أنني أسمع صريرًا، فنزلت إلى المرأب، ولكن العربية لم تتحرك، ولم يفاجئني ذلك. فقد سمعتها عندما كان بيلي يجلس إلى طاولة مطبخي، كان ذلك حقيقيًا، أما في ما بعد، فكان شيئًا آخر. ستقول إنها هلوسات، ولكنها لم تكن كذلك. ليس تمامًا. ظننت أنه شكل من أشكال المزاح. يمكنك أن تصدق ذلك أو لا، ولكنني كنت متأكدًا منه.

لا، كنت أعرف.

ذات مرة، عندما سمعت ذلك الصرير (لم أسمعه، بل تخيلته) نزلت إلى المرأب، فظننت أنني أرى ظلال الأفاعي على الحائط. ولكنني عندما أغمضت عيني ثم فتحتهما، وجدت أن الظلال قد اختفت. لم تكن ظلالها موجودة، بل هي التي كانت موجودة. لا يوجد الآن سوى العربية، جائمة بظلها الطبيعي تحت أشعة الشمس، على أرض المرأب الإسمنتية.

عند الظهيرة، وفيما كنت أتناول شطيرة سلطة الدجاج، فكرت أخيرًا في تزييت تلك العجلة الصّارة. إذ كان هناك زيت 3 في 1 على طاولة العمل، ولكنني آثرت ألا أفعل ذلك. إذ لم ترق لي فكرة لمس العربية. كان بوسعي فعل ذلك؛ فأنا لست مجنونًا أو أعاني من رهاب تجاهها، ولكنني تذكرت خرافة إيسوب القديمة عن الفئران التي علقت جرسًا حول عنق القط. لماذا فعلت ذلك؟ لأنها أرادت أن تسمعه وهو قادم.

شعرت بالشعور نفسه تجاه العربية. وخاصة بعد أن مسح بيلى قضبان الكروم ولم يجد شيئًا، ولو حتى بقايا أو أجزاء عشوائية من الغبار التي توقع وجودها: "أظن أن المشاغب الذي تتحدث عنه قد مسحها". قال ذلك وهو ينظر إلى عيني.

في المساء، مشيت على طول جزيرة راتلسنيك حتى وصلت إلى الجسر المتحرك. وكانت نزهة طويلة بالنسبة إلى رجل عجوز، لكن كان لدي الكثير لأفكر فيه. ومجددًا، تساءلت عما إذا كنت مجنونًا، ثم استبعدت الفكرة بشكل قاطع. يمكن أن تكون الأفاعي في الحوض واليد الممتدة هלוسة ناتجة عن التوتر (لم أصدق ذلك، ولكنني لم أستبعده). ومن جهة

أخرى، كانت العربية في الحمام، كانت هناك، لقد رأيت ظلها، لكن صوت العجلة الضاربة لا لبس فيه. وعندما كانت في المرأب تحركت من مكانها. لقد سمعتها، ولا أعتقد أن بيلى سمعها، ولكنه يعرف أنها كانت في مكان مختلف؛ على الرغم من أنه لم يرغب في الاعتراف بذلك لي (أو ربما لنفسه).

كان الجسر المتحرك يعمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع. وفي تلك الليلة، كان يُدار بواسطة جيم موريسون (لست عضوًا في فرقة ذا دورز، كما يحب دائمًا أن يقول). إنه على الأرجح رجل أكبر سنًا من بيلى ومثي. تحدثنا قليلًا عندما وصلت إلى الجسر عن الطقس، والانتخابات القادمة، وكيف أفرغ كوفيد الملاعب الرياضية من الجماهير، وأبدلها بصور ورقية لأشخاص وهميين. وأخيرًا، سألته عن السيدة بيل.

فسألني جيم: "أنت من وجدها، أليس كذلك؟" كنا خارج مقصورته الصغيرة، التي يوجد فيها تلفاز، وكروسي مريح متهالك، وكابينة مرحاض. وكان يرتدي سترة الأمان الصفراء العاكسة، ويعتمر قبعة حمراء كُتبت على حافتها عبارة: "جزيرة راتلسنيك"، فيما برز عود متشقق لتنظيف الأسنان من زاوية فمه.

"نعم".

"يا لها من مسكينة! تلك الروح الطاعنة في السن لم تتجاوز قط فقدانها ولديها، وهي تدفع تلك العربية إلى كل مكان." كانت هذه مقدمة مثالية لما كنت أرغب في السؤال عنه. "برأيك، هل كانت واثقة أن ولديها كانا داخلها؟"

فحك ذقنه غير الحليقة وهو يفكر: "لا أستطيع الجزم، ولكنني أظن أنها كانت واثقة من ذلك. في بعض الأحيان على الأقل، وربما حتى في معظم الأوقات. أظن أنها أجبرت نفسها على تصديق ذلك؛ وهو شيء خطير برأيي".

"لماذا تقول هذا؟"

"يُفضل أن نتقبل الموت، وأن نحمل الجرح في قلوبنا، ونمضي قدمًا".

انتظرت أن يتابع، ولكنه لم يفعل.

"هل شاركت في الحملة الكبيرة على الأفاعي بعد موتهما؟ أخبرني أندي بيلي عنها".

"نعم، لقد كنت هناك. لا أزال حتى اليوم أستطيع شم رائحة تلك الأفاعي وهي تحترق، وأعتقد أنني أراها في بعض الأحيان، خاصة في هذا الوقت من اليوم". ثم مال على السياج، وألقى عود الأسنان في خليج المكسيك وتابع: "هل تعرف؟ تبدو الأشياء حالمة أكثر عند الغسق؛ على الأقل بالنسبة إلي. لطالما قالت زوجتي دائمًا إنني يجب أن أكون شاعرًا بسبب تلك الأفكار. وتتحسن حالي عند ظهور النجوم في السماء، ولا بد أن أرى الكثير منها الليلة. تنتهي وردية عملي عند الساعة الثانية عشرة، ثم ستتولى باتريشيا المهمة".

"لا أعتقد أن الكثير من القوارب يبحر في هذا الوقت من السنة، وخاصة في الليل".

"أنت مخطئ. انظر هناك". وأشار إلى القمر الذي توسط السماء وأضاء ماء الخليج بضياء فضي وتابع: "يحب الناس

الإبحار في ضوء القمر؛ فالأمر رومانسيّ بعض الشيء. ويبدو الليل مختلفًا عند ظهور القمر، على الأقل في الصيف. ففي الليل، تكون معظم القوارب خاصة بخفر السواحل، أو وكالة مكافحة المخدرات. وهؤلاء الشباب دائمًا على عجلة من أمرهم، وكأنّ إطلاقهم لأبواقهم يمكن أن يفتح هذا الجسر القديم بشكل أسرع".

تحدثنا قليلًا، ثم أخبرته أنّه تجدر بي العودة.
فقال جيم: "نعم. إنّهُ طريق طويل بالنسبة إلى رجل مسنّ، ولكنّ القمر سينير طريقك".
فقلت له: "عمت مساءً". ومضيت عائداً عبر الجسر.
"فيك".

فنظرتُ إلى الخلف، ورأيتهُ يستند إلى مقصورته الصغيرة، وذراعه متشابكتان فوق سترته: "بعد أسبوعين من وفاة زوجتي، نزلت في منتصف الليل لأشرب كوبًا من الماء، وشاهدتها جالسة إلى طاولة المطبخ، مرتدية ثوب نومها المفضل. لم يكن مصباح المطبخ مضاءً، وكانت الغرفة مظلمة، لكنها كانت هي، بالتأكيد. أقسم على ذلك. ثم أضأت المصباح، و...". فتح يده مُرخيًا أصابعها: "اختفت".

بعد ما قاله لي جيم قلت: "لقد سمعت صوت ابني بعد وفاته". بدا التصريح بذلك لأحدهم منطقيًا. "أقسم إنّ صوته كان صادرًا من داخل الخزانة".

فأومأ برأسه فقط، وتمنّى لي ليلة سعيدة، ثم عاد إلى مقصورته.

تناثرت المنازل على جانبي طريق العودة؛ في الميل الأول منها. في البدء، كانت طبيعية الحجم، ولكن كلما تقدمت صارت شيئًا فشيئًا أكبر وأفخم. كانت مصابيح بعضها مضاءة، وزُكنت السيارات أمام مداخلها الرئيسية، لكن معظمها كان مظلمًا. سيعود أصحابها بعد الكرسمس وسيغادرون قبل الفصح؛ بحسب وضع الجائحة.

وعندما تجاوزت البوابة المتحركة في الطرف الشمالي من الجزيرة، كانت المنازل الفاخرة القليلة في هذا الجزء من الجزيرة مخفية خلف الأزاليا ونخيل السافانا التي تنتشر بكثافة على جانبي الطريق. والصوت الوحيد الذي يمكن سماعه هو صوت أزيز صراصير الليل، وصوت تكسر أمواج الخليج على الشاطئ، وصوت طائر الشبد، بالإضافة إلى وقع خطواتي. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى شريط الشرطة الأصفر الذي يغلق مدخل منزل السيدة بيل، كان الظلام قد حل، وارتفع القمر غير المكتمل بما يكفي ليضيء طريقي، ولكن معظم نوره كان لا يزال محجوبًا بالأشجار والنباتات التي تنمو في المناخ الحار في فلوريدا.

بدأ الصرير بمجرد أن تجاوزت مدخل آلي، أي على بعد ثلاثين أو أربعين قدمًا خلفي. فجفّ حلقي، وسرت قشعريرة في كامل جسدي. ثم توقفت، ولم أستطع متابعة المشي، ناهيك عن الجري (فأنا لا أستطيع الجري في ظل وضع وركي المتيبستين). فهمت ما يحدث، كانا ينتظران قدومي إلى مدخلهما حتى يتمكنّا من اللحاق بي إلى منزل كريغ بعد مروري بهما. ما أتذكره بشدة في تلك اللحظة هو الألم الذي

أصاب عيني. إذ شعرت بأنهما تتورمان داخل محجريهما،
وفكرت في أنني سأصاب بالعمى إذا انفجرتا.
توقف الصرير.

الآن، سمعت صوتًا آخر: دقائق قلبي بدت كطبل مكتوم.
وصمت طائر الشبد، وكذلك صراصير الليل، فيما تسَلَّت قطرة
من العرق البارد ببطء من صدغي إلى زاوية فكي. خطوت
خطوة واحدة صعبة، ثم خطوة أخرى أقل صعوبة، ثم
ثالثة سهلة، وعاودت المشي، لكن كمن يمشي على عصوين
خشبيتين. وعاد الصرير مجددًا عندما صرت على بعد خمسين
قدمًا من منزل كريغ. وحين توقفت توقف الصرير، وحين
مضيت قدمًا على عصوين خشبيتين خفيتين عاد الصرير
مجددًا. إنها عربة الأطفال، والتوأم يدفعانها. كانا يمشيان
عندما أمشي ويتوقفان عندما أتوقف. إنهما يبتسمان، أنا
متأكد من ذلك؛ لأنها مزحة جيدة يُمازحاني بها... ماذا؟

ما الذي كنّته بالنسبة إليهما؟

خشيت أن أعرف الإجابة. فقد تركت لي آلي ييل بيتها،
ونقودها، واستثماراتها. لكن ذلك لم يكن كل ما تركته لي،
أليس كذلك؟

قلت: "أيها الولدان". وبدأ صوتي مختلفًا، وكأنه لم يكن
صوتي. وكنت لا أزال أنظر إلى الأمام، ولكن صوتي لم يكن
صوتي: "أيها الولدان، عودا إلى المنزل. لقد فوّتتما موعد
نومكما".

لا شيء. انتظرت أن تلمسني أياد باردة، أو أن أرى عشرات
الأفاعي تزحف عبر الطريق تحت ضوء القمر. ستكون الأفاعي

باردة أيضًا، إلى أن تعضني؛ وذلك أمر آخر. فبمجرد أن يُحقن السم، ستتسلل الحرارة إلى قلبي.

لا وجود للأفاعي، فقد رحلت. أنا أراها، ولكنها ليست حقيقية. مشيت، وتبعني العربة. صرير، صرير، صرير.

توقفت، فتوقفت العربة. أصبحت قريبًا الآن من منزل غريغ، أستطيع رؤية كتلته في ظلام الليل، لكن ذلك لم يُرحني؛ إذ يمكنهما الدخول... لقد دخلا بالفعل.

انظر إلينا. انظر إلينا. انظر إلينا.

العب معنا. العب معنا. العب معنا.

ألبسنا. ألبسنا. ألبسنا.

أكاد أجن من أفكاري؛ مثل واحدة من تلك الأغاني المزعجة التي تدخل رأسك ولا تغادر.

"دلتا داون" على سبيل المثال، ولكنني أستطيع إيقافها؛ فأنا أعرف ما يجعلها تذهب بعيدًا، على الأقل بشكل مؤقت.

وهما يعرفان أيضًا.

انظر إلينا. العب معنا. ألبسنا.

لم أجروا على الالتفات، ولكن هناك شيئًا كان بإمكانني فعله لو تجرأت. أخرجت هاتفني من جيب بنطالي القصير، وفتحت تطبيق الكاميرا، ثم شغلت الكاميرا الأمامية، فظهر وجهي الخائف شاحبًا مثل جثة في ضوء القمر. رفعت الهاتف من فوق كتفي حتى أستطيع النظر خلفي من دون أن ألتفت عمليًا، وحاولت تثبيت يدي، ولم أدرك أنها ترتجف حتى ذلك الحين.

لم يكن جاكوب وجوزيف أو العربية هناك... ولكن ظلّيهما
كانا هناك: هيئتين بشريّتين، والهيئة واضحة المعالم للعربة
المزدوجة التي كانت والدتهما تدفعها وهما بداخلها. لا
أستطيع القول إنّ رؤية هذه الظلال أسوأ فعليًا من رؤيتهما،
ولكنها كانت مرعبة بما يكفي.

ضغطت على الزر بإبهامي لألتقط صورة، وأنا متأكد من أنها
لن تنجح، ولكنني سمعت صوت النقر.

انظر إلينا. العب معنا. ادفعنا.

ثم أغلقت تطبيق الكاميرا، وفتحت التسجيل الصوتي.

انظر إلينا، العب معنا، ادفعنا.

فكرت في أنّ هذين الظلين أطول من أن يكونا ظلي طفلين
في الرابعة من العمر، وفكرت مجددًا في دونا، في نهاية
حياتها حين قالت: "لقد كبُزت، انظر كم ازداد طولك". انظر
إلينا، العب معنا، ادفعنا!

استأنفت المشي مرة أخرى، وتبعني الصرير، قريبًا في
البداية، ثم ما لبث أن ابتعد تدريجيًا. فبمجرد وصولي إلى
منزل كريغ، اختفى الصرير. لكن الأفكار الفلحة في رأسي -
ليست الأصوات، بل الأفكار - كانت أعلى من أي وقت مضى.
كانت أفكاري، لكن بدا لي وكأنني مُرغم على التفكير فيها.

عادت عربة الأطفال إلى الفناء بالطبع. وكانت تُلقى بالظل
نفسه الذي رأيته على هاتفني. وكان القميصان لا يزالان
موضوعين بعناية فوق المقعدين، وكُتب هيكُل على أحدهما،
وجيكل على الآخر. كنت أعرف كيف أهدئ العاصفة في

رأسي؛ فلمستُ المقعدين، ثم لمستُ القميصين، وعلى الفور سكنت الأفكار الفُلحة المتكررة. دفعتُ عربة الأطفال مرة أخرى إلى المرأب، ثم ابتعدت عنها مُنتظرًا. لم تغد الأفكار، ولكنها ستعود، بالطبع ستفعل. وفي المرة القادمة، ستكون أكثر إلحاحًا وصخبًا. في المرة القادمة، ستريدُ ما هو أكثر من لمسة.

في المرة القادمة، ستريدُ الذهاب في جولة.

أقفلتُ الأبواب؛ وكأنَّ ذلك سيجدي نفعًا، وأنرثُ كل مصابيح المنزل، ثم جلستُ إلى طاولة المطبخ ونظرتُ إلى هاتفِي. كانت لديَّ مكالمة فائتة من ناثان روثرفورد، لكنَّ هناك ما هو أهم من محامي آلي بيل في الوقت الحالي. نظرتُ إلى الصورة التي التقطتها، فبدت مشوشة قليلًا لأنَّ يدي لم تتوقف عن الارتعاش، لكنَّ ظلال الولدين والعربة بدت واضحة هناك، ولم يكن هناك ما يُلقِيها في الطريق الخالي. فتحتُ تطبيق التسجيل الصوتي، وضغطتُ على زر التشغيل، فسمعتُ الصرير الإيقاعي لعجلة العربة لمدة عشرين ثانية، ثم تلاشى.

فكرتُ في التواصل مع أندي بيلي؛ فأنا متأكد من أنه لم يتجاهل أمر اختلاف موضع العربة بعد انتهاء حديثنا. لقد أعطاني بطاقته، وأستطيع إرسال الصورة والتسجيل الصوتي إلى بريده الإلكتروني، ولكنه سيرفض كليهما، وسيقول إنَّ الظلال هي ظلال النخيل. ربما كان يعرف في قرارة نفسه أنه تفسير خاطئ، ولكنَّ هذا ما سيقوله. وماذا عن العجلة الصّارة؟ ربما سيظن أنني فعلت ذلك بنفسِي، وأتني أدفع

العربة ذهابًا وإيابًا في المرأب أثناء التسجيل. ربما لن يقول ذلك، ولكنه سيفكر فيه؛ فهو شرطي في نهاية الأمر، وليس صائد أشباح.

لعل ما حصل ليس بالأمر السيئ، فأنا أملك الآن بين يدي دليلًا ملموسًا. سبق لي أن عرفت أن ما يحدث حقيقي، لكن فكرة أنه يحدث في رأسي فقط لازمتني على الرغم من ذلك.

جلست إلى طاولة المطبخ وأنا أفكر مُسندًا جبهتي إلى راحتي يدي. عندما سألتها إن كانت بخير، قالت لي آلي: "عدم انتظام في ضربات القلب". لكن ماذا لو كانت مريضة أكثر مما ادّعت وكانت تعرف؟ ماذا لو لم يكن الأمر مجرد عدم انتظام في ضربات القلب، بل فشل القلب الاحتقاني؟ وربما حتى السرطان؛ أحد تلك الأورام الدماغية الخبيثة التي تُعَدُّ حكمًا بالإعدام.

ماذا لو كانت مسلّمة بواقع موتها، ولكن ليس بموت طفليها؟ لقد ماتا بالفعل، ولكنهما عادا، أو أنها أعادتهما، وبعد ذلك... "قابَلتني". قلتُ تلك الكلمة بصوت مرتفع.

نعم، تخيل ذلك.

اتصلت بناثان روثفورد، وقدمت نفسي، وانتقلت مباشرة إلى النقطة المهمة: "لست مهتمًا بميراث آلي بيل".

أعتقد أن ضحكته حينها عبّرت عن سخرية أكثر مما عبّرت دهشة: "ومع ذلك، سيد ترينتون، يبدو أنك قد حصلت عليه".

"هذا محض هراء. ابحثوا عن أقارب لها".

"ادّعت أنها لا تملك أي أقارب. فبعد وفاة زوجها، وتوأمها،

أخبرتني أنها آخر ناجية من العائلة، وهذا هو السبب الوحيد الذي جعل هذه الوصية الضعيفة تصمد أمام المحكمة. إرثها يساوي قدرًا كبيرًا من المال، سبعة أرقام، وربما ثمانية. لا بدّ وأنها كانت معجبة بك".

ففكرت في أنني الشخص الذي يُعجب به دائمًا، ولا أنوي البقاء كذلك.

"هذا يجعلني في موقف سيئ يا سيد روثرفورد. فأنا من وجدتها ميتة، وإلى أن تظهر نتائج التشريح، أبدو وكأنني رجل يمتلك دافعًا لقتلها. أنت تفهمني، أليس كذلك؟"

"هل لديك سبب لاعتقادها أنك وريث مُحتمل؟ لعلك رأيت مسودة الوصية قبل وفاة السيدة بيل، هل فعلت؟"

"لا. لكنّ المفوض بيلي قال لي إنّ المغلف الذي كانت بداخله لم يكن مختومًا. يمكن لمحامي النيابة العامة أن يدعي أنني اطلعت عليها لو أراد أن يحظى بقضية لنفسه".

فقال روثرفورد: "بمرور الوقت ستظهر الحقيقة". ذلك لا يعني شيئًا على الإطلاق. تكلم بنبرة مُطمئنة؛ ربّما يستخدمها عادة مع العملاء المضطربين ممن لديهم المال، ويبدو أنني الآن أمتلك الكثير؛ أكثر مما كان في حساب تقاعدي رقم 401. "إذا لم يُطعن في الوصية، وضدّقت بشكل رسمي، فيمكنك أن تفعل ما تشاء بالعوائد؛ كأن تبيع المنزل، وتمنح الأموال لجمعيات خيرية جديرة، إن شئت ذلك".

لم يستمر ليقول إنّ الإحسان يبدأ من المنزل، ولكنّ نبرته أوحى بذلك. كنت قد سئمت؛ فقد أراد مناقشة المسار القانوني الملتوي الذي ينتظرنا، لكنّ لديّ أفاعي ملتوية خاصة

بي لأقلق بشأنها. حل الظلام في الخارج، وأنا خائف، لذا شكرته وأنهيت المكالمة.

هل كتبت وصيتها ثم قتلت نفسها بجرعة زائدة من ديغوكسين أو سوتالول؟

فكرت في أن هذا غير صحيح؛ إذ لن يُعجب هذا التوأم. قد ينتهي بي الأمر في سجن المقاطعة، حيث ستكون عبارة "انظر إلينا، لعب معنا، ألبسنا" بلا فائدة. سثسجل وفاتها في التحقيق المبدئي على أنها موت عرضي، ولكن في غضون ذلك سأكون هنا... وسيكونان هنا.

حدثت نفسي: لأنهما يريدان بقائي.

أخذت حمامًا باردًا، وارتديت بنطالًا رياضيًا قصيرًا، ثم أغلقت باب الحمام الداخلي، واستلقيت على السرير المزدوج الكبير الخاص بكريغ أكرمان الذي ربما شاركه مع عدد لا بأس به من الفتيات، باعتباره شابًا أعزب نوعًا ما. أما أنا ففتاتي الخاصة قد رحلت. لقد أصبحت تحت التراب، وكذلك ابني.

ضممت ذراعي إلى صدري في حركة غير واعية للإحساس بالأمان، وحدثت إلى السقف. لم تكن هي، بل كانا هما. أرادا مني البقاء ليتمكننا من الاستحواذ علي واستبدالي بوالدتهما، حتى لا يضطرا إلى الذهاب إلى حيث تذهب الأرواح العالقة. فقد أعجبهما وجودهما هنا في جزيرة راتلسنيك. إذا أردت أن تخرج هذه الأفكار الفلحة المقلقة من رأسي، وأن أتخلص من صوت الصرير الذي يلاحقني، أستطيع العيش في منزل آلي؛ حيث أتناول طعامي في مطبخها، وأنام على سريرها، وأدفع عربة توأمها.

أخيرًا، سأتمكن من رؤيتهما.

فكرت في أنني لست مُرغمًا على البقاء هنا. فلدي سيارة مستأجرة وخزانها مليء بالوقود. يمكنني الهروب بعيدًا عنهما. لا أعتقد أن شريف المقاطعة سيصدر مذكرة لاعتقالي، رغم أن قاضيًا ما قد يصدر مذكرة تطلب مني العودة بانتظار التحقيق المبدئي... وعندها، روثفورد سيعرف، وأعتقد أنه أصبح محامي الآن... محامي الآن... ولكنني سأقاوم. وبينما يتجادل المحامون، سيصبح جيك وجو ضعيفين؛ لأنها ذهبت وليس لديهما سواي.

نعم، كل هذا صحيح، ولا يعني أنني لست خائفًا. يمكنك تصديق هذا. هناك جملة من فيلم "شوارع العنف" لمارتن سكورسيزي لطالما اقتديت بها: "لا تعبث مع ما يفوق قدرتك"، ولكنني كنت غاضبًا. لقد وُضعت في صندوق لا يُفترض بي أن أهرب منه. ليس بواسطة والدتهما - فلقد كنت متأكدًا في أعماقي من أن آلي بيل بريئة من الأمر - ولكن بواسطة الطفلين. في الواقع، بواسطة الطفلين الميتين.

لم أملك سلاحًا سرّيًا لأقاتلها به، لا صليبًا ولا ثومًا لإبعاد مصاصي الدماء (إن لم أكن مُخطئًا، فهذا ما كانا عليه نوعًا ما)، ولا طقوسًا لطرد الأرواح الشريرة. ولكنني أمتلك عقلي، كما أنني كبير في السن جدًا ليتم التلاعب بي بهذا الشكل.

إذا لم تكن آلي من صنعت الصندوق الذي أنا فيه الآن، فكيف استطاعا فعل ذلك؟ فمعظم الأولاد الصغار - وكان لدي واحد - لا يستطيعون التخطيط لرحلة إلى الحمام.

ذهبت إلى النوم، وأنا أفكر في دونا، قبل دقائق من رحيلها:

"لقد كبّزت! انظر كم ازداد طولك!"

صرير، وصرير، وصرير.

لم أستيقظ، ولم أجد الظلام مخيفًا؛ لأنني لم أطفئ الأضواء. هذه المرة، لم يأت صوت عجلة العربية من الحمام الملحق، بل من مكان أبعد منه. ظننت أنه قادم من الجزء الذي كان كريغ يُطلق عليه بكل تباه ركن الضيوف. يضم هذا الركن غرفة معيشة صغيرة في الطابق الأرضي، وسلّمًا حلزونيًا يؤدي إلى غرفة نوم مع حمام ملحق في الطابق الثاني.

كانت العربية في غرفة الضيوف. ربّما لا تزال العربية الحقيقية في المرأب، ولكنّ العربية الشبحية حقيقية أيضًا، وكذلك التوأم اللذين يدفعانها بقوة ذهابًا وإيابًا.

عادت إلي الأفكار مجددًا. كانت خافتة في البداية، ولكنها أصبحت أعلى، وكأنّ يدًا خفية ترفع درجة الصوت. "انظر إلينا، لعب معنا، ألبسنا. انظر إلينا، اللعب معنا، ألبسنا".

استلقيت على ظهري، وشبكث يديّ معًا على صدري، وعضضت شفتي، وأنا أحاول جعل الأفكار- أفكارهما، أفكاري- تتوقف. لكنّ الأمر بدا مستحيلًا. فما زلت قادرًا على التفكير في أفكار أخرى- كم سيدوم ذلك لم أكن أعرف- يبدو أنّ هناك ثلاثة خيارات فقط يمكنني القيام بها: البقاء هنا والجنون بمجرد أن تبتلع تلك الأفكار كل شيء، أو النزول ولمس العربية في المرأب الأمر الذي سيهدئها لفترة من الزمن، أو مواجهة التوأم. وهذا ما قررت فعله.

فكرت في أنني لن أسمح لطفلين بأن يدفعاني إلى الجنون.

وفكرت أيضًا: "العب معنا، العب معنا، ادفعنا، ادفعنا، أنت لنا، ونحن لك".

نهضت من السرير، وسرت في الممر العلوي نحو ركن الضيوف. وفيما كنت في منتصف الطريق توقفت صوت صرير العجلة. لم أتوقف، ولم تتوقف الأفكار أيضًا: "العب معنا، ادفعنا، ألبسنا، أنت لنا، ونحن لك". لم أتردد عند وصولي إلى الباب الموارب، ولو توقفت قليلًا للتفكير في جزء من عقلي الذي كان قادرًا على التفكير المستقل، لكنت قد استدرت وهربت. ما الذي سأفعله هناك؟ لا أعرف. هل سأطلب منهما العودة إلى المنزل؟ أو سأقول لهما إنهما سيُعاقبان؟ لن ينجح الأمر بالتأكيد.

غير أن ما رأيته جفدني في مكاني. فقد كانت العربة مركونة في وسط الغرفة، وجاكوب وجو مستلقين على سرير الضيوف. لم يعودا طفلين... ولكنهما كانا كذلك. وتحت غطاء السرير، كان جسداهما طويلين، جسدي رجلين بالغين، لكن رأسيهما - مع أنهما كبرا بشكل مروع - كانا رأسي طفلين. توغل سم الأفاعي المجلجلة داخل رأسيهما حتى أصبحا مثل القرع في الهالوين. وكانت شفاههما سوداء، وقد انتشرت عضات الأفاعي على جبهتيهما وخديهما وعنقيهما، وكانت عينا كل منهما غائرتين ولكن مشتعلتين بشكل جهنمي بالحياة والوعي، وكانا يبتسمان لي.

"نريد قصة قبل النوم. نريد قصة قبل النوم. نريد..."

ثم اختفيا فجأة، واختفت العربة أيضًا. فخلال لحظة واحدة كان التوأم هنا، ينتظران قصة قبل النوم، وفي اللحظة

التي تلتها أصبحت الغرفة خالية. أنا متأكد من أنني عندما أتيت إلى هنا من ماساتشوستس، رأيت السرير مرتبًا بشكل مثالي، لكن غطاءه الآن مطوي من كلا الجانبين على شكل مثلثات أنيقة.

شعرت مُجذَّبًا بأنني أمشي على عصوين خشبيتين. دخلت الغرفة، ونظرت إلى السرير حيث كان التوأم. لم أنو الجلوس عليه، ولكنني فعلت ذلك لأن ركبتي لم تقويا على حملي، وقلبي لا يزال يدق بشدة، ويمكنني سماع نفسي وأنا ألهث بحثًا عن الهواء.

فكرت في أن الكهول يموتون بهذه الطريقة. عندما يُعثر عليّ - على الأرجح سيعثر عليّ بيتر إيتو - سيخلص الطبيب الشرعي إلى أنها نوبة قلبية. لن يخطر في باله أنني مت خوفًا على يدي رجلين ميتين لهما رأسا طفلين.

لن يرغب التوأم في موتي، أليس كذلك؟ فبعد أن ماتت والدتهما، صرّحت صلتتهما الوحيدة بالعالم الذي أرادا البقاء فيه.

مددت يدي، ولمست كل مثلث مطوي من الغطاء، وعرفت أنهما لا يحبّان هذا السرير، فكل واحد منهما يمتلك سريره الخاص في المنزل أسفل الطريق. إنهما سريران جيّدان. لعلّ والدتهما تركت غرفتهما على حالها بعد وفاتهما منذ حوالي أربعين عامًا. هذان هما السريران اللذان أحباهما. ولو انتقلت إلى هناك، لكنت قد وضعتهما في سريريهما في المساء، وقرأت لهما ويني ذا بو، كما قرأتها يومًا لتاد، ومن المؤكد أنني لن أقرأ لهما قصصًا دينية؛ لأنهما ليسا سوى وحشين.

أخيرًا، نهضت وعدت ببطء إلى غرفتي. قد لا أنام، ولكنني

لا أتوقع سماع الصرير الليلة مرة أخرى. لقد انتهت الزيارة.

لم يكن الاحتفاظ بالسيارة التي مات ابني بداخلها أمرًا قابلاً للنقاش؛ إذ ما كنت سأحتفظ بها حتى إن لم يدمرها الكلب في عشرات الأماكن محاولاً الدخول إليها للوصول إليه. وعندما أعادتها عربة قطر السيارات إلى منزلنا، رفضت دونا مجرد النظر إليها، ولم أَلَمها على ذلك.

لا توجد ساحة خردة في كاسل روك، وأقرب واحدة هي أندريتي في غيتس فولز. لذا، اتصلت بالمسؤول عنها، فأرسل من أخذ البينتو- سيارة الموت- ومزروها عبر الكسارة. وما خرج منها كان عبارة عن مكعب تخترقه خطوط لامعة من الزجاج: النوافذ، والمصابيح الخلفية، والمصابيح الأمامية، والزجاج الأمامي. التقطت صورة له، وأيضًا رفضت دونا النظر إليه.

بحلول ذلك الوقت، بدأت المشاجرات بيننا. فقد أرادت مني أن أرافقها في رحلاتها الأسبوعية إلى هارموني هيل، حيث دُفن تاد، ورفضت ذلك، كما رفضت هي النظر إلى مكعب سيارة الموت المسحوق. قلت لها إن تاد لم يغادر المنزل بالنسبة إلي، ولن يغادره أبدًا، فأجابت بأن ما قلته يبدو ساميًا ونبيلًا، ولكنه غير صحيح، والصحيح هو أنني كنت خائفًا من الذهاب، وخائفًا من الانهيار. كانت مُحقة بالطبع، وأعتقد أنها رأت ذلك في وجهي في كل مرة نظرت فيها إلي.

وهكذا، رحلت من المنزل. فذات يوم، حين عدت من رحلة عمل إلى بوسطن، لم أجدها. وقد تركت لي رسالة تقول فيها الأشياء الاعتيادية التي تُقال عادة في مثل هذه الظروف:

"لا يمكنني الاستمرار على هذا النحو... سأبدأ حياة جديدة... لنطو هذه الصفحة... إلخ". كما خُطت سطرًا تحت اسمها- ربّما بعد أن فكرت قليلًا- وكان أصدق ما قالتها في تلك الرسالة: "أحبك وأكرهك. سأغادر قبل أن تتغلب الكراهية على الحب". لا داعي لإخبارك بأنني شعرت بالمثل تجاهها.

وفي صباح اليوم التالي، اتصل بي المحقق زين بينما كنت أتناول حبوب الفطور مُرغمًا، وقال لي إنّ نتيجة التشريح قد ظهرت. فقد توفّيَتْ آليتا بيل، زوجة هنري، ووالدة جاكوب وجوزيف، من جزاء نوبة قلبية.

"قال الطبيب الشرعي إنّهُ لأمرٌ مُدهش أنّها عاشت طوال هذه المدة. فقد كانت تعاني من انسدادٍ في الشرايين بنسبة تسعين في المئة. ولم يكن ذلك كل شيء، فقد وُجِدَتْ ندوبٌ في عضلة قلبها، وهذا يعني أنّها عانت من عدّة نوبات قلبية سابقة، نوباتٍ صغيرة كما تعرف. وقال أيضًا... حسنًا، لا بأس". "لا، أكمل من فضلك".

فتنحنح زين وقال: "إنّ النوبات القلبية الصغيرة- تلك التي قد لا تشعر بها حتّى- تُضعف الإدراك. وهذا يُفسّر سبب اعتقادها أحيانًا أنّ توأمها لا يزالان على قيد الحياة".

فكرتُ في إخباره بأنني أعرفُ أنّ توأمها لا يزالان على قيد الحياة، أو شبه حيين، ولم أصب بنوبة قلبية قط. وكدث أخبره بذلك.

"سيد ترينتون، فيك، هل تسمعي؟"

فأجبت: "أنا أفكر في الأمر فقط. هل يعفيني هذا من حضور

التحقيق؟"

"لا، لا يزال يتعين عليك الحضور، فأنت من عثرت على الجثة".

"ولكن، إذا كانت نوبة قلبية، فلماذا..."

"أجل، كانت كذلك. لكن تقرير السموم لن يصدر قبل يومين. وعلينا معرفة ما كان في معدتها. إنها إجراءات ضرورية كما تعرف".

فكرت في أنه ربما في الأمر ما هو أكثر من ذلك بقليل. أظن أن أندي بيلي أراد التأكد من أن الوارث الطارئ للسيدة أليتا بيل لم يدس لها شيئًا؛ ربما الديجيتال (11)، في بيضها المخفوق على الفطور باكراً.

في هذه الأثناء، كان زين يتحدث، واضطررت إلى أن أطلب منه إعادة ما قاله.

"قلت إن هناك مشكلة فريدة من نوعها بعض الشيء. لدينا جثة، لكن لا توجد توجيهات للدفن. يقول أندي بيلي إنك قد تكون مسؤولاً عن ذلك".

"انتظر، ماذا؟ هل يفترض بي أن أخطط لجنازة؟"

فأجاب زين، وقد بدا عليه القليل من الإحراج: "ربما ليست جنازة بالمعنى الحرفي".

"لا أعرف من سيأتي، باستثناء حارسي الجسر وربما لويد سندرلاند الذي يعيش على الجانب الآخر من الجسر".

فكرت في أن التوأم سيأتيان؛ رغم أن أحداً لن يراها،

باستثناء الوصي عليهما.

"فيك، سيد ترينتون؟ هل أنت معي أو أنهيت المكالمة؟"

"نعم. لدي اسم محاميها، الذي صار محامي الآن، كما أظن، إلى أن تُسَوَّى هذه الأمور على الأقل. من الأفضل أن أتصل به بمجرد أن يصل إلى مكتبه."

"إنها فكرة جيدة. اتصل به، أتمنى لك يومًا سعيدًا."

وكان ذلك ممكن.

لم أعد أرغب في تلك الحبوب، كما أنني لم أستسغ طعامها على أية حال. غسلت الوعاء في الحوض (انظر إلينا)، ووضعتُه في غَسَّالة الأطباق (ألبسنا)، وتساءلت عفا يجب فعله الآن، وكأنني لا أعرف.

"خذنا في نزهة. ادفعنا."

قاومت تلك الأفكار - بعضها كانت أفكار، وهو أسوأ ما في الأمر - وارتديت ملابس، واستسلمت. خرجت إلى المرأب، وأمسكت بمقبضي العربة. تنهّدت بارتياح. ربما أنا من تنهّد، وربما هما، وربما ثلاثتنا، لم أعرف. وعلى الفور، توقّف ضجيج أفكار. فكّرت في دفع العربة عبر الطريق إلى البوابة المتأرجحة، وأدركت أنها فكرة سيئة. لقد شقّ جاكوب وجوزيف طريقهما بالفعل إلى وغي. فكلّما فعلت ما أراد، كان من الأسهل عليهما السيطرة علي.

ظلّ ما رأيته في ركن الضيوف عالقًا في ذهني: جسدي رجلين، ورأسي طفلين منتفخين من السم. لقد نما جسداهما خلال الموت، فيما ظلّا على حالهما. والآن، لديهما قدرة

الرجال، ورغبات الأطفال البسيطة والأنانية. إنهما قويتان،
وذلك سيئ، والأسوأ منه أنهما مختلفان عقليًا.

على الرغم من ذلك، ما زلت أشعر بقدرٍ من التعاطف معهما؛
فلقد سقطا بين أفاعٍ مجلجلة عضتهما حتى ماتا. من منا لن
يُصاب بالجنون بسبب نهاية كهذه؟ ومن منا لا يرغب في
العودة والحصول على طفولة حُرَم منها؛ حتى لو كان ذلك
يعني الاستحواذ على شخص ما في سبيل ذلك؟

دفعْتُ العربة ذهابًا وإيابًا عبر أرضية المرأب الإسمنتية
عدّة مرات، وكأنني أحاول تهدئة طفل مصاب بالمغص لكي
ينام. وتساءلت عفا إذا كانا يستطيعان اختيار أي شخص،
وافترضت أن ذلك غير ممكن. كنتُ مثاليًا؛ فأنا رجلٌ وحيد
وحزين.

تركْتُ المقبضين وانتظرتُ أن تعود الأصوات - انظر إلينا،
ادفعنا، ألبسنا - مجددًا، ولكنها لم تعد. فغادرْتُ المرأب سعيًا
وراء الشعور بدفع شمس الصباح على وجهي. رفعتُ رأسي
وأغمضتُ عيني، فرأيتُ اللون الأحمر لجفني مُضاءً بأشعة
الشمس. وقفتُ على هذا النحو برهة، وكأنني أتأمل؛ على أمل
إيجاد حلٍّ لمشكلة تتعدى الوجود، مشكلة يَصْغُب إخبارها لأي
بشري.

يُفترض بي دفنها لأنه ليس لديها أحد ليدفنها... على هذا
الجانب من الحياة، على الأقل. لكن، ألسْتُ مثلها؟ فوالداي
ميتان، وشقيقي الأكبر ميت، وزوجتي ميتة. من سيدفني؟
ماذا سيفعل هذان الولدان العائدان من الجحيم - على
افتراض أنهما بلغا غايتهما وبقيت هنا، كنسخة ذكورية من

أغنية دلتا داون- عندما أموت؟ وبالنظر إلى معدلات الوفاة في هذه السن، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً. هل سيضعفان ويختفيان فحسب؟ يمكنني دفن آليتا، لكن من سيدفني؟

فتحت عيني، ورأيت عصا الإمساك بالأفاعي الخاصة بآليتا مُلقاة على الممر الحجري؛ تمامًا حيث رُكنت العربية في كل مرة أُعيدت فيها. خطر في بالي أن ما أراه مجرد وهم آخر، مثل حوض الاستحمام المليء بالأفاعي، غير أنني أدركت أنه ليس كذلك، إذ لم تكن هذه رؤية أو زيارة. كما أن التوأم لم يضعوا العصا هنا، فالعربة فقط من اختصاصهما.

التقطتها، وكانت حقيقية، لا شك في ذلك. بدا المقبض الفولاذي دافئًا في يدي. ولو أنها بقيت لفترة أطول على هذا الممر الحجري تحت أشعة الشمس، فستصبح ساخنة جدًا لدرجة يصعب معها لمسها. لا يوجد أحد هنا، فمن أخرجها من المرأب؟

وفيما كنت أمسك بها، أدركت أن الموت لم يسلب مني والدي، وشقيقي، وزوجتي فقط، بل هناك شخص آخر. شخص مات أيضًا بطريقة مروعة في سن مبكرة.

"تاد؟"

يُفترض أن يبدو الأمر مثيرًا للشفقة في أحسن الأحوال، ودليلاً على الجنون في أسوأها: رجلٌ عجوز ينادي اسم ابنه الراحل منذ زمنٍ طويل في فناء منزل ضخم وموحش فوق إحدى جزر فلوريدا. ولكنه لم يكن كذلك. لذا، ناديته مجددًا.

"تاد، هل أنت هنا؟"

لا شيء. لم تكن هناك سوى عصا الإمساك بالأفاعي فقط،
والتي كانت حقيقة بلا شك.

"هل يمكنك مساعدتي؟"

في نهاية ممر كريغ الخشبي هناك ترأس متداعٍ، فذهبت
إليه حاملاً عصا الإمساك بالأفاعي على كتفي، كما يحمل
جندي من زمن غابر بندقيته... صحيح أن العصا لم تكن
مزودة بحربة، إلا أن طرفها كان معقوفاً بشكلٍ مخيف. وعلى
أرضية التراس، كانت هناك بضع سترات نجاة مخضبة ببقع
العفن، لا يبدو أنها ستنقذ حياة أحد، ولوح تزلج قديم مزين
ببراز الراكون المتناثر. جلستُ على المقعد، فأصدر صريراً
تحت وطأة وزني. لست بحاجة إلى أن أكون هيركيول بوارو
لأدرك أن كريغ لم يقض الكثير من الوقت هنا على الشاطئ؛
فهو يمتلك منزلاً على ساحل الخليج يبلغ ثمنه ستة أو ثمانية
ملايين دولار، وتبدو هذه البقعة كمرحاض منسي في مكان ما
في أدغال مقاطعة بوسيه في ولاية لويزيانا. ولكنني لم آتِ
إلى هنا لأبدي إعجابي بالتصميم المعماري، بل جئتُ إلى هنا
لكي أفكر.

أوه، لكن هذا كان هراءاً! فقد جئتُ إلى هنا لمحاولة استدعاء
ابني الميت.

هناك طرق للاستدعاء؛ على افتراض أن الموتى لا ينجرفون
إلى مكان آخر عندما يفقدون الاهتمام بهذا العالم. لقد بحثت
عن بعضها عبر الإنترنت قبل قدومي إلى هنا. يمكن استخدام
لوح ويغي - ولكنني لا أملك لوحاً - ويمكن استخدام مرآة أو
شموع، ولدي كلاهما... لكن، بعد ما رأيته على شاشة هاتفي

المحمول في الليلة الماضية، لم أجروا على المحاولة؛ فهناك أرواح في منزل كريغ. أنا متأكد من أنها ليست من النوع الودود. لم تكن هناك جدوى من مجيئي إلى هنا، لذا جلست ونظرت إلى الشاطئ المقفر، وإلى الخليج الذي لا يظهر فيه شراع واحد. في شباط أو في آذار، سيكون الشاطئ والخليج مُكتظّين. أما في آب، فليس هناك أحد سواي.

إلى أن شعرت بوجوده.

هو، أو شخص ما.

أو ربّما كانت مجرد أمان واهية.

"تاد؟"

لا شيء.

"إذا كنت هنا يا صغيري، فأنا بحاجة إلى القليل من المساعدة".

لكنّه لم يعد صغيرًا؛ فقد مرت أربعة عقود على موت تاد ترينتون في تلك السيارة الساخنة بينما كان كلب سانت برنارد المسعور يتجول في فناء المنزل الريفي المهجور، كما هو حال الجهة الشمالية من جزيرة راتلسنيك. يمكن للأموات أن يكبروا، لم أفكر قط في هذا الاحتمال، لكنني أدركته الآن.

سيكبرون إذا أرادوا ذلك، وسمحوا لأنفسهم بذلك. من الواضح أنّه من الممكن أن تنمو وألا تنمو في آن معًا. هذه المفارقة نتج عنها الكيانين الهجينين والفرعيين اللذين رأيتهما على سرير الضيوف: جسدي رجلين، لهما رأسا طفلين منتفخين من السم.

"أنت لا تدين لي بشيء. لقد تأخرت كثيرًا، أعلم ذلك، بل أعترف بذلك. أنا فقط..." وتوقفت عن الكلام. قد تعتقد أن باستطاعة المرء أن يقول أي شيء عندما يكون وحده، أليس كذلك؟ ولكنني لست متأكدًا تمامًا من أنني وحدي. كما لم أكن متأكدًا مما أريد قوله إلى أن قلته.

"لقد حزنت عليك يا تاد، ولكنني مضيث قديمًا. ومع مرور الوقت، فعلت دوننا ذلك أيضًا. نحن لم نخطئ، أليس كذلك؟ نسيانك هو الخطأ، أما التمسك الشديد... فأعتقد أن هذا ما يصنع الوحوش".

كانت عصا الإمساك بالأفاعي على حضني، فتابعته: "إذا تركت هذه من أجلي، فأنا حقًا بحاجة إلى القليل من المساعدة".

انتظرت. لم يكن هناك شيء، وفي الوقت نفسه كان هناك شيء ما. إما حضور حقيقي أو مجرد أمل لرجل عجوز ذعر حتى الموت، واضطر إلى تذكر جروح الماضي وكل أفعى عضته في يوم من الأيام. بعد ذلك، عادت الأفكار، لتطرد أي شيء رقيق أتى لزيارتي.

"ألسنا. ادفعنا. انظر إلينا".

إنهما يريدانني، يريدان أن أكون والدهما. وأسوأ ما في الأمر أن تلك الأفكار أفكاري أيضًا. أن تفقد السيطرة على أفكارك يعني أن ينتهي بك الأمر إلى الجنون.

قطع أفكاري - مؤقتًا على الأقل - صوت بوق سيارة. وحين استدرت، رأيت شخصًا يلوح لي. بدا لي من المكان الذي أجلس فيه مجرد خيال غير واضح، ولكنني أدركت من شكل

الساقين النحيلتين أسفل البنطال القصير الفضفاض، مَنْ يكون زائري. بادلته التلويح، وأسندت عصا آليتا على سياج التراس، وعدت عبر الممر الخشبي. لاقاني أندي في منتصف الطريق.

"صباح الخير، سيد ترينتون".

"فيك، أتذكر؟"

"صحيح، فيك. كنت مارًا من هنا وفكرت في إلقاء التحيّة".
فكرت في أنه يكذب، كما فكرت أيضًا في تلك الأفكار:
"ادفعنا، ألبسنا، انظروا إلينا، نحن بانتظارك".
"كيف أساعدك؟"

"أردت اطلاعك على نتيجة التشرّيح".

"لقد اتصل بي المحقق زين، وأطلعني على النتيجة".
لم أعرف إذا كان قد عبس؛ لأنّ شاربه الكثيف أبعد الكمامة عن وجهه، ولكنّ حاجبيه الكثيفين أيضًا تلامسا، لذا أعتقد أنه عبس.

"حسنًا، هذا جيّد".

فكرت في أنه يكذب مجدّدًا؛ فهو غير راضٍ عن النتيجة.
وفي الوقت ذاته، كانت تلك الأفكار تنهش رأسي: "ادفع العربة، فقد تشعر بتحسّن".

سرنا عائدين صوب المنزل. كان الممر الخشبي ضيقًا جدًّا ليتسع لنا معًا، فتقدمت المسير. تلك الأفكار - أفكار التي داخل رأسي - لم أستطع التخلص منها، وسببت لي الصداغ.

"نحن ننتظر تقرير السموم بالطبع".

وصلنا إلى نهاية الممر الخشبي، وسرنا عبر الفناء مروحًا بشاحنته، وكنت لا أزال أتقدم المسير. أدركت أنه لم يأت إلي ليطلعني على نتيجة التشريح فقط، كما أدركت أنني بحاجة إلى ذهنٍ صافٍ لأتمكن من التعامل معه.

"هذا ما قاله المحقق زين، كما قال إنه لا يزال يتعين علي الخضوع للاستجواب. هل لديك ما تخبرني به أيها المحقق؟ لأنني كنت جالسًا هناك أفكر، وأحاول أن أحظى ببعض الهدوء، أو سقمه تأملًا إن شئت".

"سأدعك تعود إلى حيث كنت، ولكنني أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة، هذا كل ما في الأمر".

دخلنا المرأب، حيث كان الجوُّ ألطف قليلًا من الخارج. اتجهت إلى العربة، وعندما اقتربت منها اشتدت الأفكار: "ألسنا! ادفعنا! انظر إلينا!"

بدا لي أنني رأيتهما للحظة. لم أرهما وحشين، بل طفلين كما كانا قبل وفاتهما. وعندما أمسكت بأحد مقبضي العربة، اختفيا... وكأنهما لم يكونا هنا في الأساس. وعلى الفور، هدا ضجيج أفكارٍ، ودفعت العربة زهابًا وإيابًا.

إنها مجرد حركة بسيطة أقوم بها بيدي، لا تشغل بالك يا أندي.

قال أندي: "لقد أجريت بعض التحريات عنك".

"رجحت ذلك".

"يؤسفي ما حصل لولدك، إنه أمر فظيع".

"لقد مرّ وقت طويل يا أندي، هل أنت مُكلّف بهذه القضية؟
إن كانت هناك قضية أصلاً، هل كُلفتَ بالتحقيق فيها؟ لأنني
أشك في ذلك".

قال رافعاً يديه مستبعداً الفكرة: "لا، لا. لكنك تعرف كيف
تجري الأمور، يمكن للرجل العادي أن يصبح شرطياً، لكن
الشرطي لا يمكنه أن يعود رجلاً عادياً. ربما الأمر سيّان في
مجال عملك... الإعلانات، أليس كذلك؟"

"إذا، أنت تعرف أنني أعمل في مجال الإعلانات. جوابي هو
لا، ففي المناسبات النادرة التي أشاهد فيها قنوات الكابل،
عوضاً عن الإنترنت، أكنم صوت الإعلانات. لقد أتيت لتحقيق
معي، أليس كذلك؟"

"حسناً، لن أبلغ هذا الحدّ، لكن يعتريني الفضول فقط. إنه
أمر مثير للسخرية بشكل غريب، لا بد أنك تدرك ذلك".

كنت أدفع العربية ذهاباً وإياباً، خطوات بسيطة إلى الأمام،
ومثلها إلى الخلف، محاولاً تهدئة الطفلين.

"لماذا تركت لك كل شيء؟ هذا ما يحيرني، وأراهن أنك
تعرف الإجابة؟".

هذا صحيح، أعرفها.

"لا، أنا لا أعرف الإجابة".

"لماذا تواصل أخذ عربية الأطفال من منزل أليتا؟ لا بد أنك
الفاعل، لا يوجد أحد آخر هنا في هذا الوقت من العام".

"لست أنا من يأخذها".

فتنهّد قائلاً: "أخبرني بالحقيقة يا فيك. إذا كانت نتيجة

تقرير السموم سلبية، ستنجو بفعلتك أيًا كانت".

ها قد قالها، يعتقد أنني قتلتها.

"ساعد هذا العجوز ليفهم قليلًا، سيبقى الأمر بيننا".

لم أحب شبيهه ويلفورد بريمللي هذا، والذي قاطعني وأنا أحاول القيام بأمر مهم، لم يكن لينجح على أي حال، لكن ذلك لم يغير شعوري نحوه، لذا تظاهرت بأنني أفكر في طلبه، ثم قلت له: "أرني هاتفك".

لم تنجح الكمامة في إخفاء ابتسامته التي لم أستطع تحديد طبيعتها بدقة، ولكنني أراهن على أنها ابتسامة شخص كشف أمره. أخرج الهاتف من جيب بنطاله القصير الفضفاض، ونعم، كان يسجل حديثنا.

"لا بد من أنني ضغطت عليه عن طريق الخطأ".

"لا شك في ذلك، أطفئه الآن".

ف فعل ذلك من دون أن يعترض: "الآن، سيبقى الأمر بيننا حقًا. لذا أرض فضولي".

"حسنًا". وقفت بطريقة درامية - كانت تجدي نفعا مع الزبائن قبل الكشف عن حملة إعلانية جاؤوا لرؤيتها - ثم بدأت بكذبتين متبوعتين بصلب الحقيقة.

"أولًا، لا أعرف لماذا يستمر أحدهم بإعادة عربة الأطفال. ثانيًا، لا أعرف لماذا تركت تلك الوصية الغريبة. أخيرًا، أيها المحقق بيلى، أنا لم أقتلها. يُظهر التحقيق إلى حد كبير أنها توفيت لأسباب طبيعية. وسيؤكد تقرير السموم ذلك بشكل قطعي".

تمنيث أن يكون الأمر كذلك. تمنيث ألا يكون شبها التوأم
قد تسلًا بطريقة ما إلى رأسها ودفعها لابتلاع حفنة من
أدوية القلب حتى يتمكننا من الانتقال إلى مُضيف أكثر صحة
منها. قد تعتقد أن تقرير السموم الذي يُظهر أنها تناولت الكثير
من أقراص الدواء سيتعارض مع مصلحتها، وأنت مُحق في
ذلك... لكنهما مجرّد طفلين. "يجدُر بك الرّحيل الآن". توقفت
عن دفع عربة الأطفال. "وخذ هذا الشيء معك".

قال: "لا أريدها". وبدأ متفاجئًا من حدة نبرة صوته. لقد
عرف أن هناك خطبًا ما بها بالتأكيد. بدأ بالخروج من المرأب،
ثم نظر إلى الخلف وقال: "لم ينته ما بيننا بعد".
"خبًا بالله يا أندي، إشغل نفسك بأمر آخر. اذهب للصيد،
واستمع بتقاعدك".

عاد إلى شاحنته، وشغل المحرك مُطلقًا بسرعة، فخلّفت
العجلات آثارها على بلاط الفناء. فكّرث في أنه ربما يُمكنني
العودة إلى التراس... على الأقل، إلى أن يعود ضجيج أفكاري
مجذًا.

لم تكن أفكارًا بالضبط بل أفاعي. اثنتان من الأفاعي داخل
رأسي، وإذا لم أفعل ما أردتا، فستحقنان سقهما من غدٍ لا
تفرغ أبدًا.

لم أُلَم بيلي على شكوكه نوعًا ما. ربما كان لدى محامي آلي،
روثفورد، بعض الشكوك هو أيضًا. فالأمرُ بزُمتة مثير للريبة،
وأكثر ما كان مثيرًا للريبة هو ما ينتظرني الليلة. ما بدا كريها
صباح اليوم سيبدو مُريعًا الليلة، إنها أشدّ قوة في الليل. ما
الذي قاله جيم حارس الجسر؟ "هل تعرف؟ تبدو الأشياء

حالة أكثر في الفسق".

كان ذلك صحيحًا، وبمجرد حلول الليل، يتلاشى الحد الفاصل بين الواقع والخيال. أمر واحد فقط بدا مؤكدًا: لقد ضاعت أي فرصة للتواصل مع ابني الميت بفضل الشرطي العجوز الذي أضاع سحر اللحظة. من الأفضل أن أجلس لفترة من الوقت، وأتأمل الخليج، مُحاولًا إخراج كلمات بيلى "لم ينته ما بيننا بعد" من رأسي، ومُفكرًا في ما يجب فعله بينما لا يزال بإمكانني التفكير.

عندما وصلت إلى التراس، وقفت هناك مذهولًا مما رأيته. يبدو أن بيلى ليس الشخص الوحيد الذي لم يُنه حديثه معي. ففي النهاية، تمكّن تاد-أو شخص ما- من التواصل معي. إذ لم تعد عصا آليتا مُسندةً إلى السياج، بل مُلقاة على أرضية التراس، وأُزيحت سترات النجاة البالية جانبًا. كُتبت ثلاثة أحرف على أحد الألواح باستخدام الطرف الحاد لخطاف العصا، لم يُراودني أدنى شك في ذلك. هناك حرف رابع لكنه ترك غير مُكتمل.

نظرت إلى تلك الأحرف وعرفت ما يتوجب علي فعله. كان الحل قابلاً أمام ناظري منذ البداية. ليس جاكوب وجوزيف-هيكل وجيكل- بتلك القوة التي بدأ عليها، فبعد رحيل والدتهما، لم تبقَ لديهما سوى صلة واحدة بعالم الأحياء. الأحرف الثلاثة التي كُتبت على اللوح هي "ع، ر، ب"، وأما الحرف الذي ترك غير مُكتمل هو "ة".

عربة.

إذا كان إنهاء الأمر برقمته سينتهي بمجرد تدميرها، فمن

الأفضل أن يحصل الأمر بسرعة.

إنها فكرة ماكبت عن مثل هذه الأمور، وقد كان شخصًا فطناً. أعتقد أنني سأكون قادرًا على التعامل مع كائني الهجينين إذا تصرفت بسرعة. وإذا لم أفعل، وعشعشت تلك الأفكار- الأفاعي- داخل رأسي بشكل أعمق، فقد ينتهي بي المطاف أمام خيارين لا ثالث لهما: الانتحار، أو العيش كأب بديل لهما، كعبد لهما.

عدت إلى المنزل ودخلت المرأب، وسرث بتمهل: "انظرا إلي، لا أهتم لأي شيء في العالم".

وعلى الفور، تزامنت الأفكار في رأسي، ولست بحاجة إلى أن أخبرك عن ماهيتها. أمسكت بمقبضي عربة الأطفال، ودفعتها ذهابًا وإيابًا، مُنصتًا إلى صريرها المزعج. إذا لم أستطع التخلص منها، فسأزيت تلك العجلة الضارة. بالطبع سأفعل، بل سأفعل المزيد؛ سأغطي ظهري الكرسيين بقميصين مختلفين، وسأضع بنطالين قصيرين مختلفين على المقعدين، وعندما أستقر في منزل بيل (الذي سيصبح منزل ترينتون)، سأتحدث إليهما. سأهين لهما فراشهما ليلاً، وأقرأ لهما من كتاب إن ذا نايت كيتشن، وسيلفستر، وماجيك بيبيل، وكوردوروي، وسأريهما الصور.

"كيف حالكما أيها الصغيران؟"

بخير، جيد.

"هل تريدان التنزه؟"

نعم، حسنًا.

"ولمَ لا؟ أنا فقط بحاجة لإنجاز بعض الأمور. سأعود على الفور".

دخلت المنزل، وجلبت هاتفني عن طاولة المطبخ. راجعت مخطط المد والجزر في المقاطعة وأعجبني ما رأيت. كان المد ينحسر، وسيصل إلى أدنى مستوى له بعد الساعة الحادية عشرة صباحًا بقليل، وهذا يعني قريبًا.

كنت أرتدي بنطالًا رياضيًا قصيرًا، وقميصًا بلا كُمّين. رميت القميص على الأرض، وخلعت صندلي، وصعدت إلى الطابق العلوي بسرعة. ارتديت بنطال جينز وسترة رياضية، ووضعت قبعة فريق ريد سوكس للبيسبول على رأسي. لم يكن لديّ حذاء طويل الساقين، ولكنني وجدت حذاء مطاطيًا خاصًا بكريغ في الخزانة السفلية، ولم يكن مقاسه يناسبني، لذلك عدت إلى الطابق العلوي وانتعلت ثلاثة أزواج أخرى من الجوارب لزيادة حجم قدمي. وعندما عدت إلى الطابق السفلي، كنت أتصبّب عرقًا، رغم وجود مكيف الهواء. في الخارج، سيزداد تعرّقي تحت شمس آب الحارقة.

قال أندي بيلى إنهم دفعوا بالأفاعي إلى الطرف الشمالي من الجزيرة، حيث غرق ما لم يحترق منها، لكنه قال أيضًا إن فريق الرجال الذي كان يطاردها ربما لم يمسك بها جميعها. لست متأكدًا من أن التوأم قد تمكنا من استدعاء ما تبقى منها. ربما لم يتمكننا، ولعله لم يبقَ شيء منها بعد مرور أربعين عامًا، ولكنني ارتديت ملابس مناسبة للوقاية من الأفاعي، في حال حدوث ذلك. أحد الأشياء المؤكدة هو أن فلوريدا بيئة مُلائمة للزواحف.

نظرت أسفل الحوض، ووجدت زوجًا من قفازات المطبخ المطاطية. شددتهما على يدي، وعدت إلى المرأب، مُتصنِّعًا ابتسامة عريضة على وجهي. أنا متأكد من أنه لو سمعني أحد ما أتحدث إلى تلك العربة الفارغة لعذني مجنونًا مثل آلي بيل، لكن لا أحد سواي هنا، باستثنائهما بالطبع.

"هل ترغبان بالمشي بدلًا من ذلك؟" حاولت أن أبدو مرحًا. حاولت أن أسوق للفكرة، كما تعودنا أن نقول في عملي: "طفلان كبيران مثلكما يمكنهما المشي بالتأكيد، أليس كذلك؟" "لا! ادفعنا، ادفعنا!"

"هل سثحسان التصرف إذا أخذتكما إلى الشاطئ؟"

"نعم! ادفعنا، ادفعنا!"

ثم، سرتِ القشعريرة في جميع أنحاء جسدي عندما قال:

"ادفعنا على الشاطئ، يا أبي."

قلت لهما: "حسنًا". وأنا أحدث نفسي: لا يحق إلا لطفل واحد مناداتي بأبي، أيها الوجيهان. "هيا بنا".

مررنا عبر الفناء تحت أشعة شمس آب الحارقة: صرير، وصرير، وصرير. كنتُ أتعرِّقُ بغزارة داخل سترتي الرياضية، وأشعر بقطرات العرق وهي تتدحرج على جانبي وُصولًا إلى حزام بنطالي. دفعتُ العربة عبر الممر الخشبي، فأصدرت الألواح الخشبية صريرًا تحت عجالاتها. الأمر بسيط حتى الآن، سيكون دفعها أصعب على الشاطئ، فقد تغوص في الرمال. كل ما علي فعله هو البقاء قريبًا من المياه حيث الرمال رطبة ومتماسكة. ربما سأنجح في ذلك، وربما لن أنجح.

دفعث العربۃ عبر التراس، التقطث عصا الإمساك بالأفاعي
في طريقي، ووضعتها بشكل أفقي بين مقبضي العربۃ
العريضين.

"هل تستمتعان بوقتیکما یا صغیري؟"

"نعم، نعم."

"هل أنتما متأكدان من أنكما لا ترغبان في النزول من العربۃ،
والمشي؟" أرجو أن یقولا نعم.

"نعم، ادفعنا! ادفعنا!"

"حسنًا، تمسکا جيدًا، هناك مطبٌ صغیرٌ هنا."

أنزلت العربۃ برفق على الدرجة المنحدرة الوحيدة بين
التراس وصف النوباكا الشاطئية والعشب البحري، ثم صرنا
فوق الرمال. ساعدني الانحدار في دفع العربۃ نحو الأسفل،
حيث تكون الرمال أكثر تماسكًا عند حافة الماء. كانت أبازيم
حذائي المطاطي تصدر صوت رنين أثناء سيری.

قلت: "وووه"، بحلقٍ جاف ووجهٍ يتصبّب عرقًا. "هل
تستمتعان بوقتیکما یا صغیري؟"

"نعم! ادفعنا!"

أنا قادرٌ الآن على التمييز بين صوتيهما، جو هو من أجابني،
وظل جيك صامتًا، ولم يعجبني ذلك.

"جيك، هل ثمضي وقتًا جيدًا یا صاحبي؟"

"نعم."

لم تعجبني مسحة الشك في صوته أيضًا. هناك أمر آخر لم

يعجبني، أشعر أنهما ينفصلان عني، ويصبحان أقوى وأشدّ حضورًا. جزء من ذلك سببه العربية، والجزء الآخر بسببي أنا، لقد سلّمتها نفسي. اضطرت إلى ذلك، فلا خيار آخر أمامي. كانت الطيور الصغيرة التي أدعوها بالطيور المُزقزقة تتبختر أمامنا، ثم تُحلّق عاليًا، والحذاء المطاطي يُصدر صوتًا، ويطبع آثاره فوق الرمال الرطبة. شكّل رذاذ الماء المتطاير جزاء حركة العجلات أقواس قزح صغيرة في المياه الضحلة حيث يلتقي خليج المكسيك باليابسة. الرمال متماسكة، لكن لا يزال دفع العربة فوقها أصعب من دفعها فوق ألواح الممر الخشبي. لم يستغرق الأمر طويلًا حتى تماقلت أنفاسي وخرجت بصعوبة من حلقي. فعلى الرغم من أن حالتي البدنية ليست سيئة، ولم أفرط يومًا في تناول الشراب، كما لم أدخن مطلقًا، إلا أنني في العقد السابع من عمري.

جيك: "إلى أين تأخذنا؟"

"أوه، مجرد نزهة قصيرة". أردتُ التوقف لأخذ قسط من الراحة، ولكنني خشيتُ أن تعلق العجلات إذا أبطأت ولو قليلًا، وتابعت: "لقد أردتما الذهاب في جولة، وأنا أنفدُ طلبكما".

جيك: "أريدُ العودة".

لم يكن ذلك مجرّد شك، بل هو ريبة، وقد التقط جو تلك الريبة من شقيقه، تمامًا كما يلتقط نزلات البرد منه.

جو: "وأنا أيضًا! أنا مُتعب، الشمس حارقة جدًا، كان علينا أن نعتمر قبعتينا".

"بقي القليل فق...". وتوقفتُ عندما رأيثُ الأفاعي تخرج من

بين نباتات النوباكا والنخيل القزمي. إنها أفاعٍ كبيرة تزحف نحو الشاطئ بالعشرات. ترددتُ لثانية واحدة فقط، ولو طالت لعلقت العربة، ثم دفعتهما عبر الأفاعي، فاختفت، تمامًا كما اختفت تلك التي كانت في حوض الاستحمام.

جيك: "أعدنا! أعدنا!"

جو: "لا يعجبني هذا المكان، لا أحب الأفاعي".

فقلت وأنا ألهث: "نحن صائدو كنوز، ربما سنرى كينغ كونغ، كما في الفيلم. ما رأيكما يا لصّي الصغيرين؟"

رأيت أمامي المثلث المُشكّل من أكوام الأصدا ف حيث تنتهي جزيرة راتلسنيك، وخلفها كان ممزّ داي لايت، مع دوامته اللانهائية. قال أندي إنّ تلك الدوامة حفرت قاع الممر عميقًا. لا أذكر مقدار عمقه، ربما ست عشرة قدمًا، لكنّ أكوام الأصدا ف تلك التي بيني وبين الماء تُعدّ مشكلة، ستعلّق العربة فيها بالتأكيد، وهناك اثنتان من الأفاعي تزحفان عبرها، ليستا وهمين أو شبحين، بل حقيقتين للغاية. هل هناك بقايا من حملة المطاردة الكبرى؟ أم أنهما وافدتان جديدتان؟ لم يكن ذلك مهمًا.

قال جيك بطريقة أمرّة وليست متوسلة: "أعدنا. أعدنا وإلا ستندم".

أنا نادمٌ بالفعل، حدثت نفسي. لم أستطع قول ذلك بصوت عالٍ، إذ لم تسمح أنفاسي المتقطعة بذلك. كان قلبي ينبض بشدّة، وتوقعث أن ينفجر ببساطة مثل بالون منتفخ بشكلٍ مفرط في أي لحظة.

ولهول مفاجأتي، ظهرَ التوأم إلى الواقع. كان جسداهما كبيرين جدًا بالنسبة إلى عربة الأطفال ثنائية المقعد، ولكنهما كانا داخلها. استدارا برأسيهما المنتفخين، ونظرا إليّ بعيون سوداء حاقدة، فيما البقع الحمراء الناجمة عن عضات الأفاعي تنتشر على خدودهما وجبينيهما، وكأنهما مصابان بحالة مروعة من جذري الماء.

تأنك الأفعيان حقيقتان بالتأكيد. أصدر جسد كل واحدة منهما صوت حفيف جافًا عندما تَلَوَّتَا عبر الأصداف، كما صدر صوت خشخشة من الذيلين؛ كصوت تراقص عظام جافة فوق لوح من القصدير.

جيك: "عضّيه، عضّيه بقوة".

جو: "عضّيه، أوقفه. أرغميه على أن يعيدنا إلى المنزل".

وعندما هاجمتاني، شعرتُ وكأنّ أحدهم يُطلق كرات على حذائي المطاطي، أو ربّما حَبّات برد. علقت عجلات العربة أخيرًا بين الأصداف. فاستدار الرجلان - الطفلان - بداخلها وحثّقا إليّ، وبدا أنهما لا يستطيعان الخروج؛ على الأقلّ حتى هذه اللحظة. أمسكت إحدى الأفعيين رجلي اليمنى عبر الحذاء المطاطي، وكان رأسها يلتفّ إلى الأعلى، وبما أنّ العربة كانت عالقة على أي حال - أو جنحت، إذا جاز التعبير - فقد تركتها لأهتّم بعصا آليتا. غرزتها إلى الأسفل، على أمل ألا أصيب نفسي بجرحٍ بغيض، ولكنني كنتُ أعرف أنني لا أستطيع التراجع. أمسكت الحلقة بخطاف العصا وقذفت الأفعى باتجاه الماء. عندها، هاجمتني الأفعى الأخرى عند حذائي الأيسر. للحظة واحدة، رأيثُ عينيها السوداوين

تحدقان إليّ، وفكرتُ في أنها تشبه العيون التي تنظر إليّ من داخل العربة. أنزلتُ الخطاف وغرزته خلف رأسها المثلث، وعندما رفعتُ العصا، شعرتُ بذيلها يصفع كتفي، ربما كانت تبحث عن شيء تُمسك به، ولم تجد شيئًا. قذفتها بعيدًا. للحظة واحدة، بدت كخريشة تلتوي في السماء، ثم سقطت في الماء.

تأرجحت العربة ذهابًا وإيابًا، والكائنان في داخلها - المرئيان ولكنهما يتلاشيان سريعًا - يُكافحان للخروج. لم يستطيعا الخروج حتى الآن. كانت العربة هي الرابط الوحيد بينهما وبين العالم وبيني. لم أستطع دفعها أكثر من ذلك، لذا أسقطتُ العصا وقلبتُ العربة. عندها، سمعتُهما يصرخان وهما يصطدمان بالأصداق، ثم اختفيا، وأعني بذلك أنني لم أعد أستطيع رؤيتهما.

"انظر إلينا، انظر إلينا".

لكنّهما لا يزالان موجودين هناك؛ فأنا أستطيع سماع جيك يصرخ وجو يبكي، بل في الواقع ينتحب - كما فعل ابني على الأرجح - عندما أدرك أنه مغطى بالأفاعي، وأن حياته القصيرة جدًا قد انتهت. جعلتني تلك الأصوات أشعر بالأسف - كنت متأكدًا من أن ابني بكى أيضًا عندما كان هو ودونا يحترقان في تلك السيارة - لكن ذلك لم يُوقفني. كان عليّ إنهاء ما بدأتُه، إذا استطعت.

جررتُ العربة باتجاه الممر بصعوبة بالغة، جررتها باتجاه الدوامة.

جيك: "لا، لا. يُفترض بك أن تعتني بنا. ادفعنا. ألبسنا، لا".

فيما اكتفى أخوه بالصراخ مرعوبًا.

كنت أقف على بعد عشرين قدمًا من حافة الماء عندما اندلعت النيران من حولي. لم تكن نيرانًا حقيقية، ولم تصدر عنها حرارة، ولكنني استطعت شم رائحة الكيروسين. كانت الرائحة قوية جدًا لدرجة أنها جعلتني أسعل، ثم تحول السعال إلى اختناق. وسرعان ما اختفت أكوام الأصداف البيضاء بلون اللؤلؤ، وحل محلها بساط من الأفاعي المحترقة. لم تكن حقيقية أيضًا، ولكنني استطعت سماع صوت فرقة ذيولها وكأنها فشار ينفجر في الحرارة. هاجمتني برؤوس غير موجودة.

وصلت إلى الماء. أستطيع دفع العربة عبر الماء، لكن ذلك لن يكون كافيًا. فقد يتمكنان من إخراج هذا الشيء المسكون؛ تمامًا كما تمكنا بطريقة ما من نقله من منزل بيل إلى منزل غريغ. لكن قيل لي إن الرجال، أو النساء - حتى الضعيفات منهن - يستطعن أحيانًا رفع السيارات لإبعادها عن أطفالهن العالقين تحتها. في يوم من الأيام، حاربت امرأة تدعى دونا ترينتون كلب سانت برنارد يزن 150 بوندًا باستخدام مضرب بيسبول فقط... وانتصرت. إذا استطاعت هي فعل ذلك، فبالتأكيد أستطيع فعل هذا.

لم تكن تلك العربة تزن 150 بوندًا، بل ربما كانت تزن 30 بوندًا. ولو أنهما داخلها، ولو امتلكا وزنًا حقيقيًا، لما استطعت رفعها حتى خصري، ولكنهما ليسا داخلها. رفعتها من الدعائم فوق العجلتين الخلفيتين، ثم أدرت وركي إلى اليمين، ما أدى إلى صدور صوت طقطقة مسموعة من ظهري،

وبعد ذلك استدرث في الاتجاه الآخر وألقيث العربة كما يرميها أسوأ لاعب رمي قرص في العالم.

سقطت العربة في الماء على بعد خمس أقدام فقط من حافة شاطئ الأصداف. لم تكن بعيدة بما يكفي، لكن التيار القادم من خليج كاليسو كان قويًا مع انحسار المد. لذا، شجبت العربة وهي تتأرجح مع الأمواج إلى الدوامة. لقد عادا إلى داخلها مرة أخرى. ربما من الأفضل أن يكونا في داخلها. ألقيث نظرة أخيرة على وجهيهما الفرعبيين قبل أن تجرفهما المياه بعيدًا. وعندما ظهرت العربة مرة أخرى، كانت تغرق، وكان مقعدها تحت الماء، وقد اختفى راكباها. طفا أحد القميصين بعيدًا، ثم تبعه الآخر. سمعت صرخة غضب أخيرة داخل رأسي صدرت من جيبيك بيل، الأقوى بينهما. وعندما ظهرت العربة مرة أخرى أثناء دورانها مع الدوامة، كان مقبضاها فقط فوق سطح الماء. وفي الدورة التي تلتها، اختفت العربة تمامًا، ولم يبقَ منها سوى بريق مائي باهت لضوء الشمس على عمق ثلاث أو أربع أقدام.

اختفت النيران والأفاعي المحترقة أيضًا، ولم تبقَ سوى رائحة الكيروسين الكريهة. وطفا زوج من البناتيل القصيرة الزرقاء نحوي، فالتقطت عصا الإمساك بالأفاعي، وعلقتهما بها، ثم قذفتها في ماء الخليج.

طقطق ظهري مرة أخرى، فانحنيت إلى الأمام محاولًا تهدئته. وعندما انتصبت مجددًا ونظرت عبر ممز داي لايت، لم أرَ مجرّد بضع كتل خضراء عائمة، بل رأيت جزيرة دوما هناك. بدت حقيقية مثل اليد التي خرجت من حوض

الاستحمام المليء بالأفاعي، ومثل الكائنات الهجينين
الرهيبين اللذين كانا ممددين على سرير الضيوف. رأيت
أشجار النخيل ومنزلًا وريدًا قائمًا على ركائز. ولمحت رجلًا
هناك، كان طويل القامة، ويرتدي بنطال جينز وقميصًا قطنيًا
أبيض. لوح لي.

تذكرت ما قالته دونا قبل أن تغادر هذا العالم: "يا إلهي! لقد
كبّرت، انظر كم ازداد طولك".

لوح لي. أعتقد أنه ابتسم، ولكنني لست متأكدًا لأن عيني
امتلأتا بالدموع التي عكست ضوء الشمس بشكل مضاعف.
وعندما مسح دموعي، اختفت جزيرة دوما واختفى هو
أيضًا.

استغرق دفع العربة إلى الطرف الآخر من الجزيرة عشر
دقائق فقط، أو ربما كانت خمس عشرة دقيقة، فقد كنت
مشغولًا جدًا لأتحقق من ساعتني. أما طريق العودة إلى
التراس والممر الخشبي فقد استغرق ثلاثة أرباع الساعة؛ لأن
ظهري استمرّ بالتشنج. خلعت ملابسني أثناء سيري، والقفازين،
والسترة الرياضية، وركلت الحذاء المطاطي، ثم جلست على
الرمال لفترة كافية لأتخلص من بنطال الجينز. لم يكن القيام
بهذه الأمور مؤلمًا بقدر المشي، ولكنه ألمني بما يكفي، كما
ألمني النهوض بعد التخلص من بنطال الجينز. ما يهم هو
أنني أصبحت أخف وزنًا، بالإضافة إلى توقف ضجيج أفكاري.
بالنسبة إلي، استحق الأمر عناء ألم الظهر الذي ما زلت أعاني
منه حتى يومنا هذا. ثم أكملت طريقي مرتديًا بنطالي القصير
فقط.

عندما عدت إلى المنزل، وجدت أقراص تايلينول في صيدلية كريغ المنزلية، فتناولت ثلاثة منها. لم تقض الأقراص على الألم تمامًا، ولكنها خففت من حدته. ثم نمث لأربع ساعات نومًا عميقًا بلا أحلام. وعندما استيقظت، كان ظهري متيبسًا لدرجة أنني اضطررت معها لوضع خطة - الخطوة أ، الخطوة ب، الخطوة ج- للجلوس، والنزول عن السرير، والوقوف على قدمي. استحمت بمياه ساخنة فتحسنت قليلًا. لم أستطع تحمّل استخدام المنشفة، لذلك تركت جسدي ليجمد في الهواء.

نزلت إلى الطابق السفلي متأوّهًا مع كل خطوة، وفكرت في الاتصال ببيلي، ولكنني لم أرغب في التحدث إليه، كما تعودت دونا أن تقول: "لا أرغب في ذلك، أكثر من رغبتني في التحدث إلى رجل القمر اللعين".

وبدلاً من ذلك، اتصلت بزين الذي سألني عن الطريقة التي يستطيع أن يساعدني فيها، فقلت له إنني أتصل لأبلغ عن فقدان عربة الأطفال.

"هل قرّر شخص ما من قسمك - ربما ببيلي - أن يأتي أخيرًا ويأخذها؟"

"همم، لا أعتقد ذلك. دعني أتحقق وأعاود الاتصال بك".

ثم اتصل بي في وقت لاحق، وأخبرني أنه لم يأت أحد من مكتب شرطة المقاطعة لأخذ العربة، ولا يوجد سبب يدفعهم لفعل ذلك. فقلت له: "لا بد أن من أحضرها إلى هنا مرتين، أعادها أخيرًا إلى مكانها".

فوافقني الرأي. وهكذا انتهى أمر عربة الأطفال المسكونة.

أيار، 2023

مرت ثلاث سنوات تقريبًا. عدت إلى نيويورك، ولن أرغب في زيارة الولاية المشمسة مرة أخرى، واعتبرت أن جورجيا ستكون أقرب إلي.

لم تظهز نتيجة تقرير السموم الخاص بآلينا بيل أي شيء مثير للريبة، وهذا ما أبعد عني أي شبهة. اهتم ناثان روثفورد بدفن آلي، وحضر جنازتها معي، بالإضافة إلى زين وکانافان، ورجل عجوز يدعى لويد سندرلاند (برفقة كلبه)، وستة من عمال الجسر المتحرك.

كما حضر أندي بيلي أيضًا، واقترب مني أثناء حفل التآبين وأنا أنتظر دوري للحصول على كوب ورقني من العصير. عبقت أنفاسه برائحة الشراب- التي عجزت الكمامة عن حجبها هذه المرة- عندما قال لي: "ما زلت أعتقد أنك نجوت بفعلتك يا صاحبي". ثم توجه نحو الباب مترنحًا قبل أن أستطيع الرد.

أدليث بشهادتي من منزل غريغ عبر تطبيق زووم، ولم تكن هناك أسئلة مُشككة. في الواقع، أشاد بي الطبيب الشرعي لقيامي بأفضل ما في وسعي لإبعاد الصقور عن الضحية إلى حين وصول السلطات المختصة.

لم يظهز أي أقارب على الإطلاق للطعن في وصية آلينا بيل المتضمنة، واستقرت رحلة إنيالت صيغة تلك الوصية وتصديقها رسميًا وقتًا طويلاً. ولكن بحلول تموز من العام 2022، أصبحت كل ممتلكاتها لي. إنه الأمر لا يتصالح ولكن حقيقة عوض عقار بيل للبيع، وأنا أعرف أن أحداً لن يرغب في شراء العقار الذي كان مملوكاً لي. هذا ما أعطى الرغبة

من مهارات آلي المزعومة في أعمال الصيانة، إلا أن الأرض التي بُني عليها كانت قصة مختلفة، حيث بيعت في تشرين الأول من العام 2022 بأقل من سبعة ملايين دولار بقليل. سيُشيد عليها قصر فخم في وقت قريب. وقد بلغ إجمالي قيمة ممتلكات آلي الأخرى ستة ملايين دولار، وبعد الضرائب والنفقات الأخرى التي تُضاف إلى أي شركة كبيرة، انخفض إجمالي المبلغ من ثلاثة عشر مليون دولار إلى 4.5 ملايين دولار. إنه كسب مفاجئ لا بأس به، إذا تجاهلنا الطفلين الفرعيين اللذين أتيا معه.

وضعت نصف مليون دولار في صندوق تقاعدي- فلتكن مكافأة على الخدمات المقدمة، وآلام ظهري التي سترافقني إلى أن أموت على الأرجح- وتبرعت بالباقي إلى بنك أول فيث فود في ساراسوتا، وقد فرح المسؤولون عنه كثيرًا- فرحوا مثل رجل القمر اللعين على حدّ تعبير دونا- لتلقيهم هذا المبلغ. الاستثناء الوحيد الآخر الذي قمث به هو دفع مبلغ ثمانية آلاف دولار للمحامي روثرفورد، لقاء نفقات جنازة آلي.

بقيت في منزل كريغ حتى انتهاء التحقيق، وإغلاق ملف أليتا بيل رسميًا. وخلال تلك الفترة، لم أر أي رؤى، ولم أسمع صوت الصرير المزعج. وبالطبع، واطبث على تفقد الفناء والمرأب بحثًا عن عربة الأطفال كأول ما أقوم به كل صباح، حتى قبل تحضير القهوة. ليس الحزن وحده هو ما يُخلف ندوبًا، بل الرعب أيضًا، وخاصة الرعب الخارق للطبيعة.

لكن التوأم رحلا.

في أحد الأيام، طلبت من السيد إيتو أن يريني المنحدر

الذي وقع فيه جاكوب وجوزيف ضحية لمصيرهما المشؤوم أثناء تجوالهما بين الأحراش في طريقهما إلى الشاطئ. وقد كان متعاونًا بما فيه الكفاية. وبعد قليل من البحث، وجدناه في الواقع، كاد السيد إيتو أن يسقط فيه. وعلى الرغم من صعوبة تقدير حجمه نظرًا لامتلأته بنباتات النوباكا وزهور الأقحوان الضخمة التي تشبه المسوخ، إلا أنني أعتقد أنه تقريبًا بطول حوض الاستحمام الفاخر الذي يمتلكه غريغ في الحمام الرئيسي، وبالعُمق نفسه تقريبًا.

كانت مفاتيح منزل بيل معي، وقد دخلته مرة واحدة فقط. إذ شعرت بالفضول حيال الرؤية الأخيرة التي اختبرتها على شاطئ الأصداف وأنا أجزّ عربة الأطفال نحو الماء: ألسنة اللهب، وبساط الأفاعي، ورائحة الكيوسين. لقد مات التوأم قبل الحملة الكبرى، فكيف علما بها؟

كان المنزل كما تركته آلي تمامًا عندما أخذت شبّحي التوأم في نزهتهما الأخيرة (من وجهة نظرها على الأقل). وكان هناك طبق في الحوض وُضعت فوقه سكين وشوكة. وفوق المنضدة، علبة من حبوب الفطور، قضم حيوان صغير جزءًا منها. أجبرت نفسي على النظر إلى غرفة نوم الطفلين، واعتقدت أنها ستتركها كما كانت خلال حياة جيك وجو القصيرة، وكنت مُحقًا. يوجد في الغرفة سريران صغيران، طُبعت على ملاءاتهما وأغطية وسائدهما رسومات كرتونية للديناصورات. كان لدى تاد الطقم نفسه بالضبط. لسبب ما، أربني هذا الاكتشاف وأراحني في الوقت ذاته.

بعد ذلك، أغلقت الباب، الذي كُتب عليه - بحروف ملونة

لاصقة- "مملكة التوأم".

لم أكن أعرف ما الذي أبحث عنه حتى رأيته. بدا مكتب هنري بيل على حاله بعد كل تلك السنوات. إذ كانت أوراق الملاحظات الصفراء مُكدّسة بعناية على يسار الآلة الكاتبة من نوع آي بي أم سلكتريك، وكانت الملفات القانونية إلى اليمين. وعلى كل جانب، وُضعت صور مؤطرة، وكأنها أثقال ورقية. صورة جو على أوراق الملاحظات، وصورة جيك على الملفات. وغلّقت على أحد الجدران صورة لآلي أيضًا، وكانت تبدو فيها شابة وجميلة بشكل لا يُصدق.

وعلى جدار آخر، غلّقت ثلاث صور مؤطرة بالأسود والأبيض لحملة صيد الأفاعي الكبرى. تُظهر إحداها رجالًا يُفرغون شاحنات ويرتدون ملابس واقية، وتُظهر أخرى رجالًا يقفون في صف ويضربون الشجيرات لدفع الأفاعي شمالًا، وتُظهر الثالثة شاطئ الأصداف حيث تحترق آلاف الأفاعي وتموت في النيران. أعرف أنّ جيك وجو كانا يستحوذان على هذا المنزل قبل فترة طويلة من استحواذهما على منزلي، وربما أحضرتهما آلي إلى هنا، وأرثهما الصور قائلة:

"انظرا يا طفلي؟ هذا ما حدث للأفاعي السيئة التي أذثكما".
بعد ذلك، غادرث المنزل وأنا سعيد لمغادرتي إيّاه، ولم أعد إليه قط.

هناك شيء أخير أودّ ذكره.

قال ويل روجرز: "الأراضي هي المورد الوحيد الثابت والمحدود والذي لا يمكن صناعته. وفي فلوريدا، تُعدّ الأراضي ذهبًا خالصًا، خاصةً بعد الجائحة التي ضربت البلاد. على

الرغم من أنهم قد لا يصنعون المزيد من الأراضي، إلا أن استصلاحها ليس مستبعدًا".

لقد بدأ الحديث في المقاطعة عن استصلاح جزيرة دوما. وعندها، استعان ائتلاف من وكلاء العقارات (بمن فيهم ذلك الذي اشترى منزل السيدة بيل) بشركة إصلاح بيئي لدراسة إمكانية استصلاح الجزيرة. وفي اجتماع حضره مفوضو المقاطعة برئاسة مدير المقاطعة، قدم العديد من الخبراء من شركة لاند غولد، عرضًا تقديميًا باستخدام برنامج باوربوينت، وانتهى بتصوّر فني مثالي لجزيرة دوما وهي تنهض من الأعماق. قالوا إن الأمر سيكون سهلًا وغير مكلف نسبيًا. ما عليهم سوى إغلاق ممز داي لايت مجددًا من أجل وقف تدفق المياه، وبعد سنة أو نحو ذلك من التجريف، ستكون الجزيرة جاهزة.

إنهم يتباحثون بالأمر وأنا أكتب هذه السطور. يُثير دعاة حماية البيئة ضجة كبيرة احتجاجًا على ذلك، وأنا أتبرّع بالمال كل شهرين لمنظمة أنقذوا ممز داي لايت التي تأسست حديثًا، لكن الأمر سيحدث في النهاية؛ لأن المال في فلوريدا - وخاصة في المناطق التي يميل الأثرياء إلى التجمع فيها - يتفوق على كل شيء آخر. سيُغلقون الممر، وخلال هذه العملية، سيعثرون بالتأكيد على عربة أطفال صدئة. أنا متأكد من أن ما سكتها سيكون قد رحل بحلول ذلك الوقت. أنا شبه متأكد.

وإذا لم يرحل، فأمل ألا يكون لديه أي اهتمام بي. لأنه إذا حلت ليلة سمعت فيها صوت صرير عجلة عربة الأطفال

يقترب، فليُساعدني الله.

ليساعدني الله!

تكريماً لجون دي مكدونالد

الحالمون

لا أعرف ماهية الكون. ربما تكون لديّ ولديك فكرة، وقد لا تكون. وكل ما أستطيع قوله هو إنه يجب على المرء أن يحذر من أحلامه لأنها خطيرة. هذا ما اكتشفته في وقت لاحق.

حاربت مرتين في فيتنام، وعدت في شهر حزيران عام 1971. وعندما نزلت من الطائرة، لم يبصق أحد عليّ، كما لم يدغني أحد بقاتل الأطفال. وبالطبع، لم أتلّق الشكر على خدمتي أيضًا. لذلك، أعتقد أنّ الأمر عادل بما فيه الكفاية.

ما أكتبه الآن من مذكرات ربما هو اعترافات لا علاقة لها بفيتنام- هذا ما أعتقد- لكن بالطبع له كل العلاقة بها. ولو أنني لم أمض ستة وعشرين شهرًا وأنا أجوب الأدغال، لكنت قد حاولت إيقاف إيجين عندما رأينا الأسنان. بالطبع، لم يحالفني الحظ في ذلك؛ فالعالم النبيل قرر المضي في الأمر حتى النهاية، وبطريقة ما فعل ذلك. على الأقل، كنت أستطيع الرحيل، ولكنني لم أفعل ذلك؛ لأنّ الشاب الذي ذهب إلى فيتنام لم يكن الشاب نفسه الذي عاد منها. لن أحمل نفسي المسؤولية، لأنه كان سيمضي في الأمر رغم كل شيء، ولكنني أعرف أنني بقيت؛ حتى عندما أدركت أننا تجاوزنا حدود العقل. أردت أن أشعر بأنني حي مجددًا ويبدو أنني فعلت.

بعد أن عدت إلى ماين، أقمت عند والدتي في سكوهيجان لفترة قصيرة. وقد كانت تبلي حسنًا، وتعمل مساعدة في متجر بقالة يدعى جورج بانانا ستاند، والذي يبدو وكأنه كشك على جانب الطريق. أخبرتني أنني تغيرت ووافقتها الرأي، وسألتني إن وجدت عملاً، فأخبرتها أنني وجدت عملاً في

بورتلاند، وأنني سأقوم بما تعلمته من سيسي، فعبرت عن إعجابها بالأمر. أعتقد أنها سرت بخبر رحيلي لأنني أجعلها متوترة. ذات مرة، سألتها عن تفتقده أكثر، والذي أو زوجها، فأجابت بأنها تفتقد والدي، أما زوجها فالأمر أشبه بالتخلص من القمامة السيئة.

اشتريت سيارة مستعملة واتجهت بها إلى بورتلاند محاولاً أن أحظى بفرصة عمل في مكان تيمب أو. قالت لي السيدة التي تتولى طلبات التوظيف والتي تدعى السيدة فروبيشر: "لم تذكر أين تعلمت؟"

"لا، لم أفعل."

"ما الذي لم تفعله؟"

"لم أتلّق تعليماً."

"أنت لا تفهم الأمر أيها الشاب. نحن نوظف كتاب الاختزال للاستعانة بهم عندما يمرض شخص ما، أو يستقيل أحد موظفينا فجأة. بعض موظفينا المؤقتين يعملون في محكمة المقاطعة."

فقلت لها: "جزييني."

"هل تعرف غريغ؟"

"نعم، لقد تعلمت من أختي؛ إذ كنت أساعدها في عملها الذي تؤديه من المنزل، وأخبرتني بأنني أفضل منها في ذلك."

"أين تعمل أختك؟"

"أختي متوفاة."

"يوسفني سماع ذلك".

لم تكن السيدة فروبيشر آسفة، وأنا لا ألومها على ذلك،
فالناس لديهم ما يكفي من المشاكل لتحمل مآسيهم ناهيك
عن مآسي الآخرين.

"كم كلمة في الدقيقة؟"

"مئة وثمانون كلمة".

قالت مبتسمة: "حقًا!"

"حقًا".

"أشك في ذلك".

فلم أقل شيئًا. أعطتني دفترًا ومجلد إيبهرارد فيبر قائلة:
"أود أن أرى مئة وثمانين كلمة، وسيكون هذا ممتعًا". فتحت
الدفتر وأنا أفكر في سيسي الجالسة في غرفتها وراء مكتبها
محاطة بدائرة متوهجة من المصباح وأنا على السرير.
أخبرتني يومًا بأنني أفضل منها؛ فأنا ألتقط الكلمات كالحلم،
وكانت مُحقة في ذلك. فقد كان الأمر أشبه بكلمات فيتنامية
وتيه ومونغ أيضًا. إنها ليست مهارة بل موهبة، إذ يمكنني
رؤية الكلمات وهي تتحول إلى حروف صغيرة وخطافات
وخطوط عريضة ورفيعة وتموجات. بدت كمصفوفات
تجتاح ذهني. بإمكانك سؤالني عما إذا كنت قد أحببت الأمر،
وسأجيب بأنني أحببته فعلاً؛ كما نحب التنفس، ولكننا في
معظم الأحيان نتنفس لأنه يجب علينا التنفس.

"هل أنت مستعد؟"

"لقد وُلدت مستعدًا".

"سنرى".

ثم قالت بسرعة مطلقة: "ميزة الرحمة تكمن في أنها لا تؤخذ بالإكراه، إنما هي تلقائية كالهطول اللطيف لحبات المطر التي تتلقاها الأرض. لا تستطيع الدخول ببساطة من الشارع وتدعي أنك قادر على نسخ مئة وثمانين كلمة. مبارك ذلك الشخص الذي يعطي كما يأخذ. والآن، أعد قراءة ذلك على مسمعي". أعدت قراءته لها من دون أن أخبرها بأنها أخطأت في خطاب بورشيا بوضع كلمات. نظرت إلي مطولاً ثم قالت: "سأجازف".

عملت لدى "تيمب أو" خلال الأشهر العشرة التالية. وخلال هذه الفترة، كنا نخسر في فيتنام، وما كان المرء بحاجة إلى عبقرية ليدرك ذلك. في بعض الأحيان، يعجز الناس عن التوقف عندما يتوجب عليهم ذلك. وقد جعلتني هذه الفكرة أتذكر إلجين؛ العالم النبيل.

عندما بدأت العمل كنا أربعة أشخاص ثم أصبحنا ستة، وبعد ذلك انخفض عددنا إلى ثلاثة، ثم عدنا ستة مرة أخرى. العمل المؤقت عمل ذو معدل متقلب. كانوا جميعهم نساء باستثناء بيرسون؛ وهو رجل طويل أصلع الرأس يحاول دائماً إخفاء صلعه، وكانت الأكزيما تحيط بزوايا فمه وأنفه، وكان يحيط بفمه ما يبدو وكأنه بصاق جاف. كان بيرسون هذا يعمل عندما بدأت العمل، وظل يعمل عندما توقفت. وهو يستطيع أن ينجز ربما ستين كلمة في الدقيقة في أيامه الجيدة، وإذا كان الكلام سريعاً فسيطلب منك التمهّل قليلاً. أعلم ذلك لأنه عندما يكون بطيئاً فنحن البقية كنا نتسابق؛ بضع دقائق من

اختزال الإعلانات كسائل الجلي ومعجون الأسنان وورق الحمام والمناشف، أشياء تشتريها النساء اللواتي يشاهدن التلفاز، وكنت أربح دومًا. أما بيرسون فقد كان ينسحب بعد فترة قصيرة بحجة أنها لعبة أطفال. وحتى الآن، لا أعرف السبب الذي دفع السيدة فروبيشر إلى توظيفه، ولكنني متأكد من أنها ليست على علاقة حميمة به.

أظنه شيئًا تعتاد وجوده رغم عدم أهميته؛ مثل بطاقات الكرسمس التي تبقى مهمة على الطاولة حتى يحل موعد الاحتفال بيوم الحب. لم يحبني، أما أنا فلم أشعر بشيء تجاهه. بهذه الطريقة أمضيت عامي 1971 و1972، لكن بيرسون هو من عزفني إلى إلجين من دون أن يتعقد ذلك.

كنا نصل قرابة الثامنة والنصف أو التاسعة، ونجلس في الغرفة الخلفية في شارع إكستشينج، فنشرب القهوة ونأكل الدوناتس ونحن نشاهد التلفاز أو نقرأ. وفي بعض الأحيان، كنا نجري بعض المسابقات. عادة تكون هناك نسختان اثنتان أو ثلاث نسخ من صحيفة بريس هيرالد التي كان بيرسون يلتقط إحداها ويتمم أخبارها وهو يحك مواضع الأكزيما على جلده الذي تتساقط منه نثرات كالثلج.

تتصل السيدة فروبيشر بآن أو ديان أو ستيل لأجل الأعمال العادية، أما أنا فغالبًا ما تكون أعمال المحكمة من نصيبي في حال اعتذر أحدهم عن القيام بهذا العمل بحجة المرض. توجب علي تعلم الاختزال، كما توجب علي وضع القناع الخاص بهذا العمل، ولم أمانع القيام بهذا الأمر. أحيانًا، كنت أرسل إلى اجتماعات عالية المستوى يحظر فيها استخدام

أجهزة التسجيل، فلا يكون معي إلا دفترتي. وهذا بحد ذاته كان أحب الأعمال إلي على الإطلاق. أحيانًا، كنت أكتب ثم أسلم دفترتي، ولا بأس في ذلك. وفي أحيان أخرى كنت أحصل على إكرامية.

تعود بيرسون أن يرمي الأوراق التي ينتهي منها على الأرض، ولم يكن ذلك يعجب ديان، وكانت تظنه فعلًا قذرًا. ذات يوم، أخبرها بيرسون بأنه إذا لم يعجبها الأمر فيمكنها أن تجمع الأوراق وتحشرها في مؤخرتها. وبعد أسبوع غادرت ديان. أحيانًا كنت أعمد إلى جمع الأوراق التي يرميها، فالتقطتها وأطلع على محتواها. وفي الأوقات الخالية من أي عمل، كانت الغرفة الخلفية التي ندعوها حظيرة الثيران تصبح مثيرة للمل، فحتى الألعاب والأحاديث تغدو مضجرة. كنت أحمل معي دائمًا كتابًا لأقرأه، إلا أن الكتاب الذي كنت أقرأه في ذلك اليوم الذي عرفت فيه من يكون إلجين - في ذلك الوقت لم أكن أعرف ما اسمه - كان كتابًا مضجرًا عن الحرب، وقد كتبه شخص لا يعرف شيئًا عن الحرب. في إحدى تلك الأوراق، لفت نظري قسم الإعلانات، ففيه سيارات للبيع على صفحة وإعلانات التوظيف على الأخرى. ألقيت نظرة على إعلانات التوظيف، ليس لأنني كنت أبحث عن عمل، فأنا مرتاح في "تيمب أو"، بل لأنني كنت فقط أشغل نفسي لتمضية الوقت.

شدت كلمتا "عالم نبيل" المطبوعتان بخط عريض انتباهي، بالإضافة إلى كلمة "رزين"، فهذه كلمة لا تجدها كثيرًا في الإعلانات.

يحتاج "عالم نبيل" إلى مساعد له للقيام بسلسلة من التجارب. الخبرة في الاختزال ضرورية (60-80 كلمة في الدقيقة أو أكثر). الأجر ممتاز. السرية ورباطة الجأش مطلوبتان.

كان هناك رقم، فاتصلت به مدفوعًا بالفضول لمعرفة الشخص الذي يريد مساعدًا رابط الجأش، وراغبًا في تمضية الوقت، وكان ذلك ظهر يوم الخميس. يوم السبت، قدت سيارتي الفورد المستعملة مسافة سبعين كيلومترًا باتجاه كاسل روك خارج رود ليك إلى بحيرة دارك سكور.

على الشاطئ، برز منزل حجري كبير محاط بسور، يقبع خلفه المنزل الحجري الصغير الذي أقمت فيه خلال فترة عملي لدى العالم النبيل إلجين. كان المنزل أقرب ما يكون إلى قصر. في الممر، رُكِّت سيارة فولكس فاغن بوغ وسيارة مرسيدس. كانت لوحة سيارة البوغ تشير إلى ولاية ماين، وهناك شارة زهرة على فتحة الوقود، بالإضافة إلى ملصق على الصدام كُتِبَت عليه عبارة "أوقفوا الحرب". تعرّفت إليه على الفور. أمّا المرسيدس فحملت لوحة تشير إلى ولاية ماساتشوستس، واعتقدت أنها تعود إلى العالم النبيل وكنت مُحققًا.

لم أعرف مصدر أموال إلجين، وربما لن يُفصح الرّجل النبيل عن ذلك. وبحسب ما أعتقد، يُرجّح أنّه ورثها بحكم أنه لا يعمل - على حدّ علمي - باستثناء عمله عالمًا مستقلًا. أمّا هذا المكان الشبيه بالقصر، فيُطلق عليه اسم "منتجعه الصيفي". لا أعرف أين يمضي الشتاء، ربما في بوسطن أو في إحدى

ضواحيها النائية حيث لا وجود للأسويين أو الزوج إلا من كان منهم يدفع جزازات العشب أو يُقدّم الطعام. كنت أستطيع التّحقق من الأمر، وأن أسأل في المدينة لأنّ سكانها يعرفون هذه الأمور، وسيخبرونك بكل شيء إذا سألت بالطريقة الصحيحة. وهم يريدون التحدث، فلا شيء يقتل الوقت مثل النميّة. أنا أعرف الطريقة الصحيحة؛ بحكم نشأتي في مدينة صغيرة يحذف أهلها حرف الراء كما يفعل اليانكيز، لكنّ ذلك حينها لم يكن يعنيني، سواء أكان منزله الشتوي في ويستن أو بروكلين أو الشاطئ الخلفي، ولو حصلت على العمل أو لم أحصل عليه فالأمر سيان بالنسبة إليّ؛ فأنا لم أسعَ إلى أي شيء وقتها. ولكنني لم أكن رجلاً متزناً من الناحية النفسية، ربما تتفهمون ما أنا فيه وربما لا. غير أنّني كنت أعاني من الأرق في معظم الليالي، وأمضي ساعات مظلمة وطويلة في معظم الليالي وأنا أنازل الحرب وتنتصر عليّ. إنّها قصة قديمة وأعرف ذلك، ويمكنك مشاهدتها على شاشة التلفاز مرة كل أسبوع.

حين ركنت سيارتي بالقرب من سيارة البوغ، خرجت امرأة شابة من المنزل تحمل حقيبة جلدية في يد ودفتر الاختزال في اليد الأخرى، وترتدي بذلة رسمية. إنّها ديان.

"مرحبًا أيتها الغريبة."

"مرحبًا يا هذا. لا بدّ أنّك التالي، أرجو أن تكون أكثر حظًا مني."

"ألم تحسني على العمل؟"

"لقد قال إنه سيتصل، وأعرف ما تعنيه هذه الجملة. هل

بيرسون ما زال يعمل في "تيمب أو"؟

"نعم".

"اللعنة".

استقلت سيارتها وانطلقت. رننت الجرس فظهر إلجين. إنه رجل طويل ونحيف، يُسَرِّح شعره الطويل الأبيض إلى الخلف، ويبدو شبيهًا بعازف بيانو، وكان يرتدي قميصًا أبيض وبنطالًا كاكي اللون متهدلًا عند وسطه، فبدأ وكأنه خسر الكثير من الوزن. بدا في الخامسة والأربعين من عمره. سألتني إن كنت ويليام ديفيس، فأجبتة بنعم. وسألتني إن كنت أحمل معي دفترتي، فأجبتة بأنني أحتفظ بنصف دزينة من الدفاتر على المقعد الخلفي. حملت دفترتي، وأنا أفكر في أنه ربما يكون كالسيدة فروبيشر. قادني إلى غرفة المعيشة التي بدت وكأنها تحمل روح الشتاء عندما كان المنزل خاليًا والبحيرة متجمدة. وهناك، سألتني عن سيرتي الذاتية، فأخرجت محفظتي، وأريتة تسريح المشرف من الخدمة، مُطلقًا عليه سيرتي الذاتية. لا أظنه اُكترت لعملي السابق في تعبئة الوقود، أو لعملي نادلًا في مطعم ذا هيدليس وومان بعد تخرجي من الثانوية.

"أنا أعمل في وكالة "تيمب أو" في بورتلاند منذ حصولي على التسريح. والفتاة الشابة التي جاءت قبلي عملت هناك أيضًا، ويمكنك الاتصال بهم إذا رغبت. اسأل عن السيدة فروبيشر، لا بأس في ذلك، فهي لن تطردني حتى إن عرفت أنني أبحث عن عمل آخر".

"لماذا لن تطردك؟"

"لأنني أفضل كاتب لديها".

"هل ترغب حقًا في العمل لدي؟ لأنك تبدو... ما هي العبارة التي تصف الأمر؟ غير مبالي بعض الشيء".

كان ذلك صحيحًا: "لا أمانع التغيير".

"ألا ترغب في معرفة الأجر؟ أو مدة هذا العمل؟"

فهزئت كتفي.

"أنت متردد أليس كذلك؟"

"لا أعرف". وكان ذلك صحيحًا.

"أخبرني سيد ديفيس، هل تستطيع تهجئة كلمة رزين؟"

وحين هجأتها أومأ برأسه: "لم تستطع الشابة تهجئتها مع أنها قرأتها في الإعلان. أشك في أنها تعرف معناها أصلًا. لقد بدت لي طائشة، هل هي كذلك؟ ألم تعملًا معًا؟"

"لا أريد الإجابة عن هذا السؤال". فابتسمت شفتاه الرقيقتان، وظهرت التجاعيد على جانبي فمه كالدمية. لم يبذ لي عاليًا بنظارته السميكة تلك، بل بدا وكأنه يحاول أن يبدو عاليًا.

"هل خدمت في فيتنام؟"

"كانت معظم فترات خدمتي هناك".

"هل قتلت أحدًا؟"

"لا أحب التحدث عن الأمر".

"هل حصلت على أي ميداليات؟"

"لا أحب التكلم عن هذا أيضًا".

"حسنًا، أخبرتني بأنك الأفضل في "تيمب أو". لقد قابلت بعضًا منهم، وليس ديان بيسنيت فقط. كم كلمة تستطيع أن تكتب في الدقيقة؟" أخبرته.

"سأختبرك. أنا مضطر إلى فعل ذلك؛ وإذا كنت الأفضل حقًا فهذا ما أحتاج إليه. ستكون الكتابة هي التسجيل الوحيد لتجاري، ولن تكون هناك تسجيلات صوتية أو تصوير وثائقي، فقط صور بولارويد سأحتفظ بها إذا نشرت عملي، وسأمزقها إن لم أنشره".

انتظر قليلًا ليرى إن كان قد أثار فضولي، وقد نجح في ذلك، ولكن ليس بما يكفي لأسأله عن أي شيء، فربما يجيبني وربما لا. التقط كتاب "الرجل ورموزه" الذي كان موضوعًا مع كدسة أخرى من الكتب على الطاولة واختبرني منه. قرأ بوتيرة جيدة، ولم يسرع كما فعلت السيدة فروبيشر. كانت هناك بعض المصطلحات التقنية مثل التنشيط - التركيب وبعض الأسماء التي يصعب لفظها مثل أنيلا جافي وجامعة بريشيا، لكنني رأيتها بشكل صحيح، هكذا كان الأمر. إنه نوع من الرؤية. أعدت عليه ما قرأه، على الرغم من أنه تعثر في اسم جافي ونطقه جاف.

فقال لي: "عملك في "تيمب أو" مضيعة لوقتك". ولم يكن لدي شيء لقوله. "خلال فترة تجاري، ستقيم هنا في منزل الضيوف في الخلف. وفي أيام الراحة، سيكون لديك الكثير من أوقات الفراغ. هل تملك أي مهارة طبية نظرًا لخدمتك في الجيش؟"

"بعض المهارات. إذ يمكنني وضع ضماد على عظم مكسور، كما أستطيع إنعاش غريق إذا انثشل من الماء في الوقت المناسب. لا أظن أنك ستحتاج إلى حقن السلفا هنا."

"كم عمرك؟"

"أربعة وعشرون."

"تبدو أكبر من ذلك."

"صحيح."

"هل شاركت في مذبحة ماي لا؟"

"لا، وصلت بعدها."

التقط كتابًا بعنوان "الأنماط الأصلية واللاوعي الجمعي" من كدسة الكتب، ثم التقط كتابًا آخر بعنوان "ذكريات، أحلام، تأملات"، وحمل كل واحد منهما في يد وبدأ وكأنه يزنهما.

"هل تعرف ما القاسم المشترك بين هذين الكتابين؟"

"كلاهما من تأليف كارل يونغ."

فرفع حاجبه وقال: "لقد نطقت اسمه بشكل صحيح."

أفضل مما فعلت أنت مع أنيلا جافي. فكّرت في قول ذلك، ولكنني لم أقله.

"لا أظنك تتحدث الألمانية؟"

"آين فينينغ". قلت ذلك وبسّطت إبهامي وسبّابتي. أخذ كتابًا آخر من الكدسة بعنوان "الوجود والمستقبل" وقال: "هذا كنزي. إنه كتاب نادر، وهذه هي الطبعة الأولى: "الحاضر والمستقبل". لا يمكنني قراءته إلا أنني أنظر إلى الصور وقد

درست رسومه البيانية، فالرياضيات لغة عالمية، لا بد أنك تعرف ذلك".

لم أكن أعرف؛ لأنه لا وجود للغة عالمية. فالأرقام كالكلاب؛ يمكن تدريبها لأداء الحيل. وعنوان هذا الكتاب في الواقع هو "الوجود والمستقبل" وليس "الحاضر والمستقبل"، فهناك اختلاف باتساع محيط بين كلمة "حاضر" وكلمة "وجود". لم يعني ذلك، ولكن الكتاب الموجود تحته هو ما أثار اهتمامي، لأنه الكتاب الوحيد الذي لم يكن من تأليف كارل يونغ، وكان بعنوان "ما وراء جدار النوم" للكاتب هوارد فيليبس لافكرافت. لقد حظي رجل عرفته في الميناء من الطاقم المكلف بإطلاق النار وصيانة الأسلحة الموجهة يدويًا على متن مروحية عسكرية بنسخة منه. وقد احترق الكتاب كما احترق الرجل. تحدثنا مطولًا. وقد كان الأجر الذي عرضه مرتفعًا بما يكفي لأتساءل عما إذا كانت تجاربه قانونية. لقد أتاح لي العديد من الفرص للسؤال عن الأمر، إلا أنني لم أسأل. وفي النهاية، استسلم وسألني عما إذا كانت لدي فكرة عن طبيعة تجاربه، فقلت له إنها قد تكون عن الأحلام.

"نعم، ولكنني أعتقد أنني سأحتفظ بالطبيعة الدفينة لاهتمامي- أودعنا نقل الدافع وراءه- لنفسي في الوقت الحالي".

لم أسأل عن الدافع، وهو شيء آخر لم أكلف نفسي عناء الإشارة إليه. التقط صورة لورقة تسريحي بكاميرا البولارويد وعرض علي الوظيفة.

"بالطبع، تستطيع الاحتفاظ بعملك في "تيمب أو"، ولكنك

هنا بالطبع ستسبر معي أغوارًا لم تطأها أقدام أي عالم نفس ولا حتى يونغ ذاته".

قلت له: "حسنًا". فأخبرني بأننا سنباشر العمل في منتصف تموز، وطلب مني رقم هاتفي، فأعطيته رقم الشقة المشتركة التي أقيم فيها. ثم سألني إن كانت لدي صديقة، فقلت له إنه ليست لدي واحدة. لم يضع خاتم زواج، ولم ألحظ وجود أحد يساعد في المنزل. وبعد أن انتقلت إلى منزل الضيوف، كنت أعد طعامي بنفسي. وأحيانًا، كنت أتناول طعامي في الخارج في أحد المقاهي. أمّا هو فلا أعرف من يطهو له طعامه. لقد بدا محاطًا بهالة سرمدية؛ وكأنّ لا ماضي له ولا مستقبل. كان حاضراً، ولكنه لم يكن موجوداً في حاضره. كان يدخل السجائر، ولم أره يحتسي الشراب قط. ولم يكن لديه هوس سوى بالأحلام. في طريقي إلى الخارج سألته: "تريد اجتياز جدار النوم، أليس كذلك؟" فضحك قائلاً: "لا، أريد التوغل في داخله".

وفي الأول من تموز، اتصل بي وأخبرني بأنه يجب علي أن أقدم إشعار الاستقالة قبل أسبوعين من الوقت الذي سأترك فيه العمل، وفعلت ذلك. لم أعتقد أنّ السيدة فروبيشر ستعفيني من العمل خلال هذين الأسبوعين، ولم تفعل؛ فهي تريد أن تستفيد من خدماتي حتى آخر لحظة، فأنا أفضل من لديها.

وفي الثامن من تموز، عاود الاتصال بي، وطلب مني الانتقال للسكن معه، قبل أن نبدأ عملنا في الرابع عشر من تموز. وقال لي إنني ما دمت أقيم في شقة مشتركة فهو

يرجح أنني لا أمتلك الكثير من الأغراض التي أهتم بنقلها، وكان مُحققًا. أعطاني مهمة بمجرد وصولي، وكانت مهمة صغيرة.

كان بيرسون آخر شخص تواصلت معه من "تيمب أو"، وأخبرته أنه مغفل، فلم يردّ بأي شيء. لعله كان يوافقني الرأي، أو ربما خشي من أنني قد أضربه، لا أدري.

قدت سيارتي إلى منزل الضيوف. كان في القفل مفتاح موضوع ضمن حمالة مفاتيح يتدلّى منها مفتاحان. وكان المنزل عبارة عن أربع غرف أنيقة، أكثر دفئًا من المنزل الكبير، ربما لأنه بُني مؤخرًا بعد أن أصبحت التدفئة المركزية أكثر رواجًا. في غرفة الجلوس، وُضع موقد للتدفئة مع كدسة من الأخشاب المقطّعة والمغطاة بغطاء عازل؛ ما أثار حنيني إلى نار الموقد التي لطالما أحببتها. لم أتوجّه إلى المنزل الكبير، فعندما يرى إلجين سيارتي سيعرف بوجودي هنا. كان في المطبخ الصغير جهاز اتصال داخلي، وبجانبه جهاز فاكس، ولم يسبق لي أن رأيت جهاز فاكس منزليًا، ولكنني أعرف ما هو؛ لأنني رأيت عددًا قليلًا منه في فيتنام. كان على طاولة المطبخ ما بدا وكأنه سجلّ قصاصات مع ملاحظة تقول: "تعرف إلى هذه الأشياء، فقد ترغب في تدوين الملاحظات".

تصفحتها، ولم أدوّن ملاحظات لأنّ ذاكرتي جيدة.

احتوى السجل على اثنتي عشرة صفحة واثنتي عشرة صورة مغلفة بالسلوفان، أو ربما هو زجاج صناعي. صورتان لبطاقة رخصة قيادة، وصورتان رأسيّتان، ست نساء وستة رجال. كانوا جميعًا في أعمار مختلفة، وأصغرهم كان يبدو

في المدرسة الثانوية. وتحت كل صورة ذكر الاسم والمهنة. اثنان منهم جامعيان، واثنان مدرّسان ربما كانا في إجازتهما الصيفية، وأحدهما كان متقاعدًا. أما الباقون فكانوا ما يعرف بعمال الياقات الزرق مثل الثدل، وموظفي المتاجر، والنجارين، وسائقي الشاحنات.

وجدت في اللاجة بيضًا ولحمًا مقدّدًا، فقلّيت أربع بيضات، وجلست على الشرفة الجانبية الصغيرة التي تطل على البحيرة، وتناولت طعامي وأنا أتأمل ماء البحيرة. وعندما توسّطت الشمس جبلي واشنطن وجيفرسون، وانعكست أشعتها الذهبية على البحيرة خلّدت إلى النوم. في تلك الليلة، حظّيت بنوم هانئ لم أحظّ به منذ أربع سنوات؛ عشر ساعات من الظلام الدامس الخالي من الأفكار والتخيلات، ربما هذا ما يكون عليه الموت.

في صباح السبت، نزلت إلى شاطئ البحيرة، وكان إلجين يجلس على مقعد ويدخن مرتديًا القميص الأبيض والبنطال الكاكي ذاتهما، أو لعلهما مختلفان. لم أره يرتدي شيئًا آخر على الإطلاق؛ وكأنّ هذا كان زيّه الرسمي. طلب مني أن أجلس إلى جانبه فجلست.

"هل تشعر بالاستقرار الآن؟"

"نعم."

أخرج محفظته من جيبه الخلفي، وناولني شيكًا قيمته ألف دولار محررًا باسمي من شركة "ذا دريم كوربوريشن".

"يمكنك أن تضعه في "كي بانك" في "كاسل روك" حيث توجد حساباتي الشخصية والمشاركة، كما تستطيع أن تفتح

حسابًا خاصًا في أي مصرف".

"هل أستطيع صرفه؟"

"بالطبع. هل تتذكر الحالة الأولى للدراسة من السجل الذي تركته لك؟"

"نعم، ألثيا غيبسون، مصففة شعر في الثلاثين من عمرها".

"ذاكرتك جيدة. هل هي ذاكرة تصويرية؟ بالنظر إلى سرعتك في الاختزال وإحاطتك باللغة الفيتنامية، أظنها كذلك".

هذا يعني أنه أجرى بعض التحريات عني وأجرى بعض المكالمات: "أعتقد ذلك. لقد تعلمت الاختزال من أختي؛ إذ كنت أساعدها في دراستها".

"وكنت أفضل منها بذلك".

"أظن ذلك. ولكنها نالت مرادها وحصلت على وظيفة في قسم الموارد البشرية في شركة "ايسترن ماين ميديكال" بأجر جيد". لم أجد ضرورة لإخباره بأنها توفيت، ولم أشأ أن أخبره بذلك.

"هل عملت مترجمًا في فيتنام؟"

"نعم، لبعض الوقت".

"لا تريد أن تتكلم في الأمر، ولا بأس بذلك. المكان جميل هنا، أليس كذلك؟ إنه هادئ جدًا. في وقت لاحق، سيأتي المتنزهون وستكون أصوات قواربهم مزعجة، سيستمرون في القدوم بدءًا من يوم الذكرى وحتى يوم العمال، ولكنهم سيظلون على مسافة بعيدة من الشاطئ".

"منطقتك منطقة خاصة".

"نعم، فأنا رجل يُقدّس الخصوصية. سيّد ديفيس، أعتقد أنني سأغيّر هذا العالم".

"تقصد أنك ستغير نظرة العالم إلى الأحلام".

"لا، أقصد العالم بحدّ ذاته؛ إذا نجحت تجاربي". ثم نهض قائلاً: "سأرسل فاكسًا، اطلع عليه. ستكون السيدة غيبسون هنا عند الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء، سأدفع لها تعويضًا مقابل إقفالها لصالونها خلال فترة وجودها هنا. رغب بها وعرفها على المكان. سأرغب في اطلاعك على التحضيرات قبل أن تصل، لنقل عند الظهر في حال وصلت باكراً".

"حسنًا".

"اقرأ الفاكس، وإذا كان لديك أي استفسار أرسله إلي بواسطة جهاز الاتصال الداخلي. وإذا لم يكن لديك أي استفسار فاعتبر نفسك في عطلة حتى يوم الثلاثاء". ثم مَدَّ يده ليصافحني. ومرة أخرى، لامستني تلك الهالة السرمدية المحيطة به. إذ كان هناك نوع من السكينة في حضوره، وقد كان واثقًا من أنه سيغيّر العالم بشكل جدي.

وصل الفاكس وأنا أعدّ القهوة، وكان عبارة عن عقد لخضوع الحالة للاختبار. فتساءلت مجددًا عن مدى شرعية هذا الاختبار بالتحديد. كانت هناك فراغات، وعلى الأشخاص الذين سيخضعون للاختبار أن يكتبوا فيها أسماءهم، وعناوينهم، وأرقام هواتفهم. وفي الأسفل، قبل مكان التوقيع،

كُتِبَ أَنَّ الحَالَةَ قَدْ أُبْلِغَتْ وَوَاظَفَتْ عَلَى الْقَبُولِ بِتَنَاوُلِ أَقْرَاصِ
مَنُومَةٍ مَخْفُفَةٍ قَبْلَ بَدْءِ الْاِخْتِبَارِ، كَمَا كُتِبَ أَنَّ تَأْثِيرَ الْأَقْرَاصِ
سَيَزُولُ بَعْدَ سِتِّ سَاعَاتٍ أَوْ أَقَلٍّ، وَبِمَا أَنَّ الْجَيْنَ هُوَ الَّذِي
سَيُدِيرُ أَمْرَ الدَّوَاءِ وَلَنْ أَكُونَ مَسْؤُولًا إِذَا حَدَثَ خَطَأٌ مَا، فَلَمْ
يَكُنْ لَدَيَّ تَعْلِيْقٌ عَلَى ذَلِكَ. أَعْتَرَفْتُ بِأَنِّي بَدَأْتُ أَهْتَمُّ بِهَذَا
الْاِخْتِبَارِ، وَرَجَّحْتُ أَنَّ يَكُونُ الْجَيْنَ شَخْصًا مَجْنُونًا. فَبَعْدَ
فَيْتَنَامٍ أَصْبَحْتُ مُتَيَقِّنًا مِنْ ذَلِكَ.

تَوَجَّهْتُ إِلَى وَسْطِ الْمَدِينَةِ لِشِرَاءِ الْبَقَالَةِ، وَقَصَدْتُ الْمَصْرَفَ
الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ حَتَّى الظَّهِيرَةِ، وَفَتَحْتُ حَسَابًا، ثُمَّ أَوْدَعْتُ
الشَّيْكَ فِيهِ، وَسَحَبْتُ مِئَةَ دُولَارٍ. لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ مَشَاكِلَ فِي
"الشَّيْكَ". تَنَاوَلْتُ الْغَدَاءَ فِي مَطْعَمِ كَاسِلِ رُوكٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ
عَدْتُ إِلَى مَنْزِلِ الضِّيُوفِ، وَأَخَذْتُ قِيلُولَةً خَالِيَةً مِنَ الْأَحْلَامِ.

وَفِي ظَهِيرَةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ، تَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ
الْجَيْنُ يَنْتَظِرُنِي عَلَى الشَّرْفَةِ. فِي الدَّخْلِ، وَإِلَى الْيَسَارِ، كَانَتْ
غُرْفَةُ الْمَعِيشَةِ حَيْثُ جَلَسْنَا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى وَتَحَدَّثْنَا عَنْ يُونِغٍ.
أَمَّا إِلَى الْيَمِينِ، فَكَانَ هُنَاكَ بَابٌ مَزْدُوجٌ فَتَحَهُ، فَظَهَرَ خَلْفَهُ
مَا بَدَأَ أَنَّهُ غُرْفَةُ طَعَامٍ. أَمَّا الْآنَ فَهَذَا الْمَكَانُ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي
يَجْرِي فِيهِ اخْتِبَارَاتِهِ. قُشِمَتِ الْغُرْفَةُ إِلَى قَسْمَيْنِ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا
جِدَارٌ ضَنْعٌ مِنَ الْخَشَبِ الرَّقَائِقِيِّ. الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْغُرْفَةِ
كَانَ مَخْصُصًا لِلْحَالَةِ الَّتِي سَتُخْتَبَرُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ أُرَيْكَةٌ كَالَّتِي
يَقْتَنِيهَا الطَّبِيبُ النَّفْسِي. وَعَلَى أَحَدِ جَانِبِي الْأُرَيْكَةِ كَانَتْ هُنَاكَ
كَامِيرَا بُولَارُودٍ مَثْبُتَةٌ عَلَى حَامِلٍ ثَلَاثِي الْقَوَائِمِ وَمَوْجِهَةٌ إِلَى
الْأَسْفَلِ، فِيمَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وُضِعَتْ طَاوِلَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَيْهَا
دَفْتَرٌ وَإِلَى جَانِبِهِ قَلَمٌ. يَبْدُو أَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي سَتُخْتَبَرُ

أن تُدَوِّن الملاحظات أو الأفكار التي غالبًا ما تحلم بها بينما لا تزال تلك الأحلام قابلة للاستعادة. وثبتت على الجدران مكبرات صوت من نوع بوز. كانت هناك مرآة في وسط الجدار الخشبي المواجه للجزء المرتفع من الأريكة، ويجب أن تكون شخصًا لم يشاهد برامج الشرطة على التلفاز كي لا تدرك أنها من نوع الزجاج أحادي الاتجاه(12). وعلى جانب الجدار الخاص بالجين كان هناك مكتب وكاميرا بولارويد أخرى على حامل ثلاثي القوائم موجهة صوب المرآة والأريكة. وعلى المكتب هناك ميكرفون وصف من الأزرار، فيما وُضع المزيد من مكبرات الصوت على الجدران. كان هناك نظام ستيريو فيليبس مع أسطوانة تسجيل على القرص الدوار، وكان هنالك كرسي بجوار الزجاج أحادي الاتجاه.

قال مشيرًا إلى الكرسي: "سيكون هذا مكانك حيث ستجلس وتراقب. هل لديك دفتر ملاحظات جديد؟"
"نعم".

"ستدوِّن كل ما أقوله، وإذا قالت السيدة جيبسون أي شيء، فستسمعه عبر مكبرات الصوت من هذا الجانب وُثِدَوْنه. إذا لم تفهم ما تقوله - فغالبًا ما يقول النائم كلامًا غير مفهوم - ارسم خطًا مزدوجًا".

"لو كنت تستخدم مسجل صوت..." غير أنه لَوَّح بيده رافضًا.

"لقد أخبرتك أنه لن تكون هناك تسجيلات صوتية ولا أفلام، بل فقط صور بولارويد. أنا أتحكم بنظام الصوت والكاميرتين من المكتب".

"لا مسجل ولا فيلم، غِلَمَ الأمر". كما أنه لم تكن هناك أي معدات طبية من أي نوع، ولا توجد طريقة لتسجيل موجات دماغ الشخص أو رصد حركة العين السريعة أثناء النوم. كان ذلك ضربًا من الجنون، ولكن الشيك كان حقيقيًا؛ لذا لم أعترض على ذلك. لم أرَ حماسة على وجهه، ولم أتمكن من استشعار أي توتر. لم أرَ سوى تلك السكينة. فهو عند قناعته: سيُغير هذا العالم، وهو واثق من ذلك.

وصلت ألثيا غيبسون قبل خمس عشرة دقيقة من موعدها. وكانت واحدة من الاثنين اللذين أرسلنا إلى إلجين صورة رأسية، ربما التقطها مصوّر مُحترف مستخدمًا حلقة ضوئية لجعلها تبدو أصغر سنًا. كانت في الأربعين من عمرها، وممتلئة الجسم. قابلتها عند سيارتها، وعزفتها عن نفسي بأنني مساعد السيد إلجين. فقالت ونحن نسير باتجاه المنزل: "أشعر بقليل من الخوف. أمل أن أكون بخير، هل سأكون بخير يا سيّد ديفيس؟"

"بالتأكيد. الأمر أسهل من شرب الماء".

يقولون إنّ الحقيقة أغرب من الخيال، أليس كذلك؟ إليك امرأة في نهاية طريق ريفي ينتهي بشاطئ خاص، تتحدث إلى رجل لم يسبق لها أن قابلته. هل قابلت إلجين؟ هل تحدثت إليه عبر الهاتف على الأقل؟ إنها لا تشك في أنّ شيئًا سيئًا قد يحصل لها على الرغم من معرفتها بأنها ستتناول عقارًا يُصنّف على أنه منوم خفيف. لم تشك في ذلك؛ لأنّ الأشياء السيئة تحدث لأناس آخرين، أشخاص تشاهدهم على التلفاز فقط. هل منعها ضعف مخيلتها من التفكير في

الاغتصاب أو القبور الضحلة؟ أم أنه ضعف إدراكها للأمور؟ هذا ما يجعلنا نتساءل عن ماهية الخيال والإدراك أساسًا. ربما أنا أفكر بهذه الطريقة بسبب ما رأيته في الجانب الآخر من العالم، حيث الأشياء السيئة تحدث للناس طوال الوقت، بمن فيهم مصففو الشعر.

"كيف لي أن أرفض مبلغ ثمانمئة دولار مقابل ذلك؟!" وأخفضت صوتها قائلة: "هل سأخضع للتخدير؟" "لا أعرف، فأنت أول زبائننا."

"لن تستغلني أنت، أليس كذلك؟" قالت ذلك مازحة، أو لعلها تمنى أن تكون مزحة حقًا. "أو هو؟"

"لا شيء من هذا القبيل." قال إلجين ذلك فيما كان قادمًا من الرواق إلى الشرفة لاستقبالها. وكان يحمل على كتفه حقيبة مسطحة صغيرة كحقيبة الخرائط التي يحملها ضابط الاستطلاع.

"أنا صالح، وكذلك بيل."

ثم أمسك يدها بيديه وضغط عليها ضغطة خفيفة قائلاً: "أعدك بأنك ستستمتعين بذلك."

أعطيتها نموذجًا عن العقد، والذي على الأرجح كان قانونيًا كورقة الدولارات الثلاث، فنظرت إليه نظرة خاطفة، وملأت الفراغات أعلاه، ثم وقّعت في الأسفل. كانت تمضي في حياتها غير مدركة أنها قد تنتهي أو قد تتغير إلى الأبد. فالعيش بهذه الطريقة من دون توقع أي احتمال قد يكون نعمة أو نقمة، إنه خيارك. قادها إلى الأريكة في غرفة الطعام

السابقة، وتناول من حقيبته كوبًا صغيرًا من السائل الشفاف، ثم سحب السدادة المطاطية وأعطاه الكوب، فأخذته بحذر شديد وكأنه ساخن.

"ما هذا؟"

"إنه منوم خفيف كما أخبرتك. وسيجعلك تدخلين في حالة من الهدوء والسكينة تدفعك إلى النوم. لن تكون هنالك أي أعراض جانبية؛ فهو غير مؤذٍ على الإطلاق."

نظرت إلى الكوب، ثم رفعتة نحوي وقالت: "فوق الأسنان، وفوق اللثة، احترس يا بطن، ها هو قادم". شربته بسهولة غير متوقعة، وأصبحت الحقيقة أغرب من الخيال، ثم نظرت إلى إلجين وقالت له: "توقعت أن يكون مذاقه غريبًا، فهل أنت متأكد من أنه ليس ماء؟"

فأجاب مبتسمًا: "إن معظمه ماء".

"ستقودين سيارتك وتتجهين إلى منزلك... ذكريني أين تقيمين؟"

"نورث ويندهام".

"ستتجهين إلى نورث ويندهام عند الساعة الرابعة ومعك ثمانمئة دولار في حقيبتك. وحتى حلول ذلك الوقت، استرخي وسأقول لك ما يتوجب عليك فعله. الأمر بسيط جدًا".

وبعد ذلك أخذ الكوب، وأعاد السدادة إلى مكانها، ووضعه في حقيبته في ركن مخصص له، ثم أخرج الشيء الوحيد الآخر الموجود في الحقيبة. إنه صورة لمنزل صغير في الغابة،

مطلّي باللون الأحمر، له باب أخضر فوق درجتين حجريتين،
ومدخنة من الطوب. أعطّاها إياها.

"سأشغل موسيقى هادئة للغاية، وأريد منك الاستماع إليها
وأنت تنظرين إلى الصورة".

"أوه، أنا أشعر بذلك الآن؛ وكأنني دخنت بعض الحشيش".
"سيدة غيبسون، انظري إلى الصورة، وقولي لنفسك إنك
تودين رؤية المنزل من الداخل".

كنت أدون كل ما يحصل، وأكتب (غ) للسيدة غيبسون و(إ)
لإلجين، فتتشابك الخطافات بسرعة على صفحات الدفتر.
كنت أقوم بفعل ما ذُفِع لي لفعله.

"ما الذي بداخله؟"

"يعود إليك تحديد ما بداخله، ربما ستحلمين بالدخول إليه،
وعندها سترين ما يوجد داخله، هل ستحاولين فعل ذلك؟"
"إذا لم أحلم بذلك، فهل سيبقى حصولي على مبلغ ثمانمئة
دولار ساري المفعول؟"

"بالتأكيد. حتى إن حصلت على مجرد قيلولة ممتعة".

"إذا استغرقت في النوم، فهل ستوقظني عند الساعة
الرابعة؟"

وقتها بدأت بالانجراف: "سأحضر جارتني ابنتي من
المدرسة، ولكن سيكون علي العودة عند السادسة لأعدّها...
لأعدّها..."

"تعذّرين لها العشاء".

"نعم، أعدّ لها العشاء. انظر إلى ذلك الباب الأخضر. لن أختار بابًا أخضر لمنزل أحمر أبدًا؛ فهو يحمل طابع الكرسمس بشكل مبالغٍ".

"انظري إلى الصورة".

"أنا أنظر".

"احلمي بالمنزل، حاولي الدخول إليه". ترنيمة التنويم المغناطيسي.

"حسنًا".

"ادخلي الآن إلى غرفة المعيشة".

"حسنًا".

"لا تدخلوها، بل قفي فقط عند مدخل بابها".

"هل تريد مني أن أخبرك كيف تبدو غرفة المعيشة؟ وكيف يبدو الأثاث وورق الحائط؟ هل تريد أن أخبرك عن أمور من هذا القبيل؟"

"لا، أريدك أن تجثي على ركبتيك، وتبحثي عن شق في الأرضية، إنه موجود عند مدخل الغرفة".

"هل سيكون هنالك شق؟"

"لا أعلم يا سيدة غيبسون. ألتيا، إنه حلمك أنت. إذا وجدتِ شقًا، فضعي أصابعك بداخله، وارفعي أرضية الغرفة". فابتسمت له ابتسامة حاملة وقالت: "لا أستطيع رفع الأرضية أيها السخيف".

"ربما تستطيعين وربما لا. في الأحلام كل شيء ممكن،

بخلاف الواقع".

"مثل الطيران". اتسعت ابتسامتها الحاملة.

"نعم، مثل الطيران".

بدا وكأن هذه الفكرة قد أشعرتة بالضجر، مع أن فكرة الطيران في الأحلام تبدو أكثر منطقية من أي شيء آخر. وفقًا ليونغ، يُشير الطيران في الحلم إلى رغبة دفينة بالتححرر من توقّعات الآخرين، وربما التحرّر مما هو أشد صعوبة واستحالة من توقّعات الآخرين؛ التحرّر من توقّعات الحالم نفسه.

"ارفعي الأرضية، وألقي نظرة لتري أسفلها. وإذا تذكرت ما رأيته عندما تستيقظين، فدوّنيه على الدفتر الذي تركته لك جانبًا. سأطرح عليك بعض الأسئلة، وإذا لم تستطعي التذكّر فلا بأس بذلك. سنعود لاحقًا، أليس كذلك يا بيل؟"

تركنا المريضة في نصف الغرفة المخصص لها، وانتقلنا إلى النصف الآخر. جلست مكاني خلف الزجاج أحادي الاتجاه واضعًا دفترتي على ركبتني، فيما جلس إلجين خلف مكتبه، وضغط على أحد الأزرار، فدارت الأسطوانة، واستقر مقبض التشغيل فوقها، وانطلقت الموسيقى بلحن من ألحان ديبوسي. ضغط إلجين على زر آخر، فتوقفت الموسيقى في غرفتنا، ولكنني كنت لا أزال قادرًا على سماعها في غرفة المريضة. لقد كانت تنظر إلى الصورة وتضحك بصوت عالٍ. دوّنت ذلك، ليس بالاختزال الغريغوري، ولكن بشكل واضح: ضحكت (غ) عند الساعة 2:14 بعد الظهر.

مرّ الوقت، عشر دقائق بحسب ساعتني. تفحصت تلك الصورة بتركيز شديد لا يركز مثله إلا من يعاني بشكل جدي

من آثار الثمالة. ثم بدأت الصورة تنفلت من يدها رويدًا رويدًا. ولأن مقدمة الأريكة كانت في مواجهتنا، رأيت الطريقة التي أغمضت فيها عينيها، ثم فتحتهما مجددًا، وارتخت شفتاها المطليتان بالأحمر الفاقع شيئًا فشيئًا. وفي غضون ذلك، وقف إلجين بجواري، منحنياً إلى الأمام وواضعا يديه على ركبتيه. ذكرني منظره بعقيد متقاعد عرفته هناك، في الجانب الآخر من العالم، حيث كان يراقب من خلال منظاره طائرات أف-100 دي التابعة للفرقة 352 وهي تحلق على ارتفاع منخفض فوق بن هو مُحفلة بالقذائف الحارقة التي تهبط كشلال من الدم، فتحدث إجهاضاً وردياً في بطن الغابة الخضراء، مُحولة كل شيء إلى رماد وهياكل متفحمة. حتى الرجال والنساء كانوا يصرخون: "ناهن تو، ناهن تو!" لأشخاص لا يمكنهم سماعهم، وإن سمعوهم فلن يستطيعوا مساعدتهم.

استقرت الصورة على بطنها، وأخيراً نامت. عاد إلجين إلى مكتبه، وأوقف الموسيقى. يبدو أنه شغل نظام الصوت أيضاً في النصف المخصص لنا؛ لأنني استطعت سماع صوت شخيرها بشكل خفيف.

استعاد إلجين وضعه السابق. كانت كاميرات البولارويد تومض كل ثلاثين ثانية في جانبنا، وفي القسم حيث تمكث السيدة غيبسون. وفي كل مرة ومضت فيها، أحدثت صوتاً شبيهاً بصوت خرخرة القطة، وسقطت صورة على الأرض.

بعد ثلاث أو أربع دقائق على نومها، رأيت شيئاً غريباً. فأنحيت إلى الأمام غير مصدق، بالطريقة التي لا تصدق بها

ما يتعارض مع الواقع، ولكنه كان هناك. فركت عيني جيدًا،
ولكنه كان لا يزال هناك.

"إلجين... فمها..."

"أنا أراه."

فقد انفصلت شفتاها، وارتفعت أسنانها من بين الشفتين.
كان الأمر أشبه بمشاهدة جبل بركاني يرتفع من قلب المحيط.
لم تكن هناك نقاط حادة باستثناء الأنياب على ما أعتقد.
لم تكن أنيابًا، أو أسنانًا حيوانية، بل كانت أسنانها، ولكنها
أكبر وأطول. تراجعت شفتاها لتكشفا عن بطانتها الوردية،
فيما ارتجفت يداها، وانقلبتا إلى الأمام والخلف، واهتزتا.
ومضت كاميرات البولارويد، وأحدثت طنينًا؛ ومضتين عندنا
وومضتين عندها، وتساقطت الصور على الأرض، إلى أن
نفدت الأفلام من الكاميرات. ثم انكمشت أسنانها، وارتعشت
يداها مرة أخرى، وبدأ وكأن أصابعها تعزف على بيانو غير
مرئي، ولكنها توقفت بعد لحظات عن فعل ذلك. أغلقت
شفتيها، وكانت هنالك بقعة وردية على شفتها العليا.

التفت صوب إلجين، فبدأ لي هادئًا وغير هادئ في الوقت
نفسه. وتمكنت من إلقاء نظرة خاطفة على ما كان يخفيه
تحت هدوئه هذا؛ كالتماس اللون الدموي لغروب الشمس
من شق صغير بين غيمتين تباعدتا لفترة كافية. ولو أنني
شككت- ولو للحظة- بأن العالم النبيل لم يكن إلا عالمًا
مجنونًا، لكان ذلك نهاية كل شيء.

"هل كنت تعرف بما سيحدث؟"

"لا."

وبعد مرور عشرين دقيقة، أي في تمام الساعة 2:35 من بعد الظهر، بدأت السيدة غيبسون تتقلب. دخلنا إليها، وهزّها إلجين حتى استيقظت. استفاقت من النوم بطريقة عادية جدًا، ومدّت يديها على اتساعهما وكأنها تريد معانقة العالم.

غ: "لقد كان ذلك رائعًا. كانت قيلولة هائلة".

إ: "ما الذي حلمت به؟ هل تتذكرين؟"

غ: "نعم، لقد دخلت. إنه منزل جدي، وكانت ساعة سيث توماس في القاعة الأمامية هي نفسها. كنا أنا وأختي نطلق عليها: تك-تك جدي".

إ: "وغرفة المعيشة؟"

غ: "كانت غرفة جدي أيضًا. الكراسي، والأريكة، والحصان الأملس نفسه، وكذلك الطاولة التي وضعت المزهريّة عليها. لا أصدق أنني استطعت تذكر كل شيء، لكنك قلت إن هذا لا يهيك".

إ: "هل حاولت رفع الأرضية؟"

غ: (توقف طويل): "نعم... رفعتها قليلًا".

إ: "ماذا رأيت؟"

غ: "ظلام دامس".

إ: "هل كان قبوًا؟"

غ (توقف طويل): "لا أعتقد ذلك. لقد أعدتها إلى مكانها، كانت ثقيلة".

إ: "هل لاحظت شيئًا آخر عندما رفعت الأرضية؟"

غ: "عبقت رائحة سيئة وكريهة... (توقف طويل) كانت رائحة نتنة".

في ذلك المساء، ذهبت إلى الشاطئ حيث كان إلجين يجلس على المقعد، وجلست إلى جانبه.

"وليام، هل دوّنت ملاحظاتك؟" كان يفتح غطاء ولّاعته ويغلقها بنقرة واحدة.

"سأفعل ذلك الليلة. ما الذي كان في الكوب؟"

"لا شيء مهم، فورازيبام. حتى إنه ليس جرعة سريرية بل جرعة مخففة".

"لا يوجد دواء في العالم يفعل ما شاهدناه".

"لا، ولكنه جعلها أكثر قابلية للتأثر. فقد أخبرتها بما يجب عليها فعله وفعلته. إذ ولجت إلى الواقع الكامن وراء الأحلام، إذا صخّ التعبير. فإذا افترضنا وجود شيء كهذا، فالواقع كما هو، أو ربّما لا".

"ما حصل لأسنانها..."

"نعم". وعادت السكينة إليه مجدّدًا وهو يتابع: "كان رائّعًا، أليس كذلك؟ إذا أردت دليلاً على أنّ ما رأيناه كان حقيقة ولم يكن مجرد هلوسة تشاركناها فقد ظهر في صور البولارويد".

"لم يخطر في بالي أنّ ما رأيناه كان هلوسة. ما الذي تفعله حقًا؟"

"أتسأل هذا السؤال الآن؟"

"نعم، أسأله الآن".

"هل فكرت يا ويليام في الوجود بتمعن؟ بشكل جدي؟ فقلة قليلة من الناس فكروا فيه بتمعن".

"نعم، فعلت. ورأيت نهايته".

"أتقصد في الحرب؟"

"نعم".

"لكن الحروب ليست سوى شؤون بشرية، مقارنة بالكون الذي يضم الوجود بأسره؛ بما في ذلك مسار الزمن. لا تفعل الحروب أكثر مما تفعله مستعمرة نمل ننظر إليها من خلال عدسة مكبرة. الأرض هي مستعمرة النمل الخاصة بنا، والنجوم التي نراها ليلاً ليست سوى بداية الكون اللامتناهي. يومًا ما، ربما تُظهر لنا التلسكوبات التي أطلقت إلى القمر والمريخ وإلى ما هو أبعد من ذلك مجرات خلف مجرات، وسدماً مخفية وراء سدم أخرى، وعجائب لم يسبق لنا أن فكرنا فيها تستمر إلى حافة الكون الذي قد ينتظرنا خلفه كون آخر... ولك أن تتخيل النهاية الأخرى لتلك السلسلة".

ثم وضع ولاعته جانبًا، وانحنى ليأخذ حفنة من رمال الشاطئ، وتركها تنساب من بين أصابعه.

"الآن، أنا أحمل في قبضتي عشرة آلاف حبة صغيرة من الأرض، وربما عشرين ألفًا، وقد تكون خمسين ألفًا. وكل واحدة منها مكونة من مليار أو تريليون أو عدد لا متناهي من الذرات والبروتونات، وكل منها يدور في مساره. ما الذي يجمعها معًا؟ ما القوة الرابطة؟"

"هل لديك نظرية بخصوصها؟"

"لا. ولكن لدي وجهة نظر؛ أنت رأيته اليوم، وأنا كذلك. ماذا لو كانت أحلامنا حاجزًا بيننا وبين هذا النسيج اللامتناهي للوجود؟ ماذا لو كانت تلك القوة الرابطة تمتلك وعيًا؟ ماذا لو استطعنا تخطي ذلك الحاجز؟ ليس بمحاولة العبور من خلاله، ولكن بالنظر تحته؛ كطفل يتلصص تحت خيمة السيرك ليشاهد العرض الذي يعرض في الداخل".

"في العادة، توضع الحواجز لسبب وجيه".

ثم ضحك وكأني أخبرته دعابة.

"ما الذي تود رؤيته؟"

"أريد رؤية ما يوجد هناك، وربما أفضل في ذلك، ولكن ما رأيناه اليوم جعلني أفكر في إمكانية نجاحي. الأرضية في حلمها كانت ثقيلة جدًا عليها، ولكن بقي لدي إحدى عشرة حالة لدراستها، وقد تكون إحداها أقوى منها".

كان يجدر بي الرحيل وقتها.

بقيت لدينا حالتان لدراستهما في تموز. الأولى كانت نجارة وتدعى ميليسا غرانت وقد شاهدت المنزل في حلمها ولكنها لم تستطع دخوله، وقالت إن الباب كان مقفلاً. فيما الحالة الثانية كانت لمالك متجر كتب في نيو غلستر، وقد أخبرنا بأن متجره كان على وشك الإفلاس، ولكنه لم يكن مستعدًا للتخلي عنه، وكان مبلغ ثمانمئة دولار كافيًا لدفع إيجار شهر آخر، ولشراء كمية من الكتب التي لن يرغب الكثير من الناس في ابتياعها. نام لساعتين فيما موسيقى ديبوس تعزف، ولم يحلم بالمنزل على الإطلاق، بل حلم بوالده الذي توفي منذ عشرين عامًا، وذهبا للصيد معًا في الحلم. أعطاه إلجين

"الشيك" وتركه يُغادر. كان لدينا موعد آخر مُجدول في تموز مع رجل يدعى نورمان بيلسون، ولكنه لم يظهر.

وفي الأول من آب، جاء رجل يدعى هيرام غاسكيل إلى المنزل في نهاية رود ليك. كان عامل بناء، وقد سُرح من عمله. خلع حذاءه، وارتمى على الأريكة وقال: "لنبدأ"، ثم شرب محتويات الكوب من دون أن يسأل عن محتواه، ونظر إلى الصورة. في البداية، لم أعتقد أن الدواء سيعطي مفعولاً معه؛ فقد كان رجلاً ضخماً، ربما يزن مئتين وسبعين رطلاً، ولكنه في النهاية استسلم للنوم وشُخِر. وقف إلجين في مكانه المعتاد بجانبى، منحنياً مثل النسر حتى كاد أنفه يلامس الزجاج، فتكاثف البخار على سطحه بفعل أنفاسه. لم يحدث شيء طيلة ساعة تقريباً، ثم توقف الشيخير، ولكنه ظل نائماً. تلمست يده طريقها إلى القلم الذي كان قريباً منه فوق الدفتر المفتوح، ثم كتب شيئاً عليه من دون أن يفتح عينيه.

قال إلجين: "دُون ذلك". ولكنني كنت قد فعلت ذلك، ودونما اختزال، بل بشكل واضح: في تمام الساعة 3:17 عصراً، كتب غاسكيل لمدة خمس عشرة ثانية تقريباً. ثم أسقط القلم، وعاود النوم، وشُخِر مجدداً.

وفي تمام الساعة 3:33 استيقظ غاسكيل من تلقاء نفسه، ونهض وأرجح ساقيه خارج الأريكة فدخلنا إليه، وسأله إلجين عما حلم به.

"لا شيء. اعذرني يا سيّد إلجين، هل سأحصل على النقود؟"
"نعم، لا بأس في ذلك. هل أنت متأكد من أنك لا تتذكر شيئاً على الإطلاق؟"

"لا، ولكنها كانت قيلولة لا بأس بها".

ألقيت نظرة على الورقة، وسألته إن سبق له أن خدم في الجيش.

"لا يا سيدي، لم يسبق لي أن خدمت هناك. فقد ذهبت إلى الفحص الطبي، وأخبروني بأنني أعاني من ضغط دم مرتفع، وأنا أتلقي علاجًا لضغط الدم حتى الآن".

نظر إلجين إلى ما كُتب على الورقة.

وعندما غادر غاسكيل بشاحنته القديمة التي خلفت وراءها سحابة زرقاء صادرة من العادم سرعان ما تلاشت مع الريح، نقر إلجين على السطر الوحيد الذي كتب على الورقة بدقة وأناقة- على الرغم من أنَّ الرجل الذي كتبه كان مغمض العينين- وبدأت نظرة الإثارة والنصر على وجهه.

"هذا ليس خط يده على الإطلاق".

ثم وضع إلجين العقد الخاص بغاسكيل بجانب الدفتر. لقد كان الاسم والعنوان في العقد مكتوبين بخط يد شخص نادرًا ما يكتب، وغالبًا ما يجد الكتابة أمرًا شاقًا. فعلى الرغم من أننا لا نملك معلومات كافية تتيح لنا تحديد الخلفية التي تنحدر منها الحالات التي ندرسها- بسبب عدم امتلاك إلجين ما يكفي من المعدات الطبية والعلمية لفحص تلك الحالات- إلا أنَّ طريقة غاسكيل في الكتابة أوحى بأنه رجل لم ينل قدرًا كافيًا من التعليم، اللهم إلا بعض الدورات للعمل في الورشة.

كان الخط أنيقًا ودقيقًا؛ على الرغم من افتقاره إلى علامات الترقيم اللازمة. كما أنَّ التهجئة كانت خاطئة، وكأنه يكتب ما

سمعه؛ كما يفعل أي مُختزل. وهذا يقودنا إلى سؤال مهم: من الذي لقنه تلك الكلمات؟

"إنها لغة فيتنامية، أليس كذلك؟ لهذا السبب سألته عن خدمته في الجيش".

"نعم". بالطبع، كانت الفيتنامية. مات ترانغ دا داي كوا ماغوي.

"ما الذي تعنيه؟"

"القمر مليء بالشياطين".

في ذلك المساء، عندما خرجت إلى الشاطئ، كان إيجين يجلس على المقعد ويدخن. كانت المياه رمادية بلون الصخر، ولم يكن هناك أي قارب، وكانت السماء ممتلئة بالسحب الرعدية القادمة من الغرب. قال لي بعد أن جلست ومن دون أن يلتفت نحوي: "الرسالة كانت موجهة إليك". بالطبع كانت كذلك.

"لقد عرف أنك خدمت في فيتنام، كما عرف أنك تتقن الفيتنامية".

"شيء ما علم بذلك".

في تلك اللحظة، ضربت صاعقة رعدية سطح البحيرة على بعد ميل، فتسببت بمقتل الأسماك التي كانت قريبة من سطح الماء. ستطفو لاحقًا، وستتحول إلى طعام لطيور النورس. ثم حجبت غمامة من الضباب الرمادي التلال على الجانب الآخر من دارك سكور، ستصل إلينا لاحقًا وسيهطل المطر.

"ربما هذا هو الوقت المناسب للتوقف. إذ إن شيئًا ما على

الجانب الآخر من الحاجز يخبرك ألا تعبث معه".

فهز رأسه من دون أن يحول نظره عن السحب القادمة باتجاهنا وقال:

"أبدًا، فنحن على وشك الوصول إلى شيء ما. أنا أشعر بذلك، أعرف ذلك".

ثم استدار إلي قائلاً: "ويليام، أرجوك لا تتركني، فأنا الآن بحاجة إلى مهارتك أكثر من أي وقت مضى. إذا نشرت عملي فساكون بحاجة إلى ملاحظاتك الأولية، وليس فقط إلى الصور والنسخ المكتوبة. بالإضافة إلى أنك شاهد على كل ذلك".

لست مجرد شاهد. إذ إن غاسكيل، أو الشيء الذي تكلم من خلال غاسكيل، اختارني أنا، ولم يختار إلجين.

كان العالم النبيل يُنفذ شيئًا شديد الخطورة وهو يعرف ذلك، ولكنه إما لم يكن راغبًا في التوقف، أو لا يستطيع التوقف. ونتيجة الاحتمالين واضحة. أما أنا فأستطيع التوقف؛ فمن حماقة المتابعة في هذا الأمر. ولكن سببًا مهمًا منعني من ذلك؛ إذ إن شيئًا ما حصل في داخلي وزاد فضولي؛ نوعًا من الشعور المبهج والمرعب بالقدر ذاته، ولكنه يبقى شعورًا. ففي عالمي، أصبحت المشاعر أمرًا نادرًا. فعندما تشاهد رجلًا فقد ساقيه وانسلخ جلد وجهه يصرخ متألمًا، وقد شكّلت أسنانه المتساقطة على قميصه قلادة غجرية، وتذكر أنك كنت واقفًا للتو في المكان نفسه الذي يقف فيه، فإن مشاعرك ستموت، وستكون مثل أرنب ضُرب بقطعة خشب وتمدد على الأرض، أنفاسه تعلو وتهبط، لكن عينيه

تنظران إلى مكان آخر. وعندما تعود تلك المشاعر إلى الحياة،
فستشعر بالأمل، وبأنك لا تزال إنسانًا موجودًا.
"سوف أبقى".

فاقترب مني وضغط على كتفي قائلاً: "شكرًا لك يا ويليام".
تساقط المطر ممزوجًا بحبات برد تلسع كالنحل، فعاد إلجين
إلى المنزل الكبير، وعدت أنا إلى الصغير.

في تلك الليلة، عصفت الرياح بقوة في الخارج، حاملة
حبات البرد لتطرق بشدة على النوافذ. حلمت بقمر أجوف
ممتلئ بشياطين يأكل بعضها بعضًا، وكانت تأكل نفسها حية
كما يفعل ثعبان الأوروبورس، وأتيحت لي فرصة رؤية المنزل
الأحمر ذي الباب الأخضر في الأسفل.

استقبلنا حالتين أخريين قبل النهاية. كانت الحالة السادسة
امرأة تدعى أنيت كروسبي، وقد صرخت إلى أن أيقظت
نفسها. وعندما هدأت، قالت إنها حلمت بالمنزل الأحمر
وفتحت الباب الأخضر، ولكنها لا تذكر شيئًا باستثناء الظلام
الدامس والرياح والرائحة النتنة، بالإضافة إلى صوت مجهول
نطق بكلمات غير مفهومة بدت وكأنها تانتولاه أو تامتوشا.
لقد ارتعبت كثيرًا، حتى إنها قالت إنها لا تريد أن تحلم بذلك
المنزل مجددًا وإن كان المقابل ثمانمئة ألف دولار، ولكنها
أخذت الشيك من إلجين. ولم لا؟ فهي تستحقه.

بعد ذلك جاء بيرت ديفرو، وهو مدرّس رياضيات في
أكاديمية سانت دومينيك في لويستون. ملأ استثماره العقد،
وقبل أن يضع توقيعه عليها، سأل إلجين عدة أسئلة أكثر مما
سأله الآخرون. معظمها كان عن المنوم الخفيف الذي

سيتناوله. فأجاب إلجين عن كل الأسئلة ليشعره بالرضى. وقّع العقد، وأخذ مكانه على الأريكة، وتجرع السائل من الكوب. فأخذت مكاني أمام الزجاج أحادي الاتجاه، ووضعت الدفتر على ركبتني، فيما جلس إلجين خلف مكتبه وشغل الموسيقى. في غرفة الاختبار، كان السيد ديفرو يدرس صورة المنزل الأحمر ذي الباب الأخضر. وفي النهاية، بدأت عيناه تغمضان، وأخذت الصورة تتدلى من يده. كان الأمر يجري كما جرى مع جميع الحالات السابقة. إلى أن لم يعد كذلك...

كانت قد مضت عشر دقائق، وأنا أجلس على الكرسي وإلجين يقف إلى جانبي. مُغمضًا عينيه، مَد ديفرو يده إلى الدفتر حيث وُضع القلم على الصفحة المقلوبة، ثم أسقط يده مرة أخرى. بدأت يده تنقبض وتنبسط مجددًا، ثم ارتفعت يده الأخرى عاليًا، وبتردد، ثم تحرّكت بسرعة خاطفة...

وكتب بوضوح: 3:29 عصرًا. وبعد ذلك، رفع ديف يده اليمنى جاعلاً منها قبضة، ولكمّ خذّه.

"إنّه يحاول إيقاظ نفسه."

ثم بدأ جسد ديفرو يرتعش وكأنه يعاني من الحمى، وارتجفت ساقيه وتقاطعتا، وتقوّس ظهره. وبعد ذلك، ارتفع وسطه عن الأريكة وهوى مجددًا، ثم ارتفع مرة أخرى. وبدأت قدماه تتراقصان، وأصدر صوت "مممم" وكأنّ شفّتيه مطبقتان وهو يحاول فتحهما ليتمكّن من النطق.

"يجب أن نوقظه."

"انتظر."

"يا إلهي، إلجين".
"انتظر".

ومضت كاميرات البولارويد، وتطايرت الصور صوب الأرض، في جانبنا وفي جانبه، كانت تتوضح بالفعل. بدأ جفناه ينتفخان إلى أن توزمت عيناه تحتها حتى أصبحتا بحجم كرة الغولف. لم يفتح جفناه بشكل طبيعي بل انشقا شقا. وعلى الزغم من أن عيني ديفرو كانتا رماديتي اللون، إلا أنهما الآن تبرزان من محجريهما بلون أسود قاتم. كانتا تنموان وكأنهما ورم على وجهه. اشتدت يد إلجين على كتفي، ولكنني بالكاد شعرت بذلك. ولم يتجزأ أي منا على أن يسأل عفا يحدث؛ ليس لأننا لا نستطيع تصديق ما يحدث، بل لأننا استطعنا. كان ذلك غريبًا مثل غرابة رؤية خروج قاطرة من مدفأة.

وفجأة، صرخ ديفرو، وانشقت مقلتا عينيه، وبرز منهما شيء بدا وكأنه عريشة لولبية رفيعة أخذت بالتمايل، تشبه عريشة الهندباء ولكنها سوداء اللون. لم يكن هناك أي تيار هواء في الغرفة ليحركها، ولكنها انحنت نحو الزجاج أحادي الاتجاه من تلقاء نفسها، وكأنها استشعرت وجودنا.

"يا إلهي! إلجين!"

ومضت كاميرات البولارويد مجددًا، فيما انفصلت العريشة اللولبية عن منبتها في محجري عينيه الأسودين واتجهت نحونا. في البداية، شكّلت سحابة صغيرة، ثم ما لبثت أن اضمحلت وتلاشت أثناء اقترابها.

وصرخ إلجين: "أنا أحتاج إليها! أنا أحتاج إليها! إنها الدليل!"

فأثَّجه نحو الباب، ولكنني أمسكت به ومنعته من ذلك. عندها، أخذ يصارع قبضتي، ولكنني كنت أقوى منه. إذ ما كنت لأدعه يدخل إلى هناك؛ ليس لأنني أهتم لأمره بما يكفي لأنقذه من نفسه، بل لأنني لم أشأ أن يفتح ذلك الباب ويسمح لذلك الشيء بالخروج.

وما هي إلا لحظات حتَّى بدأت مقلتا ديفرو السوداوان المشقوقتان تعودان إلى وجهه، وبدا الأمر أشبه بمشاهدة فيلم بشكل عكسي. كان يصدر أصواتًا غير مفهومة ويقول: "ممب ممب ممب". ثم استحال بنطاله عند حوضه داكنًا بعد أن أفرغ مئانته، وأخذت عيناه تعودان إلى شكليهما الطبيعي. في البداية، كانت هنالك ندبة، ولكنها اختفت بعد برهة، وعادت ملساء مجذَّاء؛ باستثناء نتوء صغير يشبه تلك العقدة التي نراها على لحاء الأشجار المعمرة في بعض الأحيان. ثم عادت عيناه إلى الداخل فأغمضهما، وبعد أن تلقى خصره سقط أرضًا.

عندها، أفلت إالجين من بين يديّ بسرعة، وتمزَّق قميصه الأبيض إثر ذلك. ثم خرج من الباب، والتفَّ حول الحاجز ليصل إلى النصف الآخر من الغرفة، وبعد ذلك انحنى على الأرض، ولفَّ ذراعيه حول كتفي ديفرو.

"ساعدني يا ويليام، ساعدني".

إن كان ديفرو ميثًا فأنا أتحمل جزءًا من المسؤولية. أدركت ذلك مع أنني كنت مصدومًا. لن ينجح الأمر بأن أقول إنني مجرد شاهد بعد الآن. فقد أصبحت شريكًا في الجريمة، ولذلك التففت حول الحاجز لأصل إلى غرفة الاختبار، وسألت

إلجين عقًا إذا كان يتنفس.

وعلى الفور، انحنى فوقه، ثم تراجع مجفلاً.

"نعم. لكن أنفاسه كريهة الرائحة".

لم تكن أنفاسه فقط كريهة الرائحة، بل كل جسده؛ لأنه تبؤل على نفسه.

في تلك اللحظة، نظرت حولي، ورأيت أن الأجزاء اللولبية السوداء لم تختفِ كلها. فبعض من ذلك الشيء الذي استدعاه ديفرو من المنزل الأحمر عندما رفع أرضية غرفة المعيشة، طاف في الغرفة، واستقر تحت مكبرات الصوت.

راقبته، وقررت أن أهرب إن تحرك نحونا، وأن أترك العالم النبيل ينقذ نفسه بنفسه. ففي نهاية الأمر هو صاحب التجربة. ولكن، حتى في تلك اللحظات الحرجة كنت أفكر في النجوم البعيدة التي لم يرصدها أي تلسكوب حتى الآن، وفي العوالم الداخلية لمئات الآلاف من حبات الرمل، فأدركت أنها كانت تجربتي أنا أيضًا.

لم أغادر. فعلى الرغم من أنني كنت أستطيع المغادرة، إلا أنني لم أغادر. إذ كنت أشعر بوخزة في داخلي أشعرتني بأنني أوشك على أن أعود إنسانًا مجددًا؛ لو افترضنا بأن ذلك موجود. بدا الأمر وكأن طرفًا قد أصابه الخدر فسقط ميتًا ثم عاود الارتعاش.

"علينا أن نخرجه من هنا". وأشارت إلى اللوالب السوداء التي كانت تتحرك بهدوء مقلق. وظننتها تراقبنا.

"أحتاج إلى عينة".

"بل تحتاج إلى التفكير في كيفية ظهورك بملابس السجناء.
ساعدني".

وهكذا، رفعناه. أمسكت بكاحليه، فيما تولّى إلجين أمر بقية جسده. أخرجناه من الباب باتجاه غرفة المعيشة، ووضعناه على أرضيتها، فيما كان اللعاب يسيل من جانبي فمه. عدت إلى الداخل، وأوصدت الباب المزدوج في وجه تلك الأشياء السوداء، إلا إذا كانت تستطيع العبور من خلال الشق أسفل الباب. أتمنى أن يختفي ما تبقى منها. وإذا أراد إلجين العبث مع ذلك الشيء فتلك مسؤوليته، أمّا أنا فقد انتهيت من هذا الأمر.

لكن بقيت مسألة ديفرو. طلبت من إلجين مساعدتي لنجلسه كي لا يختنق، إن تبقى فيه شيء من الحياة. وهكذا، شبكنا أيدينا خلف ظهره، ورفعنا أعلى جذعه، فتساقطت من زوايا عينيه دموع حمراء داكنة... دم وشيء آخر، لا أريد أن أعرف ما هو الشيء الآخر. صفعته على خده، وانحنيت على مقربة من أذنه، وطلبت منه أن يستيقظ، خائفًا مما ستبدو عليه عيناه إن فعل ذلك.

وعلى الفور، فتح عينيه وكانتا محتقنتين بالدم وقد استعادتا لونهما الرمادي، لكن نظرتهما كانت فارغة. طقق إلجين أصابعه أمام وجهه، لكن شيئًا لم يتغير، ثم دفعت أصابعي نحو عينيه، غير أنني لم أتلّق أي استجابة. لقد كان دمية بشرية تتنفس.

"يا إلهي! هل سيعود إلى وضعه الطبيعي؟"

"لا أعرف إن كان سيعود؛ فأنت العالم ولست أنا!"

عندها، رفع إلجين إحدى يدي ديفرو وتركها، فهوت مجدداً.
قال إلجين: "سنتظر لساعة من الآن".

انتظرنا لمدة ساعتين. وبحلول ذلك الوقت اختفت معظم الأشياء اللولبية السوداء، وجمع إلجين القليل منها في كيس بلاستيكي أسود بعد أن ارتدى قفازاً مطاطياً وقناعاً على وجهه. حاولت إيقافه، ولكنه لم يستمع إليّ. خشيت أن تنصهر هذه الأشياء بين يديه، إلا أن ذلك لم يحصل، ولكن واحدة من تلك الأشياء اللولبية التفت حول سبابته فكشطها بصعوبة إلى داخل الكيس.

قلت له: "أنت أحرق لعبتك بتلك الأشياء". فكرر ما قاله لي سابقاً: "دليل".

لم يكن جيداً بالنسبة إليّ أن أكون مقيداً به بهذا الشكل، ولكن أستاذ الرياضيات تحوّل إلى دمية يسيل لعابها، ولم يبدُ أنه سيعود في وقت قريب، وكان عليّ التعامل مع الأمر. أن لا تكون له زوجة ولا أطفال فهذا جيد. شعرت بأنني محاصر ووجب عليّ تخليص نفسي.

"هل سلمته الشيك؟"

"ماذا؟ لا، أنا أعطيتهم الشيك بعد أن تنتهي التجربة، أنت تعرف ذلك".

"إذا، أحرقه. سنعتبر أنه لم يأت إلينا، كما لم يأت بيلسون".

يا لها من طريقة للعودة إلى الحياة.

أخرجت مفاتيح سيارته من جيب بنطاله المبلل ببوله. وحملناه إلى سيارته مثل كومة من الغسيل الثقيل والرطب،

ووضعه على مقعد الراكب، فمال إلى الأمام، واستقرت
جبهته على لوحة قيادة الشيفروليه. طلبت من إلجين أن
يثبته إلى الخلف، وربطت حزام الأمان. لم تكن كل السيارات
مزودة بأحزمة الأمان، ولكن هذه السيارة كانت مزودة بحزام.
كان حزامًا بثلاث نقاط من النوع الذي يضم حزامًا للصدر؛
الأمر الذي ساعد في تثبيت جسده في وضع مستقيم، ولكن
رأسه ظل منحنيًا إلى الأسفل فاستقر ذقنه على صدره. أعتقد
أن ذلك يبدو جيدًا، قد يظن من يراه أنه نائم. خرجت إحدى
تلك الأشياء السوداء من أنفه وطافت نحوي، لكن إلجين الذي
كان يرتدي القفاز التقطها ونفخها بعيدًا. فتساءلت عما إذا كان
هنالك المزيد منها داخل جسد ديفرو.

"ماذا ستفعل به؟"

"لا أعرف."

دخلت الشيفروليه، وانطلقت مرة أخرى في طريق ليك رود.
نظرت عبر مرآة الرؤية الخلفية، فرأيت إلجين واقفًا عند باب
المدخل وهو يراقبنا نبتعد.

قدت تاركًا النوافذ مفتوحة، وشغلت التكييف على أعلى
درجة، وكنت قد لبست زوجًا من القفازات المطاطية الخاصة
بإلجين منذ أن صعدت إلى السيارة. خرجت قطعتان من تلك
المادة السوداء من أنفه مرة أخرى، ومرة من فمه المفتوح،
ولكن الهواء دفعها إلى خارج النافذة.

كنت أقود باتجاه لويستون-أوبرن، ولكنني لم أنو الوصول
إلى هناك. كنت أعرف مكان سكناه؛ فقد كان عنوانه في شارع
مينوت مدونًا في الاستمارة، ولكنني لم أكن لأقود به إلى

المدينة التوأم ولا سيما أنني ما زلت بحاجة إلى نقله إلى مقعد السائق، لذا كنت بحاجة إلى مكان هادئ لفعل ذلك.

كنث على الطريق 119 في واتفورد، وعندما وصلت إلى استراحة وولف كلو لم يكن هناك أحد في هذا الوقت الحار من النهار. ركنت السيارة بين الأشجار، والتفتت باتجاه مقعد الراكب، ثم فتحت الباب، وحللت حزام الأمان، فانحنى ديفرو إلى الأمام واستقرت جبهته على لوحة القيادة مجذّداً. تمنّيت لو أنني طلبت من العالم النبيل أحد أقنعة الوجه، ولكن ما الفائدة المرجوة من تغطية فمي وأنفي؟ إذ لم تكف تلك الخيوط السوداء عن الخروج من عيني ديفرو، وقد تصل بسهولة إلى عيني. لم يكن بمقدوري الادّعاء بأنها قد اختفت جميعها؛ رغم أنني لم أرَ أيّا منها منذ عشرة أميال، ولكن من المحتمل أنها قد خرجت وطافت في الهواء عبر النافذة المفتوحة فيما كنث مشغولاً بمراقبة الطريق.

سحبته نحوي، وأمسكت به، وأخرجته من السيارة، ثم جرّته حول غطاء الأمامي لمحرّك السيارة. كان ينتعل حذاء بلا رباط فسقطت منه إحدى فردتيه، وحدث عيناه الخاليتان من أيّ تعبير مطولاً إلى الشمس. وضعته خلف المقود، واستغرقني فعل ذلك وقتاً. إذ لم يكن الأمر سهلاً، ولم أتوقع أن يكون سهلاً. إنه يتنفس، ولكنه ميت من الداخل. ومن خلال تجربتي في فيتنام، أعرف أنّ الموتى أثقل من الأحياء. لا يفترض بهم أن يكونوا أثقل ولكنهم أثقل، إذ يبدو أنّ الجاذبية شرهة تجاه الموتى وتريدهم داخل الأرض. هذه وجهة نظري، وقد يشاركني البعض إياها.

انحنى مجدداً إلى الأمام، ولكنني أمسكت به، ورفعته قبل أن تضغط جبهته على بوق السيارة. ثم ربطت الحزام حوله، فتدلى رأسه حتى استقر ذقنه على صدره. ظننت أن ظهره مقبول، وتمنيت ألا يمز أحد من هنا قبل أن أرحل عن هذا المكان بأسرع ما يمكنني. وضعت المفاتيح في فتحة التشغيل، وأغلقت الباب، ثم سرت على الطريق 119.

كنت قد سرت حوالي ربع ميل قبل أن أتذكر الحذاء، فعدت أدراجي. ظننت أن شخصاً ما قد وصل إليه بالفعل خلال هذا الوقت، ونظر من خلال النافذة المفتوحة لسيارة الشيفروليه التي تحمل ملصق سانت دوم على واجهتها الأمامية، وقال: "مرحباً أيها السيد، استيقظ، هل أنت بخير يا سيدي؟ وبالمناسبة ما هذه الأشياء السوداء التي تخرج من أنفك؟"

ولكن، لم يصل أحد إلى هناك. فالتقطت الحذاء، وفتحت باب السائق مجدداً، ووضعت الحذاء في قدمه، ثم أخفيت آثار الأقدام التي تشكّلت حول مقدمة السيارة جراء جزي له، وغادرت.

قطعت خمسة أميال، وبدأ ظلي يمتد طويلاً خلفي. وصلت إلى متجر عام ومحطة وقود فيها حجيرة هاتف جانبية. كان لديّ ما يكفي من النقود في جيبتي. لذا، لم أكن مضطراً إلى دخول المتجر حيث قد يراني أحدهم ويتذكر وجهي. ربما ستكون الأمور بخير. يبدو لي أنني بدأت أفكر مثل لص أو قاتل.

اتصلت بالجين؛ إذ كنت بحاجة إلى من يقلّني، ولكنه لم يجب فقلقت. لديّ خطة الآن، خطة قد تخرجني أنا والعالم

النبل من هذا المأزق، ولكن يبدو أن الخطط تتغير على الدوام. ظلت أفكر فيه وهو يقول: "دليل، دليل"، لقد كان مجنونًا. ثم فكرت: متى أدركت ذلك؟ لقد أدركت ذلك منذ البداية، ولكنني تابعت الأمر رغم كل شيء.

بعد ذلك، استدرت في الاتجاه الآخر. والآن أصبح ظلي أمامي ولم يعد خلفي، وبدأ أطول من السابق. أشرت بإبهامي إلى سيارة مرت بالقرب مني، ولكنها تجاوزتني، كما فعلت سيارة أخرى. بعد ذلك، تمهلت عربة بيك آب قبل أن تتوقف، يقودها رجل أحمر الوجه ورمادي الشعر.

"إلى أين أنت ذاهب؟"

"كاسل روك، حيث يعيش والدي."

"حسنًا، اصعد. هل خدمت في الجيش؟ يوحى شكك بأنك خدمت، كما أن سنك تبدو مناسبة."

"نعم يا سيدي، لقد خدمت."

"وأنا أيضًا، خدمت منذ فترة بعيدة."

عندها، رفع المقبض بغضب، وتحدث عن كوريا، وسألني عن أولئك الذين ينادون بالسلام ووافقته الرأي. قال إننا يجب أن نرسلهم جميعًا إلى هاي-بيري اللعينة، ووافقته على ذلك. ثم عرض علي زجاجة من الشراب فقبلت العرض، وعندما قال: "تناول واحدة أخرى أيها الجندي"، فعلت ذلك. بعد نصف ساعة، توقف إلى جانب الرصيف في الشارع الرئيسي من كاسل روك.

"سنهزم أولئك الملاعين."

"نعم، سنهزمهم يا سيدي".

"اعتنِ بنفسك يا بني".

"هذا ما أنوي القيام به".

ثم انطلق بعيدًا. وبحلول ذلك الوقت كان المساء قد حل، وتشكل المزيد من السحب الرعدية في الغرب. سرت ستة أميال على طريق ليك رود، وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى هناك كان المطر قد تساقط مجددًا فوق البحيرة. لمع البرق، وقصف الرعد، وفاحت في الجو رائحة المطر ورائحة الأشياء المحروقة. كانت سيارتي مركونة إلى جانب سيارة إلجين. ولجت إلى الداخل، ولم يكن قد أضاء الأنوار في الداخل، وكان الظلام مخيفًا على الممر.

"إلجين".

غير أنني لم أتلق إجابة. كانت غرفة المعيشة فارغة، والكتب مبعثرة في كل زاوية، وكتاب "ما وراء جدار النوم" مفتوحًا. ووجدت على الطاولة منفضة سجائر زجاجية وعلبة سجائر وينستون، وولاعة إلجين. أخذت الولاة ووضعتها في جيبتي، ثم اتجهت نحو غرفة الطعام السابقة، وفكرت في الدخول إلى القسم الذي يحتوي أريكة المرضى. ولكن لحسن الحظ خطر لي ما هو أفضل، فدخلت بدلًا من ذلك إلى غرفة المكتب، وجلست على كرسيي، ونظرت عبر الزجاج أحادي الاتجاه.

ما تبقى من العالم النبيل كان مستلقيا على الأريكة، وقد تبعثرت صور البولارويد في كل مكان، وكان الكوب محطما بينها. كان رأسه داخل ما يبدو أنه كيس أسود، وبعض الصور

التي التقطت وجهه أظهرت تشكّل ذلك الكيس فوق وجهه أثناء نومه. كذلك كانت صورة المنزل الأحمر ذي الباب الأخضر على الأرض، بالإضافة إلى الكيس البلاستيكي الذي وضع العينات التي جمعها داخله. الكيس فارغ الآن، وما تشكّل فوق وجهه تكوّن من تلك الأشياء التي كانت تمتص ما تبقى من فمه وهو يتنفس.

فكرت فيه وهو يخبرني عن الأكوان اللانهائية فوق رؤوسنا وتحت أقدامنا، وفكرت في وجه ذلك الرجل وهو ينزل عن جمجمته، وبالمروحية المحترقة وهي تغرق في البحر، وبحذاء ديفرو الذي وضعته في قدمه. فكرت في تلك المخلوقات السفلية المجهولة التي قد تكون موجودة تحت حاجز الأحلام، وفكرت في أن الخطط قد تتغير حقًا. لم يعد بمستطاع إلجين النجاة ولكنني أستطيع.

في تلك الأثناء، استشعرت بعض تلك الخيوط السوداء وجودي، فاستقامت ونهضت من الكيس الأسود، وعبرت الغرفة لتلتصق على الزجاج، وتبعها المزيد. راقبتها بحذر وهي تتلوى حتى شكّلت اسمي على الزجاج: ويليام ديفيس.

كان هناك موقد غاز في المطبخ، فشغلت كل المفاتيح واحدًا تلو الآخر، وشغلت الفرن وتركت بابه مفتوحًا، اشتعلت بداخله شعلة صغيرة فأطفأتها.

وبينما كنت أعد هذه القنبلة الغازية، واصلت اختلاس النظر خلف ظهري متأهبًا لتلك المادة السوداء. كنت شديد القلق والرعب. أغلقت النوافذ والأبواب، وتوجّهت إلى المنزل الصغير حيث جمعت أمتعتي في حقيبة واحدة وضعتها في

صندوق سيارتي، ثم عدت إلى الشرفة. انتظرت وأنا أفتح الولاة وأغلقها.

ضرب البرق البحيرة ودوى الرعد، وبعد عشر دقائق انهمر المطر. في البداية، هطل خفيفًا، ومهد الطريق لعاصفة هوجاء. عندها، فتحت الباب، فشمت رائحة الغاز كريهة. أشعلت الولاة وألقيتها، ثم ركضت مسرعًا إلى سيارتي. وصلت إليها معتقدًا أن شيئًا لن يحدث، وعندها انفجر المطبخ. انهمر المطر بغزارة، وأنا أبتعد بسيارتي. نظرت عبر مرآة الرؤية الخلفية، فرأيت المنزل يحترق كشمعة أسفل سماء سوداء يعصف بها الرعد. كانت هناك منازل وأكواخ صيفية على طريق البحيرة، ولكن أحداً لم يخرج منها بسبب العاصفة. ولو نظر أحدهم من النافذة، فلن يرى سوى ظل أسود على هيئة سيارة خلف المصاييح الأمامية.

قدت خارج كاسل روك باتجاه هارلو. في تلك الأثناء، خف هطول المطر قبل أن يتوقف نهائيًا. رأيت قوس قزح عبر مرآة الرؤية الخلفية، قبل أن تغرب الشمس وراء الجبال في نيوهامشير. ثم غابت الشمس، وتلاشى قوس القزح كما تنطفئ لافتة نيون. أمضيت الليلة في فندق في غيتس فولز. وفي الصباح، قدت إلى بورتلاند، قاصدًا مسكن الغرف المشتركة الذي سكنت فيه عندما كنت أعمل في "تيمب-أو". فوجدت على النافذة الأمامية لافتة تفيد بأن هناك غرفة للإيجار. رننت الجرس، وأجابت السيدة بليك: "أنت مرة أخرى".

"نعم. تفيد اللافتة أن لديكم غرفة للإيجار".

"صحيح. ولكنها ليست غرفتك، إنها في الطابق الثالث ولا
تكييف فيها".

"هل هي أرخص من غرفتي السابقة؟"
"لا".

"سأستأجرها".

وفي اليوم التالي، عدت إلى "تيمب-أو" واستعدت وظيفتي.
لم أكن أخطط للعمل عند السيدة فروبيشر لفترة طويلة،
ولكنني أردت أن أكون في عمل عند قدوم الشرطة. كان
بيرسون في غرفة الاستراحة، وكذلك ديان. غرض برنامج
حواري على التلفاز. فابتسمت لي ديان ابتسامة صغيرة
ملتوية وقالت: "مرة أخرى نواجه التحديات أيها الرفاق".

كان بيرسون يقرأ الجريدة والأوراق متراكمة عند حذائه.
حذجني بنظرة، ثم رفع الجريدة مجددًا.

فقلت لديان: "لقد عدت!!"

"وأنت أيضًا. ألم تجر الأمور بشكل جيد في منزل إلجين؟"
"بلى، لفترة من الزمن، ولكنه بعد ذلك بدأ يتصرف بغرابة
عندما أخفقت تجاربه".

"ها نحن ذا! كل الطرق تؤدي إلى "تيمب-أو"."

في تلك اللحظة، دخلت السيدة فروبيشر قائلة: "من يريد
تقديم إيداع في برون وكاثكارت؟"

غير أنها لم تنتظر إجابة، بل أشارت إلى امرأة جديدة لا
أعرفها: "أنت جانيل، بسرعة".

انتهى بيرسون من القراءة في قسم الأخبار المحلية في
الجريدة فالتقطتها. وفي أسفل الصفحة 1 بي، كان هناك خبر
غُنيون على الشكل التالي: "مات رجل من كاسل روك جراء
انفجار للغاز في بحيرة دارك سكور".

ذكر الخبر أنَّ الوفاة سُجِّلَت على أنها حادث أو محاولة
انتحار محتملة، وقيل إن النيران لم تنتشر بسبب الأمطار
الغزيرة.

قلت: "يا إلهي! لقد مات مديري السابق". وأريت ديان الخبر.
"من سوء حظه، ومن حسن حظك".

قرأت الخبر وقالت: "هل كان يُفكر في الانتحار؟" فأخذت
وقتي في الإجابة عن هذا السؤال.
"لا أعرف".

وفي اليوم التالي، كان لديّ عمل في المحكمة، وعندما
عدت إلى الشقة، كان هناك شرطيان ينتظراني في الصالة.
أحدهما بالزي الرسمي، والآخر محقق. قدّما نفسيهما وسألا
عن المدة التي عملت فيها لدى إلجين، فأخبرتهما أنني عملت
قراءة الشهر. وقلت لهما ما قلته لديان، وشرحت أنَّ إلجين
بدأ يتصرف بغرابة عندما أخفقت تجاربه، ولهذا السبب
غادرت. نعم، كنت أعيش في منزل الضيوف، ولكنني انتقلت
عندما قدمت استقالتني. لا، لم أكن هناك عندما انفجر منزله.
سألاني إذا كنت أعرف رجلا يدعى بيرتون ديفرو، فقلت إنَّ
الاسم مألوف بالنسبة إليّ، فقد كان على قائمة المشاركين في
الاختبار، ولكنني لم أقابله شخصيًا. عندها، أعطاني المحقق
بطاقته، وطلب مني الاتصال به في حال تذكرت شيئًا آخر.

وأخيرًا، سألت المحقق عما إذا كان يشك في أن إالجين قد انتحر.

"هل سيفاجئك ذلك، سيّد ديفيس؟"

"لن يفاجئني كثيرًا".

"لقد فتح غاز الموقد والفرن، ووجدنا بقايا منصهرة من ولاعته على ما تبقى من أرضية المطبخ، فما الذي تظنه؟"

ما أظنه هو أنه لو كان محققًا فطنًا لتساءل عن سبب وجود الولاعة في المطبخ بينما غثر على إالجين مستلقيًا على الأريكة في غرفة الطعام، ولكنني لا أظن أنه كان بمثل هذا الذكاء.

عملت في "تيمب-أو" لغاية أيلول، ثم قدّمت استقّالتي وقّدت إلى نبراسكا. لم يكن هناك سبب يدفعني للذهاب إلى نبراسكا، بل كانت مجرد مكان اخترت الذهاب إليه. حصلت على عمل مؤقت في مزرعة، في إحدى تلك المنشآت الزراعية الكبيرة، وسمح لي رئيس العمال بالبقاء بعد انتهاء موسم الحصاد.

أنا هنا الآن. تتساقط الثلوج بغزارة، فيما طريق أر 80 مغلق. أجلس إلى المكتب وأفكر في مجزّات داخل مجزّات. بعد قليل، أغلق دفتري، وأطفئ النور، وأخلد إلى النوم، هدهدني صوت الرياح حتى نمت.

في بعض الأحيان، أحلم بأراض نائية ورجال في النار يصرخون، وأحيانًا تكون النساء هن اللواتي يصرخن في النار، أطفال "نهان تو": "الرحمة". تلك هي أحلامي الجيدة، صدق

أو لا تصدق، ولكن هذه هي الحقيقة. ففي الأحلام السيئة، أقف خارج منزل أحمر له باب أخضر، وإذا حاولت فتح الباب فأنا أعرف أنه سيُفتح. وأعرف أنني يومًا ما سأدخل، وأركع عند باب غرفة المعيشة، وسأصرخ: "نهان تو"، ولكن في الوقت الذي سأحلم فيه بهذا الحلم الأخير لن تكون هناك رحمة، لن تكون لي رحمة.

لأجل كورماك مكارثي وإيفانغلين والتون

سيّد الإجابات

1

ثمة شخص يدعى فيل باركر، أُتيحت له فرصة مقابلة سيّد الإجابات ثلاث مرات خلال حياته، ولا نعرف إن كان ذلك من حسن حظّه أو سوء حظّه. وكانت المرة الأولى التي قابل فيها سيّد الإجابات في العام 1937، وكان حينها في الخامسة والعشرين من عمره، وقد حصل على شهادة في القانون لتوه، ويستعد للزواج من خطيبته. وكان يواجه معضلة لا حلّ لها قُضت مضجعه لبعض الوقت.

على الرغم من ذلك، كان لا بد له من التفكير لإيجاد مخرج لتلك المعضلة بطريقة أو بأخرى. ولهذا الغرض، غادر شقيقته في بوسطن وتوجّه إلى بلدة كاري الصغيرة في نيوهامشير، حيث كان والداه يملكان منزلًا صيفيًا. فقد قرّر أن يمضي عطلة نهاية الأسبوع هناك في التفكير في الحل المناسب لمعضلته. جلس يوم الجمعة على السطح المطل على البحيرة، ومعه ست علب من الشراب، وفكّر في أزمته مطولًا إلى أن غلبه النعاس.

وفي صباح السبت، استيقظ وهو يعاني من صداع التّمالّة من دون أي حلّ لمشكلته. وعندما حلّ المساء، جلس على السطح مجددًا متأملًا البحيرة، ومعه ربع قارورة من شراب الزنجبيل، غير أنّه عندما استيقظ صباح يوم الأحد، لم يكن قد وجد حلًا لمعضلته أيضًا، ولكنه لم يعاني من آثار التّمالّة. وهذا تقدّم جيد، ولكنه غير كافٍ. عندما يعود مساء إلى بوسطن، ستكون سالي آن في انتظاره لتعرف قراره.

لذلك، بعد أن تناول فطوره، انطلق في سيارته الشيفروليه على الطرق الداخلية لنيوهامشير مستمتعًا بدفء شمس يوم جميل من أيام تشرين الأول. كانت أشجار الخريف شعلة من لهب، حتى إنه توقف عدة مرات ليتأمل المشاهد الخلابة، وفكر في أنه لا جمال يضاهي جمال نيوهامشير في الخريف. ومع حلول المساء، أخذ يوبخ نفسه على تلكته، فاحتسى الشراب حتى الثمالة، كما تناول شراب الزنجبيل؛ ولكن ذلك لم يجد نفعًا. وعلى الرغم من أنه أدرك أن الاستغراق في تأمل سحر طبيعة الخريف لن يحل معضلته، إلا أنه شعر بأن انغماسه الكلي في تأمل هذه المناظر لم يكن مجرد انسجام مع الطبيعة. لقد شعر بأنه إما أن يكون جزءًا من الحل، وإما أن عقله يحاول التملص من اتخاذ قرار مصيري سيغير حياته وحياة خطيبته إلى الأبد. يبدو أنه نوع من النضج، هذا ما أخبر به نفسه، ولكن فكرة اختيار شيء واحد كانت مقبلة بالنسبة إليه، وهو يعرف أن عليه الاختيار في نهاية الأمر، أعجبه ذلك أم لم يعجبه. بدا الأمر بالنسبة إليه أشبه باختيار الزنزانة التي تود قضاء حكمك المؤبد فيها، ووجد ذلك سخيًا ومبالغًا فيه بعض الشيء.

ولكن مشكلته مع كل هذا كانت بسيطة وواضحة؛ كما هي الحال مع معظم القضايا الصعبة في مهنته. فكر في اختياره لدراسة القانون، وكيف أن كل قرار يتخذه في حياته يحمل معه تبعات لا مفر منها.

كان والد فيل شريكًا مهمًا في مكتب محاماة عريق في بوسطن، معظم المحامين فيه مُتخرجون في أهم الجامعات

المرموقة، ويتولى هذا المكتب إدارة شؤون العديد من الشركات المعروفة مثل: وارويك، لودج، نيستور، باركر، ألبرتون وفراي.

وكان والد سالي آن شريكًا في المكتب ذاته. جون باركر وتيد ألبرتون كانا صديقين مقربين منذ دخولهما إلى الكلية. وقد تزوجا بفارق أقل من عام، وكان كل منهما إشبينًا للآخر. وُلد فيل باركر في العام 1912، وُولدت سالي في العام 1914. وقد أمضيا طفولتهما معًا، وحافظا على تقاربهما حتى خلال الفترة الصعبة من سن المراهقة التي يميل فيها المراهقون إلى ازدياد الجنس الآخر.

وكان أهل فيل وسالي أقل الناس اندهاشًا عندما بدأ فيل وسالي يتواعدان، ولكن لم يعتقد أحد من العائلتين أنَّ علاقتهما ستستمر؛ لأنهما سيفترقان لمدة أربع سنوات خلال دراستهما. فقد اختارت سالي جامعة فاسار، بينما اختار فيل هارفارد. وعندما حدث ذلك، كانت العائلتان مسرورتين. وبالطبع، كان ذلك حال فيل وسالي. إذ لم يكن الحب هو المشكلة - على الأقل، ليس بشكل مباشر - ولكنه أدى دورًا كبيرًا، كما يفعل دومًا.

كانت المشكلة هي كاري، تلك البلدة الصغيرة على خط الولاية بين ماين ونيوهامشير؛ حيث امتلك كل من عائلة باركر وعائلة ألبرتون منزلًا صيفيًا على قطعتي أرض متجاورتين على شاطئ البحيرة.

لقد أحب فيل بلدة كاري بالقدر نفسه الذي أحب فيه سالي آن، ويبدو أنه مضطر للاختيار بينهما في الوقت الحالي. فقد

أراد أن يجعل من كاري مقرًا لمكتبه، على الرغم من أن عدد سكانها لا يتجاوز الألفين. ويضم مركز البلدة حيث يتقاطع شارع 23 مع شارع 111 مطعمًا، ومحطتي وقود، ومتجر معدات، ومتجر بقالة، ومقر البلدية. لم يكن هنالك مقهى أو سينما. ولتحظى بتلك الرفاهية، سيتوجب عليك الذهاب إلى نورث كونواي التي كانت بعيدة قليلًا. وهناك مدرسة ابتدائية، ولكن ليست هناك مدرسة ثانوية، لذا كان المراهقون يستقلون الحافلة إلى مدرسة باتن الثانوية التي تبعد مسافة عشرة أميال.

وكذلك لم يكن هناك أي محام في البلدة. وقد يكون باركر هو المحامي الأول؛ ولذلك اعتقدت العائلتان أنه مجنون لمجرد تفكيره في أن تكون كاري مقرًا لمكتبه. وقد أصبح جون باركر مجروحًا وغاضبًا على حد سواء؛ لأن ولده لم يفكر في الانضمام إليه والعمل في مكتبه، حيث كان جده أيضًا شريكًا مهمًا فيه منذ الأيام التي كانت الخيول فيها تجر العربات. كما قال إنه من الصعب تصديق إقدام شاب تخرج بمرتبة شرف في كلية الحقوق في هارفارد على التفكير في ممارسة المهنة في برية نيوهامشير، والتي كان يدعوها البرية المنسية، (في بعض الأحيان بعد كأس أو اثنتين من الشراب كان يدعوها البرية اللعينة).

قال جون: "سيكون عملاؤك من المزارعين الذين يقاضون بعضهم بعضًا بسبب أبقار تجاوزت حدود أسوارهم. وأكبر قضاياك ستتعلق بالصيد غير الشرعي أو الحوادث البسيطة على الطريق 23، لا بد أنك تمزح!" ولكن الرعب الذي بدا على

وجهه أوحى بأنه بات متأكدًا من أن ابنه كان جادًا في قراره
ذاك.

وكان تيد ألبرتون أشد غضبًا من صديقه القديم؛ فهو يمتلك
سببًا خاصًا لغضبه، بالإضافة إلى الأسباب التي صرح بها
جون. فإذا أقدم فيل على خطوته هذه فهو لن يدقر مستقبله
فقط، بل سيأخذ معه رهينة، وتلك الرهينة هي سالي آن.

لذا، عندما أصرّ فيل على موقفه، حسم تيد الأمر بطريقة
قاسية وقاطعة: "سأمنع هذا الزواج".

فأجابه فيل بهدوء محاولًا قدر الإمكان البقاء مهذبًا:
"سيدي، أنا أحب سالي آن وهي تحبني، وهي تجاوزت السن
القانونية".

"هل تقصد أنها ستتزوجك من دون موافقتي؟" وتيد رجل
صارم ومتمسك بالتقاليد. وهو عريض المنكبين، وعينه
الزرقاوان توحيان باللفظ عادة، ولكن في تلك الليلة كانت
نظرتهم قاسية مثل الحجر. "هذا صحيح، تستطيع ذلك. أنا
أحبك يا فيل، ولطالما أحببتك. ولكن، إن أصررت على قرارك
هذا فلن تحصل على مباركتي لهذا الزواج، وأعتقد أن هذا
سيجعل سالي آن تعيسة، وأشك في أنها قد تقدم على مثل
هذا الأمر".

عندها، نظر فيل إلى تينك العينين المتحجرتين، وفهم أن
تيد ألبرتون كان يقلل من شأن الأمر، ومتأكدًا من أن سالي آن
لن تُقدم على الزواج به.

لا يعرف فيل ما إذا كانت ستفعل ذلك أو لا، وخاصة إذا
حرمها السيد ألبرتون من مهر الزفاف. غير أنه كان متأكدًا

من أن سالي ستفهمه أكثر مما يفعل هذان العجوزان اللذان لا يستطيعان أو لا يريدان أن يفهما. وهو يعرف أنها راغبة في ما يرغب فيه. ففي نهاية الأمر، هي أيضًا أمضت عطلاتها الصيفية وفترات الكرسمس المثلجة والساحرة في كاري.

ولم تتامل من الإنصات إليه وهو يخبرها أن كاري وكل جنوب نيوهامشير سيتطوران وينموان. في البداية سيكون الأمر بطيئًا؛ هذا ما قاله لها في ذلك الصيف، عندما كان يحاول إقناع والديه أو حتى عائلتها بخطته المبدئية. "سينتهي الكساد الكبير فعليًا بعد سبع سنوات أو نحو ذلك، إلا في حال اندلاع الحرب. والدي يعتقد ذلك، ولكنني لا أعتقد أن الحرب ستندلع. وسيبدأ النمو في منطقة نورث كونواي وينتشر من هناك. وبحلول العام 1950، سيكون هناك المزيد من الطرق السريعة؛ وهذا يعني المزيد من السياح، وبالتالي ازدهار التجارة. وسيأتي الناس بالآلاف، بل بعشرات الآلاف من ماساتشوستس ونيويورك يا سالي، سيأتون للسباحة في البحيرات النظيفة في الصيف، ولتمتع بسحر الخريف، وللتزلج في الشتاء. يعتقد والدك أنني سأعيش فقيرًا وأموت فقيرًا، ولكنه مخطئ في ذلك".

للأسف، لم يحصل الأمر في العام 1950 ولا حتى في العام 1954، بل في العام 1937، ولم يكن قادرًا على إقناع أي منهم. ولو تجرأ وطلب من سالي أن تقف إلى جانبه، فهذا يعني تخليها عن عائلتها، أو تخلي عائلتها عنها. وبدا ذلك غير منصف بشكل فظيع، ولكن تركها معلقة إلى أن يتمكن هو من حل معضلته أمر غير منصف أيضًا. ولهذا السبب، أخبرها بأنه

سيأتي إلى كاري في عطلة نهاية الأسبوع ليتخذ قراره: إما الشركة في شارع الكومنولث، أو المكتب الخشبي في كاري إلى جانب سونوكو. إما بوسطن أو كاري، إما السيدة أو النمر.

(13)

لكنه حتى الآن لم يقرر، وبدأ الذعر ينتابه.

كان على الطريق 111، متجهًا نحو البحيرة. وكانت معدته تقرر بوتيرة منخفضة، وكأنها تؤنبه أيضًا على عجزه عن اتخاذ القرار.

كل ما تمناه هو أن يجعل والديه يتفهمان بأن الشركة لم تكن مناسبة له، فمكانه ليس هناك. وإذا كانت الشركة مناسبة لوالده وجده، ناهيك عن السيد المرموق تيودور ألبرتون ووالده، فهذا لا يعني أنها مناسبة له. حاول جاهدًا وبكل الطرق التي استطاع التفكير فيها إقناعهم بأنه قد يبرع في العمل في المبنى البني المزدوج في شارع الكومنولث، ولكنه سيكون تعيشًا ويأثسًا هناك. هل سيحمل معه تلك التعاسة إلى حياته الزوجية؟ ربما، وهذا احتمال وارد جدًا.

"هراء". هذا كان ردّ والده على ذلك. "فبمجرد أن تتعود على الشركة ستحبها. أنا أحببتها، وأنت ستحبها أيضًا. كل يوم هنالك تحدّ جديد! وليس مجرد دعاوى في محكمة الادعاءات الصغيرة بخصوص محارث مكسورة وعربات مزارع مسروقة".

تتعود... يا لها من كلمة! لقد رافقته طيلة هذه الفترة في الربيع والصيف. هذا ما تفعله مع الخيول؛ إذ تروّضها، وتجعلها تتعود إلى أن تصبح خيولًا مستهلكة، ثم ترسلها إلى مصانع

الغراء (14). شعر بأنّ المجاز على الرغم من أنه كان مسرحيًا،
إلا أنه كان واقعيًا.

أما والدته فقد تفهّمت مشاعره وقلقه، وكانت ألطف في
التعامل معه. غير أنّها قالت له: "لن تعرف ما إذا كانت الشركة
مناسبة لك أو لا ما لم تجرب ذلك". لقد كانت تلك النصيحة
هي الأكثر عقلانية وإغراء مما قيل له لصالح الشركة؛ فهو
يعرف نفسه. فقد كان طالبًا جيدًا جدًا في القانون، وربما لم
يكن جيدًا بما يكفي ليكون بارعًا، ولكن لا عيب في أن يكون
المرء جيدًا جدًا. كما لم يكن متمرّدًا؛ شأنه شأن سالي آن.
وإن كانت كذلك لما كانا مضطربين من فكرة مخالفة رغبات
والديهما، ولكنهما لم يعودا مراهقين بعد الآن.

اعتقد أنّه إذا عمل في الشركة، فسيجد في ذلك نوعًا من
التحدي الذي سيرغب في خوضه، وسيتعود على الأمر بمرور
الوقت، وسيعدل بشكل تدريجي عن فكرته في أن يكون أول
محام في بلدة صغيرة ونائية قد تنمو يومًا لتصبح مدينة
كبيرة وغنية. سيحدث ذلك ببطء في البداية، ثم ما إن يغزو
الشيب رأسه حتى يحدث ذلك بوتيرة أسرع. وبعد خمس
سنوات ستبدو الفكرة أشبه بحلم منها برغبة، وسيكون
هناك منزل وأطفال يحتاجون إلى الرعاية، رهائن أكثر للقدر.
وبمرور كل عام، بل كل شهر، بل كل يوم لعين، سيفقد التراجع
أصعب.

إنه مسار حياة بأكملها.

حاول تخيّل ما سيحدث: سيخبر سالي بأنه قرر الاستقرار
في كاري، وربما سيجعل والديه يساعدانها على الوقوف

على أقدامهما؛ حتى لو لم يُقدِّم والدا سالي على مساعدتهما. كانت لديه بعض المدخرات، وكذلك كان لدى سالي، ولكنها مدخرات قليلة. ستكون الحياة صعبة، ولكنها لن تكون مستحيلة. ظنَّ أنَّ تيد ألبرتون مخطئ بشأن عدم إقدام سالي على الزواج من دون مباركته له. وتجرأ وظنَّ أنه يعرف سالي أكثر مما يعرفها والدها. لكن كيف سيكون هذا الزواج الذي لن يباركه والدها؟ وهل كان من العدل أن يبدأ حياتهما وهما على خصام مع عائلتها بدلاً من تلقي دعمها؟

كانت أفكاره تتأرجح يمنة ويسرة، بين البلدة والمدينة، بين السيدة والنمر. وبينما كان يصعد إحدى التلال على الطريق 111، لفتت انتباهه لوحة صفراء زاهية، مكتوبة بخط اليد. وقد كُتب عليها: سيّد الإجابات على بعد ميلين. فارتسمت ابتسامة على شفتيه، ثم قهقه وهو يفكر في أنه سيكون من الجميل وجود شخص كهذا، وخاصة بالنسبة إليه.

استمر في القيادة، وبعد وقت قصير ظهرت لوحة أخرى، وكانت هذه المرة كهربائية زرقاء اللون كتب عليها: "سيّد الإجابات على بعد ميل واحد".

تجاوز فيل قمة تل آخر، وهناك في أسفل سفح التل، لاحظ نقطة حمراء زاهية إلى جانب الطريق. وعندما اقترب منها أكثر أدرك أنها مظلة شاطئ كبيرة ذات جوانب متدلية ومتموجة، وقد جلس في ظلها رجل خلف طاولة. ظنَّ فيل أنه أحد أكشاك الليموناضة التي تنتشر كثيرًا في الصيف، ولكن الوقت في أواسط الخريف وليس الصيف. اعتراه الفضول أكثر فأكثر، فركن سيارته القديمة وترجل منها.

"مرحبًا!"

"مرحبًا". ردّ سيّد الإجابات بهدوء.

بدا في الخمسين من عمره، ذا شعر خفيف أشيب، وكان مجعد الوجه، إلّا أنّ عينيه كانتا تحتفظان ببريقهما الفتى. وكان يرتدي قميصًا أبيض وبنطالًا رماديًا وينتعل حذاء أسود. كما كانت يداه ذات الأصابع الطويلة تستريحان بأناقة على سطح الطاولة، واستقرت بجانب قدميه حقيبة تشبه حقيبة الطبيب. بدا شخصًا ذكيًا، ولم يشعر بالغرابة تجاهه. في الواقع، ذكّرت هيبته بعشرات المحامين متوسطي العمر الذين يراهم في الشركة، رجال محترمون ومجتهدون ولكنهم يفتقرون إلى الجرأة اللازمة ليُرَقَّوا ويصبحوا شركاء. شعور فيل بالراحة والألفة تجاه هذا الرجل الغريب الذي يجلس تحت مظلته الحمراء وسط المجهول هو ما أثار فضوله بشكل خاص.

كان هناك كرسي رحلات خشبي قابل للطي على الجانب الآخر من الطاولة، ويبدو أنّه كرسي الزبون. فيما وُضعت ثلاث لوحات على مرأى الزبائن المحتملين في صف واحد. كُتب على وسط اللوحة الأولى:

سيّد الإجابات

وعلى اللوحة الموضوعية إلى جهة اليمين:

25 دولارًا لكل خمس دقائق

وعلى اللوحة الموضوعية إلى جهة اليسار:

السؤالان الأولان مجانيان

سأل فيل: "ما هذا بالضبط؟"

فرمقه سيد الإجابات بنظرة ساخرة لا تخلو من الود وقال له: "يبدو لي أنك شاب ذكي، شاب جامعي تخرج من هارفارد وليس أقل منها؛ نظرًا إلى تلك الراية المرفوعة على هوائي سيارتك. عشرة آلاف رجل من هارفارد يتغنون بالنصر اليوم." فقال فيل مبتسمًا: "صحيح. لأنهم يعرفون أن هارفارد تتفوق على ييل".

عندها، ردّ سيد الإجابات الابتسامة بمثلها، وتابع: "تعود الشبان والفتيات أمثالك على طرح الأسئلة دومًا؛ لدرجة أصبحوا معها لا يفكرون في ما يسألون عنه. وبما أن العمل اليوم كان قليلًا، سأقدم لك معروفًا ولن أجيب عن السؤال الأول الذي طرحته، مما يترك لك سؤالين مجانيين، إذا أردت ذلك بالطبع".

فكر فيل في أنه حتى لو بدا هذا الرجل مخبولًا، إلا أن ما قاله منطقي. فقد طرح سؤالًا إجابته واضحة. وسيجيب الرجل عن الأسئلة مقابل خمسة وعشرين دولارًا، هذا ما كان مكتوبًا، وهذا ما كان عليه الأمر ولا شيء آخر.

"حسنًا، ألا تعتقد أن خمسة وعشرين دولارًا لقاء خمس دقائق من الإجابات مبلغ كبير؟ لا عجب في أنك تشكو من قلة العمل".

"حسنًا، ما المبلغ الكبير حقًا؟ لا، لا تجب عن هذا السؤال؛ فأنت لست سيد الإجابات، بل أنا. أسعارى تتغير بحسب موقعي وزبائني المحتملين. لقد تقاضيت مرّة مئة دولار مقابل خمس دقائق، وفي إحدى المناسبات تقاضيت ألفًا،

نعم ألف دولار! لكنني في المقابل تقاضيت أيضًا ما لا يتجاوز بضعة سنتات. يمكنك القول إنني أتقاضى بحسب ما تقتضيه الظروف. أيها الشاب، إن الإجابات ليست مؤلمة دائمًا، ولكن الإجابة الصحيحة يجب أن تكون باهظة".

فتح فيل فمه ليسأل الرجل إن كان جادًا في ما يقوله، ثم أغلقه مرة أخرى، قبل أن يقول له سيّد الإجابات نعم أنا جاد، وهذا سؤالك المجاني الأول.

"كيف لي أن أعرف ما إذا كانت الإجابات التي ستعطيني إياها صحيحة ودقيقة؟"

"أنت لن تعرف على الفور، بل ستعرف بعد مرور فترة من الزمن. وكان هذا سؤالك المجاني الثاني".

عندها، قال فيل وهو يبتسم مستمتعًا بهذه اللعبة: "ما الفترة التي نتحدث عنها هنا؟" ولم يكذب ينطق بهذه الجملة حتى وضع يده على فمه بسرعة، ولكن الأوان كان قد فات.

فقال الرجل الجالس خلف الطاولة: "لقد كان العمل اليوم قليلًا، لذا سأمنحك سؤالًا مجانيًا ثالثًا. وللإجابة عن سؤالك السابق، فالمدة متغيرة ويصعب تحديدها. إن محاولتك لكشف حقيقة خداعي - إن كانت الحقيقة هي ما تبحث عنه - لن تساعدك في تحقيق شيء على الإطلاق. هل ترى ما أعنيه بطرح الأسئلة غير المجدية؟ إنها تفقد السؤال قيمته كما تعيق الوصول إلى جوهر الأمور".

أسند سيّد الإجابات ظهره إلى كرسيه، وجمع أصابعه خلف رقبته، ثم نظر إلى فيل قائلاً: "كلّ مرة يفاجئني الأشخاص الأذكياء بأسئلتهم غير المجدية، مع أنني أؤدي هذا العمل

منذ وقت طويل. وغالبًا ما تكون أسئلتهم فضفاضة وغير
مجدية. لطالما تساءلت إن كان الأشخاص الأذكى يعلمون
حقًا ما هي الإجابات التي يبحثون عنها في الحياة، فربما
هم فقط يهيمنون على وجههم بثقة عمياء تجعلهم يفترضون
افتراضات غالبًا ما تكون خاطئة، وهذا هو السبب الذي
يمكنني التفكير فيه لتبرير أسئلتهم الواهية".

"واهية! حقًا!"

تابع سيد الإجابات حديثه وكأنه لم يسمعني: "سألتني عن
كيفية معرفتك إذا كانت إجابتي... كيف عبرت عن ذلك؟
صحيحة ودقيقة، أليس كذلك، لذلك سأمنحك سؤالًا مجانيًا.
لو أنك أتيتني في موسم ازدهار العمل، لما منحتك شيئًا
مجانياً".

في تلك الأثناء، هبت نسمة فحزكت حافة المظلة الحمراء
المتموجة، وبعثرت خصل شعر سيد الإجابات التي يتخللها
الشيب. كان ينظر إلى الطريق الخالي بتأثر وحزن عميقين.

ثم قال: "الخريف فترة حرجة بالنسبة إلى عملي. وتشرين
الأول هو الأسوأ على الإطلاق. أعتقد أن الناس يجدون
إجاباتهم بأنفسهم أكثر في الخريف".

ونظر هنيهة إلى امتداد الخط الأسود للطريق المتعرج
بأشجاره الحمراء، ثم عاد بريق عينيه، ونظر إلى فيل مرة
أخرى وقال له: "لماذا لم تسألني شيئًا محددًا؟"

فارتبك فيل متفاجئًا وقال: "لم أفهم ما الذي تعنيه".
فأجابه سيد الإجابات: "ألم تشأ معرفة ما إذا كنت دجالًا؟"

لو أنك سألتني عن اسم عائلة والدتك قبل الزواج على سبيل المثال، أو عن اسم معلمك في الصف الخامس، أو أي شيء من هذا القبيل، مما لا أستطيع معرفته بأي حال من الأحوال، كنت ستتأكد من أنني لست دجالًا. ثم هز رأسه وتابع قائلاً: "الأشخاص الذين لا يمتلكون مزاياك الفكرية عادة ما يسألون هذا النوع من الأسئلة تحديدًا. أما الأشخاص الذين يمتلكونها، أو دعنا نقل، الأشخاص الذين تلقوا تعليمهم في هارفارد، فهم نادرًا ما يفعلون ذلك. ويرجع هذا الأمر إلى ما قلته سابقًا: فالأشخاص الأذكاء يعانون من عيب مزدوج، فهم لا يعرفون الإجابات التي يحتاجون إليها، ولا يعرفون الأسئلة التي يجب طرحها. فالتحصيل العلمي المرموق لا يتعلق بذكاء الفرد بالضرورة. قد تظنه كذلك، ولكنه العكس تمامًا."

فقال فيل ممتعضًا: "حسنًا، ما اسم عائلة والدتي قبل الزواج؟"

فرد سيد الإجابات قائلاً: "أنا آسف." ثم نقر على اللوحة التي كُتبت عليها عبارة 25 دولارًا لكل 5 دقائق.

"لتحصل على الإجابة يجب أن تدفع."

"لقد خدعتني!" صاح فيل بمرح، ولكنه لم يكن يشعر بذلك، بل شعر بالضيق، أو بكليهما معًا.

فرد سيد الإجابات بهدوء: "على الإطلاق، لقد خدعت نفسك."

أوشك فيل أن يحتج ولكنه لم يفعل. إذ استطاع أن يدرك ما يفعله هذا الرجل، إنه نوع من التلاعب الفكري الخفي.

"كانت تجربة مثيرة للاهتمام أيها السيد. لكن خمسة وعشرين دولارًا يُعتبر مبلغًا كبيرًا بالنسبة إلى شاب حديث التخرج ويفكر في بدء عمله الخاص. لذا، يجدر بي إكمال طريقي. لقد أمضيت وقتًا ممتعًا في التحدث إليك".

اعتقد فيل عندما بدأ بالابتعاد - لا، لم يعتقد، بل كان متأكدًا - أن الرجل الجالس تحت المظلة الحمراء سيطلب منه العودة، وسيمنحه خمس دقائق مقابل عشرين دولارًا، نظرًا لقلة عمله، أو ربما سيجعلها خمسة عشر، وعندما يفعل ذلك سيوافق فيل على الفور. لا شك في أن الرجل دجال، ولكن هذا لا يهم. إذ كان يملك في محفظته ورقة من فئة عشرين دولارًا، وورقة من فئة عشر دولارات، وورقتين من فئة خمسة دولارات. وحتى لو أهدر بعض هذا المال فسيكون ما بقي كافيًا لملء خزان سيارته المتهاكة بالوقود، وسيحظى بوجبة غداء جيدة في مطعم على جانب الطريق. فكّر في أنه بمجرد سماعه للأسئلة وهي تُطرح بصوت عالٍ وليس داخل رأسه فقط، سيخطو الخطوة الأولى لحل معضلته.

كان هذا الرجل الذي يدعو نفسه سيد الإجابات مُحققًا في شيء واحد؛ وهو أن الحصول على إجابة جيدة يتوقف في الغالب على طرح السؤال المناسب.

لكن كل ما قاله سيد الإجابات عند رحيل فيل كان: "قُدْ بشكل آمن".

سار فيل باتجاه سيارته، ودار حول جزئها الأمامي المنبعج قليلًا، ثم نظر إلى الخلف وهو لا يزال يتوقع أن يعرض عليه سيد الإجابات سعرًا منخفضًا. ولكنه بدا وكأنه نسي أمره

تمامًا، وكان ينظر نحو فيرمونت ويدندن لحنًا وهو ينظف
أظفاره بعود صغير.

حدث فيل نفسه وهو يشعر بالضيق: "سيدعني أرحل.
حسنًا، اللعنة عليه. هذا ما سأفعله بالضبط".

ثم فتح باب الشيفروليه، وأعاد إغلاقه، وأخرج محفظته
وسحب منها ورقة عشرين دولارًا، بالإضافة إلى إحدى ورقتي
الدولارات الخمسة.

حدث نفسه مجددًا: فقط لأسمع الأسئلة بصوت عالٍ، ولا
داعي لأن أخبر أحدًا بأنني دفعت نقودي لدجال يمر بفترة
كساد.

كما أن رؤية هذا اللعين وهو يحتار في أمره ويقدم الأعذار
عندما أسأله عن اسم عائلة والدتي قبل الزواج تستحق
خمسة وعشرين دولارًا.

وعندما رآه عائذًا، قال له سيد الإجابات: "أرى أنك عدلت
عن رأيك". ثم وضع العود في جيب قميصه وأمسك حقيبته.
فابتسم فيل، ودفع له المال قائلاً: "أنا من سيطرح الأسئلة
خلال الدقائق الخمس القادمة".

عندها، ضحك سيد الإجابات وأشار بإصبعه إلى فيل:
"مزحة جيدة يا صديقي، أنت تعجبني أيها الشاب. ولكن قبل
أن آخذ نقودك، هناك قاعدة واحدة يجب توضيحها".

فحدث فيل نفسه: "ها هي قادمة، الثغرة التي ينوي
المراوغة من خلالها".

فأخرج سيد الإجابات ما بدا وكأنه منبه قديم الطراز من

نوع بيغ بن، وعندما وضعه على الطاولة أدرك فيل أنه منته عملاق بأرقام تتراوح من الصفر إلى الخمسة.

"أنا لست طبيبًا أو مستشارًا نفسيًا، كما أنني لست منجمًا أيضًا، مع أنني متأكد من أن هذا ما تعتقده. إليك الأمر، لا تحاول أن تطرح علي أسئلة تحتوي على عبارة هل يجب علي، كأن تقول: هل يجب علي فعل هذا الأمر؟ أو هل يجب علي ألا أفعل هذا الأمر؟ فمهمتي هنا هي الإجابة عن أسئلتك وليس حل مشاكلك".

عندها، بدأ فيل بإعادة أمواله؛ فهو يخطط لسؤال الرجل عقًا إذا كان يجب عليه أن ينضم إلى الشركة أو أن يفتح مكتبه الخاص في كاري. ثم فكّر في أنّه لو لم تكن لديه القدرة على الالتفاف على الأمر وصياغة أسئلته بالطريقة التي تخدمه من دون أن يضطر إلى استخدام تلك العبارة، فكيف سيفقدو محاميًا ناجحًا؟

سلم المال إلى سيد الإجابات قائلاً: "لا ضير في ذلك".
"لا يمكنني الاستمرار في مناداتك بالشاب، أيها الشاب. ما اسمك؟"
"فيل".

"فيل ماذا؟"

فابتسم فيل بمكر قائلاً: "فيل فقط. أعتقد أن هذا كل ما تحتاج إليه؛ نظرًا إلى أننا لن نكون معًا لوقت طويل".

"حسنًا يا فيل فقط، أمهلني بعض الوقت لأضبط منبهتي. وكما أرى، فأنت أيضًا تطوّق معصمك بساعة بولوفا باهظة

التمن. يمكنك ضبطها مع ساعتى، إن أردت".

فأجابه فيل: "سأفعل ذلك بالطبع. فأنا أنوي الحصول على ما دفعت مالى من أجله".

عندها، قال سيّد الإجابات وهو يضبط المنبه الكبير الذي أصدر صوتًا أشبه بالطقطقة: "وهذا ما ستفعله". ذكر هذا المنبه فيل بالساعة التي كان يضعها قرب سريره خلال سنوات دراسته الجامعية. "هل أنت مستعد؟"
"نعم".

ثمّ جلس فيل على كرسي الزبون وقال: "إذا لم تستطع الإجابة عن سؤالى فسأسترد أموالى على الفور، وإن لم تعدها لى برضاك فسأستردها بالقوة".
فضحك سيّد الإجابات قائلاً: "هذا يبدو عنيّفًا بعض الشيء! سأسألك مجددًا، هل أنت مستعد؟"
"نعم".

"حسنًا، فلنبدأ". ونقر الرجل على مقبض فى الجهة الخلفية من المنبه فبدأ يتكتك.
"سأسألك السؤال الذى اقترحتة على سابقًا: ما اسم عائلة والدتي قبل الزواج؟"

فأجاب سيّد الإجابات من دون أى تردد: "سبوران".
عندها، فغر فيل فاه مندهشًا وقال: "اللعة عليك، كيف عرفت؟"

"لا أريد إضاعة وقتك الذى دفعت مالا لقاءه يا فيل، ولكن

تجدد بي الإشارة إلى أنك سألت سؤالاً واهياً آخر وأنت تعرف إجابته. عرفت ذلك لأنني ببساطة سيد الإجابات".

شعر فيل وكأنه تلقى ضربة على رأسه، فهذه ليستعيد تركيزه. كان صوت المنبه مرتفعاً جداً، وكان العقرب يقترب من الرقم أربعة.

"ما اسم حبيبتي؟"

فأجابه من دون أي تردد: "سالي آن ألبرتون".

عندها، بدأ الخوف يتسلل إلى فيل، ولكنه حدث نفسه بأنه لا داعي للخوف؛ فهم في يوم جميل من أيام تشرين الأول، وهو أصغر سنًا من ذلك الرجل، ولا شك في أنه أقوى منه جسديًا أيضًا. لا شك في أنها خدعة ما، يجب أن تكون كذلك. ولكن ذلك لم يقلل من غرابة الموقف.

"الوقت يمر يا فيل".

فهرز رأسه مجددًا ثم قال: "حسنًا، أنا أحاول أن أقرر إن كان يجب علي...".

غير أن سيد الإجابات قاطعه وأشار بإصبعه إليه قائلاً: "ما الذي قلته لك عن استخدام هذه العبارة؟"

حاول فيل استجماع أفكاره، ثم فكر في أن الموقف يمكن أن يكون عبارة عن محكمة تجريبية، والرجل هو القاضي، وقد اعترض على السؤال الذي طرحه، لذا يجدر به الالتفاف حول السؤال وطرحه بطريقة ملتوية.

"هل تستطيع الإجابة عن سؤال بخصوص المستقبل؟"

فأدار سيد الإجابات عينيه متململاً، وقال: "لقد أوضحنا

ذلك بالفعل، أليس كذلك؟ لقد أخبرتك أنك ستتأكد من صحة أجوبتي بعد فترة من الزمن، ولذلك يُفترض أنه بإمكانني توقع ما سيحصل مستقبلاً. بالنسبة إلي، ليس هناك مستقبل ولا ماضٍ، فكل شيء يحدث الآن."

فحدث فيل نفسه: ما هذا الهراء؟

في هذه الأثناء، كان العقرب الأسود على المنبّه الكبير على وشك الوصول إلى الرقم 3.

"هل ستوافق سالي أن على الزواج بي؟"
"نعم."

"هل سنعيش في كاري، البلدة التي تقع على الطريق؟"
"نعم."

وصل العقرب الأسود إلى الرقم 3.
"هل سنكون سعيدين؟"

"هذا سؤال فضفاض. وحتى من كان بمثل سنك يجدر به معرفة إجابته مسبقًا. ستكون هناك أيام جيدة وأخرى سيئة، وستكون هناك اتفاقات وخلافات. ولكن بالمجمل، نعم، ستكونان سعيدين معًا."

فكر فيل في أنّ هذا الرجل عرف اسم عائلة والدته قبل الزواج، كما عرف اسم حبيبته، والباقي مجرد تخمينات من دجال متجول. لكن لماذا؟ أمن أجل خمسة وعشرين دولارًا سخيفة؟

قال سيّد الإجابات: "الوقت ينفد."

كان صوت تكتكات المنبّه الكبير يعلو أكثر من أي وقت مضى، وتجاوز العقرب الرقم 3 واقترب من الرقم 2.

لم يكن لدى فيل أي سبب منطقي ليشعر بالارتياح بسبب ما قاله سيّد الإجابات، فما قاله هو ما كان يريد سماعه، وهذا ما كان قد قرره بالفعل بخصوص كاري ضمنيًا، وكل حديثه عن معضلة الاختيار لم يكن سوى تمثيل مسرحي. وبالنسبة إلى سالي، فهو يعرف أنها ستتزوج حتى لو قرر الاستقرار في كاري. لم يكن متأكدًا، ليس بالمطلق، ولكنه يعرف بنسبة كبيرة أنها ستوافق.

بذل فيل منحنى أسئلته بشكل مفاجئ، وقال: "أخبرني أين وُلِدَ والدي إن استطعت؟"

مرة أخرى، لم يتردد سيّد الإجابات: "في الواقع، لقد وُلِدَ في عرض البحر، على متن سفينة تدعى ماريبيل".

أحس فيل مجددًا أنه تلقى ضربة على رأسه، فتلك كانت قصة عائلية قديمة، لطالما اعتزوا بها وسردوها كثيرًا. كان جده وجدته عائدين إلى أميركا بعد رحلة طويلة إلى لندن، حيث ولد والداهما وأمضيا سنواتهما الأولى. فأصرت الجدة على خوض رحلة العودة مع أنها كانت حاملاً في شهرها الثامن في الوقت الذي وصلوا فيه. وخلال الرحلة هبت عاصفة هوجاء، فأصيبت الجدة على أثرها بدوار بحر عنيف عجل مخاضها. ولكن لحسن الحظ، كان هنالك طبيب على متن السفينة أشرف على ولادة الطفل. لم يتوقع أحد أن الطفل جون-الذي لُفَ بخرق قطنية بيض، وأطعم بواسطة قطارة كان يستخدمها والده لعينيّه- سينجو، ولكن الطفل

عاش، وبالتالي أنجب فيليب باركر خريج كلية الحقوق من جامعة هارفارد.

مرة أخرى، كان على وشك أن يسأل هذا الرجل الجالس بيديه المطويتين بأناقة على الجانب الآخر من الطاولة عن الطريقة التي عرف بها هذه المعلومة. ولكنه لم يفعل، فالإجابة ستكون ذاتها: لأنني سيد الإجابات.

تزاحمت الأسئلة داخل رأس فيل كحشد مذعور يحاول الفرار من مبنى محترق. وكان عقرب الساعة قد وصل إلى الرقم 2 وتجاوزه، وبدأت التكتكات أكثر صخبًا من أي وقت مضى.

"هل ما أعتقده بشأن ازدهار كاري صحيح؟" طرح فيل هذا السؤال من دون وعي.
"نعم".

فكر: ماذا بعد؟ ماذا بعد؟
"هل سيكون والدا سالي ضمن حياتنا؟"
"نعم، ولكن بعد فترة."
"كم تبلغ مدتها؟"

لبرهة، بدا سيد الإجابات وكأنه يُجري بعض الحسابات، وكان عقرب ساعته قد وصل إلى الرقم 1، ثم قال: "سبع سنوات".

فانقبض قلب فيل. إذ إن سبع سنوات مدة طويلة. كان يحاول أن يقنع نفسه بأن الرجل قد اختار هذا الرقم بشكل عشوائي، ولكنه لم ينجح في ذلك.

"وقتك يقترب من نهايته يا فيل".

كان يعرف ذلك، ولكنه لم ينجح في التفكير بسؤال آخر، باستثناء كم سيبلغ من العمر قبل أن يموت؟ وبالطبع السؤال الذي يرافقه، كم سيبلغ عمر سالي عندما ستموت؟ ولكن هل كان يريد معرفة أي من الأمرين؟ بالطبع لا.

لم يرغب فيل في إضاعة الثواني الأربعين أو الخمسين المتبقية، لذا سأل عن الشيء الوحيد الذي خطر في باله: "والدي يقول إنه ستكون هناك حرب، وأنا أقول العكس. من منا على حق؟"

"هو".

"هل ستشارك أميركا فيها؟"

"نعم".

"متى سيحدث ذلك؟"

"بعد أربع سنوات وشهرين".

كان الوقت المتبقي هو عشرين ثانية أو أقل.

"هل سأشارك في الحرب؟"

"نعم".

"هل سأجرح؟"

"لا".

لكن ذلك لم يكن السؤال الصحيح.

"هل سأقتل؟"

في تلك اللحظة، وصل عقرب المنبه الكبير إلى الصفر وأصدر صوتًا صاخبًا، فأوقفه سيّد الإجابات وقال: "لقد طرحت هذا السؤال قبل انطلاق الإنذار، لذلك سأجيب عن سؤالك. لا، لن تُقتل يا فيل".

استراح فيل على كرسيه، وأسند ظهره وأطلق تنهيدة طويلة، ثم قال: "لا أعرف كيف فعلت ذلك يا سيدي، ولكنها كانت تجربة غريبة. يجدر بي الاعتقاد بأنها مجرد خدعة، فلا بد أنك عرفت بقدومي وحصلت على بعض المعلومات. لكنك بالتأكيد استحققت الخمسة والعشرين دولارًا".

فابتسم سيّد الإجابات ولم يُجب.

"لكنني أنا نفسي لم أعرف بالضبط إلى أين كنت ذاهبًا، أو الطريق الذي سأسلكه... فكيف عرفت أنت ذلك؟"

لم يرد، بالطبع لم يرد؛ لأن الدقائق الخمس قد انتهت.

"هل تعرف؟ أشعر بشيء غريب... أشعر بالدوار..."

ثم بدا العالم وكأنه ينزلق من فيل. لا يزال سيّد الإجابات جالسًا إلى طاولته، ولكنه بدا وكأنه ينسحب مبتعدًا إلى الورااء بشكل تدريجي. وبدأ لون رمادي يحيط بمجال رؤية فيل، فرفع يديه إلى عينيه محاولًا إزالة تلك الغشاوة التي ما لبثت أن تحوّلت إلى اللون الأسود وغطى الظلام كل شيء.

عندما استيقظ فيل، وجد نفسه خلف مقود الشيفروليه، متوقفًا على الطريق 111، وكانت الساعة تشير إلى 01:20. حدّث نفسه: "لقد أغمي علي للمرة الأولى في حياتي. لكل شيء مرة أولى كما يقال، أليس كذلك؟ نعم، لقد أغمي علي."

حمدًا لله أنني توقفت جانبًا وأوقفت عمل المحرك قبل ذلك.
ربما حصل لي هذا بسبب الجوع".

كان قد شرب ست علب من الشراب ليلة الجمعة، وافترض
أن ما فيها من عدد قليل من السعرات الحرارية كان كافيًا له،
ولكنه لم يأكل كثيرًا بالأمس، ولا اليوم. لذا فكّر في أنه من
المنطقي أن يُغْمى عليه. غير أنه تساءل: هل يحلم الشخص
المغْمى عليه كما يفعل النائم؟ لأنه حلم حلماً غريبًا جدًا.
كان يتذكر كل التفاصيل: المظلة الحمراء المتموجة، والمنبه
الكبير، وشعر سيد الإجابات الذي يتخلله الشيب. كان يتذكر
كل سؤال وكل إجابة.

لم يكن حلماً.

قال بصوت عالٍ: "نعم، كان حلماً، لا ريب في ذلك. كان
يعرف اسم والدتي قبل الزواج ومكان ولادة والدي في الحلم
لأنني كنت أعرف هذه الأشياء".

ثم ترجل من سيارته، ومشى ببطء نحو المكان الذي كان
فيه رجل الإجابات. لم تكن الطاولة موجودة، ولا الكرسيان،
ولكنه رأى علامات على التربة حيث كانت الطاولة موجودة.
بدأت الغشاوة الرمادية تتشكل أمام ناظريه مجددًا، فصفع
نفسه بقوة؛ أولًا على خده الأيمن ثم الأيسر. ثم ركل التربة
حتى اختفت العلامات. "لم يحدث هذا مطلقًا".

قال ذلك موجّهاً حديثه إلى الطريق الخالي والأشجار
المتوهجة. قالها مرة أخرى: "لم يحدث هذا مطلقًا". ثم جلس
مجددًا خلف المقود، وشغل المحرك، وانطلق على الطريق
السريع. قرّر ألا يخبر سالي آن عن إغمائه، فذلك سيثير قلقها،

ويُحتمل أن تصر على أن يرى طبيبًا. لقد أغمي عليه بسبب الجوع، هذا كل شيء؛ بسبب الجوع وأكثر حلم واقعي عاشه على الإطلاق. ستعيد قطعتان من الهمبرغر، وقارورة كوكا كولا، وقطعة من فطيرة التفاح الأمور إلى نصابها. وكان شبه متأكد من وجود مطعم إلى جانب الطريق في أوسيبى، على بعد خمسة أميال فقط.

نتج عن هذا الإغماء الغريب على جانب الطريق شيء واحد جيد. لا، في الواقع شيئان. سيخبر سالي أنه ينوي فتح مكتبه الصغير في بلدة كاري، وسيطلب يدها للزواج وليذهب والداها إلى الجحيم.

أقام فيل باركر وسالي آن ألبرتون حفل زفافهما في دار عبادة أولد ساوث في بوسطن، في التاسع والعشرين من شهر نيسان عام 1938. وقد رافق تيد ألبرتون ابنته سالي في سيرها على الممر ضمن الحفل. وقد فعل ذلك بعد أن رفض في البداية؛ لأن زوجته حثته، ولأن ابنته سالي ترجته. وعندما فكر تيد في زفاف سالي الوشيك بتمعن، أدرك أن هناك سببًا آخر يدفعه إلى القيام بهذه الخطوات القصيرة مع ابنته، وهو العمل. فجون باركر شريك أساسي في الشركة، وعلى الرغم من أن تيد يعارض بشدة قرار فيل التخلي عن مستقبل واعد من أجل العمل في مجتمع زراعي بدائي، إلا أنه لا بد له من أن يضع مصلحة الشركة أولاً، ويجب ألا تكون هنالك أي مشاحنات بين الشركاء في السنوات القادمة. لذا فعل ما يتوجب عليه فعله، ولكنه فعل ذلك بوجه خالٍ من أي تعبير أو ابتسامة.

وبينما كان تيد يشاهد الحفل، تذكر مقولتين قيمتين:
الأولى، يفرض الشباب سطوتهم دومًا. والثانية، من تزوج
بسرعة ندم على مهل.

لم يكن هناك شهر عسل؛ فقد كان المبلغ الذي ادخره والدا
فيل لابنهما، والذي قدماه له بتردد، يبلغ ثلاثين ألف دولار،
ولم يكن في نية فيل تبذيره. وهكذا، افتتح فيل مكتبًا صغيرًا
بجوار محطة البنزين سونوكو بعد مرور أسبوع على الحفل.
وكانت اللوحة الصغيرة - التي كتبتها عروسه الجديدة - تفيد:
المحامي فيليب. ي. باركر. ووضع على طاولة المكتب هاتفاً
ودفتر مواعيد مليئًا بالصفحات الفارغة، ولكنها لم تظل فارغة
لوقت طويل، ففي فترة بعد ظهيرة ذلك اليوم، دخل فلاح
يُدعى ريغيس تومي إلى المكتب. كان يرتدي مئزرًا فضفاضًا
ويعتمر قبعة من القش، تمامًا كما توقع والد فيل. عرض تومي
خلع حذائه الموحل، ولكن فيل طلب منه ألا يتكلف عناء ذلك،
وقال له:

"أظن أنك اكتسبت هذا الوحل بشرف. تفضل بالجلوس،
وأخبرني عن سبب مجيئك".

فجلس تومي وخلع قبعة القش ووضعها في حضنه، ثم قال
بلكنة ريفية واضحة: "كم تبلغ تكلفة خدماتك؟"

"خمسون بالمئة مما أحضله لك، وخمسة وعشرون دولارًا
إذا لم تحصل على شيء". لم يكن فيل قد نسي لافتة سيّد
الإجابات الصغيرة، وكان يأمل أن يمتلك، هو أيضًا، الإجابات
لكل أصناف الناس بدءًا بهذا الرجل.

أجاب تومي: "يبدو هذا منصفًا. إليك الأمر. يريد البنك أن

يصادر مزرعتي ويبيعها في مزاد علني، ولكن لدي ورقة... " ثم أخرج الورقة من جيب مئزره ومررها عبر المكتب. "ما دُون في هذه الورقة يفيد بأنني يجب أن أسدد المبلغ خلال تسعين يومًا. ولكن رجل البنك يقول إنَّ المهلة تسقط إن لم أسدد الدفعة الأخيرة".

"وهل سددتها؟"

"نعم، باستثناء عشرة دولارات. فقد ذهبت زوجتي للتسوق، كما تعرف، ولم يكتمل مبلغ الدفعة".

لم يستطع فيل أن يصدق ما يسمعه، فسأله: "هل تقول إنَّ البنك يريد أن يصادر المزرعة بسبب نقص عشرة دولارات؟"

"هذا ما يقوله رجل البنك. كما يقول إنهم يستطيعون بيعها في المزاد، ولكنني أعتقد أن لديهم زبونًا محتملًا بالفعل".

"سنرى بخصوص ذلك".

"أنا لا أملك خمسة وعشرين دولارًا الآن أيها المحامي باركر".

في تلك اللحظة، خرجت سالي آن من الغرفة الأخرى حاملة إبريق قهوة. وكانت ترتدي فستانًا أزرق داكنًا ومريولًا أفتح قليلًا. وكان وجهها الخالي من مستحضرات التجميل متوهجًا، وشعرها الأشقر مرفوعًا، فأصيب تومي بالذهول لشدة جمالها.

قالت سالي آن: "سنتولى قضيتك يا سيد تومي. وبما أنَّها قضيتنا الأولى، لن نتقاضى أي أجر؛ بغض النظر عن النتيجة. أليس كذلك يا فيليب؟"

فأجاب فيل: "بالتأكيد". على الرغم من أنه كان يتطلع إلى تلك الدولارات الخمسة والعشرين.

"ما اسم رجل البنك؟"

"السيد لاثروب". ونطق تومي اسمه مع تكشيرة شخص قد تناول للتو طعامًا لاذعًا.

"إنه يعمل في بنك فيرست، وهو المسؤول الرئيسي عن القروض ومتابعة الرهون العقارية".

في عصر ذلك اليوم، توجه فيل إلى بنك فيرست في نيوهامشير، وتجادل مع السيد لاثروب بخصوص ما إذا كان رؤساؤه سيُسزّون بقراءة خبر في صحيفة يونيون ليدر عن بنك فاسد يستولي على ممتلكات مزارع في خضمّ فترة الكساد من أجل عشرة دولارات تافهة. وبعد نقاش طويل، بعضه كان حادًا، أدرك السيد لاثروب فداحة موقفه.

قال فيل بهدوء: "تعجبني فكرة أخذك إلى المحكمة على أي حال. ممارسات تجارية غير عادلة... آلام ومعاناة... خداع مالي..."

فأجابه السيد لاثروب: "هذا فظيع! لن تفوز أبدًا".

"ربما لا، لكنّ البنك سوف يخسر في الحالتين. أعتقد أنّ دفع خمسمئة دولار لصالح السيد تومي سيُنهي هذا الأمر بطريقة ترضي الطرفين".

فتذمّر لاثروب، ولكنّ ذلك ما حصل فعلاً.

فقد تمّ الدفع، وعرض تومي دفع نصف المبلغ لفيل لقاء أتعابه، ولكن فيل وبموافقة سالي أن رفض ذلك. وبعد إصرار تومي، قبل أن يأخذ منه خمسة وعشرين دولارًا، وذكره ذلك المبلغ بسيد الإجابات.

انتشر خبر القضية في كاري والبلدات المحيطة بها. واكتشف فيل أن العديد من البنوك كانت تستخدم الحيلة نفسها للحجز على المزارع. وفي إحدى الحالات، جاء رجل من هانكوك المجاورة لكاري، وكان ينقصه مبلغ عشرين دولارًا فقط قبل ثلاثة أشهر من سداد رهنه العقاري بالكامل، فتم حجز مزرعته، وبيعت لشركة بناء مقابل اثني عشر ألف دولار. رافع فيل بهذه القضية في المحكمة، واستطاع أن يسترد للمزارع مبلغ ثمانية آلاف دولار. وعلى الرغم من أنها لم تكن القيمة الكاملة إلا أنها كانت أفضل من لا شيء. وقد حصلت تلك القضية على تغطية صحفية واسعة.

وبحلول العام 1939، جدد المكتب، بسقوف خشبية جديدة وطلاء حديث، فأصبح متوهجًا مثل وجه سالي آن. وعندما أعلنت محطة سونوكو إفلاسها، اشترى فيل المكان، ووضع فيه مساعدًا تخرج لتوه في كلية القانون، كما اختارت سالي أن سكرتيرة ذكية ولكن متقدمة في السن وعادية المظهر لتساعد فيل في استقبال الموكلين وترتيب ملفات القضايا.

وبحلول العام 1941، بدأت أعماله تحقق أرباحًا، وبدأ المستقبل مشرقًا. وبعد مرور أربع سنوات وشهرين من لقاء فيل مع الرجل الجالس تحت المظلة على جانب الطريق، هاجم اليابانيون بيرل هاربور.

قبل زفافهما بوقت قصير، أمسكت سالي آن ألبرتون بيد فيل، وأخرجته إلى الحديقة الخلفية لمنزل عائلة ألبرتون في ويزلي. جلسا على مقعد قرب بركة السمك الذهبي، حيث كانت طبقة رقيقة من الجليد قد أخذت بالذوبان. كان وجه

سالي حينها متورداً ولم تنظر إلى عينيهِ مطلقاً، ولكنها كانت عازمة على قول ما يجول في ذهنها. فكر فيل في أنها بدت أكثر شبهاً بوالدها في عصر ذلك اليوم.

قالت له حينها إنه عليه التأكد من حصوله على الواقيات الذكرية. وحين سألتها إن كانت لا ترغب في إنجاب الأطفال، أوضحت له أنها ترغب في ذلك، ولكن ليس في الوقت الحاضر، ليس قبل أن تتأكد من أنها لن تضطر إلى التوصل إلى والديها أو حتى إلى والديه طلباً للمساعدة المادية. فوالدها سيحب ذلك، وسيبدأ بوضع الشروط وفرض سيطرته، كما سيمنعه من تحقيق ما كان راغباً في تحقيقه مستقبلاً، وهي لن تسمح بحدوث ذلك أبداً.

وبعد أن أنهت حديثها، ألقت سالي آن نظرة خاطفة نحوه لتقرأ تعابير وجهه، ثم أعادت النظر إلى يديهما المتشابكتين مرة أخرى، وتابعت قائلة: "هناك شيء يمكن أن تفعله النساء أيضاً، ولكن إذا طلبت من الطبيب غرايسون فعله فسيخبر والدي".

"لكن الطبيب ملزم بعدم إفشاء أسرار مرضاه".

"سيفعل ذلك على أية حال. إذا، هل توافق على أمر الواقيات الذكرية؟"

فكر في سؤالاتها عن كيفية معرفتها بمثل هذه الأمور، ثم قرر أنه لا يريد معرفة ذلك. فبعض الأمور يجب أن تظل مجهولة. "أنا موافق".

عندها، نظرت إليه قائلة: "ويجب عليك شراءها من بورتلاند أو فريبورغ أو نورث كونواي، أي بعيداً من كاري؛ لأن الناس

سيتناقلون الخبر".

فقهه فيل وقال لها: "أنتِ ماهرة".

"أكون ماهرة عندما يتوجب علي ذلك".

وعندما ازدهر عمله، ناقش مع سالي فكرة التخلص من
الواقيات الذكرية. ولكن في تلك السنوات الأولى، كان فيل
غارقاً في العمل، ويعمل منذ الفجر وحتى الغسق متنقلاً بين
المحكمة والطريق، ولهذا كانت فكرة إنجاب طفل في ظل
أوضاع كهذه أشبه بنقمة منها بنعمة.

ثم جاء السابع من كانون الأول.

كان فيل وسالي يستمعان إلى الراديو طوال اليوم.

وفجأة، قال فيل لسالي: "سأنضم إلى الجيش".

"يمكنك الحصول على إعفاء كما تعلم، فأنت في الثلاثين".

"لا أريد الحصول على إعفاء".

فأمسكت سالي بيده وقالت له: "لا، بالطبع لا تريد، ولو أردت

ذلك لقلّ حبي لك. أولئك اليابانيون قذرون! وأيضاً..."

"ماذا أيضاً؟"

أدرك فيل في هذه اللحظة، كما في مسألة شراء الواقيات

من مكان بعيد عن كاري، مقدار الشبه بين سالي ووالدها:

"سيبدو الأمر سيئاً أيضاً؛ إذ ستتضرر أعمالك وسينعتك الناس

بالجبان. فقط عد إليّ سالماً، عدني بذلك يا فيل".

عندها، تذكر فيل ما قاله له سيّد الإجابات في ذلك اليوم من

أيام تشرين الأول: "لن نقتل، ولن نجرّح". ما كان يفترض به

أن يصدق هذا الكلام، ليس بعد مرور كل هذه السنوات، ولكنه كان يُصدق ذلك. "أعدك، أعدك تمامًا".

وعلى الفور، وضعت ذراعها حول عنقه وقالت له: "حسنًا، تعالَ إلى السرير، ولن نحتاج للأمر هذه المرة".

وبعد تسعة أسابيع، كان فيل يجلس في كوخ كوانسيت العسكري في جزيرة باررس وهو يتصبب عرقًا ويشعر بالألم في كل عضلة من جسده، وكان يقرأ رسالة من سالي أن تخبره فيها بأنها حامل.

في صباح يوم الثامن عشر من شباط عام 1944، قاد الملازم فيليب باركر فصيلته من مشاة البحرية الثانية والعشرين إلى الشاطئ في جزيرة إنويك. كانت البحرية قد أخضعت اليابانيين لثلاثة أيام من القصف، وأفادت الاستخبارات بأن قوات العدو كانت قليلة على الأرض. وعلى غير ما هو معتاد في معلومات استخبارات البحرية، اتضح أن هذا صحيح. من ناحية أخرى، لم يتكبد أحد عناء إخبار أفراد مشاة البحرية عن الكتبان الرملية الشاهقة التي كان عليهم تسلقها بعد أن رست قوارب الهيفينز. كان اليابانيون بانتظارهم، ولكنهم كانوا متسلحين بالبنادق عوضًا عن الرشاشات الخفيفة المربعة. خسر فيل ستة من أفراد فصيلته؛ إذ قتل اثنان منهم، فيما أصيب أربعة آخرون بجروح بالغة. وفي الوقت الذي بلغوا فيه قمة الكتبان، كان اليابانيون قد توغلوا في الأحراش الكثيفة.

اجتاحت فصيلة مشاة البحرية الثانية والعشرون الجهة الغربية، وواجه أفرادها بعض المقاومة المتفرقة. وقد أصيب

أحد رجال فيل في كتفه، فيما سقط آخر في حفرة وكسر ساقه. كانتا الخسارتين الوحيدتين له بعد الهبوط.

قال الرقيب مايرز: "نزهة في الحديقة".

عندما وصلوا إلى المحيط على الجانب الآخر من الجزيرة المرجانية، تلقى فيل رسالة عبر جهاز اللاسلكي من مقر قيادة مشاة البحرية المؤقت الذي أقيم على الجانب الآخر من الكتبان التي تسببت في أسوأ الخسائر لهم. وكانوا لا يزالون يسمعون طلقات نارية متفرقة قادمة من الجنوب، لكن ذلك خفت بحلول الوقت الذي كانوا يتناولون فيه الغداء، ففكر فيل في نزهة غداء على شاطئ البحر. من كان يعرف أن الحرب يمكن أن تكون ممتعة إلى هذا الحد؟

سأل مايرز عندما أعاد فيل جهاز اللاسلكي إلى قرابه: "ما الأخبار، أيها الملازم؟"

فأجاب فيل: "يقول جوني ووكر إن الجزيرة آمنة". وكان يتحدث عن الكولونيل جون تي. ووكر الذي كان يدير هذه الفوضى الصغيرة مع زميله الكولونيل راسل أيرز.

عندها، قال الجندي من الدرجة الأولى مولوكي: "لا يبدو آمنًا". وأوماً برأسه نحو الجنوب.

لكن بحلول الساعة 1500، توقف إطلاق النار تمامًا. عندها، انتظر فيل الأوامر، غير أنه لم يتلقَ أيًا منها، فنشر ثلاثة حراس على جانب الحرش، وأخبر الرجال الآخرين بأن يستريحوا حتى إشعار آخر. وعند الساعة 2000، أمروا بتجميع أمتعتهم والعودة شرقًا، حيث سيلتحقون مجددًا بقوة الإنزال الرئيسية. في تلك الأثناء، عمّ التذمر بسبب

الاضطرار إلى المسير مجدداً عبر الأحراش الكثيفة مع اقتراب
الظلام، غير أنَّ الأوامر أوامر، لذا تأهبوا للسير. ولكن بعد أن
كسر الجندي فرانكلاند ساقه في أحد الخنادق، وكاد الجندي
جوردون أن يفقد عينه بعد اصطدامه بغصن شجرة، راسل
فيل المقر وطلب الإذن بالتخيم لليلة لأن التضاريس صعبة.
فقال الجندي من الدرجة الأولى مولوكي: "إنها صعبة للغاية،
هذا صحيح".

وقد مُنح الإذن. وهكذا، نصبوا مخيمهم تحت شباكهم، لكن
الكثير من البعوض تمكن من التسلل عَبْرَ الشباك.
قال مايرز: "على الأقل الأرض جافة. فقد عانيت من "قدم
الخندق"، وهي ليست للضعفاء".

في تلك الليلة، نام فيل على صوت رجاله يتمازحون،
وتذمر الجندي فرانكلاند صاحب الساق المكسورة. غير أنه
استيقظ قبل الفجر بقليل، ولاحظ أن هناك ظلالاً تتحرك
وسط الظلام شمال مخيمهم الصغير، المئات من الظلال.
وعرف لاحقاً أن إنويك كانت مليئة بالخنادق المخفية. ربما
كسر فرانكلاند ساقه في أحدها، وربما كان هناك جندي ياباني
في الأسفل، ينظر إلى الأعلى بينما كان رانغيل والرقيب مايرز
يسحبانه. وضع مايرز يده على كتف فيل وهمس: "لا تصدر
أي صوت. ربما لا يعرفون بوجودنا، أعتقد...".

ولكن أحد مشاة البحرية سعل. وعلى الفور، تقاطعت
الأضواء المتضاربة في الفجر الضبابي والذي كان أكثر ضبابية
تحت الخيام، وأظهرت الظلال المنحنية الملفوفة تحت شباك
البعوض. وسرعان ما بدأ إطلاق النار، فقتل ستة من مشاة

البحرية أثناء نومهم، وجرح ثمانية آخرون، ولم يستطع إلا جندي واحد إطلاق النار. كان مايرز يحتضن فيل، وفيل يحتضن مايرز. استمعوا إلى الرصاص يئز فوق رؤوسهم، وضربت عدة رصاصات الأرض حولهم. ثم سمعوا أمرًا حازمًا باليابانية: "زينبو، زينبو". وبعد ذلك، تحرك اليابانيون، وركضوا واجتازوا الأحراش.

قال فيل: "إنهم يشنون هجومًا مضادًا، وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلهم لا يقضون علينا".

فسأل مايرز: "هل مقر القيادة هو هدفهم؟"

"يجب أن يكون كذلك. هيا بنا، أنت وأنا وأي شخص آخر ليس مصابًا".

فقال مايرز: "أنت مجنون". ولمعت أسنانه وهو يبتسم متابعًا: "يعجبني جنونك".

أحصى فيل ستة رجال فقط يطاردون اليابانيين، ربما كان هناك واحد أو اثنان آخران. الآن، بدأ إطلاق النار مرة أخرى أمامهم، بشكل متقطع في البداية، ثم أصبح متواصلًا. وانفجرت القنابل اليدوية، وسمع فيل دوي الرشاشات الخفية المخيفة، تبعته أصوات رشاشات أخرى. ثلاثة؟ أربعة؟

بعد ذلك، انطلق مشاة البحرية المتبقون في فرقة فيل من الأحراش، ورأوا الجانب الآخر من الكثبان الرملية التي سببت لهم الكثير من المتاعب في اليوم السابق. كان الجنود اليابانيون يتجهون نحو مقر القيادة الذي كان يدافع عنه عدد قليل من الجنود، لكن رجال فيل كانوا خلفهم.

ياباني بدين- ربما كان الياباني الوحيد البدين في الجيش بأكمله، كما فكر فيل في وقت لاحق- كان قد تأخر قليلا عن رفاقه، وكان يحمل رشاشًا خفيفًا، وكان مدججًا بأحزمة من الذخيرة. وعلى مسافة قصيرة أمامه كان هناك رامي رشاش آخر نحيف.

أخرج فيل سكينه، وركض نحو الجندي البدين، وهو يدرك أنه إذا حصل على هذا الرشاش، فسيتمكن من أن يحدث ضررًا كبيرًا؛ وربما يحدث الكثير من الضرر. غرز السكين في ظهر الياباني. إنه أول جندي يقتله، ولكن في خضم هذه ظروف لم يكن شديد الحذر. وعلى الفور، صرخ الياباني البدين وسقط إلى الأمام، فالتفت الرامي النحيف الذي كان أمامه موجهًا سلاحه نحوه.

فصرخ مايرز: "أيها الملازم، انبطح، انبطح".

غير أن فيل لم يفعل ذلك؛ لأنه في تلك اللحظة فكر في سيد الإجابات. "هل سأصاب؟" أجاب سيد الإجابات: "لا". ثم أدرك فيل أنه طرح السؤال الخطأ، وطرح السؤال الصحيح قبل أن تنتهي الدقائق الخمس. "هل سأقتل؟" وكانت الإجابة: "لا، لن تقتل يا فيل".

في تلك اللحظة في إنويك، صدق ذلك. ربما لأن سيد الإجابات عرف اسم والدته قبل الزواج ومكان ولادة والده، وربما لأنه لم يكن لديه خيار آخر. فتح الياباني النحيف النار بواسطة الرشاش الخفيف، فلاحظ فيل أن مايرز تراجع إلى الخلف والدماء تتطاير منه.

سقط ديستري ومولوكي على جانبيه، وسمع الرصاص

يصفر قرب رأسه من كلا الجانبين. شعر بأحدهم يشده من سرواله وقميصه، كما لو أنَّ جرّوا مشاكسا يعضه. وفي وقت لاحق، سيُحصي أكثر من عشرة ثقوب في ملابسه، لكن لم تصبه رصاصة واحدة ولم يُخدش.

عندها، فتح النار مُحزّكا الرشاش الخفيف من اليسار إلى اليمين، ومطيحا بالجنود اليابانيين كدمى كيوبي. فالتف الآخرون، والتزموا السكون لبرهة مصدومين من هذا الهجوم غير المتوقع من خلفهم، ثم بدأوا بإطلاق النار. ضربت الرصاصات الرمال أمام فيل، وأصابت حذاءه ومزقت ملابسه. ولاحظ أنَّ اثنين على الأقل من رجاله يردون النار. ثم أمسك بحزام ذخيرة آخر من الياباني الميت عند قدميه، وفتح النار مرة أخرى، غير واعٍ لوزن الرشاش الذي يبلغ عشرين رطلا، وغير واعٍ إلى أنه يسخن، وغير واعٍ إلى أنه يصرخ.

كان الأميركيون يردون بإطلاق النار من الجانب الآخر من الكتيب، واستطاع فيل أن يميز ذلك من صوت بنادق الكاريبين. فتقدم وهو لا يزال يطلق النار، ومشى فوق الجنود اليابانيين القتلى. وحين نفذت ذخيرة الرشاش، رمى به جانبا وانحنى، فأصابت رصاصة خوذته وأسقطتها عن رأسه. غير أنه لم يلحظ ذلك، بل التقط رشاشا وبدأ بإطلاق النار مرة أخرى.

لاحظ أنَّ مايرز صار إلى جانبه مرة أخرى، وقد بدا نصف وجهه مغطى بالدماء، فيما تدلت قطعة من فرو رأسه وتأرجحت أثناء تقدمه. وصرخ: "يا أولاد العاهرات، يا أولاد العاهرات، مرحبا بكم في أميركا!"

هذا الجنون جعل فيل يضحك حتى بلغ قمة الكتيب.
وعندها، رمى الرشاش جانبًا ورفع ذراعيه: "مشاة البحرية!
مشاة البحرية! لا تطلقوا النار! مشاة البحرية!"

وهكذا، انتهى الهجوم المضاد كما بدأ، ومُنح الرقيب ريك
مايرز نجمة فضية (قال إنه كان يفضل استعادة عينه
اليمنى). وكان الملازم فيليب باركر واحدًا من 473 مَن
تلقوا وسام الشرف خلال الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم
من أنَّ فيل لم يصب بجروح، إلا أنَّ حربه انتهت. التقط مصور
صورة لقميصه الذي ثقبه الرصاص وأشعة الشمس تعبر عبر
الثقوب، وانتشرت الصورة في جميع الصحف في الوطن،
وهو ما يُطلق عليه مشاة البحرية "العالم". كان بطلًا حقيقيًا،
وسيمضي بقية خدمته في أميركا، وهو يلقي الخطب ويبيع
سندات الحرب (15).

بعد ذلك، عانقه تيد ألبرتون وناداه بالمحارب، كما ناداه بابنه.
ففكر فيل في أن هذا الرجل مثير للسخرية. ولكنه عانقه
بما فيه الكفاية بملء إرادته، مدركًا أن الوقت قد حان لوضع
الجميع خلافاتهم جانبًا.

وقابل ابنه الذي كان حينها بعمر ثلاث سنوات.

أحيانًا في الليل، عندما كان فيل يستلقي بجانب زوجته
النائمة، كان يفكر في الجندي الياباني النحيف الذي سمع
صرخة رفيقه المحتضر. رأى الجندي النحيف يلتفت، كما رأى
عينيه الواسعتين البنيتين تحت قبعته الميدانية، وتلك الندبة
على شكل صنارة سمك بجانب إحداها، وربما حصل عليها
وهو طفل. ورأى الجندي النحيف يفتح النار. وتذكر صوت

الرصاصات وهي تنز حوله. ففكر في الطريقة التي مزقت بها تلك الرصاصات العابرة ملابسه كما لو أنها لم تكن رصاصات تسبب الموت، أو أسوأ من ذلك، ربما لا تسبب عاهات دائمة. وفكر كم كان متأكدًا من بقاءه على قيد الحياة بسبب ما سمعه من توقع سيّد الإجابات. في تلك الليالي، تساءل عقًا إذا كان الرجل الذي صادفه تحت المظلة الحمراء قد نجح في توقع المستقبل فعلاً... غير أنه لم يجد إجابة عن هذا السؤال.

2

خلال جولاته لبيع سندات الحرب، والتي تضّقت إلقاء الخطب في ولايات نيو إنغلاند وأحيانًا نيويورك أيضًا، كان فيل يجد الفرصة للتحدث إلى العديد من الجنود الذين خدموا، وسمع العديد من قصص العودة الصعبة إلى الديار. وصفها أحد جنود مشاة البحرية

السابقين بإيجاز شديد قائلاً: "في البداية، بعد أربع سنوات من الفراق، كنا غرباء ننام معًا". تخظى فيل وسالي آن هذه المرحلة المحرجة، ربّما - وهذا هو المرجّح - لأنهما نشأ معًا منذ الطفولة. لذا، كانت العلاقة الحميمة بينهما تأتي بشكل طبيعي. وفي إحدى المرات، قالت له سالي آن: "يا بطلي". وقهقهها.

في البداية، كان جاكوب خجلًا منه، ويتشبث بأمه وينظر إلى الرجل الطويل الذي دخل حياتهما بعينين خائفتين. وعندما حاول فيل حمله، كان الصبي يكافح لينزل، ويبكي في بعض الأحيان، ويترنح نحو أمه، ويمسك بساقيها، ويحدق إلى الغريب الذي كان يُفترَض به أن يناديه بابا.

ذات مساء، بينما كان جيڪ جالسًا بين قدمي أمه ويلعب بمكعباته، جلس فيل أمامه، ودحرج له كرة تنس. لم يتوقع شيئًا، وشعر بسعادة غامرة عندما دحرج جيڪ الكرة إليه مرة أخرى. تحركت الكرة ذهابًا وإيابًا. فوضعت سالي أن كتابها جانبًا لتشاهدتهما. أرسل فيل الكرة وهي ترتد بانخفاض، فوضع جيڪ يديه وأمسك بها، وعندما ضحك فيل، ضحك جيڪ معه. بعد ذلك، صار كل شيء بينهما على ما يرام، وأفضل من ذلك بكثير. أحب فيل كل شيء في ابنه: عينيه الزرقاوين، وشعره البني الناعم، وجسده القوي. والأكثر من ذلك كله، أحب الإمكانيات التي يحملها الصبي الصغير. لم يستطع رؤية الرجل الذي قد يصبح عليه جيڪ، ولم يرغب في ذلك. وفكر في أنه من الأفضل أن يترك الأمر لوقته.

ذات مساء في أواخر العام 1944، رفض جيڪ أن تحمله سالي لتضعه في السرير، وقال: "أريد بابا". ربما لم تكن أفضل ليلة في حياة فيل، ولكنه لم يستطع التفكير في ليلة أفضل.

"هل ما أعتقده بشأن ازدهار كاري صحيح؟" كان قد سأل في ذلك اليوم البعيد الذي بدا كحلم (على الرغم من أنه لا يزال يتذكر كل سؤال طرح، وكل رد حصل عليه). فأخبره رجل الإجابات بأنها ستزدهر، وكان أيضًا مُحققًا في ذلك. جزئيًا، وبسبب شهرته كجندي مشاة بحرية حائز وسام الشرف، ولأنه في الغالب كان يطلب سعرًا عادلًا مقابل خدماته، ولأنه كان جيدًا في عمله ("اللعين، إنه رجل ذكي". كما قال السكان المحليون)، صار لدى فيل باركر زبائن أكثر مما يمكنه التعامل معه في السنوات التي تلت الحرب.

قُتل مساعد فيل في المكتب جراء غارة جوية على هامبورغ في العام 1939، لذا عيّن مساعدًا آخر عوضًا عنه، ثم عيّن آخر. وبعد إلحاح سالي آن، عيّن امرأة شابة؛ الأمر الذي أثار استياء سكان البلدة التقليديين. ولكن، وبحلول العام 1950، وصل إلى بلدة كاري قاطنون جدد، وجلبوا إليها أفكارًا تقدمية وأموالًا جديدة. وقد بُني مركز للتسوق في بلدة باتن المجاورة، وتولّى فيل وشركاؤه أعماله القانونية محققين أرباحًا جيدة. واستُبدلت بالمدرسة الابتدائية ذات الغرف الخمس، مدرسة ابتدائية جديدة تمامًا تحتوي ثماني غرف، واشترى فيل المبنى القديم للمدرسة بثمن بخس، جاعلاً منه مكتبه الجديد، وأطلق عليه: "فيل باركر وشركاؤه". كان آل ألبرتون كثيرًا ما يأتون لزيارة ابنتهما وحفيدهما، وبالطبع، لزيارة بطل الحرب. كان فيل متأكدًا من أن تيد مقتنع تمامًا أنه لطالما كان داعيًا لصهره في قراره الحكيم بالانتقال إلى كاري التي كانت تشهد ازدهارًا كبيرًا.

تمكّن فيل من تجاوز أي عداة قديم كُنه لحماه، وذلك بسبب حب تيد الشديد وغير المشروط لجيك. وفي ذكرى ميلاد جيك السادسة، أهداه تيد قفاز بيسبول صغيرًا، ولعب مع الصبي في الفناء الخلفي حتى حلول الظلام، إلى أن اضطرت سالي آن أخيرًا أن تطلب منهما الدخول لتناول العشاء.

وقد حاول فيل دائمًا العودة إلى المنزل قبل حلول الظلام ليلعب الكرة مع ابنه، بغض النظر عن ضغوط العمل.

وبحلول الوقت الذي بلغ فيه جيك الثامنة من عمره، كانا يقفان متباعدين بمسافة ثلاثين قدمًا، ويلقيان الكرة. بعد

ذلك، ازدادت المسافة لتصبح أربعين قدمًا. كان جيك يصرخ: "ارمها يا أبي، ارمها بقوة". غير أن فيل لم يرم بكل قوته؛ لأن الصبي في الثامنة، ولكنه أخذ يزيد سرعة رمياته قليلًا مع مرور الوقت. وفي عطلات الربيع والصيف كانا يجلسان معًا ويستمعان إلى التعليق على مباريات ريد سوكس وهي تُذاع عبر الراديو. وفي بعض الأحيان، كانت سالي تشاركهما ذلك.

في أحد أيام شهر تشرين الثاني عندما كان الثلج يغطي الأرض بارتفاع بوصتين، كانا يلعبان البيسبول في الخارج. أخذت سالي أن فيل جانبًا وقالت له: "هل كنت تلعب البيسبول في صفرك؟ لأنني لا أتذكر أنك كنت تفعل ذلك".

فهز فيل رأسه قائلاً: "أحيانًا، في أوقات متفرقة بعد المدرسة. كنت أجيد الدفاع، ولكنني كنت سيئًا في رمي الكرة، حتى إنهم أطلقوا علي لقب باركر العاجز".

"وأنا أيضًا لم يسبق لي أن مارست هذه الرياضة، ولكنه جيد... ألا ترى أنه جيد في ذلك، أم أنني أتخيل الأمر وأبالغ في تقدير ولدي".

"إنه جيد. لا أطيق الانتظار لاصطحابه إلى أول مباراة لريد سوكس".

وهذا ما حصل في العام 1950. جلس فيل وتيد على المدرجات، وجلس بينهما جيك محدقًا إلى العشب الأخضر في ملعب فينواي بارك، فاتحًا عينيه، وفاغرًا فمه، وواضعًا كيسًا من الفشار على حجره.

فانحنى تيد صوب جيك وقال له: "يومًا ما ستكون هناك في الأسفل يا جيك".

عندها، رفع جيڪ نظره إليه وهو يبتسم قائلاً: "أعرف ذلك". وفي أحد أيام تشرين الثاني الدافئة على غير العادة عام 1951، زار فيل متجر ويسترن أوتو الجديد في نورث كونواي، وعاد إلى المنزل عبر طريق 111 مع هدية للعائلة بأكملها في صندوق السيارة: تلفاز زينيث من طراز ريجنت بشاشة بيضاوية، واشترى معه هوائيًا صغيرًا على شكل أذني أرنب يتيح لهم التقاط محطات بوسطن. اعتقد فيل أن جيڪ سيفقد صوابه من فرط السعادة عندما يتمكن من مشاهدة رنج رايدر على شاشة التلفاز بدلًا من الاستماع عبر الراديو.

هنالك شيء آخر شغل بال فيل يومها، وعلى الأغلب أنه أكثر أهمية من التلفاز الجديد. فقد أجرى هذا الصباح حوارًا مع شخص يدعى بلايلوك أثيرتون والذي صدف أنه المسؤول الجمهوري الذي يتولى رئاسة مجلس شيوخ ولاية نيوهامشير. وتبين أن السيناتور أثيرتون رجل فعال ومؤثر، وقد حظي بمحادثة مثيرة للاهتمام معه. وفيما كان يفكر في الحوار الذي سيجريه مع سالي آن بخصوص ذلك اللقاء، اجتاز لوحة صفراء زاهية موضوعة على عصا محاذية للطريق، وكتب عليها: سيد الإجابات على بعد ميلين. فاجتاح سيل من الذكريات ذهن فيل عندما قرأ تلك الكلمات.

فكر في أنه من المستحيل أن يكون الشخص نفسه، ليس بعد كل تلك السنوات. ولكنه عرف في قرارة نفسه أنه هو.

وبعد أن تجاوز حدود بلدة كاري، مرّ بلوحة أخرى. كانت لوحة كهربائية زرقاء اللون أعلنت أن سيد الإجابات على بعد ميل واحد فقط. فقاد فيل السيارة صعودًا عبر التل عند حافة

البلدة، ومن مسافة مئتي ياردة لمح المظلة الحمراء. أقام سيد الإجابات كشكه هذه المرة في ساحة واسعة ليست بعيدة عن المدرسة الابتدائية الجديدة، وكان هذا المكان مخصصًا لمحطة إطفاء كاري التي ستشيد في غضون عام تقريبًا.

ركن فيل السيارة إلى جانب الطريق، وخرج منها وقد تسارعت ضربات قلبه، ناسيًا أمر التلفاز الجديد وبلايلوك أثيرتون. كان قد استبدل بسيارة الشيفروليه القديمة سيارة بويك حديثة. أغلق بابها بقوة، ووقف للحظة مذهولًا بما يراه؛ كمن تعرض لصاعقة لتوه.

فقد تقدم فيل في السن، لكن سيد الإجابات لم يفعل، بل بدا تمامًا كما كان في ذلك اليوم من تشرين الأول قبل أربعة عشر عامًا. بدا شعره الخفيف أكثر كثافة مما كان عليه في السابق، وكانت عيناه باللون الأزرق المتألق نفسه. كل شيء فيه تمامًا كما كان من قبل، حتى القميص الأبيض والبنطال الرمادي والحداء الأسود. كانت يداه ذواتا الأصابع الطويلة مطويتين بأناقة على الطاولة كما كانتا من قبل. وما تغير فقط هو اللوحتان اللتان أحاطتا باللوحة التي تُعرّف به. كُتب على اللوحة لجهة اليسار: خمسون دولارًا لكل ثلاث دقائق، وكُتب على اللوحة لجهة اليمين: السؤال الأول مجاني.

وهذا ما دفع فيل إلى التفكير في أنه حتى أعمال الشعوذة لم تكن بمنأى عن التضخم الاقتصادي. في هذه الأثناء، كان سيد الإجابات يتفحصه بفضول بالغ.

سأله سيد الإجابات: "هل أعرفك يا هذا؟" ثم أطلق ضحكة مكتومة، ثم قال: "لا تجب عن هذا السؤال. فأنت لست سيد

الإجابات، بل أنا. حسنًا، دعني أفكر". ثم كجنية من حكاية خرافية، وضع إصبعه على جانب أنفه وقال له: "لقد عرفتُكِ! أنت فيل فقط. أردت في السابق أن تعرف إن كانت فتاتكِ ستوافق على الزواج بك، مع أنك كنت متأكدًا من ذلك. وأردت أن تعرف إن كانت سترغب في الاستقرار معكِ في تلك البلدة الصغيرة، وكنت متأكدًا من ذلك أيضًا".

قال فيل: "لقد كانت أسئلة واهية".

"لقد كانت كذلك بالفعل. اجلس يا فيل فقط؛ إذا رغبت بالطبع في الاستفسار عن شيء ما. وما عدا ذلك، فأنت حر بمتابعة طريقكِ. الحرية هي ما يجعل من أميركا عظيمة، أليس هذا ما يُقال؟"

رَن جرس في مكان قريب، ثم فُتِحَت أبواب المدرسة الابتدائية الجديدة، وخرج الأولاد من الأبواب مُحدثين جلبة وضجيجًا وهم يحملون حقائبهم وصناديق الغداء، واندفعوا وكأنهم يفرون من انفجار ضخمة. لا شك في أن جيكَ واحد منهم، ولكن فيل لم يُمِيزه بين هذا الحشد، إذ كان العديد من الأولاد يعتمرون قبعات ريد سوكس. كانت هناك حافلتان مدرسيتان جاهزتان لتوصيل الأولاد الذين يعيشون على بعد أكثر من ميل.

جلس فيل على كرسي الزبون، وأخذ يتسائل عفا إذا كان هذا الرجل الغريب بشريًا بالفعل. لا بد أنه تعلم الكثير منذ أن قابله للمرة الأولى في سن الخامسة والعشرين، فهو لم يُضع سؤاله المجاني سدى، حتى الآن. بالطبع هذا الرجل ليس بشريًا؛ إذ ليس بإمكان أي بشري على الإطلاق أن يحافظ على

هيئته تمامًا بعد مرور أربعة عشر عامًا، كما لا يمكن لبشري أن يعرف مسبقًا أنه سينجو من إطلاق نار الرشاش في إنويك. تجنب فيل السؤال بشكل مباشر، وقال: "يبدو لي أنك رفعت أسعارك".

"بالنسبة إلى بعض الأشخاص فقط".

"إذًا، فأنت تتوقع قدومي".

فابتسم سيد الإجابات قائلاً: "أنت تحاول الحصول على المعلومات من دون أن تضطر إلى طرح الأسئلة. هذه الحيلة ليست غريبة عنك".

فحدث فيل نفسه: "بالطبع أنا كذلك؛ فأنت شخص مطلع".

كان الأطفال يمرون بالقرب من موقع محطة الإطفاء المستقبلية، وعلى الرغم من أن الأطفال فضوليون بطبعهم، إلا أن عددًا قليلًا منهم التفت إلى مكان جلوسهما، وأشاحوا بأعينهم بعيدًا من دون اهتمام.

"إنهم لا يروننا، أليس كذلك؟"

"هذا سؤال آخر تعرف إجابته يا صديقي. فهم بالطبع لا يروننا. الواقع له أبعاد، ونحن الآن في أحد هذه الأبعاد. هذا سؤالك المجاني. إذا أردت طرح أسئلة أخرى، فيجب عليك أن تدفع. وفي حال كنت تتساءل، فأنا لا أقبل الشيكات".

وكانه في حلم، أخرج فيل محفظته من جيبه الخلفي. كان بها ثلاث أوراق من فئة عشرين دولارًا وعشرة دولارات، وكانت هناك ورقة نقدية من فئة مئة دولار مخبأة خلف رخصة قيادته للطوارئ. أعطى سيد الإجابات ورقتين من فئة

عشرين دولارًا وورقة من فئة عشرة دولارات. فأخرج الرجل حقيبته الصغيرة ذاتها، كما أخرج مُنْبِئَهُ الكبير. هذه المرة، كانت الأرقام تتراوح ما بين 0 و3 فقط، ولكنه أصدر صوت التكتكة نفسه عندما حرَّك المقبض في الخلف.

"آمل أن تكون مستعدًا يا فيل فقط". اعتقد أنه كان كذلك. لم تكن هناك أي معضلات هذه المرة؛ فقد كان سعيدًا تمامًا بمسار حياته، ولكنه افترض أن الرجال والنساء يكونون فضوليين دائمًا بشأن المستقبل.

"أنا مستعد. لنبدأ". كان رد سيد الإجابات كما كان في ذلك اليوم من العام 1937: "حسنًا لنبدأ". ثم ضغط على مقبض الجهة الخلفية من المنبئ، فبدأ يُتكتك، وبدأ العقرب الوحيد رحلته من 3 إلى 2. فكر فيل في محادثته مع بلايلوك أثيرتون. لم تكن مقترحًا، بل مجرد إمكانية.

"إذا طلب مني، فهل يجب أن أترشح...؟" غير أن سيد الإجابات قاطعه رافعًا إصبعه محذرًا، وقال له: "هل نسيت ما قلته لك؟ أنا سيد الإجابات، ولست مستشارك". لم ينس فيل، بالضبط، ولكنه معتاد على طرح أسئلة لا تجدي نفعًا. في الواقع، أسئلة واهية.

"حسنًا، إليك سؤال: هل سأترشح إلى مجلس الشيوخ الأميركي؟"

"لا".

"لا؟"

"الإجابة: لا. لكن فقط لأنك طرحت السؤال مرة أخرى."

الوقت يمر."

"هل السبب أن سالي لا تريدني أن أترشح؟"

"لا". تجاوز العقرب رقم 2.

"هل سيعرض أثيرتون الأمر على شخص آخر؟"

"نعم".

قال فيل: "اللعين". لكن، هل كانت تلك خيبة أمل حقيقية؟ نعم، لكن ليست كبيرة. إنه يعمل محاميًا، ولا يزال يرغب في عمله، أضف إلى ذلك أنه لم يكن متحمسًا لمغادرة نيوهامشير إلى العاصمة واشنطن. لقد كان فأر الريف وافترض أنه سيظل كذلك دائمًا.

بذل فيل منحى أسئلته، تمامًا كما فعل قبل أربعة عشر عامًا.

"هل سيحب جيك وسالي التلفاز الجديد؟"

"نعم". وارتسمت ابتسامة عابرة على وجه سيد الإجابات.

الحديث عن جيك جعل سؤالًا آخر يخطر في ذهنه، وكان قد خرج من فمه قبل أن يدرك أنه ربما لا يرغب في معرفة الإجابة.

"هل سيصبح ابني لاعب بيسبول محترفًا؟"

"لا". تجاوز عقرب الساعة الرقم 1، متجهًا نحو الصفر.

"هل سيحترف أي رياضة؟"

"لا".

كان سماع ذلك مخيبًا للآمال أكثر من عدم ترشحه إلى مجلس الشيوخ. ولكن هل فاجأه ذلك كثيرًا؟ لا، لم يفعل.

فالوصول إلى الاحتراف في أي رياضة كان أشبه بهرم لا يبلغ قمته إلا من كانوا ذوي موهبة استثنائية.

"هل سينضم إلى فريق الجامعة؟"
"لا".

استمر فيل بطرح الأسئلة حول هذا الموضوع كمقامر يضحى بجميع أمواله في لعبة خاسرة.
"ماذا عن فريق الثانوية؟ بالطبع..."
"لا".

حذق فيل إلى سيد الإجابات بارتباك وقد بدأ القلق يعتريه.
في تلك اللحظة، حذر فيل نفسه من طرح السؤال الذي خطر في ذهنه متذكرًا ما كانت والدته تقوله دومًا: "النظر من ثقب الباب لا يجلب لصاحبه سوى المتاعب".

وصل عقرب الساعة إلى الصفر، فأطلقت ضجيجًا صاخبًا.
وحصل ذلك مباشرة قبل أن يطرح فيل سؤاله الأخير: "هل سيكون ابني بخير؟"

"لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، لقد تأخرت."
"حقًا؟"

لا إجابة. بالطبع لا، لقد انتهى الوقت.
"أفترض أنني تأخرت قليلًا. لا بأس، سنبدأ مرة أخرى.
أستطيع فعل ذلك، أليس كذلك؟"

لا إجابة أيضًا، لذا أجاب فيل بنفسه: "بالطبع أستطيع.
فاللوحة تفيد بأن المبلغ لكل ثلاث دقائق".

ثم انحنى قليلاً وأخرج الورقة من فئة مئة دولار من خلف
رخصة القيادة، وعندما رفع رأسه مجذّداً ونظر إلى اللوحة،
وجد أن ما كُتب هو مئتا دولار لكل ثلاث دقائق، ولا وجود
لسؤال مجاني، فقال له: "انتظر... لم يكن هذا مكتوباً قبل
قليل! لقد خدعتني".

وكما في المرة السابقة، أجابه سيّد الإجابات: "ربما أنت
من خدع نفسه". وكما في المرة السابقة، بدأ سيّد الإجابات
بالابتعاد، وكأنه يُسحب إلى الوراء، وعاد اللون الرمادي ليغطي
كل شيء. قاوم فيل ذلك، ولكن من دون جدوى.

وحين استفاق فيل، وجد نفسه خلف مقود البويك، وكان
يسمع طرقاً على نافذة السيارة.

"أبي، استيقظ يا أبي".

نظر حوله. في البداية لم يعرف أين هو، وما هو الوقت، ثم
رأى ابنه وهو يحدّق إليه، وكان معه صديقه هاري واشبرن.
كانا يعتمران قبعتي ريد سوكس. أعادت رؤيتهما فيل إلى
الواقع، وأخذ يدرك بأنه في العام 1951 وليس في العام
1937، وأنه ليس شاباً حديث التخرج، بل بطل حرب على
قدر من الأهمية ليعتبر مرشحاً محتملاً لمجلس الشيوخ
الأميركي. إنه زوج وأب.

فانحنى وفتح الباب لهما قائلاً: "مرحباً يا صغيري، لا بد
أنني غفوت قليلاً". فلم يُعرّجيك كلامه أي أهمية، وقال: "لقد
فاتتنا الحافلة لأننا كنا نتدرب على البيسبول خلف المدرسة.
هل يمكنك أن تقلنا إلى المنزل؟"

"ماذا كنتما ستفعلان لو لم أكن هنا؟"

فأجاب جيڪ: "بالطبع، كنا سنعود سيرًا على الأقدام، أو كنا سنحظى بتوصيلة من السيدة كين. إنها لطيفة".

فأكمل هاري: "وجميلة أيضًا".

"حسنًا، اصعدا. لقد ابتعت شيئًا من نورث كونواي وأظن أنه سينال إعجابكما".

فقال جيڪ وهو يجلس بجانب السائق: "حقًا!" فيما جلس هاري في الخلف.

"ما هو؟"

"سترى".

ألقى فيل نظرة إلى المكان الذي كان يجلس فيه سيّد الإجابات منذ قليل مع مظلتة الحمراء، ثم تفحص محفظته فوجد الورقة من فئة مئة دولار مطوية بعناية خلف رخصة قيادته. ما لم يكن الأمر برمته مجرد حلم، فهو يفترض بأن سيّد الإجابات لا بد أنه قد أعادها إلى محفظته، ولعله هو من أعادها بنفسه. لكنه كان واثقًا من أنه ليس حلقًا.

كان التلفاز فكرة مذهلة؛ فالهوائي الداخلي الذي يشبه أذني الأرنب كان يستطيع استقبال إشارة قناة دبليو أم يو آر التي تبث من مانشستر، وكانت الصورة أحيانًا، لا بل غالبًا، غير واضحة بسبب تساقط الثلوج بكثافة. ولكن بمجرد أن ركب فيل الهوائي الخارجي، استطاعت عائلة باركر بالفعل استقبال قناتين من بوسطن، وهما دبليو أن آي سي ودبليو إيتش دي إيتش.

استمتع فيل وسالي بمشاهدة العروض المسائية مثل ريد

سكىلتون آور وشيلتز بليهاوس، ولكن جيك تجاوز حدود الاستمتاع وأصبح مهووسًا بالتلفاز الجديد. ففور عودته من المدرسة، كان يشاهد ويكديه ماتييه، حيث يعرض الفيلم نفسه طوال أيام الأسبوع. وقد شاهد كانتري غامبوري لجاك وباتس، وبوسطن بلاكي، وإعلانات لسجائر كاميل ومنظف باب-أو. وفي أيام السبت، كان يجتمع مع أصدقائه وكأنهم في دار عبادة لمشاهدة كرسيدر رايت، وليتل راسكالز، والكثير من الرسوم المتحركة القديمة.

استمتعت سالي آن بالأمر في البداية، ثم بدأت تشعر بالقلق لاحقًا. "لقد أصبح مدمنًا على ذلك الشيء." قالت ذلك من دون إدراك منها بأن هذه الشكوى الأبوية ستكرر لأجيال لاحقة. "لم يعد يلعب الكرة معك عندما تعود إلى المنزل، بل يريد فقط مشاهدة بعض الأفلام الرديئة لهوبالونغ كاسيدي التي سبق وشاهدها أربع مرات."

في الحقيقة، كان فيل يرغب أحيانًا في لعب الكرة مع ابنه، أو في لعب التقاط الكرة خلف المرأب كما كان يفعل عندما يرميها له بحذر. لكن هذه النشاطات لم تعد تحصل في هذه الأيام. أما قبل إحضار التلفاز، كان جيك ينتظر والده عند مدخل المنزل الأمامي مرتديًا قفازه وممسكًا بمضربه.

في الواقع، لم يهتم فيل كثيرًا بفقدان ابنه الاهتمام بالبيسبول بقدر ما فعلت سالي. فعندما أخبره سيد الإجابات أن جيك لن يلعب ضمن أي فريق، ولا حتى خلال المرحلة الثانوية، قفز ذهنه مباشرة إلى أسوأ الاحتمالات؛ تمامًا كما كان سيحدث مع أي والد. ولكن اتضح أن السبب كان بديهيًا

جدًا؛ فجيك كان يفقد اهتمامه بالبيسبول، كما فقد فيل اهتمامه بتعلم العزف على البيانو عندما كان في سنه.

بدأ جيك بكتابة قصص رعاة البقر الخاصة به، مستوحيا أفكارها من برامج مثل ذا لون رينغر ووايلد بيل هيكوك. وكانت عناوين قصصه دومًا تنتهي بعلامة تعجب مثل "اشتباك في لارامي!"، أو "إطلاق نار في وادي الموتى!..." كانت قصصًا شنيعة، ولكنها لم تكن شنيعة كثيرًا، على الأقل في نظر والد المؤلف. ربما سيصبح يومًا ما كاتبًا بدلًا من لاعب وسط في فريق ريد سوكس الخاص ببوسطن. واعتقد فيل أن ذلك سيكون أمرًا رائعًا.

وفي إحدى الأمسيات، اتصل به بلايلوك أثيرتون، وسأله عما إذا كان قد فكر أكثر في الترشح لمجلس الشيوخ، ربما ليس هذه المرة، بل في العام 1956. فقال له فيل إنه سيفكر في الأمر، وأخبره أن سالي آن لم تكن متحمسة للفكرة، ولكنها ستدعمه في أي قرار يتخذه.

"حسنًا، لا تُطل التفكير. ففي السياسة علينا دومًا أن نخطط للمستقبل، لأن الوقت يمر كما تعرف".

فأجابه فيل: "نعم، هذا ما سمعته مؤخرًا".

في صباح يوم سبت من شهر شباط عام 1952، دخل هاري واشبورن إلى غرفة المذاكرة الصغيرة في منزل فيل، حيث كان فيل يراجع الإفادات استعدادًا لمحاكمة قادمة. وما إن رأى فيل خطأ من الدماء على خد هاري المليء بالنمش والمزيد على يديه حتى شعر بالقلق، وسأله:

"هل جرحت نفسك يا هاري؟"

فأجاب هاري: "لا يتوقف أنف جيڪ عن النزف. لقد تلتخ قميصه المفضل لروي روجرز بالدماء من الأعلى إلى الأسفل". فاعتقد فيل حينها أن هاري يبالغ في الأمر، إلى أن رأى ذلك بنفسه. فعلى الشاشة الدائرية للتلفاز زينيث، كانت آني أوكلي تتبادل إطلاق النار مع رجل شرير، لكن اهتمام الأولاد الأربعة أو الخمسة كان منصبًا على جيڪ. إذ كان قميصه المفضل - القميص المخصص لمشاهدة الكابوي صباح السبت - غارقًا بالدماء فعليًا. وكذلك حجره.

نظر جيڪ إلى والده وقال: "إنه لا يتوقف". وكان صوته مخنوقًا.

فطلب فيل من الأولاد الآخرين أن يتابعوا مشاهدة العرض، وأخبرهم بأن كل شيء سيكون على ما يُرام. وعلى الرغم من أنه حافظ على ثبات صوته، إلا أن مقدار الدماء التي كان ينظر إليها أخافه. أخذ جيڪ إلى المطبخ، وجعله يجلس ويُميل رأسه إلى الخلف، ثم ملأ قطعة قماش بمكعبات الثلج، وضغطها على أعلى أنف الولد.

"استمر في الضغط عليها يا جيڪ، فهذا سيوقف النزيف". في تلك اللحظة، دخلت سالي آن بسرعة عائدة من متجر أي جي آيه، وعندما رأت قميص جيڪ مبللًا بالدماء، كانت على وشك أن تطلق صرخة رعب، ولكن فيل هز رأسه لها فلم تفعل. جثت بجانبه، وسألته عما حدث.

"هل ضربك أحد أصدقائك على أنفك وأنتم تلعبون لعبة رعاة البقر؟"

"لا. لقد بدأ ذلك بشكل مفاجئ. هناك دماء على الأرض، ولكنني لم ألتخ سجادتك الزرقاء".

فقال سامي ديلون: "أنا أيضًا تلطخت بالدماء". وكان قد دخل وهاري إلى المطبخ. فيما الأولاد الآخرون يقفون خلفهما. "ولكنني غسلتها".

قالت سالي آن: "هذا جيد، يا سامي".

"أعتقد أنه يجب عليكما وعلى الأولاد الآخرين الذهاب إلى منازلهم الآن".

فذهبوا عن طيب خاطر، وتوقفوا قليلاً عند باب المطبخ لإلقاء نظرة أخيرة على صديقهم الملطخ بالدماء. وعندما غادروا، انحنى سالي آن على ابنتها وهمست لفيل: "لا أعتقد أنه يتوقف".

فقال فيل: "سيتوقف".

غير أنه لم يتوقف، ولكنه لم يعد يجري بغزارة كالسابق، بل صار ينز. وبما أن طبيب عائلة باركر كان في إجازة، لذا أخذه إلى المستشفى في نورث كونواي، حيث نظر ريتشموند-الطبيب المناوب- داخل أنف جيك بواسطة مصباح صغير وأوماً برأسه.

"سنعالج ذلك خلال لحظة أيها الصغير. فلينتظر الوالد والوالدة في الخارج ونحن سننهي الأمر". أرادت سالي آن البقاء، لكن فيل كانت لديه فكرة عن كيفية علاجهم للأمر، لذا أمسك بذراعها وأخرجها بحزم إلى غرفة الانتظار، وأغلق الباب الذي لم يكن لإغلاقه أي فائدة على الإطلاق، لأنه عندما

ثم كي أنفه، ملأ صراخ جيك المستشفى الصغير من بدايته إلى نهايته. فتشبث فيل وسالي آن ببعضهما، وذرفا الدموع في انتظار أن ينتهي الأمر. وأخيرًا، انتهى... ولم ينته.

خرج الدكتور ريتشموند، وقد تلطخت أطراف معطفه الأبيض بدماء جيك. وابتسم وقال: "إنه طفل شجاع، فلم يكن ذلك هيئًا. هل أستطيع التحدث إلى والديك لدقيقة، يا جاكوب؟" ثم أخذهما إلى غرفة الفحص وقال لهما: "هل رأيتما الكدمات؟"

فقال فيل: "بالتأكيد. بعضها على ذراعيه. إنه ولد، دكتور ريتشموند. ربما أصيب وهو يتسلق الأشجار أو شيئًا من هذا القبيل".

"هناك كدمات على صدره أيضًا، هل يحب المشاجرة؟" فقال فيل: "لا. في بعض الأحيان يتدافع وأصدقاءه، لكن الأمر لا يتجاوز حدود المزاح".

عندها قال الطبيب ريتشموند: "يجب أخذ عينة من دمه. إنه مجرد إجراء علينا اتخاذه".

"يا إلهي!" قالت سالي آن. ولاحقًا، ستخبر فيل بأنها عرفت بالأمر منذ البداية.

"سنتحقق من عدد كريات الدم البيضاء وصفائح الدم؛ فقط لاستبعاد أي شيء خطير".

فقال فيل: "لقد كان مجرد نزيف من الأنف أيها الطبيب". فقالت سالي آن التي أحاط الشحوب عينيها وفمها: "أعده إلى الداخل يا فيل". كان ذلك منظرًا سيعتاد فيل على رؤيته

بدءًا من الآن ولغاية سنة أو أكثر بقليل.

أعاد فيل ابنه إلى غرفة الفحص، وعندما تأكد جيك بأن إجراء سحب الدم سيكون سهلًا مقارنةً بكَي أنفه، رفع كَفّه وتلقى الوحزة بأعصاب باردة.

بعد أسبوع، اتصل بهما طبيب العائلة وأبلغهما أنه يشعر بالأسف لأنه ينقل لهما هذه الأخبار السيئة. لقد اتضح أن جيك مصاب باللويميا اللمفاوية الحادة.

وهكذا، انهارت صحة ابنهما القوي بسرعة. وبعد مرور ثمانية أشهر على معاناته مع ما كان يسمى في ذلك الوقت بالمرض العضال، تحسنت صحته قليلًا، وهذا ما منح والديه أملًا كاذبًا بشفائه، ثم وقع المحذور.

توفي جاكوب ثيودور باركر في مستشفى بورتسموث الإقليمي في 23 آذار 1953 عن عمر يناهز عشر سنوات.

وأمضت سالي معظم مراسم التأبين وهي تبكي مُسندة رأسها على كتف زوجها، لكن فيل لم يبكِ. فقد استنفد دموعه كلها في آخر زيارة قام بها جيك إلى المستشفى، والتي أملت خلالها سالي أن تتحسن صحة جيك مجددًا وبشكل نهائي، وتلت الصلوات لأجل ذلك. أمّا فيل فقد عرف أن لا أمل في شفاء جيك؛ لأن سيّد الإجابات أخبره بذلك نوعًا ما.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، تساءل فيل عفا إذا كانت رائحة الشراب تفوح من أنفاس سالي خلال الجنازة. وإن كانت كذلك فلم يكن للأمر أي أهمية حقًا؛ فعائلة باركر تنتمي إلى عصر تُعتَبَر فيه السجائر والشراب أمرين شائعين. ولطالما كانت سالي أن تستمتع بالكوكتيلات الخفيفة مع والديها

وأصدقائهما منذ أن كانت في السادسة عشرة. وكانت هناك دائمًا كوكتيلات في انتظار فيل عند عودته إلى المنزل، اثنان قبل العشاء كالمعتاد. وفي بعض الأحيان، كان فيل يشرب علبة أو علبتين من الشراب أثناء مشاهدته التلفاز، فيما كانت سالي تشرب كأسًا أخرى من شراب آخر. ولكن عندما عاد فيل بذاكرته إلى الوراء، أدرك أنَّ كأس الشراب أصبحت كأسين وثلاثًا في بعض الأحيان. ولكنَّ سالي آن كانت دائمًا تستيقظ في تمام الساعة السادسة صباحًا لتحضر وجبة الغداء المدرسية لجيك، وطعام الفطور لثلاثتهم. إذ كان قيام النساء بالأعمال المنزلية وخدمة العائلة أمرًا شائعًا في ذلك العصر أيضًا.

لاحظ فيل الأمر بعد مراسم الدفن خلال الاستقبال، فلم يكن هنالك مجال لعدم ملاحظته. إذ كانت سالي في المطبخ تروي للسيدة كين قصة فقدان جيك لسنه الأولى، حيث ربطت خيطًا حول تلك السن المتحركة وربطت طرفه الآخر بمقبض باب غرفة النوم.

قالت سالي: "عندما أغلقت الباب بقوة، طارت السن مباشرة". كانت الكلمات تخرج من فمها بوهن، ولاحظ فيل أنَّ السيدة كين الجميلة - كما وصفها هاري في اليوم الذي صادف فيه فيل سيّد الإجابات للمرة الثانية - تتراجع مبتعدة عنها لتتجنب رائحة أنفاسها، فيما تقدمت منها سالي مستهلة قصة أخرى لترويها، وكانت تحمل في يدها كأسًا صغيرة راحت تميل ببطء أثناء ترنحها حتى انسكب ما بداخلها على الأرض. أمسك فيل بذراعها، وأخبرها أنَّ عائلته توذ رؤيتها، ولم

يكن ذلك صحيحًا بالطبع. فرافقته من دون أن تبدي مقاومة، ولكنها التفتت إلى السيدة كين لتقول لها: "لقد طارت تلك السن مباشرة! يا له من مشهد!"

ابتسمت السيدة كين لفيل مواسية إياه، وكانت تلك الابتسامة واحدة من بين ابتسامات كثيرة سيحظى بها لاحقًا. رافق فيل سالي حتى باب غرفة المعيشة قبل أن تخذلها ركبناها، وتسقط الكأس من يدها. غير أن فيل تمكن من التقاطها قبل أن تسقط على الأرض، فعبرت ذهنه ذكرى خاطفة ولكن شديدة البهجة عن الكرة التي كان يلتقطها بعد أن يرميها له جيك عندما كانا يلعبان خلف المرأب. تمكن من العبور بها بين مجموعات الأشخاص في غرفة المعيشة، وكان يحملها تقريبًا. فنظرت إليه والدته، وأومأت له ليخرج زوجته من هناك، وبادلها الإيماء وفعل ذلك.

كان من الصعب حملها إلى الطابق العلوي، لذا أخذها إلى غرفة الضيوف، وتركها تستلقي بين معاطف المعزين، فشخرت على الفور. وعندما عاد، أخبر الحاضرين بأن الحزن تغلب على سالي آن ولم تعد قادرة على رؤية أحد إلى أن تصبح أفضل حالًا. فتلقى بعض إيماءات التعاطف والمزيد من همسات المواساة. رغم ذلك، كان فيل متأكدًا من أن بعض الموجودين، ومن ضمنهم والدته والسيدة كين، كانوا يعرفون أن الحزن لم يكن وحده ما جعل زوجته غير قادرة على رؤية أحد.

تلك كانت المرة الأولى التي يكذب فيها لإخفاء حقيقة إدمانها على الشراب، ولن تكون الأخيرة.

اقترح فيل على سالي أن يحاول الإنجاب مجددًا، فوافقت على ذلك بعدم اهتمام ولا مبالاة. وفي بعض الأوقات، كان يشعر بأنه يريد أن يجذبها من كتفيها بما يكفي من القوة لإيذائها وجعلها تصحو، ويقول لها إنها ليست الوحيدة التي فقدت ولدها، ولكنه لم يفعل ذلك، واحتفظ بغضبه لنفسه. إذ أدرك مسبقًا أنها ستقول له إن لديه عملاً يبقيه مشغولًا، أما هي فلا شيء لديها.

لكن كان لديها شيء بالفعل، الشراب والسجائر. إذ كانت تدخن علبتين في اليوم، وتحتفظ بهما في حقيبة صغيرة من جلد التمساح تبدو كحقيبة نقود. وفي العام 1954 حملت سالي مجددًا، فنصحها فيل بالإقلاع عن التدخين، وعندها أخبرته بأن يحتفظ بنصائحه - وإن كانت بنية طيبة - لنفسه. وبعد ذلك، أجهضت في شهرها الرابع.

"لا مزيد من الحمل". هذا ما قالت له وهي مستلقية على سريرها في مستشفى نورث كونواي. "لقد بلغت الأربعين، ولم أعد صغيرة لأنجب الأطفال".

وهكذا، عادوا إلى استخدام الواقيات الذكرية. وفي ليلة رأس السنة عام 1956، أدرك فيل أنه لم يبقَ لديه سوى ثلاثة، من الدزينة التي ابتاعها من نورث كونواي بعد الفصح بفترة قصيرة. فقد سمحت له سالي آن بالاقتراب منها. ولكنه عندما ألقى نظرة على وجهها وهما معًا، ووجدتها تحقق إلى السقف بعينين فارغتين، ابتعد عنها فورًا؛ لأن ذلك لم يكن حميمًا على الإطلاق.

ذات مرة في العام 1957، واجه فيل زوجته بشأن إدمانها.

وأخبرها بأنه ينبغي لها الذهاب إلى أحد مراكز إعادة التأهيل من أجل الإقلاع عن الشراب، أو على الأقل التخفيف من الشرب؛ فقد عثر على مركز جيد في بوكا راتون بعيدًا من نيوهامشير بما يكفي حتى لا يكتشف أحد الأمر. وأخبرها أنه بإمكانه القول إنها ذهبت لزيارة أحد الأصدقاء، أو حتى يمكنه القول إنهما انفصلا إن كان ذلك ما تريده، فالمهم هو أن تتوقف عن الشرب.

عندها، نظرت إليه زوجته التي ازداد وزنها، وصارت بشرتها شاحبة وعيناها باهتتين وشعرها أشعث. كان يجد عينيها بالذات مثيرتين للاهتمام بشكل خاص، فقد كانتا فارغتين تمامًا.

سألته: "لماذا؟"

وفي مساء يوم الثامن من تشرين الثاني عام 1960، عاد فيل إلى المنزل فوجده فارغًا، ووجد ورقة من سالي موضوعة على طاولة المطبخ، تخبره فيها بأن العشاء في الفرن، وبأنها ذهبت إلى مقهى غرين دور لمتابعة نتائج الانتخابات هناك.

لم تطلب منه أن يلحق بها إلى هناك، وهو أصلًا لم يكن مهتمًا بالذهاب إلى هناك؛ فمقهى غرين دور في نورث كونواي كان جيدًا في الفترة التي تزوجا فيها، ولكنه صار الآن مكانًا رديئًا.

ووفقًا لتقرير الشرطة، غادرت السيدة باركر غرين دور قرابة الساعة 12:40 في التاسع من تشرين الثاني، أي بعد فترة وجيزة من إعلان فوز كينيدي. وقد توقف الساقى عن تقديم

الشراب لها في تمام الساعة الحادية عشرة، ولكنه سمح لها بالبقاء ومشاهدة النتائج.

وفي طريق عودتها إلى المنزل عبر الطريق 16، قادت سالي سيارتها بسرعة كبيرة، ما أدى إلى انحرافها عن الطريق واصطدامها بدعامة الجسر، فقتلت على الفور. أظهر التشريح الطبي أن نسبة الشراب في دمها كانت مرتفعة. وأصيب تيد ألبرتون بنوبة قلبية فور سماعه خبر مقتل ابنته، وتوفي هو أيضًا بعد أن أمضى خمسة أيام في قسم العناية المركزة. هاتان الجنازتان المتتاليتان جعلتا فيل يتمنى العودة إلى أنيويك.

وبعد مرور ثلاثة أسابيع على وفاة زوجته، قاد فيل سيارته إلى محطة إطفاء كاري، حيث كان المكان في السابق عبارة عن أرض خالية. كان الوقت متأخرًا والظلام يعم المحطة. وبحسب ما يتذكر فيل، هذا هو المكان نفسه الذي جلس فيه سيد الإجابات تحت مظلته في ذلك اليوم.

"تعالَ وتحدث إلي". صرخ فيل وسط الظلام، وأخرج من جيب معطفه رزمة من النقود وتابع قائلاً: "أحمل ثمانمئة، وربما ألف دولار، ولدي بعض الأسئلة. السؤال الأول هو هل كان ذلك حادثًا، أم أنها انتحرت؟"

فلم يلقَ جوابًا. إذ لم يكن هناك سوى محطة الإطفاء المظلمة، والأرض الخالية التي تلعب فيها الرياح الشرقية، وبعض تماثيل الجص المضاءة بإضاءة خافتة.

"السؤال الثاني: لماذا أنا من حصل معه هذا؟ أعرف أن هذا يبدو إشفاقًا على الذات، بل أنا متأكد من ذلك، ولكنني أشعر

بالفضول. لا يزال صديق جيك الأحمق هاري واشبرن على قيد الحياة، والآن هو مجرد سبّاك متدرب في سومرزورث. وسامي ديلون أيضًا على قيد الحياة، فلماذا لا يكون ابني كذلك على قيد الحياة؟ لو أن جيك ما زال حيًا، لما كانت سالي آن ستموت، أليس كذلك؟ حسنًا أخبرني. لم أعد أريد أن أعرف لماذا أنا، بل أريد أن أعرف لماذا بالأساس؟ هيا يا رجل، اخرج إلي، واضبط منبهك، وخذ أموالك".

لا إجابة بالطبع.

"لم تكن هنا على الإطلاق، أليس كذلك؟ إنك محض خيال لعين اختلقته مخيلتي. تبًا لك، وتبًا لي، وتبًا لهذا العالم".

وهكذا، أمضى فيل السنوات الثلاث التالية في حال من الضياع الذي ترافق مع اكتئاب مزمن. إذ كان يعمل كالمعتاد، ودائمًا ما يصل إلى المحكمة في الوقت المحدد، ويربح بعض الدعاوى، ويخسر بعضها الآخر. وما كان يولي الفوز أو الخسارة اهتمامًا. أحيانًا، كانت تراوده أحلام عن سيد الإجابات، وفي بعض تلك الأحلام كان يقفز فوق الطاولة ويلقي بالمنبه أرضًا، ويقبض على عنق سيد الإجابات الذي كان يتلاشى في قبضته كالدخان. ففي نهاية الأمر، تلك كينونته، أليس كذلك؟ مجرد دخان.

غير أن تلك الفترة من حياته انتهت مع ظهور المرأة المحترقة، وكان اسمها كريستين لاكاس، ولكنها ظلت المرأة المحترقة في نظر فيل.

ذات يوم، في بداية ربيع العام 1964، دخلت سكرتيرته مكتبه وقد بدا عليها الشحوب والاضطراب. اعتقد فيل أن

هنالك دموعًا في عينيها، وتأكد من الأمر عندما مسحت
إحداها براحة يدها. فسألها إن كانت على ما يرام.

"نعم. هناك امرأة تريد رؤيتك، وأردت أن أحذرك قبل أن
أسمح لها بالدخول. يبدو أنها قد تعرضت لحريق شديد. إنَّ
وجهها... فظيع يا فيل".

"ماذا تريد؟"

"تقول إنها تريد مقاضاة شركة نيو إنغلاند فريدوم
ومطالبتها بتعويض قيمته خمسة ملايين دولار".

فابتسم فيل وقال: "لا بد أنها خدعة ما، أليس كذلك؟"

إذ كانت شركة نيو إنغلاند فريدوم شركة ضخمة تتولى
إنشاء مشاريع في الولايات الست الممتدة من بريسك إيل إلى
بروفيدانس. وقد نمت لتصبح إحدى كبرى شركات الإعمار
في الشمال خلال السنوات التي تلت الحرب، والتي افترض
فيل أنها انتهت الآن. لقد بنت مجمعات سكنية، ومراكز تسوق،
ومراكز صناعية، كما بنت السجون أيضًا.

"من الأفضل أن تدعيها تدخل يا ماري. وشكرًا لك لأنك
حضرتني لما سأراه".

غير أنه لم يكن هناك ما يمكنه أن يحضر فيل فعلاً لرؤية
المرأة التي دخلت مكتبه مترنحة على عكازين. تمكن فيل
أن يخفن بالنظر إلى الجانب الأيسر من وجهها أنها في أواخر
العقد الرابع أو أوائل العقد الخامس من العمر. أما الجانب
الأيمن فكان عبارة عن كتل من اللحم الذائب. يدها اليمنى
التي كانت تمسك بها العكاز كانت عبارة عن مخلب. ولاحظت

السيدة دهشته لدى رؤيته منظرها، فارتفع الجانب الأيسر من فمها بابتسامة كشفت عن القليل من الأسنان المتبقية لديها.

قالت له: "أبدو جميلة، أليس كذلك؟"

كان صوتها مثل نعيق الغراب. فخمن فيل أنها استنشقت دخان النار التي أحرقتها فأحرقت حبالها الصوتية، وفكر في أنها محظوظة لأنها لا تزال تستطيع التحدث.

لم تكن لدى فيل النية للرد على سؤالها الذي افترض أنه سؤال مجازي أو سخرية واضحة.

"تفضلي بالجلوس يا آنسة، وأخبريني عن كيفية تمكّني من مساعدتك."

"لست آنسة، أنا أرملة كما تعلم. أمّا بالنسبة إلى الطريقة التي يمكنك أن تساعدني بها، فيمكنك مقاضاة شركة نيو إنغلاند فريدوم. أريد تعويضًا بقيمة خمسة ملايين من دون زيادة أو نقصان. أراهن أنك لن تقدّم لي المساعدة، فقد ذهبت إلى العديد من المحامين الآخرين حتى الآن، ومن ضمنهم فيلد وبيلسبري في بورتلاند، ولم يرغب أي منهم في التعامل معي أو مع قضيتي. فهذه الشركة تتجاوز حدود قدراتهم. هل أستطيع الحصول على كأس من الماء قبل أن تطردني؟"

عندها، ضغط على الجرس، وطلب من ماري أن تحضر كأسًا من الماء للسيدة لأكاس. في هذه الأثناء، كانت المرأة المحترقة تعبت بيدها السليمة في حقيبة صغيرة مشدودة حول خصرها، وأخرجت زجاجة من أقراص الدواء ودفعتها عبر مكتب فيل.

"هل يمكنك أن تفتح لي هذه الزجاجاة؟ أستطيع فتحها بنفسى، لكن الأمر مؤلم. أريد قرصين. لا، اجعلها ثلاثة أقراص".

ففتح فيل الزجاجاة، وأخرج ثلاثة أقراص وناولها إياها، ثم أعاد إغلاق الزجاجاة.

فى تلك اللحظة، دخلت ماري مع الماء، فابتلعت السيدة لأكاس الأقراص وقالت: "إنها مورفين، من أجل تخفيف الألم. فالتحدث يسبب لى ألماً شديداً. فى الواقع، كل شىء يسبب لى ألماً، لكن التحدث هو الأسوأ. الأكل أيضاً ليس ممتعاً. لقد قال لى الطبيب إن هذه الأقراص ستقتلنى فى غضون عام أو ثلاثة، فأجبتة بأن هذا لن يحصل قبل أن أقدم دعواى إلى المحكمة. أنا مصفمة على ذلك أيها المحامى باركر.

آه، جيد. لقد بدأ مفعول الأقراص، هذا جيد. كنت سأتناول قرصاً آخر، ولكننى عندها سأفقد توازنى، وسأبدأ فى الخلط بين الأمور".

قال لها فيل: "أخبرينى، كيف أستطيع مساعدتك؟" فأرجعت رأسها إلى الخلف، وضحكت بطريقة شريرة. وعندها، تمكن فيل من رؤية جزء من عنقها يتدلى إلى كتفها.

"بإمكانك أن تساعدنى من خلال مقاضاة أولئك الأوغاد". وبدأت تروي قصتها.

كانت كريستين لأكاس تعيش مع زوجها وأولادها الخمسة فى مورو إستيتس، وهو مجمع سكنى بنته الشركة فى ألبانى،

جنوب نورث كونواي. وكانت مصابيح الإنارة تتوقف عن العمل بشكل مستمر، والدخان يتصاعد من المقابس الكهربائية في بعض الأحيان. وكان زوجها رونالد لاكاس سائق شاحنة على الطريق السريع، ويجني مالاً وفيراً من عمله هذا، ولكنه يغيب عن المنزل لفترات طويلة. أما كريستين لاكاس فكانت تعمل من منزلها مصففة شعر للسيدات، وكانت مجففات الشعر الخاصة بها تتعطل باستمرار. ذات يوم، اندلعت النيران في غرفة خدمات مجتمعهم المكوّن من أربعة منازل، وقطع عنهم التيار الكهربائي لنحو أسبوع. حينها، تحدثت كريستين - التي لم تكن قد أصبحت السيدة المحترقة بعد - إلى المشرف عن المجقع، ورفع يديه ملقيًا اللوم على شركة كهرباء نيوهامشير.

"لكنني لم أكن غبية لأصدق أنّ ارتفاع التيار الكهربائي المفاجئ يمكن أن يتسبب في اشتعال الألواح الكهربائية لأربعة منازل. لأنه لو كان الأمر صحيحًا لوجب أن تنفجر الصمامات أولاً. كما أنّ مجموعات أخرى في مورو إستيتس عانت من مشاكل في الإنارة والتدفئة، لكنّ مشكلتها لم تكن بقدر مشكلتنا".

وعندما لم تحصل على شيء من المشرف، اتصلت بمكتب الشركة في بورتسموث، وتحدثت إلى أحد الموظفين هناك، ولم تحصل على حل. بحثت عن كبار المسؤولين في الشركة في مكتبة نورث كونواي، ووجدت رقم مقر الشركة في بوسطن، فاتصلت بهم وطلبت التحدث إلى الرئيس. غير أنّه لم يسمح لها بالتحدث إليه، وقيل لها إنه مشغول جدًا ليتحدث إلى سيّدة منزل لا أهمية لها. لذا، بدلًا من ذلك

تحدثت إلى موظف آخر، أكثر أهمية من موظف بورتسموث، وأخبرت رجل بوسطن ذاك بأن الجدار في صالونها المنزلي الصغير يسخن أحيانًا عندما يتموج التيار الكهربائي، وكانت تسمع أصواتًا وكأنَّ هنالك دبابير وراء الجدار، وتشم رائحة شيء ما يحترق. فأخبرها الموظف بأنَّ الجهد الكهربائي لمجففات الشعر التي تستخدمها قد يكون أقوى من النظام الكهربائي لمنزلها، فشتمته وأنهت المكالمة.

وفي ليلة الكرسمس، علقت الشركة أضواء الزينة في شتى أنحاء مورو إستيتس.

سألها فيل: "هل الشركة هي التي فعلت ذلك؟ أم جمعية مالكي المنازل في المجمع السكني؟"

فأجابت كريستين: "لم تكن لدينا جمعية، لا شيء من هذا القبيل. تلقى الجميع نشرات إعلانية من الشركة في صناديق بريدهم، بعد يوم الشكر. وقالوا إنهم سيفعلون ذلك لأنَّ الكرسمس موسم للعطاء."

"يا لطيفة قلوبهم!" قال فيل ذلك وهو يدوّن بعض الملاحظات على دفتره القانوني.

فضحكت المرأة المحترقة ضحكتها الشريرة، وأشارت إليه بإصبعها المشوّهة التي ذاب اللحم عن جزء منها قائلة: "أنت تعجبني. ستطردني كما فعل الآخرون، ولكنك تعجبني. كما أنَّ أحدًا منهم لم يدوّن كلامي كما تفعل أنت."

"هل ما زلت تحتفظين بتلك النشرة؟"

"لقد احترقت نشرتي، ولكن لديّ كدسة من النشرات الأخرى

مثلها".

"أريد واحدة. لا، أريدها كلها. أخبريني عن الحريق".

قالت إن زوجها كان في المنزل في ذلك اليوم، وكانت الهدايا تحت الشجرة قبل ليلتين. بينما الأولاد مستلقون في أسرّتهم ويحلمون بالسكاكر. وفجأة، اشتعلت النيران في منزلهم ومنزل آل دوفي المجاور لمنزلهم. وقد استيقظت كريستين على صوت صراخ قادم من الخارج. كان المنزل مليئًا بالدخان، ولكنها لم ترَ ألسنة اللهب، بل رأت من نافذة غرفة النوم رونا دوفي- جارتها في المنزل المجاور- وهي تتقلب على الثلج محاولة إطفاء ثوب نومها المشتعل.

"كان منزلهم يحترق كشجرة الكرسمس. وعلى الفور، أيقظت رونالد، وأخبرته بأن يُخرج الأولاد، ولكنه لم يفعل. بحلول ذلك الوقت، كنت في الخارج أقذف الثلج على رونا". وأضافت السيدة لاكاس قائلة ببساطة: "لقد ماتت. كان ولداها مع طليقها في راتلاند، لحسن حظهما. لكن لم يكن حظ أولادي جيدًا مثلهما، لا أعرف ما الذي حلّ بهم. وأعتقد أن الدخان قد وصل إلى روني قبل أن يتمكن من الوصول إليهم. عدت إلى الداخل لأفعل ذلك بنفسني، فسقط علي نصف سقف غرفة المعيشة قبل أن أتمكن من ذلك. أيها المحامي باركر، اشتعلت النار في ذلك المنزل بسرعة كبيرة، وخرجت منه وأنا أحترق. هل تعلم ما الذي حدث خلال العام الذي قضيته في المستشفى".

فأجابها فيل: "تبادلوا إلقاء اللوم على بعضهم بعضًا إلى أن نسي الأمر، أليس كذلك؟"

فأشارت إليه بإصبعها المشوهة مرة أخرى، مطلقة ضحكة أخرى من ضحكاتها الشريرة. ففكر فيل في أنها الطريقة التي يضحك بها من لعن في الجحيم.

"أفادت شركة نيو إنغلاند فريدوم بأن الخطأ كان خطأ الشركة التي أجرت التمديدات الكهربائية، والتي بدورها قالت إن الولاية فحصت كلاً من أضواء الزينة ومواصفات الأسلاك الأصلية، لذا فهو خطأ الولاية. وذكرت الولاية أن المواصفات لم تكن مطابقة للتوصيلات الفعلية في المنازل التي لا تزال قائمة، وأن شركة الهندسة قد خدعتهم لتوفير المال، فردت شركة الهندسة بأنها تلقت أوامرها من شركة نيو إنغلاند فريدوم. وهل تعرف ما الذي أجابت به تلك الأخيرة؟"

أجاب فيل: "تقدمي بدعوى إذا لم يعجبك الأمر."

"هذا بالضبط ما أجابت به. شركة كبيرة وعريقة في مواجهة امرأة تبدو كدجاجة تزكت طويلاً في الفرن. حسناً، قلت: سأراكم في المحكمة. عرضوا علي تسوية بقيمة أربعين ألف دولار، فرفضتها. أريد خمسة ملايين، مليوناً لكل واحد من أولادي الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة وأربعة عشر عامًا. لن أطلب تعويضاً عن زوجي؛ إذ كان يجب عليه أن يخرجهم. الآن، هل حان وقت رحيلي؟"

وللمرة الأولى منذ وفاة سالي آن - ربما منذ وفاة جيك - شعر فيل بشيء من الاهتمام الحقيقي، بالإضافة إلى الغضب. وأعجبته فكرة مواجهة شركة عملاقة. ليس من أجل المال - على الرغم من أن حصته من الملايين الخمسة ستكون كبيرة - وليس من أجل الشهرة، فقد كان لديه الكثير من

الأعمال والمهام ليقوم بها... أو يريد التعامل معها. بل كان هناك شيء آخر؛ كانت هذه فرصة للإمساك بعنق لن يتلاشى كالدخان.

لذا قال لها فيل: "لا، لم يحن وقت رحيلك بعد".

لاحق فيل شركة نيو إنغلاند فريدوم بلا هوادة طوال السنوات الخمس التالية. ولم يوافق والده على ذلك، وقال إن فيل يعاني من عقدة دون كيشوت، واتهمه بإهمال قضاياها الأخرى. فردّ فيل بالقول إن ذلك ربما يكون صحيحًا، ولكنه أشار إلى أنه لم يعد بحاجة إلى توفير المال لإرسال ابنه إلى هارفارد. عندها، لم يتحدث جون - جون العجوز بحلول ذلك الوقت - عن القضية مرة أخرى. فيما قالت أرملة تيد ألبرتون إنها تتفهمه وهي معه مئة في المئة.

وقالت له: "أنت تفعل ذلك لأنك لا تستطيع مقاضاة السرطان الذي أخذ جيك".

فلم يعارضها فيل في ذلك - إذ ربما كان هناك شيء من الحقيقة في ما قالت - ولكنه كان يفعل ذلك حقًا لأنه لم يستطع إخراج سيد الإجابات من ذهنه. أحيانًا عندما لا يستطيع النوم، كان يفكر في أنه مجرد أحمق، إذ لم يكن سيد الإجابات مسؤولًا عن مصائبه أو مصائب المرأة المحترقة. كان كل ذلك صحيحًا، ولكن هناك شيء آخر صحيح أيضًا؛ فهو عندما كان في أمس الحاجة إلى إجابات، اختفى الرجل ذو المظلة الحمراء. ومثل السيدة لوكاس، كان عليه أن يحل شخصًا ما المسؤولية.

جلب فيل شركة نيو إنغلاند فريدوم إلى محكمة الدائرة

الفيدرالية في بوسطن قبل أن تُصاب السيدة لاكاس بالالتهاب الرئوي، وريح الجولة.

ثم استأنفت الشركة الحكم؛ تمامًا كما توقع فيل وكريستين، ولكنها حققت ذلك النصر المشروط قبل أن يقضي عليها الالتهاب الرئوي في خريف العام 1967. وبحلول ذلك الوقت، كان فيل قد شهد تدهور حالتها يومًا بعد يوم، وعرف - كما عرف مع جيك - أن النهاية قد اقتربت. أضاف شقيق رونالد لاكاس إلى القضية. ولكن، لم يكن لدى تيم لاكاس تعطش المرأة المحترقة نفسه للانتقام، ولا حماسها، وطلب من فيل أن يتابع الدعوى، فيما تابع القضية من منزله في نورث كارولينا. وعلى الرغم من أنه رفض دفع أي رسوم، إلا أنه سيشعر بالسعادة إذا هبط عليه بعض المال من السماء، وجاء من بوسطن أو نيو هامبشاير. لم تترك المرأة المحترقة أي ميراث، ولكن فيل تابع القضية على أي حال، ودفع المصاريف من جيبه الخاص. وقد عرضت عليه الشركة التسوية مرتين. في المرة الأولى بثلاثمائة ألف دولار، ثم بثمانمائة ألف. وذلك بعد أن أربكتها شهرة الدعوى إعلاميًا. وقد حث تيم لاكاس فيل عبر الهاتف على قبول المال، لكن فيل رفض ذلك. إذ كان يريد الملايين الخمسة التي طالبت بها السيدة لاكاس. مليون مقابل كل طفل. كانت هناك تأجيلات، ومن ثم استئنافات. وقد خسرت الشركة في الجولة الأولى واستأنفت مرة أخرى، ولكن عندما رفضت المحكمة العليا سماع قضيتها، لم يعد أمام هذه الشركة طريق آخر. وكانت الفاتورة النهائية لأضواء الكرسمس - القشة التي قصمت ظهر البعير - والأسلاك الرديئة التي أثبت فيل أنها كانت تتوافق مع ما اعتادت الشركة على

استعماله من أسلاك، مع الأخذ بعين الاعتبار طريقة تعامل الشركة مع المشاريع التي قامت، هي 7.4 ملايين دولار منحت للمدعي تيم لأكاس، بالإضافة إلى تكاليف المحكمة الكبيرة. وقد كان بإمكان شركة نيو إنغلاند فريدوم- التي لم تستطع في البداية أن تُصدق أنها لا تستطيع الصمود أمام محام ريفي من شرق منطقة نائية- تستطيع توفير ما يقارب المليونين ونصف المليون دولار لو أنها استسلمت منذ البداية.

وعندما قال فيل لتيم إنها سيتقاسمان التعويض، رفض ذلك وهدده برفع دعوى قضائية، فقال له فيل: "افعل ذلك، وسيتبخر نصيبك من الملايين السبعة خلال هذه العملية". وفي النهاية، وافق تيم على تقاسم التعويض.

وفي أحد أيام عام 1970، علق فيل صورة على جدار مكتبه كي تكون أول شيء يراه كل صباح. كانت الصورة تظهر رونالد وكريستين في حفل زفافهما، وبدا فيها رونالد سمينًا ومبتسمًا، وبدت كريستين كالملاك في فستان زفافها. وأسفل الصورة، كتب فيل عبارة بخط يده بعناية فائقة:

"تذكر دائمًا أن هنالك من هم أسوأ منك حاليًا".

بعد صدور الحكم النهائي في القضية التي رفعها ضد شركة نيو إنغلاند فريدوم-القضية التي جعلت منه نجمًا في الأوساط القانونية- استطاع فيل العمل على أي قضية يريدها، ولكنه اختار أن يتروى قليلًا. وبدأ يتولى عددًا أكبر من القضايا من دون أجر، لا سيما وأن وضعه المادي كان ممتازًا. وفي العام 1978، وقبل تأسيس منظمة "مشروع البراءة" في الولايات المتحدة، تولى فيل قضية جديدة

لصالح رجل أمضى اثني عشر عامًا من مدة حكمه المؤبد في سجن نيوهامشير، ومنحه الحرية بعد أن فاز بالدعوى.

ترك غياب جيك وسالي آن فراغًا في أعماقه، ولم يكن بمقدور أعماله القانونية ملء وقته بالطبع، فحاول أن يكون أكثر فعالية في مجتمعه. لذا، شغل منصب أمين المكتبة في مكتبة كاري العامة، وأطلق مهرجان كاري الأول للكتاب. وظهر في إعلانات خدمية عامة على قنوات التلفاز في نيوهامشير في حملة التبرع السنوية في الولاية، وخصص ليلة في الأسبوع للعمل في بنك الطعام في نورث كونواي (لأن هنالك من هم أسوأ حالًا)، وليلة أخرى للعمل في مأوى حيوانات هارفست هيلز على تقاطع خط الولاية في فريبوغ. وفي العام 1979، تبنى جرّوا من نوع كلاب الصيد وأطلق عليه اسم فرانك. رافقه فرانك إلى كل مكان ذهب إليه، وجلس إلى جانبه طوال الأعوام الأربعة عشر التالية.

لم يتزوج مرة أخرى، ولكنه كان على علاقة مع صديقة له تعيش على طريق بلدة مولتونبورو، وكان يزورها بين الحين والآخر. كانت تدعى سارة كومبس، وكان قد أنجز لها بعض الأعمال القانونية وسدّد لها رهن منزلها. لم يكن يزورها هو وفرانك كل ليلة، ولكنها كانت تحتفظ دائمًا بكيس غينز برغر في ثلاجتها من أجل ذلك. ولكن، قلّت وتيرة هذه الزيارات سنة بعد سنة، وأصبح فيل أكثر ميلًا للعودة إلى المنزل بعد انتهاء عمله، حيث يُسخّن ما تركته له مدبرة المنزل من طعام. كانت وحدته في المنزل الفارغ تترك أثرًا موحشًا في نفسه في بعض الأوقات، وفي تلك المناسبات كان ينادي على

فرانك ليجلس إلى جانبه فيداعبه وهو يخبره بأن هنالك من هم أسوأ حالًا.

كانت المشاركة في تدريب فريق الصغار للبيسبول هي العمل المجتمعي الوحيد الذي رفض فيل المشاركة فيه. وذلك لأن المشاركة في ذلك سثحيي لديه ذكريات لم يستطع تحملها.

وهكذا، مر الزمن، وبهذه الطريقة كتبت قصة حياته، وكانت جيدة في معظمها. وصحيح أن الزمن قد خلف بعض الندوب، إلا أنها لم تكن بذلك السوء. فما الندبة إلا جرح شفي.

ومع تقدمه في السن، أصبح فيل يعرج في مشيته، وبدأ يستخدم عكازًا للمشي. وبحلول ذلك الوقت، تقاعدت ماري، وبدأ فيل يعاني من التهاب المفاصل في يديه وقدميه ووركيه، ثم توفيت ماري.

عندها، أعلن عن تقاعده، وأقامت بلدة كاري التي كانت على وشك أن تصبح مدينة صغيرة حفلًا رائعًا من أجله، تلقى خلاله العديد من الهدايا، ومن ضمنها وسام "المواطن الأول في كاري". وفي الحفل ألقى العديد من الخطابات، وكان ختامها خطاب فيل الذي ألقاه أمام حشد كاد أن يملأ قاعة المدرسة الثانوية الجديدة. كان خطابه متواضعًا وذكيًا، والأهم من ذلك كله أنه كان قصيرًا. فمع تقدمه في السن أصبحت حاجته إلى دخول الحمام ملحة.

توفي فرانك بسلام في خريف العام 1993، فدفنه فيل في الفناء الخلفي لمنزله، وحفر الحفرة بنفسه؛ على الرغم من أن مفاصله كانت تؤلمه عند كل ضربة مجرفة. وبعد أن

وضعه في القبر، ووضع فوقه التراب، ألقى خطبة وداع له،
والتي كانت قصيرة: "لقد أحببتك يا صديقي العجوز، ولا
أزال أحبك". كان ذلك هو العلم الذي بلغ فيه فيل السطحية
والصائين من عصره.

وفي العام 1995، طأى فيل للمرة الأولى في حياته من
الصداع العصبي، فذهب للرؤية الطبيب بارلو الذي كان يدعو
فيل بالطبيب الجديد، على الرغم من أنه كان يزوره لإجراء
الفحوصات ومطابقة حالة التهاب المفاصل التي يعاني منها
منذ عشر سنوات. فسأله الطبيب بارلو عما إذا كان يعاني من
الزجاج في الرؤية يترافق مع الصداع، فرد فيل بالإيجاب.
كما اعترف له بأنه كان يجد نفسه في أماكن مختلفة من
الممرال بعد أن يخف ألم صداعه من دون أن يتذكر بالضبط
كيف واصل إليها. عندها أرسله الطبيب بارلو إلى يورنسموث
لإجراء صورة رنين مغناطيسي.

وبعد أنطلع على نتائج الصورة، قال له: "أخشى أنها
ليست أخباراً جيدة. قلبك ورم في الدماغ". ثم تابع وكأنه
يحدث على الأمر قائلاً: "إنه أمر تأثير بالنسبة إلى شخص في
مثل سنك".

ونصح به بارلو بطبيب أعصاب في مستشفى ماس جنرال.
وبما أن فيل لم يعد قادراً على القيادة إلا داخل المدينة، فقد
عين شاباً يدعى الوطرن فيبس ليكون سائقه. كان الوطرن هذا
يصحبت كثيراً عن عائلته وأصدقائه وحيبته، وعن الطقس،
وعن عمله بدوام جزئي ورغبته في العودة إلى الدراسة،
وبغيرها من الأمور التي كانت تسجل إلى إحدى فيل

وتخرج من الأخرى، ولكنه كان يومئ برأسه مدعيًا الاهتمام بما يسمعه. وخلال تلك الرحلة، شعر فيل بأنه أخذ ينفصل عن الحياة بشكل تدريجي، لم يكن الأمر بذلك السوء، لقد كان أشبه بتمزيق قسيمة من السوبر ماركت، ببطء ولكن بتصميم وثبات.

فحص طبيب الأعصاب فيل، وألقى نظرة على الصورة الطبقيّة لدماعه العجوز، ثم أخبر فيل أنه يستطيع إجراء عملية لإزالة ذلك الورم الخبيث من دماغه، وهذا ما جعل فيل يتذكر أغنية قديمة حول فتاة كانت تعلن بأنها ستزيل حبيبها نهائيًا من دماغها. كانت سالي تدندن هذه الأغنية أثناء استحمامها في بعض الأحيان، ولم يكن فيل يأخذ ذلك الأمر على محمل شخصي. وعندما سأل فيل الطبيب عن نسبة نجاح العملية أجابه بأنها خمسون بالمئة، فاعتذر منه فيل قائلاً له إن هذه النسبة ليست كافية لرجل في سنه.

"قد يكون الصداع شديدًا قبل..." ثم صمت طبيب الأعصاب غير راغب في أن يقول قبل النهاية.

فأجابه فيل قائلاً: "هناك من هم أسوأ حالًا".

3

في يوم عاصف من أيام تشرين الأول، في خريف العام 1995، انزلق فيل خلف مقود سيارته للمرة الأخيرة. لم تكن الشيفروليه القديمة ولا البويك الحديثة، بل كانت سيارة كاديلاك سيفيل مجهزة بالميزات الفاخرة كافة. "أرجو ألا أتسبب في مقتل أحدهم يا فرانك". قال ذلك للكلب الذي لم يعد موجودًا. لم يكن يعاني من أي صداع وقتها، ولكنه شعر

بنوع من البرودة، وبدأ نوع من انعدام الإحساس يجتاح أطراف أصابعه.

قاد عبر المدينة بسرعة عشرين ميلاً في الساعة، ورفع سرعته إلى الثلاثين عندما ابتعد عن وسط المدينة. أطلقت سيارات عديدة أبواقها وتجاوزته، وكان فيل يصيح بكل واحدة منهم قائلاً: "اللعنة عليكم! فلتموتوا! انبح يا فرانك إذا كنت توافقني الرأي".

على الطريق 111، أخذ الازدحام يخف إلى أن انعدم تقريبًا. ولم يكن فيل متفاجئًا عندما مرّ بلوحة صفراء زاهية كتب عليها: سيّد الإجابات على بعد ميلين. فهو لم يخاطر بحياته وبحياة الآخرين بقيادته إلى هنا لو لم يكن متأكدًا من أنه سيمر بها. كما أنه لم يعتقد أن الورم الذي ينمو في دماغه كان يزوده بمعلومات خاطئة. بعد ذلك بقليل، وصل إلى اللوحة الزرقاء: سيّد الإجابات على بعد ميل واحد. وهناك فوق تل مرتفع على تخوم بلدة كاري، استقرت المظلة الحمراء الزاهية وفي ظلها كانت الطاولة. توقف فيل، وأوقف عمل المحرك. ثم أمسك عكازه، وصارع للخروج من وراء المقود.

"ابق هنا يا فرانك، سأعود بعد برهة".

لم يفاجأ فيل أيضًا عندما وجد سيّد الإجابات كما هو تمامًا لم يتغير فيه شيء. عيناه اللامعتان، وشعره الخفيف، وملابسه، كلها لم تتغير. لكن شيئًا واحدًا رآه فيل قد تغير على الرغم من أنه لم يكن يثق كثيرًا في نظره، وذلك بعد أن أصبح يعاني من ازدواج الرؤية الذي كان في بعض الأحيان يتحول إلى رؤية ثلاثية. إذ لم تكن هناك سوى لوحة واحدة موضوعة

على طاولة سيّد الإجابات، وقد كُتب عليها:
كل الأسئلة مجانية.

جلس فيل على كرسي الزبون، وقال بعد أن تنهد وكشّر وجهه: "تبدو كما أنت تمامًا."
"وأنت أيضًا يا فيل فقط."

ضحك فيل قائلاً: "حسنًا، فلتوجه لي إهانة أخرى، لم لا تفعل ذلك؟" حدث فيل نفسه قائلاً إن هذا كان سؤالاً واهياً آخر، ولكن لم لا؟ الأسئلة اليوم مجانية.

فقال سيّد الإجابات: "أنا جاد. أنت لم تتغير من الداخل."
"كما تريد، ولكنني أشك في ذلك. هل المنبه الكبير معك؟"
"نعم، لكنني لن أحتاج إليه اليوم."
"يوم الجمعة مجاني، أليس كذلك؟"

فابتسم سيّد الإجابات وقال: "اليوم هو الثلاثاء يا فيل فقط."

"أعلم ذلك. لقد كان سؤالاً واهياً. أنت معتاد على هذا النوع من الأسئلة، أليس كذلك؟"

"أنا معتاد على أنواع الأسئلة كافة. قل لي، ما أسئلتك؟"

فقرر فيل أنه لم يعد يرغب في معرفة سبب حصول ما حصل معه وعدم حصوله لغيره. فكما سيقول سيّد الإجابات، إنه مجرد سؤال واهٍ آخر. حصل معه لأنه يجب أن يحصل له، وليس هناك سبب آخر. لم يكن لديه الفضول لمعرفة الوقت المتبقي له في هذه الدنيا. ربما سيكون حاضراً عند تساقط

الثلوج، ولكن من المؤكد أنه لن يشهد حلول الربيع. كان هناك سؤال واحد أثار فضوله.

"هل نستمر بعد الموت؟"

"نعم".

بدأ اللون الرمادي يتشكل ويحيط بهما ببطء. وفي الوقت نفسه، أخذ سيد الإجابات بالابتعاد عنه تدريجيًا. لم يمانع فيل ذلك هذه المرة. إذ لم يكن هناك صدادع، وبدأ الأمر مريحًا. وما كان يراه من أوراق الأشجار كان ساحرًا. لقد كانت أوراق الأشجار تتوهج بلون ناري في فصل الخريف، في نهاية دورة حياتها.

وبما أن الأسئلة كانت مجانية، أخذ فيل يسأله...

هل نذهب إلى الجحيم؟ هل نذهب إلى الجنة؟ هل نحيا مرة أخرى؟ هل نكون الشخص نفسه الذي كنا عليه قبل الموت؟ هل نتذكر تلك الحياة السابقة؟ هل سارى زوجتي وولدي؟ هل سيكون ذلك جميلاً؟ هل سيكون ذلك سيئاً؟ هل نحلم بعد الموت؟ هل نشعر بأي شيء على الإطلاق؟

فقال سيد الإجابات الذي اختفى تقريبًا في الضباب الرمادي: "نعم".

ثم استفاق فيل خلف مقود الكاديلاك، مندهشًا لأنه لا يزال حيًا. شعر أنه بخير في الوقت الحالي. في الواقع، شعر أنه بأحسن حال. فلا صدادع، فلا ألم في يديه أو قدميه... شغل المحرك.

"هل تعتقد أنني أستطيع أن أعود بنا سالمين إلى المنزل يا

فرانك؟ ومن دون أن أقتل شخصًا ما؟ فلتنبح مرة واحدة إذا
كان جوابك هو نعم، ومرتين إذا كان لا".
فنبح فرانك مرة واحدة. لذا، كانت الإجابة نعم.
كانت نعم.
لأجل جوناثان ليونارد

Notes

[1←]

قبة صلبة ذات تاج مستدير، أول من صنعها توماس وويليام باولر في 1849.

[2←]

أكبر سلسلة متاجر في الولايات المتحدة.

[3←]

في صناعة الأفلام والإنتاج التلفزيوني، تعرف نغمة الغرفة بالصمت أثناء التسجيل في مكان أو مساحة عندما لا يجري أي حوار، ويتميز بعدم وجود ضوضاء واضحة في الخلفية.

[4←]

كلمة **Oaks** تعني بلوط. واسم المراب "مراب أوك غروف".

[5←]

"شارب فو مانتشو" نوع من الشوارب يشبه الشارب الذي كان لدى الشخصية الخيالية فو مانتشو التي ظهرت في روايات الكاتب الإنكليزي ساكس روهمر. وهذا النوع من الشوارب يتميز بوجود شريط من الشعر على الشفة العليا يمتد إلى الأسفل نحو الفكين، حيث يمكن أن يتدلى الشعر بشكل طويل ورفيع. هذا النوع من الشارب يشتهر بأنه يعبر عن مظهر كلاسيكي لشخصية الشرير أو الساحر في الثقافات الشعبية، وخاصة في الأفلام والكتب الكوميدية.

[6←]

الثاكوس طبق مكسيكي تقليدي، ويتكوّن من خبز الثورتيللا الذي يحشى بأنواع مختلفة من الخضار أو اللحوم أو الجبن...

[7←]

العبرة "Jack from its box" تشير إلى لعبة الأطفال التقليدية

المعروفة باسم "Jack-in-the-box" أو "جاك في العلبة". في هذه اللعبة، توضع دمية تُسمى جاك داخل علبة مغلقة مع زنبرك. وعند فتح العلبة، يخرج جاك فجأة من العلبة بشكل مفاجئ نتيجة لعمل الزنبرك.

[8←]

مرض الذيدان القلبية مرض خطير يؤدي إلى أمراض الرئة الحادة، وفشل القلب، وتلف الأعضاء الأخرى، والوفاة لدى الحيوانات الأليفة، وخاصة الكلاب والقطط.

[9←]

يأتي اسم "المد الأحمر" من حقيقة أن الطحالب المتضخمة يمكن أن تتسبب في تغيير لون الماء.

[10←]

المدّرع حيوان يعيش في جنوب الولايات المتحدة، وأميركا الوسطى والجنوبية.

[11←]

يستخدم الديجيتال لعلاج قصور القلب الاحتقاني ومشاكل ضربات القلب (عدم انتظام ضربات القلب الأذيني). ويمكن أن يزيد الديجيتال من تدفق الدم في جميع أنحاء الجسم ويقلل التورم في اليدين والكاحلين.

[12←]

الزجاج أحادي الاتجاه نوع من الزجاج الذي يكون شفافاً من إحدى الجهتين، وعاكساً من الجهة الأخرى.

[13←]

"السيدة أو النمر؟" دخل هذا التعبير اللغة الإنكليزية كتعبير استعاري، أو كإشارة مختصرة أو دالة على مشكلة غير قابلة للحل.

[14←]

يُقال غالباً إن الخيول الميتة والمحتضرة "تُرسل إلى مصنع الغراء". لأنَّ

لديها الكثير من الكولاجين.

[15←]

سندات الحرب هي سندات دين تصدرها الحكومة لتمويل العمليات العسكرية في أوقات الحرب أو الصراع. ولأن سندات الحرب تُقدّم معدل عائد أقل من سعر السوق، فقد جرت العادة بأن تُباع من خلال توجيه مناشدات عاطفية للمواطنين لإقراض الحكومة الأموال.